

# قيادات حركات التحرر في بلدان المغرب العربي (الحبيب بورقيبة، علال الفاسي دراسة مقارنة)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث "ل. م. د."

تخصص: تاريخ معاصر

إشراف الأستاذ الدكتور:

عبد الوهاب شلاي

إعداد الطالب:

عبد الباقي براكني

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
حفظ الله بوبكر	أستاذ التعليم العالي	جامعة العربي التبسي - تبسة-	رئيسا
شلاي عبد الوهاب	أستاذ التعليم العالي	جامعة العربي التبسي - تبسة-	مشرفا ومقررا
قدادة شايب	أستاذ التعليم العالي	جامعة 08 ماي 1945 - قالمة-	ممتحنا
عسول صالح	أستاذ محاضر -أ-	جامعة العربي التبسي - تبسة-	ممتحنا
بك محمد	أستاذ محاضر -أ-	جامعة باجي مختار - عنابة-	ممتحنا



# قيادات حركات التحرر في بلدان المغرب العربي (الحبيب بورقيبة، علال الفاسي دراسة مقارنة)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث "ل. م. د."

تخصص: تاريخ معاصر

إعداد الطالب: عبد الباقي براكني

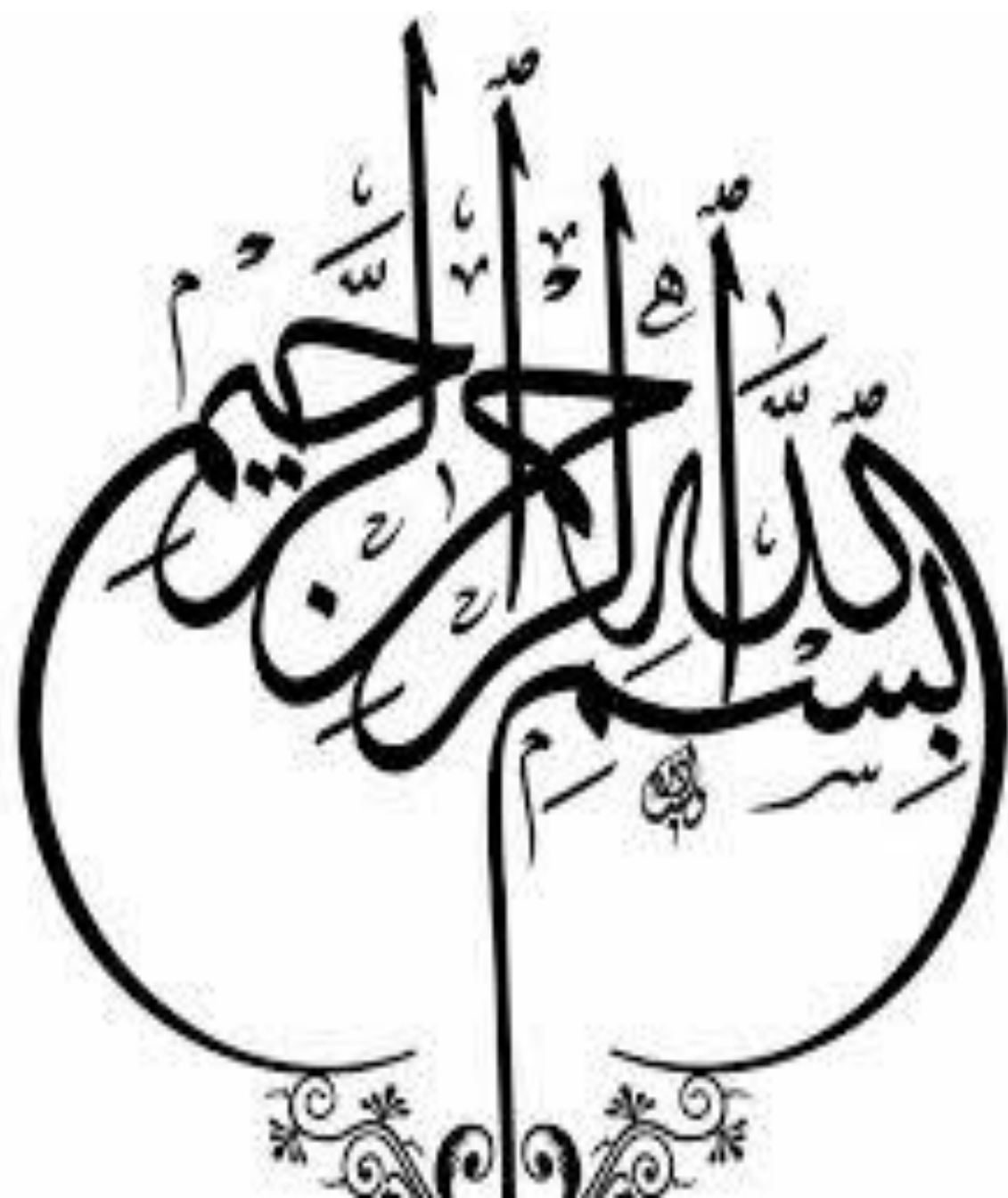
إشراف الأستاذ الدكتور:

عبد الوهاب شلالي

عبد الباقي براكني

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
بوبكر حفظ الله	أستاذ التعليم العالي	جامعة العربي التبسي - تبسة-	رئيسا
عبد الوهاب شلالي	أستاذ التعليم العالي	جامعة العربي التبسي - تبسة-	مشرفا ومقررا
عسول صالح	أستاذ محاضر -أ-	جامعة العربي التبسي - تبسة-	مناقشا
شايب قدارة	أستاذ التعليم العالي	جامعة 08 ماي 1945 -قائمة-	مناقشا
محمد بك	أستاذ محاضر -أ-	جامعة باجي مختار -عنابة-	مناقشا





## شكر وتقدير

إذا كان الشكر والثناء هو عرفان بالجميل والتقدير للذين كانوا نعم العون وكانوا بمثابة النواة التي أخرجت هذه الدراسة إلى النور، فأبدأ شكري أولاً لله سبحانه وتعالى الذي بفضلته أتممت هذا العمل المتواضع.

كما لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى الأستاذ الدكتور المشرف "عبد الوهاب شلالي" على كل جهوده ونصائحه وتوجيهاته المنهجية العلمية السديدة. كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر والتقدير إلى أعضاء لجنة المناقشة الذين قبلوا مناقشة هذا العمل وإثرائه بمختلف النصائح والتوجيهات.

وإلى كل أساتذة قسم التاريخ بجامعة العربي التبسي وعلى رأسهم عميد الكلية الأستاذ الدكتور "حفظ الله بوبكر" وأتقدم بالشكر الجزيل لكل من الأشقاء التونسيين والمغاربة الذين لم يبخلوا في مد يد العون والمساعدة لي.

كما لا يفوتني أن أتقدم بعبارات الشكر والتقدير إلى كل أصدقائي وزملائي واخواني وإلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد.

**أسأل الله أن يجزي الجميع خير الجزاء**



# مَقْدِمَةٌ

## التعريف بالموضوع:

يزخر تاريخ المغرب العربي بأسماء شخصيات وقيادات سياسية ووطنية تجاوز اشعاعها القطر الواحد نحو مناطق كثيرة من العالم، واستمر تأثيرها لفترة طويلة من الزمن وتوارثت أمجادها الأجيال المتعاقبة، هذه القيادات التاريخية عملت على حفظ الهوية الوطنية، وتعزيز وحدة أوطانها، وشعوبها أثناء الحقبة الاستعمارية، وبعد طرد المستعمر واسترجاع السيادة الوطنية ساهمت في تشييد معالم دولها الحديثة. كما حملت هذه الشخصيات والقيادات لواء الدفاع عن الاستقلال الوطني ومحاربة الاستعمار في كل المنطقة المغاربية، معتمدين في ذلك على التقاف ودعم الشعوب باعتبارها صانع التاريخ والمحرك الأساسي لعملية التغيير، ولكن هذا لاينفي الدور الذي قامت به هذه القيادات السياسية المتميزة، والتي تصبح مع مرور الوقت رمزا ومرجعا سياسيا أو دينيا او كلاهما معا، وفقا للظروف والأحداث التي تساهم في صنعها وتوجيهها نحو وجهة أو أخرى.

وتاريخ القرن العشرين يقدم لنا أمثلة بارزة في هذا الصدد، ومن بين الشخصيات البارزة على سبيل المثال لا الحصر: الحبيب بورقيبة بتونس، وعلال الفاسي بالمغرب الأقصى، حيث تمكنا الزعيمان من استقطاب الجماهير الشعبية التي آمنت بآرائهما وافكارهما ونضالهما، مما أعطى الصبغة الشرعية والوطنية المطلقة لهذه الشخصيات لتتزعّم النضال السياسي أولا ثم النضال العسكري ثانيا، في مواجهة أساليب الاستعمار وسياسته التعسفية، ودفعه مجبرا للاعتراف باستقلال هذه الاقطار، ثم شهد المسار السياسي لهما بعد الاستقلال تباينا واضحا، تحكمت فيه الظروف الداخلية والخارجية للبلدين غداة الاستقلال، وأثرت فيه العوامل الذاتية والشخصية في حياة الرجلين، والتي كان لها بالغ الأثر في تحديد التوجّهات الأيديولوجية والفكرية والدينية والثقافية لكليهما، وقد ظهر تأثيره واضحا في تلك الفترة على الحياة العامة للبلدين في كلّ الميادين

وخاصة في الميدان السياسي. كما ظهر جليا دورهما على المستوى المغربي من خلال عملية التضامن مع الحركات التحررية المغربية عموما والجزائر بشكل خاص. ومن هنا جاءت فكرة هذه الأطروحة المعنونة بقيادات حركات التحرر في بلدان المغرب العربي الحبيب بورقيبة وعلال الفاسي دراسة مقارنة، والتي تتدرج ضمن موضوعات تراجم الشخصيات السياسية الثورية المغربية الفعالة والبارزة خلال الفترة الاستعمارية، حيث تم القيام بدراسة مقارنة بين مسيرة الزعيمين لإبراز دورهما التضالي والقيادي في سبيل تحرير بلديهما، وكذا توحيد الجهود من أجل تحقيق الاستقلال التام لجميع الأقطار المغربية، وتفعيل مبدأ وحدة العمل والتضامن المغربي الذي أقرته لجنة تحرير المغرب العربي سنة 1948.

### أسباب اختيار الموضوع:

#### • أسباب ذاتية:

• الرغبة الشخصية في التطرق إلى هذا الموضوع باعتباره يدرس شخصيتان سياسيتان مغربيتان كان لهما دور بارز وفعال في حركة التحرر المغربية ولهما علاقة مباشرة بالثورة الجزائرية.

• اهتمامي بالدراسات المقارنة في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية ولاسيما عندما يتعلق الأمر بالشخصيات العربية والمغربية التي خاضت تجربة متشابهة في نضالها ضد القهر الاستعماري.

#### • أسباب موضوعية:

• وتتمثل في قلة الدراسات التاريخية المقارنة التي تطرقت لهذا الموضوع، كذلك شخصية الرجلين جديرة بالبحث والدراسة لما ستضيفه من فائدة علمية على داسي تاريخ المغرب المعاصر

• كذلك إثراء المكتبة الوطنية والمغربية ببحث تاريخي متخصص حول الشخصيتين المدروستين.

• السعي لمعرفة انعكاسات السياسة الاستعمارية على المغرب العربي ككل وتونس والمغرب الأقصى على وجه الخصوص، وكيف واجه الحبيب بورقيبة وعلال الفاسي هذه السياسة القائمة على القهر والاضطهاد والتفرقة، وكيف استطاعا أن يحافظا على الوحدة الوطنية ويتمكنا من استعادة حرية واستقلال بلديهما.

### الإشكالية:

تعالج هذه الأطروحة دور الزعيمين السياسيين: الحبيب بورقيبة وعلال الفاسي، في مقاومة الاستعمار الفرنسي في بلديهما بشكل خاص وبلدان المغرب العربي بشكل عام، والمساهمة في دعم شعوب الدولتين والسير بها نحو تحقيق الاستقلال. وبناء عليه طرحت الإشكالية الآتية:

ما مدى مساهمة القيادات السياسية الوطنية لكل من تونس والمغرب الأقصى، من خلال نموذجي الحبيب بورقيبة وعلال الفاسي، في تحقيق استقلال بلديهما وبناء صرح الدولة الحديثة؟

وللإحاطة وتوضيح هذه الإشكالية بشكل أفضل يمكننا أن نطرح مجموعة من التساؤلات الفرعية الآتية:

- كيف كانت أوضاع تونس والمغرب خلال مطلع القرن العشرين؟ وكيف كانت ردود الفعل الوطنية على الهجمة الاستعمارية التي تعرضت لها بلادهم؟
- من هو الحبيب بورقيبة؟ وما هي ظروف نشأته وتكوينه؟
- من هو علال الفاسي؟ وما هي ظروف نشأته وتكوينه؟

- متى ظهرت بوادر النشاط السياسي للرجلين؟ وما هي العوامل التي ساعدت على بروزهما؟

- ماهي المؤثرات التي ساهمت في تكوين شخصية الرجلين؟

- ما هي الأسس التي اعتمد عليها الرجلين في نضالهما السياسي لمقاومة الاستعمار في تونس والمغرب؟

- فيما تجلّت مظاهر وحدة النضال المغاربي في نشاط الرجلين السياسي في الخارج؟

- كيف ساهم الزعيمين في دعم الكفاح المسلح في بلديهما؟ وكيف تعاملوا مع الاستعمار أثناء مفاوضات الاستقلال؟

- ماهي مظاهر التوجّهات الفكرية والإيديولوجية للزعيمين؟ وكيف ساهما في بناء الدولة التونسية والمغربية الحديثة؟

- ما مدى مساهمة الزعيمين في نشر الفكر السياسي التحرري في بلديهما؟ وكيف تعاملوا مع قضايا التحرر المغاربية؟

- ماهي أبرز أوجه التشابه والاختلاف بين الزعيمين في مختلف الجوانب؟

#### حدود الدراسة:

تتخصر الحدود الزمنية للأطروحة بين تاريخ ميلاد ووفاة الشخصيتين المدروستين، وباعتبار بورقيبة ولد قبل علال الفاسي وتوفي بعده، فإنّ حدود هذه الدراسة مرتبطة أساسا بالفترة الزمنية المحصورة بين 1903-2000، والتي تمثل تاريخ ميلاد ووفاة الحبيب بورقيبة.

وقد غطت هذه الدراسة فترة الاستعمار الفرنسي وعهد الاستقلال في البلدين لذلك نجد أن الفترة الزمنية المعنوية بالدراسة طويلة بعض الشيء تمتد لحوالي القرن. أما الإطار المكاني لهذه الدراسة فلم يقتصر على المغرب وتونس فقط، بل تعداه ليشمل

كل الأقطار المغاربية التي خضعت للاستعمار الفرنسي، فعملت على توحيد النضال والكفاح لتحقيق الاستقلال.

كما تمتد حدود هذه الدراسة إلى معظم الأقطار العربية التي تضامنت ودعمت نشاط الرجلين، خلال إقامتهما في القاهرة منذ سنة 1945 حتى تحقيق الإستقلال الوطني للدولتين التونسية والمغربية، دون أن ننسى نشاط الرجلين في العالم الغربي ودول العالم الثالث.

### مناهج البحث:

تمّ الاعتماد على مجموعة من المناهج العلمية أثناء دراسة هذه الأطروحة التي وجدت أنها ضرورية لمثل هذه المواضيع، التي تتطلب وصفا دقيقا لمسيرة وحياة الرجلين والأحداث المرتبطة بهما، وكذلك تحليل واستنباط مختلف النصوص والوثائق اللازمة لإنهاء هذه الأطروحة، كما لا ننسى المقارنة بينهما، ومن هذا المنطلق يمكننا القول بأنه تمّ الاعتماد على ثلاث مناهج أساسية وهي كالاتي:

• **المنهج التاريخي الوصفي:** باعتباره مناسبا لاستعراض الأحداث التاريخية المرتبطة بمسار الرجلين حسب الترتيب الكرونولوجي لها وتفسيرها في سياقها التاريخي. ومن خلال وصف المراحل و الأوضاع التي عايشتها الشخصيتان محلّ الدراسة، ومدى تأثرهما بها، وكيف انعكس ذلك على مسارهما النضالي خلال الفترة الاستعمارية وحتى بعد الاستقلال؟

• **المنهج التحليلي:** اعتمدنا عليه في تحليل مختلف الأحداث التي عاشتها الشخصيتين، وكذا مناقشتها ونقدها ومحاولة ربطها ببعضها البعض واستخلاص مجموعة من النتائج والأحكام، إضافة إلى تحليل الشهادات والوثائق التاريخية المتوفرة.

• **المنهج المقارن:** تمّ الاعتماد على المنهج في المقارنة بين شخصية الحبيب بورقيبة وعلال الفاسي، للتمكّن من معرفة أوجه الاختلاف والتشابه بين أفكارهما



وتوجّهاتهما الفكرية والإيديولوجية، وتتبع مسارهما النضالي قبل وبعد الاستقلال والعوائق التي اعترضت نشاطهما، ومعرفة أوجه التماثل والتنافر بينهما.

### خطة الأطروحة:

قسّمت الأطروحة إلى مقدمة وفصل تمهيدي وأربعة فصول أساسية بالإضافة إلى خاتمة ومجموعة من الملاحق التوضيحية الخادمة للموضوع.

الفصل التمهيدي عنون بـ: السياسة الاستعمارية الفرنسية في تونس والمغرب وردود الفعل الوطنية، تمّ فيه التطرق إلى الأطماع الاستعمارية في المنطقة والاستراتيجية المعتمدة في احتلال دوله، تزامنا مع الظرف التاريخي الدولي والمحلي، وردود الفعل الداخلية المختلفة وانعكاساتها على الشعبين التونسي والمغربي. والظروف المساعدة على بروز عدّة شخصيات سياسية وطنية قيادية ساهمت في مقاومة الاستعمار. كما تمّ ضبط بعض المفاهيم الأساسية التي استعملتها في أطروحتي هذه مثل القيادة والزعامة وعوامل بروزهما في بلدان المغرب العربي، ودور القائد ومكانته في تأطير الجماهير الشعبية في المنطقة المغاربية.

وتم في الفصل الأول تقديم ترجمة لشخصيّة كلّ من الحبيب بورقيبة، وعلال الفاسي، من خلال ثلاث مباحث، تحدّثت في المبحث الأول والثاني عن حياة الرجلين من المولد والنشأة إلى المسار الدّراسي والثقافي وأثارهما الفكرية، أمّا المبحث الثالث فقد أجريت فيه مقارنة بين حياة الشخصيتين.

أما الفصل الثاني والذي كان عنوانه الدور السياسي للزعيمين في الحركة الوطنية لبلديهما (1930-1956)، فقد فسّم إلى ثلاث مباحث، يتحدّث المبحث الأول والثاني عن نشاط الزعيمين السياسي في الداخل والخارج من خلال تسليط الضوء على بداية نشاطهما السياسي، والعوامل المؤثرة في تكوينهما السياسي، ورسم معالم التوجه

الإيديولوجي لكليهما، والظروف المساعدة لهما لتزعم الحركة الوطنية في بلديهما ومقاومة السلطات الاستعمارية، والمعاناة التي تعرضا لها الاثنيين. أما فيما يخص المبحث الثالث فقد كان عبارة عن عملية تقييم لنشاط الزعيمين خلال مراحل نضالهما، لأختتم هذا الفصل بإجراء مقارنة بينهما، من خلال إبراز أهم أوجه التشابه والاختلاف من حيث الأهداف والمبادئ والنتائج المحققة، والاستراتيجية النضالية المعتمدة من طرف الزعيمين.

وفي الفصل الثالث والمعنون بالتوجهات الفكرية والإيديولوجية للحبيب بورقيبة وعلال الفاسي، فقد تمّ تقسيمه أيضا إلى ثلاث مباحث أساسية، تحدثنا في المبحث الأول عن التوجهات الفكرية والإيديولوجية للحبيب بورقيبة ومدى تأثيرها في الجانب السياسي والديني، وإرساء قواعد وأسس الدولة التونسية الحديثة، من خلال دراسة بعض خطب الحبيب بورقيبة ومعالم سياسته التي طبقتها في تونس المستقلة، والتي أظهرت ميولاته الغربية ومحاولة تجسيدها وفرضها على المجتمع التونسي، كما بينت مواقفه السياسية بعد الاستقلال من خلال تبنيه للنظام الديمقراطي، ثم تحوّلته نحو نظام حكم الحزب الواحد الذي مكنه من تجميع جميع السلطات بين يديه.

كما تطرقنا في هذا المبحث إلى موقف بورقيبة من الدين الإسلامي، وكيف حاول تحويله لما يخدم مشروعه التحديثي العلماني، مما أدى إلى تكفيره واتهامه بالزندقة والإلحاد من طرف بعض علماء الأمة الإسلامية، ثم بينت الأسس والقواعد التي اعتمدها بورقيبة في بناء صرح الدولة التونسية الحديثة وما يتوافق مع توجهاته الفكرية.

أما المبحث الثاني فقد خصص لتوجهات علال الفاسي الفكرية والإيديولوجية المبنية على أسس إسلامية عربية بحتة، وكيف تعامل مع الحضارة الغربية، وكذا موقفه من نظام الحكم السياسي في المغرب بعد الاستقلال، وسعيه لضمان حقوق الشعب المغربي في العيش بكرامة، والعراقيل التي واجهت مشروعه السياسي، وأما في

المبحث الثالث فقد خُصَّص لإجراء مقارنة بين التوجهات الفكرية والإيديولوجية للزعيمين، ومن ثم استنتاج مظاهر القوة والضعف في تجربتهما في بلديهما بعد الإستقلال.

الفصل الرابع والأخير خصص للدور البارز للزعيمين في حركة التحرير بالبلدان المغاربية، مع التركيز على الوسائل والطرق المعتمدة في الدفاع عن حرية هذه الأقطار، سواء من خلال الدّعم المقدم على المستوى الداخلي خاصّة السياسي والعسكري، أو الخارجي من خلال المساعي الدبلوماسية للتعريف بالقضية المغاربية لدى الرأي العام العربي والعالمي، وكذا لدى الهيئات الإقليمية والدولية، من أجل زعزعة أركان الاستعمار وفضح سياسته أمام شعوب العالم المناصرة للشعوب المستضعفة والمستعمرة، الطامحة إلى التخلص من الهيمنة الاستعمارية واستعادة سيادتها وحريتها وتقرير مصيرها، وفي ختام هذا الفصل تمّ تقييم نشاط الزعيمين كلّ على حدا، ثم تم إجراء مقارنة لتحديد أوجه التشابه والاختلاف في الدور والمواقف بين الزعيمين اتجاه هذه القضايا.

ثم أنهينا الأطروحة بخاتمة في شكل مجموعة من الإستنتاجات شكلت إجابات مختصرة للإشكالية، كما تمّ تذييلها بمجموعة ملاحق مدعمة ومكملة للأطروحة حيث تمّ ترتيبها وفقا لتسلسل الأحداث، والمنهجية المتبعة في مثل هذه الدراسات، وفي الأخير قائمة المصادر والمراجع المعتمدة في هذه الأطروحة.

### نقد المصادر والمراجع

إن جوهر البحث يكمن في نوعية مصادره ومراجعته، وعليه قمنا بجمع كل ما يخدم الموضوع ويزيد في قيمته العلمية، من خلال الحصول على المادة العلمية الصحيحة من مصادره الأصلية والتي حصرت جلها في المصادر التالية:

• الوثائق الأرشيفية وشهادات الفاعلين الشفوية والمسجلة والصحف والجرائد والمجلات المواكبة للأحداث، وكذا مذكرات السياسيين والقادة، وحتى الأشخاص القريبين من الحدث والمطلعين على قضايا وأحداث تلك الفترة، وبدرجة أقل اعتمادنا على الدراسات والمراجع المختلفة التي تناولت الموضوع، حيث عثرنا في الأرشيف التونسي والمغربي على كم هائل من الوثائق التي تؤرخ لتاريخ تونس والمغرب المعاصر، وعلاقتهما بمحيطهما الإقليمي والدولي.

كما استفدنا من الجرائد المحفوظة داخل هذه المؤسسات الأرشيفية والتي كانت تصدر خلال فترة الدراسة، حيث تابعت أغلب نشاطات الوطنيين المغاربة من لقاءات وخطب وندوات، و كان لها الباع الكبير في شحذ الهمم وتحريك الشعوب المغاربية للثورة ضد الاستعمار ومن بينها: جريدة الصباح التونسية، وجريدة الزهراء، وجريدة العمل التونسية، وجريدة العلم المغربية... الخ. رغم ما وجدناه من تحيز للزعميين لدى بعض هذه الصحف و الجرائد مما يبعدنا عن الحقيقة.

• المذكرات الشخصية وهي كثيرة، على غرار مذكرات القادة السياسيين التونسيين أمثال أحمد المستيري، ومحمد مزالي، والباجي قائد السبسي، ومحمود الماطري، ومن الجانب المغربي نجد مذكرات محمد حسن الوزاني وبوبكر القادري، وقد استفدنا منها كثيرا خاصة في تتبع النشاطات السياسية للزعميين، وإن اختلفت الآراء في هذه المذكرات فمنها الممجة ومنها المنتقدة للزعميين.

• الشهادات الشفوية باعتبارها مخزونا معرفيا يساهم في رفع الغموض عن الكثير من القضايا المتعلقة بموضوع الأطروحة، منها التي أجريتها بنفسني شملت: بعض الشخصيات التي كانت لها علاقة مباشرة بالزعميين، ومنها شهادات لمسؤولين سياسيين عبر مختلف وسائل الاعلام، وأبرزها حصة شاهد على العصر بثته قناة الجزيرة، وشريط آخر بعنوان زمن بورقيبة بثته قناة العربية في ستة أجزاء سنة 2007،

ويعرض شهادات لشخصيات تونسية وعربية حول حياة ومسيرة ونضال الحبيب بورقيبة.

• أما المصادر غير الأرشيفية فتشمل العديد من الكتب الهامة التي أرخت للفترة الزمنية المدروسة، نتيجة معاصرة كتابها للأحداث والوقائع ومرافقتهم للزعيمين الحبيب بورقيبة وعلال الفاسي، ونخص بالذكر هنا كتاب الحركات الاستقلالية لعلال الفاسي والذي تناول فيه تاريخ المنطقة المغاربية وكفاحها ضد المستعمر، وكيف تصدت شعوب هذه المنطقة للأطماع الأجنبية، إضافة إلى عدة مصادر أخرى لنفس المؤلف على غرار نداء القاهرة، النقد الذاتي، الحرية، مع الشعب...، وكتاب محمد العلمي علال الفاسي رائد الحركة الوطنية والذي تناول بالدراسة والتحليل شخصية علال الفاسي وأهم أعماله قبل وبعد الإستقلال، حيث ربط تاريخ المغرب السياسي بنضال هذا الزعيم، مع اهمال لنشاط باقي النخبة السياسية المغربية أمثال محمد حسن الوزاني.

بالنسبة للشق التونسي فنجد كتاب لبورقيبة عنوانه حياتي آرائي وجهادي، والذي سرد كفاح الرجل وتاريخ تونس طيلة القرن العشرين، والذي ضم سلسلة من المحاضرات ألقاها الحبيب بورقيبة أمام طلبة معهد الصحافة وعلوم الأخبار حول تاريخ الحركة الوطنية التونسية، لذلك تميز بالمدح والتباهي وتغليب عنصر الذاتية في رواية أحداث هذه الفترة، إضافة إلى العديد من الكتب الأخرى التي لا يسع المجال لذكرها، والتي نشرتها هيئات رسمية تونسية حول التاريخ السياسي لتونس أثناء الحقبة الاستعمارية.

بالنسبة للمصادر الأجنبية فهي كثيرة ومتنوعة ونخص منها بالذكر كتاب:

*Sophie Bessis, Souhayr Belhassen, Bourguiba A la conquête d'un destin 1901- 1957.*

وكتاب:

*Jean Rous, Habib Bourguiba, L'homme D'action De L'afrique*

والذين خصا حياة ومسيرة وانجازات مترجمنا الحبيب بورقيبة ودوره في نشاط الحركة الوطنية التونسية، وفي إرساء معالم الدولة التونسية الحديثة.

وكتاب:

*Mohamed El Alami, Allal EL Fassi, Patriarcge du Nationalisme Marocain*

وقد ربط فيه المؤلف تاريخ المغرب بنضال علال الفاسي مع اهمال لدور باقي القادة السياسيين المغاربة.

• الملتقيات والندوات وقد شكلت أهمية بالغة في محور دراستنا وذلك من خلال تدخلات لأطراف وأشخاص إما زامنوا مرحلة دراسة أطروحتنا، أو قاموا بدراسات حول نفس الفترة، باعتماد وثائق حية وأخص بالذكر عبد الجليل التميمي، في المجلة التاريخية المغربية، والمندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير المغربية.

• أما الكتب الأكاديمية التي اعتمدها كمراجع للبحث، فقد كانت درجة الاستفادة منها متفاوتة من كتاب إلى آخر، وأخص بالذكر محمد علي داهش، دراسة في الحركات الوطنية، الاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي، وكتاب الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، وكتاب مختصر تاريخ البلاد التونسية لمؤلفه عبد العزيز بن حمد الحسن، مختصر تاريخ البلاد التونسية، هذه الكتب تناولت كفاح الشعب التونسي منذ عهد الحماية 1881 إلى غاية الاستقلال سنة 1956، حيث تطرقت إلى مظاهر النضال السياسي ثم الكفاح العسكري المسلح الذي توج باستعادة السيادة والحرية مع اختلاف في إعطاء الأهمية للزعماء والقادة في تلك الفترة، إضافة إلى كتاب حبيب

حسن اللولب، التونسيون والثورة الجزائرية والذي تناول جوانب هامة من تاريخ الدعم والتضامن المشترك بين الشعبين.

وبالنسبة لتاريخ المغرب فقد اعتمدت على العديد من الكتب الهامة والتي أرخت للتاريخ السياسي والعسكري للملكة المغربية في الفترة المعاصرة، على غرار أسيم القرقرى في كتابه علال الفاسي رائد الحركة الوطنية، والذي درس فيه مختلف محطات نضال الرجل ومدى مساهمته في تحقيق استقلال المغرب، أما كتاب محمد خير فارس، تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب للمؤلف فارس خير، فقد ركز فيه على السياسة الفرنسية المطبقة في المغرب من عهد ليوتي 1912 إلى غاية اندلاع الحرب العالمية الثانية.

كما استفدنا كذلك من المقالات المنشورة في العديد من المجالات على غرار المجلة التاريخية المغربية، مجلة الروافد، ومجلة الباحث، والتي تناولت جوانب مختلفة من تاريخ البلدين والمنطقة المغاربية ككل، إضافة إلى دراسة أبرز محطات نضال الزعيمين، وتحديد سمات التوجه الفكري والإيديولوجي، وذكر جوانب القوة والضعف لديهما.

### صعوبات البحث:

كأي عمل جاد لابد أن تعترضه بعض الصعوبات، التي تتطلب الصبر والإرادة القوية من أجل إنجاز دراسة أكاديمية، خاصة وأن موضوعي واسع الجوانب ومتعدد الأفكار والآراء ومن أهمها ما يلي:

- طول الفترة الزمنية المدروسة وتنوعها مما أفرز صعوبة كبيرة في جمع المادة العلمية المتناثرة في عدة جهات منها الجزائر وتونس والمغرب.

- صعوبة التنقلات التي قمت بها إلى كل من تونس والمغرب من حيث التكاليف المادية التي كانت على حسابي الشخصي من بداية الأطروحة إلى نهايتها.
  - كثرة المادة العلمية في موضوع البحث، مما أدى إلى صعوبة في عملية فرزها باستثناء الكتابات الأجنبية حول شخصية علال الفاسي والتي كانت قليلة.
  - التناقضات الكثيرة في الكتابات التونسية حول شخصية الحبيب بورقيبة مما يجعل التمييز بين المعلومة الصحيحة والخاطئة صعب.
  - صعوبة مثل هذه المواضيع التاريخية باعتبارها دراسة مقارنة بين شخصيتين من منطقتين مختلفتين وذو تكوين ونشأة مختلفة، وكذا اختلاف المكانة السياسية للشخصيتين في بلادهما بعد الاستقلال، إضافة إلى أن مسار الرجلين النضالي تعرض لكثير من التشويه والانتقاد نتيجة أسباب سياسية وشخصية.
- وفي الأخير لا يسعني إلا أن أتقدم بشكر خاص للأستاذ المشرف البروفيسور عبد الوهاب شلالي، على التوجيهات التي ما فتئ يقدمها لي أثناء إنجازي لهذه الأطروحة، وصبره معي في طريقي لإتمام هذا العمل. وإلى كل من قدم لي يد العون من قريب أو بعيد.



# الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في تونس والمغرب وردود الفعل الوطنية

أولاً: ظروف فرض الحماية على تونس والمغرب الأقصى  
ثانياً: طبيعة السياسة الاستعمارية في البلدين  
ثالثاً: ردود الأفعال الوطنية في التصدي للغزو الفرنسي  
رابعاً: القيادات السياسية في تونس والمغرب الأقصى ودورها في  
تأطير الجماهير

## أولاً: ظروف فرض الحماية على تونس والمغرب الأقصى

تعد منطقة المغرب العربي امتداداً جغرافياً موحداً، وكياناً يشترك سكانه في وحدة الجنس واللغة والدين والتاريخ المشترك، وقد دمجت لعقود في إطار الأمة الإسلامية<sup>1</sup> بتأسيس دولة الموحدين (1121-1269) بزعامة محمد بن تومرت<sup>2</sup>، وبعد انهيارها برزت كيانات سياسية مستقلة تخضع لنفوذ الأسر الحاكمة<sup>3</sup>، وعندما دخل العثمانيون إلى شمال إفريقيا، كانت منطقة المغرب العربي تضم (المغرب الأدنى، المغرب الأوسط والمغرب الأقصى وطرابلس) فألحقوا جميعاً بالدولة العثمانية باستثناء المغرب الأقصى.

ثم عرفت المنطقة تغيرات سياسية خلال القرن 19 وبداية القرن العشرين تمثلت في تزايد المد الاستعماري الأوربي في المنطقة، مما نتج عنه وقوع الأقطار المغاربية تباعاً تحت السيطرة الاستعمارية الأوربية، بدءاً بالجزائر سنة 1830، ثم تونس سنة 1881، وأخيراً المغرب سنة 1912، ومنذ هذا التاريخ انفصلت طرابلس لفترة من الزمن عن بقية أقطار المغرب العربي بخضوعها للاحتلال الإيطالي سنة 1911.<sup>4</sup>

خلال هذه الفترة نجد المستعمر الفرنسي يطلق مصطلح شمال إفريقيا على أقطار المغرب الرئيسية والتي يراها الكاتب الفرنسي المختص في الشؤون المغاربية "بول يالطا" بأن "المغرب العربي الكبير أثناء الفترة (1910-1964) كان يعرف بثلاثة أقطار وهي:

<sup>1</sup> عبد الله مقلاتي، العلاقات الجزائرية المغربية إبان الثورة الجزائرية، الجزء 1، دار بوسعادة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص. 9.

<sup>2</sup> جمال عبد الناصر مانع، اتحاد المغرب العربي - دراسة قانونية سياسية -، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص. 13.

<sup>3</sup> صالح العقاد، السياسة والمجتمع في المغرب الأقصى، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، مصر، 1971، ص. 195.

<sup>4</sup> عبد الحليم مرجي، وحدة المغرب العربي في أدبيات قادة حزب الاستقلال المغربي - علال الفاسي أنموذجاً - مجلة الذاكرة المغربية المشتركة المغربية-الجزائرية، الجزء 1، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، المغرب، 2017، ص. 322، 323.

تونس، الجزائر، المغرب<sup>1</sup>، لكن الباحث "سمير أمين" يعتبر أن كلمة المغرب هي مجمل المناطق التي تقع غرب نهر النيل ويقصد بها ليبيا والجزائر وتونس والمغرب وموريتانيا. فلو أردنا أن نلقي نظرة على جغرافية هذه الدول وموقعها بالنسبة للعالم الغربي سنلاحظ مدى الأهمية التي تكتسبها هذه الدول في كل النواحي لاسيما الجزائر، تونس المغرب. مما يفسر التكاليف الاستعمارية الأوروبية لاحتلالها، فالمغرب الأقصى يتمتع بمركز جغرافي واستراتيجي هام. فهو يحتل القسم الشمالي الغربي من القارة الإفريقية، وهو بذلك يطل على المحيط الأطلسي والبحر المتوسط بواجهتين بحريتين يبلغ طولهما أكثر من 1800 كلم. ويتحكم في مضيق جبل طارق الذي يعد منطقة العبور الرئيسية في الملاحة والتجارة الدوليين، تحده الجزائر من الشرق والصحراء الغربية من الجنوب<sup>2</sup> وينحصر فلكيا بين خطي عرض (28°-36°) شمالا، على مساحة قدرها 440.550 كلم<sup>3</sup>. ويؤرخ البعض لجغرافية المغرب على أنها معقدة نظرا لكثرة مناطقها واتساع أقاليمها<sup>4</sup>.

أمّا تونس فتبلغ مساحتها 162.155 كلم<sup>2</sup> تحيط بها من الغرب والجنوب الغربي الجزائر ومن الجنوب الشرقي ليبيا، وتطل من الشمال والشرق على البحر الأبيض المتوسط ويغلب على الأراضي التونسية عموما نوعين من التضاريس الأول التربة السهلية الخصبة، والثاني يمتد في الصحراء الكبرى وتكثر فيها الواحات، فولد هذا التباين الجغرافي مجتمعين مختلفين في البنية الاجتماعية وتوزيع الثروة فضلا عن

<sup>1</sup> عبد الوهاب بن خليف، اتحاد المغرب العربي بين حسابات الساسة وطموحات الشارع، منشورات دار طليطلة، الجزائر، 2010، ص.11.

<sup>2</sup> سمير أمين، المغرب العربي الحديث، ترجمة: كميل داغر، ط. 2، دار الحداثة، بيروت، لبنان، 1981، ص.07.

<sup>3</sup> شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات (الجزائر، المغرب الأقصى، موريتانيا، السودان، تونس)، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د. ت. ن)، ص.256.

<sup>4</sup> محمد جدار، أطلس الوطن العربي، قصر الكتاب، البلدة، الجزائر، (د. ت. ن)، ص.49.

الثقافة. إذ يميل غالبية سكان المناطق الساحلية إلى الثقافة الفرانكفونية، أمّا سكان المناطق الصحراوية فيميلون إلى بقايا الطابع العشائري<sup>1</sup>.

وتتحصّر الجزائر بين القطرين إذ تحدها تونس من الشرق والمغرب من الغرب والبحر الأبيض المتوسط شمالاً، أمّا الجنوب الشرقي والغربي، فنجد ليبيا ومالي والنيجر وموريتانيا.

هذا الموقع بالنسبة لتونس والمغرب جعل فرنسا بعد احتلالها للجزائر تفكّر في استكمال السيطرة على البلدين المجاورين للجزائر حدودياً من الغرب والشرق، ففرنسا تريد استكمال وضع يدها على كلّ أقطار المغرب العربي، لربطه بممتلكاتها في إفريقيا السوداء<sup>2</sup>. فكانت أكثر الدول الاستعمارية حرصاً على احتلال المغرب وتونس كون ذلك ضرورة ملحة للمحافظة على الجزائر، وبالتالي تكوين إمبراطورية فرنسية في شمال إفريقيا على غرار بريطانيا في شبه القارة الهندية بآسيا، ضف إلى ذلك ما تتوقّر عليه هذه الأقطار من ثروات وفيرة ومتنوعة، ممّا يفتح المجال واسعاً أمام الاستثمارات الفرنسية والأوروبية على السواء بالمنطقة<sup>3</sup>.

### ثانياً: طبيعة السياسة الاستعمارية في البلدين

لقد نجحت فرنسا بعد احتلالها للجزائر سنة 1830 في بسط سيطرتها على تونس ثم المغرب الذي قاسمتها في احتلاله إسبانيا<sup>4</sup>. وتشاركت هذه القوى الاستعمارية في

<sup>1</sup> شوقي ضيف، المرجع السابق، ص. 257.

<sup>2</sup> سوّدد كاظم مهدي، تونس من عهد بورقيبة إلى رحيل زين العابدين بن علي 1957-2011، دراسة تاريخية سياسية، مجلة الحكمة، العدد. 56، 57، سنة 2012، تصدر عن بيت الحكمة، بغداد، العراق، ص. 153.

<sup>3</sup> محمد العربي معريش، المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول (1873-1894)، (1290هـ-1311هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (د. ت. ن)، ص. 137.

<sup>4</sup> محمد عبد الله عودة وإبراهيم ياسين الخطيب، تاريخ العرب الحديث، الدار الأهلية، عمان، الأردن، 1989، ص.

سياسة واحدة تقوم على إلغاء الحقوق الوطنية لكل قطر مغربي فضلا عن السيطرة والاستحواذ على أراضيه وإمكاناتها الاقتصادية وممتلكاته المختلفة<sup>1</sup>، ولم يقف الأمر عند حدود الاستلاب السياسي والاقتصادي، بل مارست عدوانا قوميا وحضاريا استهدف الإنسان وجودا وهوية من خلال القتل والنفي والتشريد، وتشجيع الاستيطان الاستعماري، ومحاولة القضاء على لغته ودينه وقيمه وتقاليده.

وتعد فرنسا أبرز القوى الاستعمارية التي تحكمت في مسار التطور المعاصر للمغرب العربي، تليها إيطاليا وإسبانيا في العمل المنظم للقضاء على الوجود القومي والديني والحضاري لأبناء المغرب العربي<sup>2</sup>.

لقد تعددت التسميات التي كانت تطلق على الأقطار الخاضعة للاستعمار الفرنسي في شمال إفريقيا. فمنها الملحقات كالجزائر والمحميات من غير وصاية كالمغرب وتونس، وأمام هذه الأنواع والأشكال اجتهد منظروا الاستعمار الفرنسي في إيجاد أحسن الطرق وأنجع السياسات لإدارة هذه الإمبراطورية والإبقاء على وحدتها<sup>3</sup>.

وسنكتفي هنا بإبراز مظاهر السياسة الاستعمارية في كل من تونس والمغرب، مع الإشارة ولو بشكل موجز لوضع الجزائر باعتبارها محور هذه السياسة، والتي توغل من خلالها الاستعمار الفرنسي لبقية الأقطار المغاربية، أما تونس والمغرب فإنها مقر نشاط وانتماء كل من الحبيب بورقيبة (تونس) وعلال الفاسي (المغرب)، ولها علاقة مباشرة بالجزائر أثناء عملية تحرير المغرب العربي خلال الفترة (1954-1962).

<sup>1</sup> محمد علي داهش، دراسات في الحركات الوطنية "الاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي"، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2004، ص. 5.

<sup>2</sup> محمد الصافي، الحركات التحررية المغاربية "أشكال الكفاح السياسي والمسلح (1942-1956)"، إفريقيا الشرق، المغرب، 2017، ص. 5.

<sup>3</sup> عبد الحميد زوزو، تاريخ الإستعمار والتحرر في إفريقيا وآسيا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1997، ص.

فإذا أخذنا الجزائر كمثال بعد إلحاقها بفرنسا، واعتبارها "كجزء لا يتجزأ من أراضيها" بمقتضى مرسوم الرابع من شهر أبريل 1848 موضوعا لسياسة الإلحاق أو الاندماج، فإن جميع الإجراءات المتخذة كانت تهدف إلى تطبيق جميع التنظيمات الإدارية الفرنسية على الجزائر. فالمادة 21 من دستور نوفمبر 1848، تسمح لفرنسيي الجزائر بإرسال ممثليهم إلى المجلس التأسيسي الفرنسي، أما الفترة التي عرفت الاندماج الكلي فهي التي انحصرت فيما بين (1870-1896) وهذا معناه وضع الجزائريين بين أيدي المعمرين، الذين عملوا خلال ربع قرن على فرنسة الجزائر أرضا وشعبا وتشريعا وثقافة، لمحو المعالم المميزة للمجتمع الجزائري، إلى أن تغدو جمهورية فرنسية مصغرة لا مكان فيها سوى للأوروبيين. هذا باختصار شديد الوضع العام للجزائر بعد احتلالها من طرف الاستعمار الفرنسي<sup>1</sup>.

أما بالنسبة لتونس والمغرب فالوضع لا يختلف كثيرا عما كان عليه في الجزائر فبالرغم من عنوان الحماية الذي طبق فيهما إلا أن السياسة الإستعمارية الفرنسية قد عملت على تحويلهما تدريجيا إلى مستعمرات، وإحالة ملوك البلاد إلى رموز لا نفوذ لها. فتونس قد وقعت تحت سلطة الإحتلال الفرنسي منذ سنة 1881، وذلك بعد حصار قصر الباي "محمد الصادق" وإرغامه على قبول معاهدة باردو في 12 ماي 1881<sup>2</sup>. وبمقتضاها فرضت الحماية الفرنسية على تونس، وانتهى بذلك الإستقلال الفعلي لتونس. وكان فرض فرنسا لنظام الحماية على تونس هو رغبتها في تجريب شكل جديد مخالف لاحتلال الجزائر، ف جاء الشكل الجديد في صورة حكم البلاد بطريقة غير

<sup>1</sup> عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص. 71.

<sup>2</sup> تتألف هذه المعاهدة من 10 بنود، وأهم ما تنص عليه التعاون بين تونس وفرنسا، واحتلال فرنسا لبعض مناطق البلاد التونسية، بحجة حمايتها وحفظ الأمن، وقد تعهدت فرنسا للباي بحمايته وأسرته من أي خطر. أنظر: عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)، المكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1977، ص. 308.

مباشرة، أي باستخدام السلطة المحلية الممثلة في الباي وحكومته مع تقليص سلطنة وصلاحياته ونفوذه، وتسليم أمور البلاد إلى سلطة المقيم العام الفرنسي<sup>1</sup>، حيث نصّ البند الرابع من معاهدة باردو على: "أن فرنسا يمثلها في تونس مقيم عام يكون الواسطة بينها وبين الحكومة الفرنسية". والبند الخامس نص على " أن علاقات تونس الخارجية تكون لسفراء فرنسا في الخارج " كما نصت أيضا على أنّ الاحتلال مؤقت، وان القوات الفرنسية سوف تحتل فقط بعض الجهات على الحدود والشواطئ لكي تتمكن من الحفاظ على امن البلاد، وأنّ هذه القوات سوف ترحل عندما تكون الإدارة التونسية قادرة على حماية النظام<sup>2</sup>.

وتم استكمال سلب كل مقومات الدولة المستقلة من السلطة المحلية وذلك بعد توقيع اتفاقية المرسى في 8 جويلية 1883، والتي قضت بتولي فرنسا إدارة شؤون البلاد الداخلية<sup>3</sup>، وذلك من خلال مطالبة الحكومة التونسية بتنفيذ الإصلاحات الداخلية والإدارية والعدلية والمالية بناء على ما تراه الحكومة الفرنسية<sup>4</sup>، وبالتالي ألزمت هذه الاتفاقية تونس بالتخلي عن استقلال البلاد الداخلي.

وفي 10 من نوفمبر سنة 1884 أصدر رئيس الجمهورية الفرنسية مرسوما يجعل كل أوامر الباي غير نافذة، ما لم يصادق عليها المقيم الفرنسي العام نيابة عن الحكومة الفرنسية<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> عبد العزيز بن حمد الحسن، مختصر تاريخ البلاد التونسية "الإنسان والأرض" (من عصور ما قبل التاريخ حتى الاستقلال)، الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2013، ص. 260.

<sup>2</sup> الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية "رؤية شعبية قومية جديدة 1830-1956"، ط. 2، منشورات دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، 1990، ص. 25.

<sup>3</sup> خليفة الشاطر وآخرون، تونس عبر التاريخ، الجزء 3، الحركة الوطنية ودولة الإستقلال، مركز الدراسات والبحوث الإقتصادية والإجتماعية، تونس، 2005، ص. 7.

<sup>4</sup> عبد العزيز بن حمد الحسن، المرجع السابق، ص. 261.

<sup>5</sup> علال الفاسي، المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى، ط. 3، منشورات مؤسسة علال الفاسي، الرباط، المغرب، 2010، ص. 38.

فعندما تحصل المقيم العام من رئيس الجمهورية الفرنسية على إصدار جميع الأوامر العليا وتطبيقها دون استشارة الطرف المقابل-الباي-، فإنه في الواقع حول لفائدته سلطة عاهل البلاد التشريعية، ومنذ ذلك الوقت لم يستطع الباي التونسي القيام بأية مبادرة، بل إنه تنازل عن سن القوانين لفائدة ممثل فرنسا، واقتصر دوره على ختم الأوامر دون أن يستشار حتى في صياغتها.

وتطبيقا لما جاء في اتفاقية باردو فقد عين "بول كامبون" وزيرا مقيما عاما في 23 فيفري 1882 بتونس، ومنحت له صلاحيات واسعة "لحكم البلاد باسم الباي"<sup>1</sup> فبعد إستكمال السيطرة العسكرية على كامل البلاد، عمل على إخضاع تونس للإدارة الفرنسية تدريجيا، ففي عهد "علي باي الثالث" (1882-1902)، خليفة "محمد الصادق باي"<sup>2</sup>، قدم كل التسهيلات للإدارة الفرنسية وفي مقدمتها توقيع إتفاقية المرسى والتي استغلتها فرنسا كإطار قانوني لتمرير سياستها وإدارة الشؤون الداخلية للبلاد التونسية<sup>3</sup>.

أما بالنسبة للمغرب فقد عرف نفس السياسة المطبقة في تونس تقريبا، فبعد سلسلة من الإتفاقيات الثنائية والمعاهدات والمؤتمرات الدولية على غرار مؤتمر برلين الثاني المنعقد سنة 1885، برزت منافسة شديدة بين فرنسا وإيطاليا وإسبانيا وبريطانيا لاحتلال المغرب الأقصى، وتزايدت المطامح وتضاربت المصالح بينها، وكانت فرنسا أكثر هذه الدول حرصا على احتلال المغرب، بهدف استكمال مشروعها الاستعماري في شمال إفريقيا. حيث رسم وزير خارجيتها ديلكاسيه (Djelkasse)، خطة لتنفيذ الاحتلال تقوم

<sup>1</sup> فادية عبد العزيز القطعاني، الحركة الوطنية المغربية 1912-1937، المجلة الجامعة، العدد. 16، فيفري 2014، سلوق جامعة بنغازي، ليبيا، ص. 43.

<sup>2</sup> عبد العزيز بن حمد الحسن، المرجع السابق، ص. 262.

<sup>3</sup> علال الفاسي، المغرب العربي، المصدر السابق، ص. 23.



على التوغل الاقتصادي، واستبعاد تدخل القوى الأوروبية الأخرى، حتى تنفرد فرنسا بالمغرب، ثم تلجأ إلى الحل العسكري، لو أخفق الحلان الآخران<sup>1</sup>.

ولتفعيل هذه الخطة بادرت فرنسا إلى عقد مجموعة من الاتفاقيات الثنائية مع الدول الأوروبية المنافسة لها في المغرب، لصرف أنظارهم أو لإرضائهم من خلال تقديم تنازلات لهذه الدول في مناطق أخرى، فكانت أولى هذه الاتفاقيات مع إيطاليا في عام 1902 تنازلت لها عن ولاية طرابلس الغرب التي كانت تابعة للدولة العثمانية، في مقابل عدم معارضتها لإجراءات فرنسا في المغرب وبهذا تمت مقايضة المغرب بلبيبا<sup>2</sup>.

ثم عقدت إتفاقية مع بريطانيا في 08 أبريل 1904<sup>3</sup> جاءت فيها الشروط التالية: "تعلن فرنسا اللاتينية أن لا نية لها في تغيير الوضع السياسي للمغرب وتعترف بريطانيا من جهتها لفرنسا بكونها قوة مجاورة للمغرب، وبأنها تسهر على توفير السلامة في هذا البلد وتقدم يد المساعدة له. كما اتفقت بريطانيا مع فرنسا أن تضمن لها حرية المرور في مضيق جبل طارق، مع عدم تشييد أية تحصينات أو منشأة عسكرية فرنسية فوق الساحل الغربي من المضيق، وتقديم الدعم الدبلوماسي لها من أجل تنفيذ شروط المعاهدة"<sup>4</sup>. على أن الأهم في هذه الاتفاقية هو إطلاق حرية فرنسا في المغرب اصبح مرتبط بإطلاق حرية بريطانيا في مصر، حيث عمل الطرفان على الحصول على تنازلات متقابلة ومتعادلة وتدرجية في كلا البلدين<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط.6، منشورات مؤسسة علال الفاسي، الرباط، المغرب، 2003، ص. 120.

<sup>2</sup> أحمد اسماعيل راشد، تاريخ اقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر (لبيبا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا)، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2004، ص. 203.

<sup>3</sup> محمد علي داهش، المرجع السابق، ص. 125.

<sup>4</sup> الطيب بياض، المغرب وحيدا ضد كبار أوروبا، مجلة زمان، العدد. 33، جويلية 2016، المملكة المغربية، ص. 69.

<sup>5</sup> محمد خير فارس، تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب 1912-1939، (د. د. ن)، المغرب، (د. ت. ن)، ص. 8.

ثم عقدت اتفاقية ثالثة مع اسبانيا 3 أكتوبر 1904 تضمنت اتفاقا علنيا وآخر سري، فالاتفاق العلني كان بمثابة اعتراف من اسبانيا لفرنسا بحق السهر على الهدوء في المغرب وتقديم المساعدات من خلال مجموعة من الإصلاحات الإدارية والاقتصادية والمالية مع احترام سيادة السلطان، أما الاتفاق السري فقد حدد منطقة النفوذ الإسباني في شمال وجنوب المغرب<sup>1</sup> مع تقييد حريتها لمدة 15 سنة من طرف فرنسا<sup>2</sup>. ومعنى هذا أنه بينما كان التصريح العلني يؤكد المحافظة على سيادة المغرب، فإن الاتفاق السري هياً كل وسائل الاحتلال.

بعد هذه السلسلة من الاتفاقيات ظنت فرنسا بأن الطريق نحو المغرب أصبح مفتوحا ولم يتبق لها سوى إجبار السلطان المغربي على قبول الاتفاق الفرنسي الانجليزي والشروع في القيام بالإصلاحات. ولكنها فوجئت بمنافس جديد يدخل ميدان السباق ويطالب بحصته من الغنيمة، حيث أعلنت ألمانيا عن مسانبتها لسلطان المغرب في الخطاب الذي ألقاه الإمبراطور الألماني "غليوم الثاني" بطنجة في 28 مارس 1905<sup>3</sup>.

ووجد السلطان المغربي "مولاي عبد الحفيظ"<sup>4</sup> الفرصة سانحة لطلب عقد لقاء دولي لمناقشة قضية بلاده ليتحرر من سيطرة فرنسا وانفرادها بالمغرب، وتم اللقاء بالفعل في

<sup>1</sup> تشمل حدود منطقة الحماية الإسبانية في الشمال، حيث تسير من الخط الذي يبتدئ عند ملوية، الى ورغة القصر، وتنتهي عند المحيط، وفي الجنوب منطقة العرائش. أنظر: علال الفاسي، حماية اسبانيا في مراكش من الوجهتين التاريخية والقانونية، تصحيح مختار باقة، ط.2، منشورات مؤسسة علال الفاسي، الرباط، المغرب، 2014، ص. 21.

<sup>2</sup> محمد خير فارس، المرجع السابق، ص. 11.

<sup>3</sup> امحمد مالكي، الحركات الوطنية والإستعمار في المغرب العربي، ط. 2، مركز دراسات الوحدة العربية، المغرب، ص. 93.

<sup>4</sup> ولد بفاس بتاريخ 24 فيفري 1876 عرفت فترة حكمه بالمغرب والتي امتدت إلى سنة 1912 اضطرابات داخلية اثرت على الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية للبلاد، مما اضطرها الى طلب القروض المالية من فرنسا، هذه الاخيرة وجدتها فرصة للتدخل في شؤون المغرب الداخلية، ثم اتخذتها ذريعة لاحتلاله سنة 1912 توفي في 4 افريل 1937 بليبيا. انظر عبد الله كنون، السلطان مولاي عبد الحفيظ والحماية، مجلة دعوة الحق، العدد. 234، مارس 1984، المملكة المغربية، ص. 7.

الجزيرة الخضراء في 16 جانفي 1906<sup>1</sup>، وحاول جاهدا استعطاف القوى الدولية لحماية بلاده والحفاظ على استقلالها السياسي، معتمدا على الدعم الألماني الذي التمس منه إمبراطورها، وبحكم علاقات الصداقة والتعاون الثنائي بين البلدين<sup>2</sup> ولكنه تفاجأ بمؤامرة خسيصة حاكتها هذه القوى الاستعمارية المتكاملة لإقتسام بلاده، والتي اظهرت دعمها المطلق لفرنسا لاحتلال المغرب.

لقد شرعت فرنسا بعد هذا المؤتمر في التحضير لعملية الاحتلال، من خلال خلق الذرائع لتبرير تدخلها في المنطقة، فكانت حادثة مقتل الطبيب الفرنسي موشان في 19 مارس 1907<sup>3</sup> حجة كافية لبداية التدخل العسكري في المغرب، من خلال احتلال مدينة وجدة ثم الدار البيضاء في نفس السنة. وحتى تضمن عدم معارضتها من طرف بقية الدول الاوربية، لجأت مرة أخرى إلى الحل الدبلوماسي بعقد اتفاق مع ألمانيا في فيفري 1909، تخلت بموجبه هذه الاخيرة عن أية مصلحة سياسية في المغرب، وفي السنة الموالية اجبرت السلطان المغربي على الاعتراف بالمكاسب المحققة داخل الأراضي المغربية، والزمته على قبول قرض مالي للقيام ببعض الإصلاحات الداخلية<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> عقد هذا المؤتمر بالجزيرة الخضراء بالساحل الاسباني واستمرت أعماله من 15 جانفي الى 17 افريل 1906، وقد شارك فيه المغرب ممثلا في النائب محمد الطريس، وفرنسا وبريطانيا وألمانيا واسبانيا وإيطاليا والنمسا وبلجيكا والولايات المتحدة الأمريكية وهولندا والبرتغال وروسيا والسويد وقد ناقش المؤتمر سيادة السلطان ووحدة اراضي المغرب والمساواة الاقتصادية للدول الممثلة في المغرب، كما كلف المؤتمر فرنسا بحماية الامن في المغرب والقيام بعدة اصلاحات داخلية فيه. أي للمزيد أنظر: عبد الله التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب (من أقدم العصور الى اليوم)، الجزء 9، مطابع فضالة، المحمدية، المغرب، 1989، ص. 164.

<sup>2</sup> Jean-Pierre Lozato – Giotart, *Le Maroc, Editions Karthala, Paris, 1991, P.27, 28.*

<sup>3</sup> كان جاسوسا فرنسيا في مراكش قام بوضع علم فرنسا بباب بيته مستقزا مشاعر المغاربة فقاموا بقتله، ووقعت صدامات بين المغاربة والجالية الاوربية بالمغرب، فاطلقت فرنسا حملة دعائية مضادة للمغرب ومننددة بالحادث وفي نفس الوقت دخلت القوات الفرنسية واحتلت مدينة وجدة في 25 مارس 1907. أنظر: علال لخديمي، المغرب في مواجهة التحديات الخارجية (1851-1947)، افريقيا الشرق، المغرب، 2006، ص. 88.

<sup>4</sup> René Millt, *La Conquête Du Maroc (La Question Indigène-Algérie Et Tunisi), Hubaire Académique Perrin Etc1er, Lubaires Éditeurs, Paris, 1913, P.58.*

لقد اقلقت هذه الأحداث المتتابعة الشعب المغربي الذي عبر عن رفضه للسياسة المتخادلة للسلطان عبد الحفيظ وانصياعه المطلق للمطالب الفرنسية واستخدام القوة في قمع حركات المعارضة من جهة، والتدخل الاجنبي في بلادهم من جهة أخرى، بتنظيم انتفاضة شعبية في مدينة فاس سنة 1911 حاصروا من خلالها المدينة، فتدخلت القوات الفرنسية بناء على طلب السلطان المغربي لفك الحصار الذي ضربه الثوار على المدينة، فكان ذلك غطاءً شرعياً أمام الدول الأوروبية لتنفيذ احتلالها للمغرب<sup>1</sup>.

لقد أدى احتلال مدينة فاس إلى توتر العلاقات الفرنسية الألمانية، هذه الأخيرة أرسلت الطراد الحربي "بانتر" إلى اغادير سنة 1911 بحجة حماية رعاياها ومصالحها التجارية، وكانت المانيا بهذا التصرف تهدف إلى الضغط على فرنسا لتعويضها في مناطق أخرى<sup>2</sup>، وبعد مساومات استعمارية بين الدولتين تم الاتفاق في 4 نوفمبر 1911، على تنازل فرنسا عن جزء من مستعمرة الكونغو الفرنسي لالمانيا مقابل اعترافها بالحماية على المغرب، والتعهد بعدم عرقلة عملية الاحتلال لأي جزء من المغرب، كما تعهدت فرنسا بضمان المصالح الاقتصادية الألمانية في المنطقة<sup>3</sup>.

أما روسيا القيصرية فقد باركت هذه المواقف الأوربية وباركت الاحتلال الفرنسي. ومن هنا كان على فرنسا وضع حد لهذا الوضع، بأن تنتهي عملياً استقلال المغرب السياسي والاقتصادي، بفرض حمايتها عليها، في 30 مارس 1912، إذ أجبر السلطان عبد الحفيظ على التنازل عن العرش في 11 أوت 1912<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> فادية عبد العزيز القطعاني، المرجع السابق، ص.44.

<sup>2</sup> سمير أمين، المرجع السابق، ص، 123.

<sup>3</sup> عبد الحميد البطريق، التيارات السياسية المعاصرة 1815-1960، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1974، ص. 149.

<sup>4</sup> سعيد بن البشير، من الإصلاحات القطاعية إلى الإصلاح الدستوري من سنة 1901 إلى الاستقلال، ندوة بعنوان، مائة سنة من الاجتهاد والتجديد الفكري بالمغرب (1910، 2010)، ج.1، منشورات مؤسسة علال الفارسي، الرباط، المغرب، 2011، ص.139.

وبذلك تكون المسألة المغربية قد انتهت لصالح إسبانيا وفرنسا، هذه الأخيرة نجحت بعد سلسلة مساع دبلوماسية ومالية وعسكرية من إبعاد الدول المنافسة لها سياسيا عن المغرب، ثم إقتسامه مع إسبانيا التي سيطرت على<sup>1</sup> منطقة الريف شمال المغرب، وذلك بموجب اتفاق 27 نوفمبر 1912 والذي نصّ على أن تكون منطقة نفوذ اسبانيا خاضعة للنفوذ المدني والديني لسلطان المغرب والذي يمثله (خليفة) يقطن مدينة تطوان التي اتخذت عاصمة الشمال المغربي، كما تم الاعتراف بالوضع الدولي لمدينة طنجة<sup>2</sup>.

لقد قطعت فرنسا شوطا كبيرا في سياستها الرامية للانفراد بالمغرب وكسب إعتراف باقي الدول الاوربية المتنازعة في المنطقة، وذلك بحسب ما ورد على لسان "أوجين إيتان" (Eugen Etienne) نائب منطقة وهران في البرلمان الفرنسي، حين قال "إن لفرنسا في المغرب حقوقا وواجبات تفوق ما لغيرها من الدول الأخرى وأن الأساس الأول لحقوقنا هو الجزائر، فالجزائر قادتنا إلى تونس وينبغي أن تقودنا إلى المغرب"<sup>3</sup>. لقد كان أمام فرنسا في شمال إفريقيا تجربتان الأولى بالجزائر أي الضمّ والإلحاق والإدارة المباشرة، والثانية تجربة تونس أي الحماية والإدارة غير المباشرة، وفضلت فرنسا في النهاية إختيار أسلوب الحماية في المغرب<sup>4</sup>.

ويمكن إرجاع ذلك لعدة أسباب أبرزها:

- نوعية الحكومة المغربية.

- عنف المقاومة المغربية.

- التطور الذي حدث في مفهوم الإستعمار نفسه من خلال تجاربه الطويلة.

<sup>1</sup> Durand, B: Trait De Droit Publican, Maroc, Leberaire General Le Droit Et De Jurisprudence, Paris , 1994, P, 49, 50.

<sup>2</sup> علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص. 120.

<sup>3</sup> امحمد مالكي، المرجع السابق، ص. 84.

<sup>4</sup> محمد خير فارس، المرجع السابق، ص. 4.

- النفقات الكبيرة التي يكلفها الإستعمار المباشر.

- وصول فرنسا للمغرب كان نتيجة جهود دبلوماسية واتفاقيات دولية<sup>1</sup>.

وما يمكن قوله في الأخير أن السياسة الفرنسية الإستعمارية في تونس والمغرب لم تختلف كثيرا عن بعضها، فإذا كان الباي في تونس إحتفظ بسلطته التشريعية والتنفيذية في الظاهر فالحقيقة أنه قد جُرد منها من طرف سلطة الحماية، بواسطة المعاهدات خاصة معاهدة المرسى 1883، حيث منحت للمقيم العام الفرنسي الحق في إصدار جميع الأوامر العليا وتطبيقها، دون الرجوع للباي التونسي، فكان الشعب التونسي هو الضحية الاولى في كل النواحي السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية، فسلطت عليه أبشع أنواع الجرائم الإنسانية وسلبت كل حرياته.

أما المغرب فلم يكن بأحسن حال من الجارة تونس فالملك قد جرد أيضا من صلاحياته وبالتدريج خاصة في عهد المقيم العام " ليوطي"<sup>2</sup> الذي اتبع سياسة التدرج في السيطرة على المغرب، وتجنب الدخول في صراع مع سلطة الملك حتى ثبت دعائم السلطة الفرنسية في البلاد، ثم أجبرهم على قبول مشاريعه وسياسته الاستعمارية الهادفة إلى توطين الفرنسيين بالمغرب للأبد.

<sup>1</sup> محمد خير فارس، المرجع السابق، ص. 6.

<sup>2</sup> عمل بالجزائر كضابط في الفيلق الثاني من سنة 1880-1882 أول مقيم عام فرنسي بالمغرب الأقصى والذي لبث لفترة طويلة من افريل 1912- اكتوبر 1925 وأعطيت له صلاحيات واسعة، اتسمت سياسته الاستعمارية بالتهدئة، هذه السياسية استوحاها من خلال عمله بالهند الصينية كحاكم عام، لذلك عمل على إخضاع المغرب من خلال سياسة التهدئة والابتعاد عن الوسائل العسكرية إلا في الأوقات الحرجة. أنظر: محمد خير فارس، المرجع السابق، ص. 85. وأنظر أيضا: جورج سبيلمان، المغرب من الحماية الى الاستقلال 1912-1956، ترجمة: محمد المؤيد، منشورات أمل، التاريخ، الثقافة، المجتمع، المغرب، 2014، ص. 24.

### ثالثا: ردود الأفعال الوطنية في التصدي للغزو الفرنسي

#### 1/تونس:

بدأ الشعب التونسي كفاحه ضد الاحتلال الفرنسي منذ التوقيع على معاهدة باردو في 12 ماي 1881، واستمر حتى تاريخ إعلان الاستقلال عام 1956، وقد بدأ الكفاح الوطني التونسي كما في الجزائر والمغرب باعتماد أسلوب الكفاح المسلح، من خلال تلك الانتفاضات والثورات التي قادها أبطال من أبناء الشعب التونسي<sup>1</sup>، وتزايد هذا الأسلوب القتالي لمواجهة الاحتلال الفرنسي بعد تخلي السلطة المحلية الدفاع عن البلاد لاسيما بعد التنازلات التي قدمها الباي لصالح المقيم العام الفرنسي<sup>2</sup>.

حيث لبت مختلف الجماعات والشرائح والجهات التونسية قدر طاقتها وحسب ظروفها نداء الجهاد والوطن، رغم أنّ ميزان القوى العسكري كان غير متكافئ، وتداخل الكفاح السياسي مع الكفاح المسلح في مطلع القرن العشرين، واستمرّ هذا التداخل غير المنسق وغير المترابط حتى الحرب العالمية الأولى، ليعتمد الكفاح الوطني التونسي بعدها على أسلوب الكفاح السياسي في المدن وخاصة في العاصمة التونسية، حيث نجح في اثبات وجوده في الفترة (1919-1925)، ثم وصلت الحركة الوطنية التونسية إلى أوج قوتها في مطلع الثلاثينيات من خلال نشاط الأحزاب والمنظمات السياسية والمهنية، حتى مطلع الخمسينيات من القرن العشرين، لتتطلق مجددا الحركة المسلحة في مواجهة الاستعمار الفرنسي<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص. 30.

<sup>2</sup> عبد العزيز بن حمد الحسن، المرجع السابق، ص. 260.

<sup>3</sup> أحمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر 1881-1956، تعريب: حمادي الساحلي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986، ص. 289.

أ/ المقاومة التونسية المسلحة:

إن فشل السلطة الرسمية بقيادة الباي محمد الصادق في الدفاع عن البلاد لم تثن من عزيمة الأهالي لتحمل مسؤولياتهم اتجاه وطنهم، حيث أعلنت العديد من القبائل التونسية رفضها للاحتلال الفرنسي، من خلال تنظيم مجموعة من المقاومات في مختلف القبائل والقرى في الشمال<sup>1</sup>، منها أولاد عمر، الحوامدة، أولاد بوسعيد، قبائل خمير، والتي دافعت عن مدينة طبرقة عند بداية الغزو الفرنسي للبلاد، ثم امتدت المقاومة إلى جندوبة وماطر وبنزرت وقادتها قبائل مقعد وهذيل، لتستمر المقاومة بالشمال التونسي إلى غاية شهر جوان 1881.

ثم امتد لهيب هذه الثورات والانتفاضات الراضة للتواجد الاستعماري في بلادهم إلى كل التراب التونسي خاصة في الوسط والجنوب والساحل، حيث سارعت العديد من القبائل إلى الثورة على غرار الهمامة والفراشيش وأولاد عيار وجلاص وأولاد عون... وغيرها. وقد توحدت هذه القبائل لاجل هدف مشترك متناسية خلافاتها وانقساماتها يوحدتها القضاء على العدو الأجنبي الذي يريد استباحة دينهم وارضيتهم واعراضهم<sup>2</sup>.

لقد انتشرت المقاومة الشعبية التونسية ودون انقطاع بين كل الأوساط الشعبية وامتد لهيبها في مختلف نواحي القطر التونسي كالكاف والجنوب التونسي<sup>3</sup> لتصل إلى صفاقس حيث طرد الثوار نائب الباي وأعلنوا علي بن خليفة<sup>4</sup> قائدا لهم، فاعترف له

<sup>1</sup> علي المحجوبي، انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، ترجمة: عمر بن ضو وآخرون، سراش للنشر، تونس، 1986، ص. 56.

<sup>2</sup> محمد خير فارس، المرجع السابق، ص. 11.

<sup>3</sup> محمد المرزوقي، صراع مع الحماية، دار الكتب الشرقية، تونس، 1973، ص. 94.

<sup>4</sup> ولد علي بن خليفة النفاثي سنة 1807 في منطقة قابس، وعاش متنقلا بين الريف والحضر، تولى بعض الوظائف المدنية والعسكرية كأمرير لواء في الجيش التونسي، ثم عاملا في جهات مختلفة كالهمامة والقيروان، المثاليث، أعلن خلع بيعته للباي التونسي في مقر حكمه بقابس بعد توقيعه لاتفاقية باردو، حيث أطلق مقولته الشهيرة "الآن أصبحت طاعة الباي كفرا" وقد شكل موقفه الراض للوجود الاستعماري في القطر التونسي منذ دخول الجيوش الفرنسية=



سكان المدينة بنفوزه وسلطته عليهم، فنظم المقاومة وحاول التصدي للقوات الفرنسية، لكن مقاومته لم تستطع الصمود كثيرا في وجه الأسطول الفرنسي الذي انتصب على مشارف سواحل مدينة صفاقس، فسقطت المدينة في 14 جويلية 1881 فاتّجه علي بن خليفة ومن معه لقيادة الثورة في الجنوب انطلاقا من الأراضي الليبية<sup>1</sup>.

بعد صفاقس وجهت فرنسا مجهودها الحربي إلى مدينة القيروان التي أصبحت مركزا هاما من مراكز المقاومة المعروفة بمكانتها الدينية والتاريخية<sup>2</sup>، وأوكلت المهمة للجنرال "ايتيان" في الفاتح من أكتوبر 1881 لغزوها انطلاقا من مدينة سوسة، وقد وجد مقاومة كبيرة في الطريق إلى القيروان من طرف قبائل المثاليث وأولاد سعيد السواسي ووفات... وغيرهم<sup>3</sup>، بقيادة علي بن عمارة الجلاصي، الذي صمد أمام القوات الغازية والحق بها خسائر فادحة، لكن بعد موته تفهقرت المقاومة وانفتح الطريق أمام الجنرال "ايتيان" لاحتلال القيروان فدخلها يوم 26 أكتوبر 1881، حيث سلمها أعيان المدينة، بينما تشنت عناصر المقاومة في هذه الناحية، فمنهم من هاجر إلى طرابلس، ومنهم من فضّل الالتحاق بمقاومة القائد علي بن خليفة بالجنوب التونسي الذي صمد في وجه قوات الغزو الفرنسي إلى غاية سنة 1884 تاريخ وفاته<sup>4</sup>، لتنتهي بعدها المقاومة التونسية بتسليط عقوبات قاسية على القبائل الثائرة<sup>5</sup>.

---

=لتونس محور نضاله الذي استمر من سنة 1881 حتى استشهاده عام 1885. أنظر: مصطفى السنتي، علي بن خليفة النفاتي، مجاهد تونسي يطلب المدد من اسطنبول، المجلة الإلكترونية ترك برس: 21 جانفي 2019، تركيا، [www.turkpress.com](http://www.turkpress.com)، تاريخ الزيارة، 22 مارس 2020.

<sup>1</sup> محمد المرزوقي، المرجع السابق، ص. 197.

<sup>2</sup> قدارة شايب، الحزب الدستوري التونسي الجديد وحزب الشعب الجزائري 1934-1954 دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه الدولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006-2007، ص. 50.

<sup>3</sup> علي المحجوبي، المرجع السابق، ص. 45.

<sup>4</sup> نفسه، ص. 54، 55.

<sup>5</sup> Ahmed Kassab, *Histoire De La Tunisie L'Epoque Conteemporaine, Carthage, Tunis, 1976, P. 11.*

تجددت المقاومة المسلحة في الجنوب التونسي سنة 1915، بشكل أقوى مستغلة ظرف قيام الحرب العالمية الأولى، وانشغال فرنسا بالحرب ضد ألمانيا معتمدة على إمكانية الحصول على مساعدات من طرف بعض العناصر التونسية المتواجدة في تركيا مثل علي باش حامبة<sup>1</sup> الذي تم إبعاده عام 1912 من طرف السلطة الاستعمارية، لكن هذه المقاومة لم تصمد أمام القوة العسكرية لفرنسا حيث جندت لها الآلاف من الجنود وتم القضاء عليها<sup>2</sup>.

### ب/ المقاومة الفكرية والسياسية:

لقد أسهمت عوامل داخلية وخارجية في نمو ونضج الوعي الوطني التونسي حيث اتخذ الكفاح السياسي في بدايته الواجهات الثقافية والفكرية كالجمعيات والمدارس والصحف ستارا لنشاطه، وقد تجلّت المظاهر السياسيّة لهذه المقاومة في نشاط حركة "الشباب التونسي" (1907-1912) التي عملت على مقاومة النفوذ الأجنبي من خلال بث الوعي السياسي والاجتماعي في القطر التونسي، من خلال اصدار جريدة أسبوعية عبروا من خلالها عن آرائهم ومطالبهم السياسية وطرحوا أهدافهم وانشغالاتهم، كما عملوا على تنوير الرأي العام التونسي، وإظهار معالم طريق النهضة الاجتماعية التي انتهجتها المجتمعات الهادفة إلى التقدّم والتطوّر في مختلف مجالات الحياة<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ولد سنة 1876 بتونس العاصمة في عائلة من أصل تركي، تلقى تعليمه الثانوي بالمعهد الصادقي ثم عمل بإدارة هذه المدرسة، وعندما تحصل على الاجازة في الحقوق التحق بسلك المحامين. برز نشاطه السياسي من خلال نشاطه البارز في الجمعية الصادقية والجمعية الخلدونية، كما برز نشاطه الصحفي من خلال كتاباته في صحيفتي "التونسي" و"الاتحاد الاسلامي". ومنذ ذلك الحين أصبح زعيما لحركة الشباب التونسي خصوصا اثناء حادثة الترامواي، والتي تم ابعاده بسببها، فاستقر باسطنبول حتى تاريخ وفاته في 29 اكتوبر 1918. أنظر: علي المحجوبي، الحركة الوطنية التونسية بين الحربين، المجلد 2، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1986، ص. 27. وأنظر أيضا: الصادق الزمرلي، أعلام تونسيون، تعريب: حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1986، ص. 141-158.

<sup>2</sup> محمد المرزوقي، المرجع السابق، ص. 38.

<sup>3</sup> كرمال صموت، الاستعمار الرأسمالي الفرنسي وحركة الشباب التونسي 1881-1914، تعريب: عبد الجليل التميمي، المجلة التاريخية المغربية، العدد. 1، جانفي 1974، تونس، ص. 72.

ومن أعضاء حركة الشباب التونسي نذكر، البشير صفر<sup>1</sup> وعلي بوشوشة وعلي باش حامبة وعبد العزيز الثعالبي<sup>2</sup> وغيرهم، وحتى يعطوا لعملهم الفعالية تعاونوا مع أعضاء الجمعية الخلدونية<sup>3</sup>، التي عملت على إقامة علاقات مع طلبة جامع الزيتونة ونجحت في خلق معارضة واضحة المعالم للوجود الاستعماري. وبذلك أخذ الشعور الوطني شكلا أكثر تقدما من خلال هذا الربط السياسي والاجتماعي.

<sup>1</sup> وهو أحد أقطاب الحركة الإصلاحية التونسية، ولد في عائلة من اصل تركي بتاريخ 27 فيفري 1856 بمدينة تونس، لقب بـ "أبو النهضة التونسية"، وهناك من يصفه بالاب الثاني للنهضة التونسية بعد خير الدين التونسي، درس في المدرسة الصادقية عام 1876. ثم واصل دراسته في باريس عام 1883، ساهم في بعث الجمعية الخلدونية التي أسندت إليه رئاستها عام 1897، وفي سنة 1910 عين حاكما على مدينة سوسة وقد كانت تربطه علاقة وطيدة بوالد الحبيب بورقيبة، توفي سنة 1917. أنظر: عبد الجليل بوقرة، هل بورقيبة مستبد؟ أعمال المؤتمر العالمي الأول المنعقد بتاريخ 1-5 ديسمبر 1999 حول: الحبيب بورقيبة وإنشاء الدولة الوطنية قراءات علمية للبورقيبية، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، 2000، ص. 36. وأنظر أيضا: محمد بوذينة، المشاهير التونسيين، مطبعة فنون الرسوم للنشر، تونس، 1988، ص. 92.

<sup>2</sup> مفكر ومصالح ولد سنة 1874 بمدينة تونس في عائلة من اصل جزائري، تلقى تعليمه بجامع الزيتونة، وبعد تخرجه أسس جريدة "سبيل الرشاد"، قام بجولة علمية في تركيا وبعض الأقطار العربية، وبعد عودته إلى تونس انخرط في حركة الشباب التونسي، حيث كلف بالإشراف على النشرة العربية لجريدة "التونسي" تم ابعاده عن تونس سنة 1912 نتيجة مشاركته في حادثة الترامواي، ثم عاد إلى تونس سنة 1913 ليواصل نشاطه السياسي، اهم أعماله السياسية تتمثل في اصدار كتاب "تونس الشهيدة" رفقة أحمد السقا، وتأسيس الحزب الحر الدستوري التونسي سنة 1920. غادر تونس سنة 1923 ولم يعد لها إلا سنة 1937، ليدخل في صراع مرير مع بورقيبة وجماعة الحزب الحر الدستوري التونسي الجديد، توفي سنة 1944. أنظر: علي المحجوبي، المرجع السابق، ص. 55.

<sup>3</sup> أسسها البشير صفر في 22 ديسمبر 1896، حتى يستطيع فتح الباب امام خريجي جامع الزيتونة لمواصلة دروسهم ومحاضراتهم في المواد التي لا تدرسها جامعة الزيتونة وادخال اصلاح على جامع الزيتونة، وقد لعبت هذه المؤسسة دورا كبيرا في نشر العلم والثقافة الحديثة، وتلقين اللغات والعلوم العصرية، للشباب التونسي، لتوسيع افاقه وذلك بوسطة دروس ومحاضرات في التاريخ والجغرافيا واللغة الفرنسية والاقتصاد السياسي والفيزياء... الخ. أنظر: الحبيب بولعراس، تاريخ تونس "أهم التواريخ والأحداث من عصور ما قبل التاريخ حتى الثورة"، ترجمة: الصادق بن مهني، سراس للنشر، تونس، 2015، ص. 530. وأنظر أيضا: الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص. 33. وأنظر أيضا: علي المحجوبي، المرجع السابق، ص. 27.

ثم ظهرت جمعية قدماء الصادقية في ديسمبر 1905<sup>1</sup> نسبة إلى المدرسة الصادقية<sup>2</sup> التي أسسها خير الدين باشا<sup>3</sup> سنة 1875 قصد إدخال العلوم العصرية إلى تونس حينذاك. ولم تمض فترة طويلة حتى التقى شبابها مع شباب الزيتونة والخلدونية وعملوا جميعا على توحيد نشاطهم ومواقفهم، من أجل تحرير البلاد، فكان ذلك بداية حركة سياسية فكرية ترمي إلى نشر التوعية الوطنية، وضرورة مكافحة الاستعمار باشكاله المختلفة، وهذا ما شعر به الفرنسيون فبدأوا يضايقون أعضاء هذه الحركة وعلى رأسهم البشير صفر وعلي باش حامبة وباقي أعضاء هذا التنظيم<sup>4</sup>.

لكن الملاحظ على مطالب هذه الحركة خلوها من مطلب الاستقلال في البداية بل ارتكزت على المطالبة "بسياسة التشريك"، ونعني بها اقحام التونسيين وأشراكهم في

<sup>1</sup> تأسست في 23 ديسمبر 1905 برئاسة خير الله بن مصطفى، وكان الهدف من انشائها نشر الأفكار العصرية لذلك سعت إلى لم شمل النخبة التي خرجتها المدرسة الصادقية، وذلك لمواصلة العمل الذي أرادته خير الدين باشا من هذه المدرسة عند انشائها، وقد غلب عليها في بداية تشكيلها النزعة الثقافية الغربية وخاصة الفرنسية منها، حيث أولت اهتماما كبيرا لها، إلا أنها سرعان ما شعرت بخطورة ذلك عليها، خاصة بعد النفور الذي واجهوها أعضائها من طرف أعضاء حركة الشباب التونسي، مما جعلها تعدل عن ذلك وتعود للتفاعل مع المراكز العلمية والدينية كالخلدونية والزيتونة. أنظر: الحبيب بولعراس، المرجع السابق، ص. 534.

<sup>2</sup> أسسها المصلح خير الدين التونسي سنة 1875 بالعاصمة التونسية، وهي تدرس باللغات التالية: العربية والفرنسية والتركية والإيطالية، وكان هدفها الترويج للثقافتين الإسلامية والغربية وقد خصص لها أراضي وأملاك لسد نفقاتها، وقد كانت قبل الحماية ترسل خريجها للدراسة في باريس، وبعد فرض الحماية أعيد ترتيب نظامها الداخلي، حيث أصبحت تدرس اللغة العربية والفرنسية فقط، وفرض إجراء امتحان المتقدم، وكانت نظام المدرسة يوفر مسكنا وطعاما وملابسا لطلابها، والاطعام لقد كان لهذه المدرسة دور متميز في إعداد الأجيال التونسية المتتالية التي اضطلعت بقيادة الحركة الوطنية التونسية، إذ تخرج منها عدد كبير من قادة الحركة الوطنية ورجال الإصلاح أمثال البشير صفر، علي بوشوشة، محمد الأصرم، علي باش حامبة، وغيرهم. أنظر: مجلة الصادقية، جمعية قدماء المدرسة الصادقية، العدد 22 أبريل 2001، ص. 05. وأنظر أيضا: شارل أندري جوليان، المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي، ترجمة: البشير بن سلامة ومحمد مزالي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1985، ص. 56.

<sup>3</sup> ويسمى بخير الدين التونسي، وهو مملوك شركسي من مواليد سنة 1820، بجمال القوقاز، جاء به إلى تونس سنة 1837 ثم هاجر إلى اسطنبول حيث عينه السلطان عبد الحميد الثاني، صدرا أعظم، من سنة 1878 إلى سنة 1879، واجهت تجربته الإصلاحية في تونس معارضة داخلية شديدة، توفي في 60 جانفي 1890، من مؤلفاته كتاب أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك. أنظر: الحبيب بورقيبة، بورقيبة بلسان بورقيبة محاضرات بورقيبة بمعهد الصحافة عن تاريخ الحركة الوطنية (حياتي، آرائي، جهادي)، دار أفاق برسبكتيف للنشر، ص. 51.

<sup>4</sup> Habib Bourguiba, *Ma Vie, Mon Œuvre 1934-1938*, T2, Ed, Plon, Paris, 1986, P. 11.

تسيير شؤون بلادهم على غرار المستوطنين الاوربيين، وذلك من اجل النهوض باقتصادها وتطوير ثقافتها ولو في نطاق الحماية الفرنسية.

**حركة تونس الفتاة:** تعتبر أول حركة سياسية من نوعها تتشكل في تونس حيث أخذت على عاتقها قيادة وتوجيه الحركة الوطنية لمقاومة الاستعمار، ويعتبر البشير صفر وعلي باش حامبة وشقيقه محمد باش حامبة وعبد العزيز الثعالبي وغيرهم من الشباب التونسي الفاعلين في هذا التشكيل، الذي ظهر في 7 فيفري 1907، من خلال تأسيس جريدة أسبوعية تحمل اسم "التونسي"<sup>1</sup> ناطقة باللغة الفرنسية<sup>2</sup>، والتي عملت من خلالها هذه الحركة على ايقاظ الشعور الوطني في نفوس التونسيين، بعدما حاولت فرنسا طمسه للابد.

كما عملت هذه الحركة أيضا على الدفاع عن حقوق الشعب التونسي سلميا من خلال المطالبة بحقوقه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لكنها لم تطرح قضية الاستقلال بل دعت إلى اقحام التونسيين في حكومة وتسيير شؤون بلادهم ولو في نطاق الحماية الفرنسية<sup>3</sup>.

لقد تأثرت هذه الحركة في نظامها وأهدافها بحركة "تركيا الفتاة" ومع مرور الوقت تعمقت مطالبها، كالمطالبة بالدستور للبلاد وإلغاء نظام الخماسة<sup>4</sup> ... فالتف حولها

<sup>1</sup> جريدة تونسية صدر عددها الأول في 7 فيفري 1907 ناطقة باللغة الفرنسية كان يديرها علي باش حامبة غرضها الدفاع عن الأهالي، وقد اكتسبت مطالبها الوطنية استحسان الشعب التونسي، في حين اثارت حفيظة الفرنسيين، وتعتبر "التونسي" الجريدة الأهلية الأولى الناطقة بالفرنسية، وقد صدرت اول نسخة باللغة العربية خلال سنة 1909 بفضل عبد العزيز الثعالبي أنظر: الحبيب بولعراس، المرجع السابق، ص. 538، 539.

<sup>2</sup> شارل أندري جوليان، افريقيا الشمالية تسيير، ترجمة: المنجي سليم، وآخرون، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1974، ص. 91.

<sup>3</sup> الطاهر عبد الله، المرجع السابق. ص. 33.

<sup>4</sup> مجموعة من الأساتذة، موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية 1881-1964، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، جامعة منوبة، تونس، 2008، ص. 32، 33.

الكثير من التونسيين مما اقلق الإدارة الفرنسية التي أخذت في مهاجمتها، إلا أنّ قادة الحركة الوطنية أصروا على مواصلة مشوارهم السياسي والإصلاحي، من خلال إنشاء المدارس الابتدائية والتي اعتمدت على كتب تعليم مطبوعة في مصر وتونس وعملوا على نشر التعليم باللغة العربية، وبذلك بدأت تتشكل في تونس بذور حركة سياسية تحمل تصورات وطنية يمكنها مواجهة أساليب الاستعمار الهادفة إلى القضاء على المجتمع التونسي لضمان استمرار وجودهم في البلاد<sup>1</sup>.

كما لعبت هذه المنظمة دورا بارزا في الفترة 1907-1912 من خلال تاطير النضال الوطني ودفعه إلى الأمام، حيث استطاعت أن تخرج من الإطار الضيق الذي رسمه لها الفرنسيون خدمة لمصالحهم، واستطاعت أن تغلب الحضور العربي على الحضور الأوروبي، لأنّ المناضلين التونسيين أصبحوا مرتبطين أكثر بوطنهم وشعبهم. فكانت أول صفة مؤلمة توجه للمستعمر الفرنسي<sup>2</sup>، الذي اعتقد أن التونسيين المتقفين ثقافة غربية فرنسية لا يمكنهم باي حال من الاحوال الوقوف في صف مواطنيهم وبلدهم، فعمليات المسخ التي قاموا بها لعقولهم أثناء دراستهم بجامعاتهم ذهبت هباء.

ثم تحول توجه حركة تونس الفتاة إلى الاتجاه الديني الإسلامي فاصبحت أكثر ارتباطا بالخلافة الإسلامية أو الرابطة العثمانية، وهذا يعد تحولا أساسيا في تفكير حركة الشباب التونسي المتقف ثقافة فرنسية، التي اتخذت موقفا معاديا للاستعمار الفرنسي، وسعت إلى إيجاد السبل لمقاومته، وفي المقابل التمسك بالمقومات الوطنية والإسلامية<sup>3</sup>.

نتيجة لهذا التطور الكبير الذي عرفته الحركة الوطنية التونسية قبيل الحرب العالمية الأولى لجأت السلطات الاستعمارية إلى اتخاذ مجموعة من الإجراءات التعسفية

<sup>1</sup> محمد الفاضل بن عاشور، الحركات الأدبية والفكرية في تونس، الدار التونسية للنشر، تونس، 1972، ص. 110.

<sup>2</sup> الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص. 39، 40.

<sup>3</sup> نفسه، ص. 44.

والوحشية خاصة بعد حادثة الزلاّج أو الجلاز عام 1911<sup>1</sup>، وما نتج عنها من قتلى وجرحى في صفوف التونسيين، فأصدرت سلطات الحماية قرارا بمنع التجوّل والتجمع ومصادرة الصحف التونسية، كما استغلّت حادثة الترامواي في فيفري 1912<sup>2</sup> فقامت بتعطيل الصحف وإغلاق النوادي ومنع التجمعات العامة، وفي مارس من نفس السنة قامت بإبعاد قادة الحركة الوطنية خارج تونس وعلى رأسهم علي باش حامبة وعبد العزيز الثعالبي وحسن القلاّتي، وتم سجن البعض الآخر، وأصدرت مجموعة من القوانين العرفية التي بقيت سارية المفعول لعدة سنوات<sup>3</sup>. ودخلت بعدها الحركة الوطنية التونسية في حالة ركود سياسي طوال مدة الحرب العالمية الأولى.

لكن بنهاية الحرب شهدت الساحة السياسية في تونس تطورات جديدة رافقت تطور الوضع في العالم وفي فرنسا، هذه الأخيرة التي سمحت ببعض الحريات السياسية وفي مقدمتها السّماح بعودة النشاط السياسي وإطلاق سراح المعتقلين السياسيين وعلى رأسهم

<sup>1</sup> بعد احتلال القوات الإيطالية لليبيا سنة 1911 خرجت الجماهير التونسية في مظاهرات تضامنا مع الشعب الليبي، وحصلت مصادمات بين التونسيين والجالية الإيطالية المقيمة في تونس، وازداد التوتر عندما قام مجلس بلدية تونس بتسجيل مقبرة الزلاّج الإسلامية ووضع اليد عليها فتظاهر التونسيون يوم 07 نوفمبر 1911 واغلقوا مدخل المقبرة، فالقت الشرطة القبض على عدد من المواطنين مما اثار الجماهير الشعبية المحتجة الراضة لهذا القرار، فحدثت صدامات مع قوات الشرطة الفرنسية المدعومة ببعض المستوطنين الإيطاليين، فتسببت تلك الصدامات في مقتل وجرح عدد كبير من المحتجين ومحاكمة أكثر من 800 تونسي، وتعطيل الصحف الوطنية وإعلان حالة الحصار وما أعقبها من محاكمات جائرة قضت بإعدام سبعة تونسيين نفذ الحكم في إثنين منهم بساحة باب سعدون. أنظر: عبد العزيز بن حمد الحسن، المرجع السابق، ص. 265.

<sup>2</sup> اندلعت هذه الحادثة في 8 فيفري 1912 أثرا حادث ترامواي تسبب فيه سائق إيطالي يقود عربة ترامواي عندما دهس طفلا تونسيا عند باب سويقة ونتج عنه موت الطفل، وكرد فعل على الحادث قاطع التونسيون المسلون ركوب القطار، مما تسبب في خسائر للشركة. كما استغل مستخدمي شركة ترامواي التونسيين الفرصة للدخول في اضراب للمطالبة بنفس امتيازات زملائهم الاوربيين، خاصة في الأجور، فاتهمت الإدارة "الشباب التونسي" بالوقوف وراء الحركتين ومنعت صدور جريدة "التونسي" وألقت القبض على بعض عناصر الحركة الوطنية التونسية، وحكمت بالنفي على علي باش حانبة والشيخ الثعالبي والمحامين حسن القلاّتي ومحمد نعمان ونتيجة لكثرة الإحتجاجات والإضطرابات أعلنت فرنسا حالة الطوارئ من 1912 حتى 1921. أنظر: الحبيب بولعراس، المرجع السابق، ص. 546. وأنظر أيضا: علي المحجوبي، المرجع السابق، ص. 37، 36.

<sup>3</sup> محمد الفاضل بن عاشور، المرجع السابق، ص. 117.

عبد العزيز الثعالبي<sup>1</sup>. فتأسس الحزب الدستوري بزعامة الشيخ عبد العزيز الثعالبي وكان ذا اتجاه عربي إسلامي وقد ضمّ مجموعة من المثقفين المنحدرين من أصول اجتماعية برجوازية ومن ذوي التكوين الجامعي الفرنسي أمثال أحمد الصافي ومن أعيان تونس علي كاهية وكانت مطالبه تتلخّص في تمكين الشعب التونسي من دستور يجعله يحكم نفسه بنفسه<sup>2</sup>، وقد اعتبر الحزب مطلب الاستقلال مطلباً استراتيجياً يتم تحقيقه في مرحلة آجلة، إضافة إلى بعض الإصلاحات في نطاق الحماية كما عمل على تقديم العرائض والقيام بالاحتجاجات<sup>3</sup>.

وفي مرحلة الثلاثينيات من القرن العشرين والفترة اللاحقة لها، فإن ثقل الحركة الوطنية التونسية قد تركّز على جهود الحزب الدستوري بفرعيه القديم والجديد، فمنذ عام 1933م استطاعت مجموعة من الشباب التونسيين الدارسين في فرنسا وأبرزهم المحامي الحبيب بورقيبة، أن يؤثروا في برنامج الحزب الدستوري، ويشدّدوا اللهجة ضدّ الإستعمار الفرنسي خاصة في ظلّ الانتقال الذي عرفه الحزب الدستوري الحرّ وظهور الحزب الدستوري الجديد بزعامة هؤلاء<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> لقد تم اطلاق سراح عبد العزيز الثعالبي بمقتضى قانون العفو التشريعي العام الذي صادق عليه البرلمان الفرنسي في 29 افريل 1921، ثم وقع تطبيقه بالبلاد التونسية. أنظر: عبد الله الطاهر، المرجع السابق، ص. 68.

<sup>2</sup> لم يكن الدستور الذي يطالب به الحزب الدستوري يتناقض مع نظام الحماية اذ يخول لفرنسا ومواطنيها بتونس المساهمة في تسيير شؤون البلاد الداخلية. بل منحت مطالب الحزب الحق للفرنسيين في نصف اعضاء المجلس التفاوضي المشترك، وهو ما يتناقض مع الواقع السكاني الذي يمثل فيه الشعب التونسي الأغلبية سنة 1921 بتعداد سكاني قارب المليونين نسمة، بينما لم يتعدى عدد الفرنسيين القاطنين بتونس 55الف نسمة، وهذا المطلب يتنافى ومبدأ الاستقلال الذاتي الذي طرحه الحزب في برنامجه عند تأسيسه. أنظر: عبد الله الطاهر، المرجع السابق، ص. 62.

<sup>3</sup> حفيظ الطبايبي، الحزب الحر الدستوري التونسي 1934-1938، الدار التونسية للكتاب، تونس، 2011، ص. 44.

<sup>4</sup> Ahmed Kassab, *Op-Cit*, P. 414, 415.



2/ المغرب:

لقد بدأ تنفيذ الاحتلال الفرنسي للمغرب أواخر سنة 1911 في نفس الوقت انتصبت الجيوش الإسبانية على الساحل الشمالي للمغرب، وبدا جلياً للجميع أن الهدف من هذا التدخل هو بداية تجسيد مشروع فرنسا لاحتلال المغرب<sup>1</sup>.

ولقد خلف هذا التدخل رد فعل مغربي عنيف في مدينة فاس والمناطق المجاورة لها. إذ لم يتقبل الشعب المغربي احتلال بلاده فانتفض في وجه الأوربيين منذ الوهلة الأولى للغزو المزدوج، لذلك عملت فرنسا على اخماد هذه المقاومة بالقوة، وإجبار السلطان للتوقيع على معاهدة فاس<sup>2</sup> بتاريخ 30 مارس 1912، وتم بموجبها إعلان الحماية الفرنسية على المغرب، وقد نصت في بعض بنودها على أن تحمي فرنسا الدين الإسلامي، وأن تحترم السلطات، وكذا القيام بإصلاحات سياسية وإدارية واقتصادية وتكليف فرنسا لتمثيل المغرب في الخارج، وأن يسمح السلطان للقوات العسكرية الفرنسية باحتلال الأراضي المغربية التي تراها ضرورية لحفظ الأمن، و يتم تعيين مندوب فرنسي لدى السلطان ومقيم عام للإشراف على تنفيذ المعاهدة، فعُين الجنرال ليوتي لإخماد الثورة وتثبيت الوجود الفرنسي في المغرب<sup>3</sup>.

وقد كان ليوتي أول مقيم عام فرنسي بالمغرب والذي اشتهر بنجاحه في التغلب على المقاومة المغربية، كما وضع أسس ومبادئ للإدارة الفرنسية أصبحت مقرونة باسمه<sup>4</sup>، ويذهب العديد من الكتاب الفرنسيين إلى الإشادة بالدور الهام الذي لعبه ليوتي في تاريخ الحماية الفرنسية بالمغرب، حيث يستشهد احدهم بمقولة ليوتي سنة 1894

<sup>1</sup> محمد خير فارس، المرجع السابق، ص. 49.

<sup>2</sup> نفسه، ص. 53.

<sup>3</sup> امحمد مالكي، المرجع السابق، ص. 131، 130.

<sup>4</sup> Jean-Pierre Lozato – Giotart, Op-Cit, P. 29.

حيث صرح قائلاً: "علينا أن نعتمد المنطق، ولكي تثمر الحماية ثمارها يجب أن لا نجعل إلى جانب إدارة الأهالي المحتفظ بها، إدارة فرنسية موازية تتجاوز دور المراقبة الأمر الذي سيلزم الأهالي بتحمل مصاريف إدارتين، ويجب كذلك تطبيق أفكار تضمن استقلالية على المستوى الاقتصادي، لكي تستفيد المستعمرة من مؤسستين أساسيتين هما التبادل الحر وقلة الجمارك"<sup>1</sup>.

ويصور لنا الكاتب محمد خير فارس تمجيد احد الكتاب الفرنسيين لسياسة ليوتي قائلاً: "احترم روح الحماية فأبقى على أجهزة الإدارة الوطنية دون المساس بها، فعلى سبيل المثال كان يقوم ببناء أبنية ومدن جديدة للأوربيين ويحافظ على الأبنية القديمة للعرب المسلمين ويقوم بفصلها تماما عن بعضها البعض، كما أظهر احترامه للإسلام والعلماء والمؤسسات الدينية"<sup>2</sup>.

ثم يستدل بقول "ليوتي" في هذا الصدد: "لم أتمكن حتى الآن من إحكام القبضة على المغرب إلا بفضل سياستي الإسلامية، وإنني متأكد من جدواها، وأطلب بإلحاح ألا يشوش أحد على خطتي"<sup>3</sup>. في حين ذكرها كاتب اخر بهذه الصيغة " وأطلب بإلحاح ألا يفسد عليّ أي شخص هذه اللعبة"<sup>4</sup>. وذلك كرد من ليوتي على بعض الفرنسيين الذين شكّوا في مشروعه الاستعماري بالمغرب حتى أنّهم وصفوه بأنّه "داعية للاسلام"<sup>5</sup>.

إن المنتبّع لسياسة ليوتي بالمغرب يتراءى له انها موجهة لخدمة الشعب المغربي والحفاظ على مقدساته الدينية، لكن الواقع مغاير تماما لهذه التصريحات لأن ليوتي

<sup>1</sup> جورج سبيلمان، المصدر السابق، ص. 24.

<sup>2</sup> محمد خير فارس، المرجع السابق، ص. 36.

<sup>3</sup> نفسه، ص. 36.

<sup>4</sup> عبد الحميد حساين، السياسة البربرية والمسألة الدينية بالمغرب بين سنتي 1912-1925، مجلة المناهل، العدد.

50، دار المناهل للطباعة والنشر، المملكة المغربية، مارس 1996، ص. 245.

<sup>5</sup> عبد الحميد حساين، المرجع السابق، ص. 245.

تظاهر باحترامه للإسلام والمؤسسات الإسلامية الا في المناطق السهلية بالمغرب في حين استخدم أشنع الوسائل والأساليب لمحاربة الدين الإسلامي و الشعب المغربي في المناطق الجبلية لاسيما بمناطق تمركز الامازيغ "البربر". كما انه خلق ثنائية القديم والحديث، وعمّقها في أكثر من مجال<sup>1</sup>.

كما عمل على تهدئة الأوضاع في البلاد وكسب السكان بشتى الطرق لعزلهم عن حركات التمرد ضد التواجد الفرنسي والتي تزعمها بعض شيوخ العشائر ورجال الدين، حيث تصدى لهم بكل حزم وقوة. ومن هنا نكتشف الخفايا والأهداف الحقيقية لهذه السياسة، وتتضح لنا جليا نواياه الحقيقية الرامية إلى تثبيت الوجود الفرنسي بالمغرب من دون أضرار ولا تكاليف في الأرواح ولا في الأموال.

ولعل ما يثب ذلك شرح ليوتي نفسه لمفهوم الحماية قائلا: "هو كون بلد ما يحتفظ بمؤسساته وبحكم ويدير شؤونه بنفسه عبر الياته الخاصة، وكل مافي الأمر أنّه يخضع لمراقبة بسيطة من طرف قوة أوروبية تمثله خارجيا وتدير على العموم جيشه وماليته وترعاه فيما يخص نموه الاقتصادي...وهي في هذا التصور هو تقليص المصاريف العامة"<sup>2</sup>.

لقد طبق ليوتي سياسة تقوم على مبدأ "سياسة الإشراف" أي الحفاظ على الروح التي تفيدها فكرة الحماية على حد تعبير عبد الحميد زوزو، وذلك من خلال الحفاظ على "هيكل الدولة المحمدية وأجهزتها الإدارية والوطنية دون المساس بها وبناء علاقة مع المستعمر تقوم على تبادل المنافع"<sup>3</sup>. وهدفه من هذه السياسة ربط المغرب بفرنسا للأبد من خلال نظام متداخل يمكن وصفه بـ "حكومة داخل حكومة".

<sup>1</sup> فادية عبد العزيز القطعاني، المرجع السابق، ص.46.

<sup>2</sup> جورج سبيلمان، المصدر السابق، ص. 29.

<sup>3</sup> عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص. 82.

وأكثر ما يؤخذ عليه أيضا هو سعيه إلى إحداث شرخ في المجتمع المغربي وتحويله تدريجيا عن الإسلام والعروبة، وربطه بالعالم الصليبي من خلال استصداره للظهير البربري، ويقدم تبريرا في هذا الصدد: "أنه ليس من مهامنا تعليم اللغة العربية للسكان الذين لم يتعلموها لأنها لغة القرآن وهي أحد العوامل المتعلقة بالإسلام وهدفنا هو تطوير البربر خارج إطار الدين الإسلامي"<sup>1</sup>. فهذا التصريح يؤكد ما ذهبنا إليه سابقا حول خفايا سياسته وأهدافه غير المعلنة، الرامية إلى تشجيع القطيعة بين العرب والبربر ليسهل اختراقهم، وزرع بذور الفتنة بينهم في إطار "سياسة فرق تسد"، ولكنه فشل في مسعاه وهو ما سنوضحه لاحقا.

أما اسبانيا فقد بدأت في تنفيذ احتلالها للمغرب منذ سنة 1907 مع العلم أن المغرب لم يعقد أي اتفاقية حماية مع اسبانيا - كالتى عقدها مع فرنسا في 30 مارس 1912 - لتنفيذ حكمها في المنطقة الشمالية من المغرب، باستثناء الاتفاق المبرم بين اسبانيا وفرنسا في 27 نوفمبر سنة 1912<sup>2</sup>. حتى أن علال الفاسي وصف هذه الوضعية قائلاً: "بأنّ الحماية الإسبانية تعتبر في الواقع كراء من الباطن من فرنسا لاسبانيا، يخالف حتى مدلول صك الحماية، الذي هو عقد كراء مفروض علينا"<sup>3</sup> حيث اعتبر علال الفاسي أن الوثيقة التي أمضتها فرنسا واسبانيا بحضور ممثل بريطانيا والتي رفض السلطان المصادقة عليها، هي التي استندت عليها اسبانيا كمستند رسمي وقانوني، لتنفيذ الحماية على المغرب حيث اعترفت لها هذه المعاهدة بحق مساعدة

<sup>1</sup> عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص. 83.

<sup>2</sup> روم لاند، تاريخ المغرب في القرن العشرين، ترجمة: نقولا زيادة، مراجعة: أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1963، ص. 206.

<sup>3</sup> علال الفاسي، المصدر السابق، ص. 35.

الحكومة المغربية على القيام بالإصلاحات الضرورية في منطقة نفوذها والتي يحق لها تعيين مفوض سامي إلى جانب خليفة السلطان<sup>1</sup>.

#### أ/ المقاومة المغربية المسلحة:

كان للتواجد الأوروبي بالمغرب في نهاية القرن 19م ومطلع القرن العشرين دورا حاسما في الدفع بمسلسل المقاومة المسلحة إلى الظهور على الساحة المغربية، هذه المقاومة التي قامت بها القبائل اعتمادا على إمكانياتها ووسائلها الذاتية، البسيطة وقد استمرت إلى غاية 1935م وحققت العديد من الانتصارات الهامة ضدّ العدو الأوروبي الأجنبي، وانقسم الكفاح المسلح إلى قسمين، أحدهما في مواجهة الاحتلال الفرنسي والأخر في مواجهة الاحتلال الإسباني.

#### • المقاومة في منطقة النفوذ الفرنسي:

تحولت الحملة التأديبية إلى احتلال حقيقي على غرار ما حدث في تونس والجزائر، فأدى ذلك إلى انفجار الوضع الداخلي بالمغرب منذ افريل 1912 انطلاقا من العاصمة فاس ثم انتشر في كل أنحاء المملكة المغربية. حين أعلن الجيش الملكي الثورة على الضباط الفرنسيين الذين وضعوا تحت أمرتهم<sup>2</sup>، حيث كانت الخطة تقضي بانقضاض الجنود المغاربة على ضباطهم الفرنسيين فقتلوهم جميعا، وكانوا 68 ضابطا يحملون أعلى الرتب في الجيش الفرنسي، واستولى الجيش المغربي على مدينة فاس، ثم انتشرت الثورة في شمال المغرب وجنوبه ووسطه، وانتفض الشعب المغربي برمته معلنا سخطه ورفضه للتواجد الأجنبي في بلاده<sup>3</sup>. والتفت البوادي المجاورة لفاس حول الزعيم

<sup>1</sup> علال الفاسي، المصدر السابق، ص. 33.

<sup>2</sup> فؤاد دياب، المغرب الأقصى بين الماضي والحاضر، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، (د.ت.ن)، ص. 40.

<sup>3</sup> علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص. 119.

"الحجامي" فاهتزت الحكومة الفرنسية لهذه الأحداث وسارعت إلى تعيين الجنرال ليوتي مقيما عاما بالمغرب، ودعمته بقرابة 85 ألف جندي ودخل فاس مع جيشه يوم 26 ماي 1912.<sup>1</sup>

وقد كلفت المقاومة المغربية الجنرال ليوتي مئات الآلاف من الخسائر البشرية والمادية حيث تكبد على التوالي 56 ألف جندي سنة 1912 و70 ألف جندي سنة 1913 و63 ألف جندي سنة 1914، إضافة إلى المصاريف الباهظة والقروض العديدة مما أثار سخط وغضب البرلمان الفرنسي، مما دفعه إلى تغيير إستراتيجيته، حيث سارع إلى حلّ جيش السلطان وطلب من مولاي عبد الحفيظ التنازل عن العرش لشقيقه مولاي يوسف، ثم غير العاصمة إلى الرباط، وسعى إلى التقرب من الأعيان والشرفاء والعلماء بفاس.<sup>2</sup>

لكن هذا الإجراءات لم تخفف من حدّة المقاومة التي امتدت إلى كل أنحاء البلاد فأثار الشيخ ماء العينين بالجنوب، ثم خلفه ابنه أحمد الهيبة الذي تمكن من احتلال مدينة مراكش في أوت 1912<sup>3</sup>، وبدأ زحفه نحو منطقة الشاوية لكن فرنسا استطاعت بعد عدة معارك أن تحسم الموقف لصالحها بسبب التفوق العسكري والتنظيم المحكم لجيوشها، فانسحب الشيخ إلى أقصى الجنوب والتقت حوله قبائل الساقية الحمراء وبعد

<sup>1</sup> محمد خير فارس، المرجع السابق، ص. 85.

<sup>2</sup> عبد الرحيم الوردغي، فاس في عهد الاستعمار الفرنسي (1912-1956)، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 1992، ص. 18.

<sup>3</sup> محمد بن جلول، معالم الكفاح الوطني والمقاومة في سبيل الاستقلال والوحدة، ندوة المقاومة المغربية ضد الاستعمار 1904-1955، من 13 إلى 15 نوفمبر 1991، أغادير، المندوبية السامية لقدماء المقاومين أعضاء جيش التحرير، المغرب، 1991، ص. 31.

وفاته سنة 1919 خلفه أخيه، ولم تنته مقاومته بالأطلس الكبير وسوس إلا سنة 1935<sup>1</sup>.

كما واجه الاحتلال الفرنسي مقاومة شرسة في "منطقة تافيلالت" "وآيت عطا" بالجنوب المغربي حيث استمرت مدة 23 سنة تحت إمرة القائد "الشريف السملالي" الذي شكل خطرا حقيقيا على الوجود الفرنسي بالجنوب المغربي، وانتصر في العديد من المعارك الكبرى، ولم تنجح فرنسا في القضاء عليه إلا بعد تطويقه من الجانبين، حيث وجه ليوتي جيشا كبيرا من جهة مكناس وجيش آخر من عين الصفراء بالجزائر، وبعد 4 سنوات من القتال في الفترة (1917-1921) كبد خلالها القوات الفرنسية خسائر عديدة، وقتل العديد من الضباط الفرنسيين وتم اغتياله فخلفه "أبو القاسم النقادي"، هذا الأخير واصل المقاومة إلى غاية 1935<sup>2</sup>.

#### • المقاومة في منطقة النفوذ الإسباني

لما فرضت اسبانيا الحماية على المغرب أخذت توجه جيوشها للتغلغل في المناطق الجبلية، فوجدت مقاومة شديدة من طرف عصابات الجبل التي توحدت تحت كلمة الجهاد لمواجهة النصارى، فتجمع قرابة 50 ألف مجاهد مغربي، ضد أكثر من 100 مقاتل اسباني. ودارت عدة معارك بينهما لكن لم يستطع أي طرف حسم الصراع لصالحه، حيث وصف بعض المؤلفين المغاربة المقاومة المغربية في الناحية الشمالية قائلا: "وقف زعماء قبائل المنطقة الشمالية في وجه الجيوش الاسبانية وقامت حروب عظيمة بينهم وبين هذه الجيوش أكثر من 18 سنة...، وقد تزعم قبائل الناحية الغربية

<sup>1</sup> عبد الله العياشي، جذور المقاومة المغربية ومراحل تطورها، ندوة المقاومة المغربية ضد الاستعمار 1904-1955، وارد في أشغال ندوة المقاومة المغربية ضد الاستعمار 1904-1955، (13 إلى 15 نوفمبر 1991) كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أغادير، المغرب، 1991، ص. 74.

<sup>2</sup> علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص. 122.

الشريف سيدي احمد الريسوني، وتزعّم قبائل الناحية الشرقية محمد أمزيان من 1912م حتى استشهد عام 1919<sup>1</sup>.

لقد أخذت المقاومة في الريف شكلها الجدي، في عهد البطل محمد أمزيان في منطقة الريف الذي كان له فضل توحيد القبائل تحت رايته في سبيل الدفاع عن الوطن.<sup>2</sup> ودامت المعارك مع الإسبان لمدة سنتين، خسروا فيها قرابة 10 آلاف قتيل، واضطرت اسبانيا إلى مهادنة منطقة الريف طيلة الحرب العالمية الأولى لتتجدد المعارك بعد نهايتها، حيث حملت لواء الجهاد والمقاومة منطقة الريف 1921-1926، وقد كانت هذه الثورة من أكبر الثورات المغربية وأكثرها تنظيماً سياسياً وعسكرياً. حيث نجح القائد محمد بن عبد الكريم الخطابي<sup>3</sup> في تحرير معظم مناطق الشمال الغربي باستثناء

<sup>1</sup> عبد العزيز خلوّق التسماني، مقالات ووثائق حول تاريخ المغرب المعاصر، منشورات سيكي إخوان، طنجة، المملكة المغربية، (د.ت.ن)، ص. 92.

<sup>2</sup> علاّ الفاسي، حماية اسبانيا في مراكش، المصدر السابق، ص. 56.

<sup>3</sup> المجاهد ويطل الريف المغربي، ولد بأجدير بالمغرب عام 1882، تزعم المقاومة الريفية بجبال الريف عقب الغزو الإسباني للمنطقة، ثم واجه بعد ذلك الغزو الفرنسي، وهو مؤسس جمهورية الريف بين (1921-1926)، انتصر على القائد الإسباني الجنرال سلفستري في معركة "أنوال" بتاريخ 21 جويلية 1921، مما دفع هذا الأخير للإنتحار، وواصل الأمير بعدها الانتصارات المتتالية على الجيش الإسباني، لكن تحالف الإسبان مع الفرنسيين أدى إلى محاصرته والقضاء على ثورته وإستسلامه، فتم نفيه إلى جزيرة لرينيون بالمحيط الهادي، في 31 ماي 1947 طلب اللجوء السياسي بمصر واستقر بها، يعد من أهم قادة الحركات التحررية في المغرب العربي، حيث ساهم في إنشاء لجنة تحرير المغرب العربي سنة 1948، ثم أصبح رئيساً لها، عمل على مغربة الحرب، توفي بالقاهرة في 6 أكتوبر 1963. أنظر: عبد الله كنون، موسوعة مشاهير رجال المغرب، المجلد. 5، ط. 2، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1994، ص. 5-22. وأنظر أيضاً: جمال الدين عمرووي، محمد بن عبد الكريم الخطابي من ثورة الريف المغربية إلى دعم الثورة الجزائرية 1923-1954، مجلة الذاكرة المغربية المشتركة المغربية-الجزائرية، الجزء. 1، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، المغرب، 2017، ص. 268، 269. وأنظر أيضاً: الهاشمي عبد السلام الطود، السياق التاريخي لثورة التحرير في المغرب العربي ودور الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، أعمال الملتقى الدولي حول: نشأة وتطور جيش التحرير الوطني، المنعقد بفندق الأوراسي الجزائر، أيام: 2/3/4 جويلية 2005، منشورات الحركة الوطنية للدراسات والبحث، الجزائر، 2010، ص. 34.



المناطق الساحلية الشمالية، وتطورت حالة الكفاح إلى شكل عصري عظيم الأهمية<sup>1</sup>، مواصلا خطة الكفاح التي وضعها والده سابقا، فكانت معركة "أنوال" بداية انتصاراته.

لقد كان للحرب الريفية فضل تنظيم القبائل، وتنسيق مجهوده، كما برهنت للاستعمار الإسباني والفرنسي على أن الشعب المغربي شديد الصمود في الدفاع عن إستقلاله وحرية<sup>2</sup>، وكاد الأمير أن يقضي على الوجود الإسباني لولا التدخل الفرنسي الداعم للوجود الإسباني، مما جعل الكفة تميل إلى صالحهم فأستسلم الأمير ومن معه في ماي 1926<sup>3</sup>، وبذلك توقفت المقاومة المغربية مؤقتا ضد الوجود الإسباني على غرار الوجود الفرنسي بالجنوب<sup>4</sup>.

وبذلك تكون المقاومة المغربية المسلحة سواء في منطقة النفوذ الفرنسي أو الإسباني قد أعطت مثالا يحتذى به في الشجاعة والصمود والمقاومة، وأظهرت من الصلابة في سبيل استرجاع حقهم المغتصب بالقوة من طرف قوة الاحتلال الغاصب، أعظم دليل قانوني ودولي، على أن الوجود الإسباني أو الفرنسي في بلادهم غير مقبول من طرف الأمة، وخير دليل على أن الحجج التي افعلتها فرنسا لفرض الحماية لا مبرر لها في القانون الدولي.

#### ب/ المقاومة المغربية السياسية:

عرفت المملكة المغربية النضال السياسي بعد فشل النضال العسكري على غرار تونس والجزائر، حيث بدأ الكفاح السياسي في منطقتي النفوذ الفرنسي والإسباني عام 1926 على يد مجموعة من المثقفين ثقافة مزدوجة إسلامية وغربية، وكذلك على يد

<sup>1</sup> محمد علي داهش، المرجع السابق، ص. 128.

<sup>2</sup> عبد الكريم غلاب، الحركة الوطنية بالمغرب "من نهاية الحرب الريفية إلى بناء الجدار السادس في الصحراء"، الجزء 1، ط. 2، مطبعة الرسالة، الرباط، المغرب، 1987، ص. 28.

<sup>3</sup> علال الفاسي، المصدر السابق، ص. 57.

<sup>4</sup> محمد علي داهش، المرجع السابق، ص. 129.

أساتذة وعلماء جامعة القرويين<sup>1</sup>. ومما يلفت الانتباه في هذه المرحلة الجديدة أن الجماهير حلت محل القبائل وحلت المظاهرة السياسية محل الثورة المسلحة، وفي هذا الصدد قال أحد الفرنسيين: "إن المثقفين استأنفوا الصراع الذي تخلى عنه الجبليون، ويعد ثوار القبائل صرنا نواجه ثوار السربون وثور القرويين"<sup>2</sup>. وهو بذلك يعني النضال السياسي الذي قاده خريجي المغرب من جامعة السربون، وخريجي جامعة القرويين.

لقد أعطى علال الفاسي وصفا دقيقا لحركة المقاومة المغربية بقسميها العسكري والسياسي قائلا: "إنّ العهد الذي يفصل بين 30 مارس 1912، و16 ماي 1930 يكاد يكون عهد كفاح عسكري محض، لأنّ الأغلبية الساحقة من سكان المغرب أعلنت الثورة بعد توقيع الحماية. ولم يكن اخضاعها إلا بعد جهود جبارة وبصفة تدريجية، ولأن نخبة الجيل الذي سبق الحماية أو عاصرها التجأت كلها إلى الجبال، تقود الثورة وتدير الكفاح، والذين غلبتهم القوة على أمرهم أصيبوا بدهشة العسكري المغلوب الذي لا يستطيع أي عمل بعد تجريده من السلاح، فكان لزاما لإزالة هذه الدهشة العامة، أن ينتظر نشوء جيل جديد متشبع بروح المقاومة السلمية التي لاتعطي السلاح المقام الأول في كل معركة"<sup>3</sup>.

ففي منطقة النفوذ الفرنسي لم تتضح معالم هذه الحركة إلا في مطلع الثلاثينيات أي بعد إعلان فرنسا لسياسة الظهير البربري سنة 1930<sup>4</sup> وقبل هذا التاريخ كانت

<sup>1</sup> محمد علي داهش، المرجع السابق، ص. 130.

<sup>2</sup> محمد خير فارس، المرجع السابق، ص. 420، 421.

<sup>3</sup> علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص. 127.

<sup>4</sup> قانون اصدرته الادارة الفرنسية، ويدعو الى الاعتراف بتقاليد البربر وعاداتهم ويحاول ان يحل محل الشريعة الاسلامية مجموعة من القوانين الجديدة اطلق عليها "الظواهر" والتي صدرت على النحو الاتي: 11 افريل 1914، ماي 1914، جانفي 1923، جوان 1923، وأخطرهم ظهير 16 ماي 1930. وكانت كلها تدعو الى دعم أسس السياسة البربرية والقضاء على الهوية المغربية في التعليم واللغة والقضاء. أنظر: امحمد مالكي، المرجع السابق، ص. 196.

محاولات بسيطة وسطحية تسوّرت وراء واجهات ثقافية ودينية شملت العديد من الجمعيات مثل: (اتحاد الطلبة) حيث ركزت على التوعية الإسلامية والإصلاح الاجتماعي.

أما في الشمال الخاضع للحماية الإسبانية فقد ظهرت معالم هذه الصحوة الفكرية والسياسية، بعد القضاء على ثورة الريف عام 1926، فقد تشكلت في العاصمة وتطوان كتلة العمل الوطني وقد اختفت هي الأخرى وراء واجهات ثقافية ودينية وكان أبرز أعضائها عبد السلام بنونة<sup>1</sup>. وعبد الخالق الطريس<sup>2</sup> وآخرون، وقد استمرت في عملها بشكل سري حتى العام 1930<sup>3</sup>.

لكن الميزة المشتركة للحركة الوطنية في المنطقتين الفرنسية والإسبانية هي الطابع الإصلاحية، فمطالبها لم تكن استقلالية بل اكتفت بالمطالب الإصلاحية عامة ضمن إطار الحماية، على غرار التمثيل النيابي في مختلف المجالس، والإصلاحات الإدارية والاجتماعية والثقافية وتوفير مناصب الشغل والمساواة في الحقوق والواجبات بين الأوربيين والمغاربة.

<sup>1</sup> ويلقب بأبو الوطنية المغربية، ولد في 16 فيفري 1888 بمدينة تطوان بالمغرب، وكان من الوطنيين المخضرمين الذين شهدوا الهيمنة الأوربية تنتقل من مرحلة الغزو الاقتصادي الى مرحلة الاجتياح العسكري والسياسي، أنظر: عاهد ازحيمي، عبد السلام بنونة أب الوطنية المغربية، مجلة زمان، العدد. 82، بتاريخ 12 أوت 2018، المملكة المغربية. <http://zamani.ma>. آخر زيارة للموقع يوم 22 ماي 2020.

<sup>2</sup> كاتب وصحفي ومناضل مغربي، ولد في تطوان المغربية في 26 مارس 1910، ينحدر من أصول اندلسية، تابع دراسته العليا بالقرويين، ثم بجامعة القاهرة، ثم جامعة السوربون بباريس، وعاد في النهاية الى المغرب، ليبدأ مشواره النضالي في سبيل تحرير بلاده، من خلال جريدته "الحياة الأسبوعية" ثم جريدة "الأمة"، ساهم في تأسيس الكتلة الوطنية بالشمال وأنتخب ريسا لها سنة 1936، ثم أسس حزب الإصلاح الوطني سنة 1936، تعرض للإضطهاد والنفي من طرف المستعمر عدة مرات كان آخرها سنة 1947، ساهم في تأسيس لجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة رفقة الزعيم علال الفاسي، بعد الإستقلال تقلد عدة مهام سياسية في الدولة أبرزها منصب وزير العدل سنة 1960، دمج حزبه الإصلاح في حزب الإستقلال، وأصبح عضوا في اللجنة التنفيذية للحزب، توفي بطنجة في 26 مارس 1970. أنظر: محمد فاروق الإمام، المناضل المغربي عبد الخالق الطريس، المجلة الإلكترونية رابطة أدباء الشام، بتاريخ 18 مارس 2013، سوريا، [www.odabasham.net](http://www.odabasham.net). آخر زيارة للموقع يوم 22 ماي 2020.

<sup>3</sup> محمد علي داهش، المرجع السابق، ص. 130.

ويمكن تقسيم الفترة إلى مرحلتين بارزتين تتوقف الأولى مع نهاية الحرب الريفية وعزل ليوتي أي خلال سنة 1926، حيث تخمرت الأفكار الوطنية التحررية لدى النخبة المغاربية المتشعبة بالثقافة الغربية والنخبة الإسلامية ذات التوجهات القومية العربية، والمرحلة الثانية تتحصر بين سنتي 1926 و 1930، حيث شهدت عدة تطورات وأحداث سياسية هامة أبرزها تشكل الجمعيات السرية تحت غطاء ثقافي وديني وأخذت تعمل في الخفاء على نشر الوعي السياسي وفضح السياسة الاستعمارية، على غرار الجمعية السرية والتي تم تأسيسها في المغرب من طرف بعض الشباب المتحمس والمتشبع بالوطنية، على غرار أحمد بلفريج وشباب آخرين من العائلات الكبيرة في المدينة<sup>1</sup>، وتم تعيين علال الفاسي رئيسا شرفيا لها سنة 1926<sup>2</sup>.

#### رابعاً: القيادات السياسية في تونس والمغرب الأقصى ودورها في تأطير الجماهير

إن الظروف الصعبة التي تفرضها الحياة أحيانا تنعكس أثارها على المجتمع بالسلب أو بالإيجاب، فتسهم في بلورة مطامحه ورسم آفاق مستقبله، هذه الآفاق والمطامح لا يمكن تجسيدها على أرض الواقع إلا إذا وجدت أشخاصا داخل هذه المجتمعات لهم من التميز والتفرد في القدرات والمواهب ما يؤهلهم لقيادة هذه المجتمعات نحو مستقبل أفضل وأحيانا يحدث العكس، وسرعان ما تتحول هذه القيادة إلى ترجمان يعبر عن آمال وتطلعات ذلك المجتمع ويصبح ظاهرة تاريخية فريدة في حياته، منقذة له من تسلط تلك الظروف الصعبة، ووسيلة فاعلة من وسائل تحرره وانعتاقه، من هنا يأتي إعجاب المجتمع بقيادته فيمنحها الثقة التامة والمطلقة لتسيير شؤونه، وحمل لواء الدفاع عن مبادئه وأهدافه وحرية<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> BELAL Youssef, *le Cheikh et le Calife, Sociologie religieuse de l'islam politique au Maroc, ENS Éditions, Lyon, 2011, p. 47.*

<sup>2</sup> للمزيد أنظر: الأطروحة، الفصل الأول المبحث الثاني، ص. 104.

<sup>3</sup> محمد زروال، اشكالية القيادة في الثورة الجزائرية -الولاية الأولى نموذجاً-، دار هومة للطباعة والتوزيع، الجزائر، 2010، ص. 16.

فما هو مفهوم القيادة؟ ومن هو القائد؟ وماهي صفاته؟ وخصائصه؟ والشروط الواجب توفرها في القائد حتى يستطيع قيادة مجتمعه في كل الميادين؟ وماهي المكانة التي يحظى بها القائد في المجتمع المغربي؟

هناك العديد من المفاهيم والتعاريف الخاصة بالقائد والقيادة، ولأنّ موضوعنا تاريخي وجب اختيار المفاهيم التي تخدمنا في موضوعنا هذا والمتعلق بدور القيادات المغربية في عملية التحرّر والانعتاق من عبودية الاستعمار الأوربي، منذ مطلع ثلاثينيات القرن العشرين.

### 1/ مفهوم القيادة:

• **لغة:** جاءت من كلمة قياد يقود وقيد، حبل يقاد به، أما قود فهي مهنة القائد (المكان الذي يكون فيه القائد)<sup>1</sup>.

-أما المعجم الوسيط فيعرف القيادة بأنها: مشى أمانا اخذ بمقودها، قيادة الجيش، رأسه ودبر أي التأثير والتوجيه ما بين الأشخاص والجماعات<sup>2</sup>.

-"القود"في اللغة العربية نقيض "السوق" يقال: يقود الدابة من امامها، ولكن: يسوق الدابة من خلفها، وعليه فمكان القائد هو المقدمة (كالدليل، والمرشد، والقودة).

• **أما اصطلاحا:** فتعني افراز تاريخي يتكون من ثلاثة عناصر هي: المجتمع الذي تمخضت عنه تلك القيادة، والظروف السياسية العامة التي أحاطت بهذا المجتمع وما نشأ عنها من ظلم وقهر أنتج التأخر والانحطاط أو عدل وانصاف أنتج التقدم

<sup>1</sup> ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، ط. 6، دار صادر، بيروت، لبنان، 1994، ص. 371.

<sup>2</sup> محمد أكرم العدلوني، القائد الفعال، قرطبة للانتاج الفني، المملكة العربية السعودية، 2000، ص. 17.

والتطور والزمان، وما ترتب عليه من عوامل داخلية وخارجية من شأنها ان تساعد على الثورة<sup>1</sup>.

• وهي أيضا: "قدرة القائد على اتخاذ القرارات في مواجهة الموقف وإقناع الآخرين من أعضاء النخبة السياسية و الجماهير بهذه القرارات". كما ان براعة القائد السياسي وقدرته وفاعليته في مجتمعه تمكنه من تحديد اهداف النخبة السياسية التي يقودها، وترتيب أولوياتها واختيار الوسائل الملائمة لتحقيق هذه الأهداف بما يتفق مع القدرات الحقيقية لمجتمعه<sup>2</sup>.

فالقائد هو الشخص الذي يستعمل نفوذه وقوته ليؤثر على سلوك وتوجهات الافراد من حوله ليوصلهم لانجاز اهداف محدّدة، فكلما اكتملت عناصر القوة فيه كلّما كملت عناصر قيادته فانه سبحانه وتعالى اثنى على إبراهيم عليه السلام بقوله: "إنّ إبراهيم كان أمةً قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين". [سورة النحل/ الآية 120].

من خلال هذه المفاهيم نستنتج أنّ المكونات الأساسية للقيادة تتوفر بالضرورة على تفاعل العناصر الآتية: (القائد، الجماعة، الأهداف، التأثير)، ويؤدي تفاعل هذه المكونات إلى التأثير المتبادل فيما بينها، ويلعب فيه القائد الحلقة الرئيسية. فهو يؤثر في افراد الجماعة لأنّه يملك ما يرغبون فيه أو أنّه يحقق لهم ما يرغبون فيه، كما أنّه يتأثر بأفراد جماعته<sup>3</sup>.

فالقائد هو الشخص الذي يستعمل نفوذه وقوته ليؤثر على سلوك وتوجهات الأفراد من حوله فيوجههم للقيام بأعمال وأهداف محدّدة، هذا التأثير على سلوك الآخرين يقابله

<sup>1</sup> محمد زروال، المرجع السابق، ص. 26.

<sup>2</sup> محمد الدبار، القيادة السياسية وتغير السياسة الخارجية "تحليلات سياسية"، المعهد المصري للدراسات، اسطنبول، تركيا، 2019، ص. 2.

<sup>3</sup> عباس محمود عوض، القيادة والشخصية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1986، ص. 11.

بالضرورة اكتمال عناصر القوة في القائد، فكأما اكتملت فيه هذه العناصر كلما اكتملت قيادته، وبالتالي يطاع من طرف جماعته ومن يسير تحت لوائه<sup>1</sup>.

## 2/ أهمية القيادة وأقسامها:

للقيادة أهمية كبيرة وبارزة في حياة المجتمعات والأمم وهو ما جعل النبي صلى الله عليه وسلم يوصينا بتعيين القائد في أقل التجمعات البشرية حين قال عليه الصلاة والسلام "إذا خرج ثلاثة في سفر فليأمرّوا أحدهم" [رواه أبو داود].

كما أنّ القائد الفرنسي نابليون بونابرت قد ادرك أهمية القيادة فقال: "جيش من الأرناب يقوده أسد، أفضل من جيش أسود يقوده أرنب"<sup>2</sup>.

فمن هذا المنطلق تتضح لنا أهمية القيادة داخل المجتمعات البشرية سواء في حالات السلم أو الحرب، باعتبارها الأساس الذي ينظّم شؤونها ويقيم العدل فيها، وعليه فأهمية القيادة تكمن في بعض هذه النقاط:

- تحديد اهداف المجتمع واولوياتها وصنع القرارات المناسبة .
- تسوية الخلافات بين القوى والجماعات المختلفة في المجتمع.
- خلق الشعور والأمن والاطمئنان والكرامة وتقدير الذات في نفس المواطن<sup>3</sup>.
- تدعيم القوى الفاعلة والايجابية داخل المجتمع وتقليص الجوانب السلبية بقدر

الإمكان<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> محمد أكرم العدلوني، المرجع السابق، ص. 17.

<sup>2</sup> الحسن علي وعدوان بلقاسم، الملتقى التوجيهي الإعلامي الجهوي للجنوب، المنعقد بثنانوية، أبي بكر الحاج عيسى بالأغواط، خلال الفترة من 2-4 نوفمبر 2010، ص.9.

<sup>3</sup> محمد الدبار، المرجع السابق، ص. 14، 15.

<sup>4</sup> محمد أكرم العدلوني، المرجع السابق، ص. 20.

• إنَّ المتتبع لتاريخ الحركة التحريرية بالمغرب العربي منذ الاحتلال إلى غاية تحقيق الاستقلال السياسي، يجد ان القيادة تنقسم إلى نوعان قيادة عسكرية وقيادة سياسية، وقد أخذت القيادة العسكرية سبق في الظهور، حيث امتدت المقاومة العسكرية طيلة القرن التاسع عشر واستمرت حتى الربع الأول من القرن العشرين على غرار الجزائر وتونس والمغرب 1935، بينما تونس سنة 1916.

أمَّا القيادة السياسيَّة فقد ظهرت عقب فشل القيادات العسكرية في تحقيق الاستقلال والقضاء على المستعمر، فتم التخلّي عن أساليب القوة والعنف، واعتماد الوسائل السلمية لمجابهة الاستعمار من جهة<sup>1</sup>، وتهيئة المجتمعات المغاربية للثورة من جهة أخرى، من خلال نشر الوعي التحرري وتنقيف هذه المجتمعات حتى تتمكن من توحيد صفوفها، وإدراك حقيقة الاستعمار المزيفة الذي ادعى نشر الحضارة لسنوات. وكللت هذه المساعي في النهاية بظهور الثورات المسلحة في كل الأقطار المغاربية تونس 1952 والمغرب 1953 والجزائر 1954، حيث تداخلت القيادات السياسية والعسكرية وأصبح هدفها واحدا وهو تحقيق الاستقلال الوطني.

تختلف الظروف التي تؤدي إلى بروز القيادات السياسية والعسكرية من مجتمع إلى آخر، وحسب نمط القيادة ذاتها. كذلك فان نمط وصول القيادة إلى السلطة له تأثيراته المختلفة، فالاشكال المختلفة للصعود إلى القمة وطريقة صعودها سيكون لها أبعاد الأثر في طبيعة النظام السياسي عامة، وكذلك في مختلف العمليات السياسية.

فالقيادة الجماهيرية (الكاريزمية)<sup>2</sup> تعكس نشأتها تفاعل مجموعة عناصر، شخصية، واجتماعية، وتاريخية، وهذا يعني: أن القيادة تمتلك قدرات تؤهلها لانجاز

<sup>1</sup> محمد زروال، المرجع السابق، ص.29.

<sup>2</sup> وتسمى سحر الشخصية، وهي هيمنة زعامة فذة تستند إلى وجود شخصية تتمتع بنوع من القدرة الاستثنائية في شخصية الحكم، وهو نوع من الالتحام بين الرئيس والدولة، والكاريزما قد تظهر في مجال السياسة أو المجال الديني =



تفاعل إيجابي بين خصائصها الشخصية وخصائص الإطار الاجتماعي والثقافي، الذي توجد فيه، وكذلك قدرتها على تجميع الجماهير وتقديم القدوة الصالحة لهم، وقدرتها على التعبير عن الشعور الجماعي<sup>1</sup>.

### 3/ مكانة القائد في المجتمع التونسي والمغربي:

إنّ خضوع المجتمعات المغاربية للسيطرة الاستعمارية جعلها تبحث عن منقذ ومخلص لها من هذه القيود، التي فرضت عليها فجأة من طرف هذه القوى الغربية عنها، فاصبح من الضروري إيجاد الأشخاص الذين توكل لهم مهمة قيادة هذه المجتمعات، للثورة على الظلم والاستبداد الذي مارسه الاستعمار على دول المغرب العربي، ومن هنا ظهرت هذه القيادات السياسية والوطنية داخل هذه المجتمعات، وسعت إلى تطهيرها وتنظيمها حتى تتمكن من تخليص نفسها من قيود الرقّ والعبودية والاستغلال المسلط عليها من طرف الاستعمار<sup>2</sup>.

وإذا كنا نعتقد أن الأزمات الكبيرة في المجتمع هي المؤثر الأول في ظهور القيادة فانه يجب علينا ان لاننسى تأثير هذه القيادة في المجتمع الذي خرجت منه، إذا فالقيادة هي أداة ومظهر للمجتمع الذي كوّنها وطبعها وأنشأها تنشئة خاصة، لتعكس طموحه وآماله في الحرية والكرامة، فالظلم الأجنبي المسلط على المجتمعات المغاربية هو المدرسة التي تخرج منها قادة هذه المجتمعات<sup>3</sup>.

---

=أو عالم الرياضة أو حتى بين نجوم الفن. أنظر: خالد خطاب، المرجع السابق، ص. 9، 13. أنظر أيضا: محمود الذوايدي، العلاقة بين شخصية بورقيبة وأزمة الهوية في المجتمع التونسي الحديث من منظور علم النفس الاجتماعي، مجلة دراسات عربية، العدد. 11، 12، سبتمبر - أكتوبر 1996، ص. 113.

<sup>1</sup> محمد الدبار، المرجع السابق، ص. 3.

<sup>2</sup> محمد زروال، المرجع السابق، ص. 27.

<sup>3</sup> محمد زروال، القيادة العسكرية العليا لجيش التحرير الوطني في الحدود الشرقية والعلاقات الجزائرية التونسية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2017، ص. 22.

بمعنى آخر أنّ هناك علاقة وطيدة بين بروز هذه القيادات لتتولى قيادة الثورات داخل المجتمعات المغاربية، وبين الظلم والتعسف الممارس على هذه المجتمعات، وكذا حاجة هذه المجتمعات لقائد شجاع تسيّر خلفه وتأتّمر بأوامره، فعلى سبيل المثال القادة المغاربة سواء كانوا سياسيين أو عسكريين يجمعهم هدف واحد وهو ضرورة استرجاع الحرية والسيادة لبلدانهم، ثم العمل على تحقيق الوحدة السياسية والحفاظ عليها، فالحبيب بورقيبة وعلال الفاسي قد تزعما القيادة السياسية والوطنية في بلديهما منذ ثلاثينيات القرن العشرين، لما لهما من علامات التميز والنبوغ والنضج السياسي دون أندادهم من السياسيين والوطنيين الذين عاصروهم في تلك الفترة.

فالقيادة السياسية الناجحة إذا هي المظهر الأساسي والمعبر عن آمال المجتمعات المغاربية عبر مراحل كفاحها المرير ضد الاستعمار الأوربي البغيض، هذا الأخير استغل نقص الخبرة لدى الزعماء والقادة العسكريين الذين فشلوا في توحيد صفوف المقاومة خاصة في الأرياف والجبال<sup>1</sup>، فكان ذلك فرصة سانحة لظهور قيادة جديدة في المدن، تلقت تكوينا ثقافيا في الجامعات الإسلامية أو الغربية، لتستلم راية الجهاد والنضال، معتمدين على وسائل سلمية وحضارية، عمادها النشاط السياسي والثقافي والفكري، هدفها كشف حقيقة الاستعمار ونواياه الخبيثة وفضح سياسته من خلال المظاهرات والاضرابات والصحافة والكتابة والتأليف والعمل الإصلاحي والثقافي الهادف إلى تنقيف مجتمعاتهم وتوعيتها بأهمية الوحدة الوطنية، ثم تطير هذه المجتمعات لتحمل مشعل المقاومة السلمية، ومن ثم تحقيق الهدف الأسمى وهو الاستقلال والحرية<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> محمد زروال، المرجع السابق، ص. 24.

<sup>2</sup> نفسه، ص. 25.

هذه الزعامات والقيادات الوطنية كان لها التأثير الكبير على شعوبها، فرأت الخلاص والنجاة من الاستعمار بالانطواء تحت لوائهم وقيادتهم، حتى يتمكنوا من استعادة سيادة بلدانهم، ومن هذه القيادات نذكر الحبيب بورقيبة في تونس وعلال الفاسي في المغرب.

فالأول انفرد بقيادة الحركة الوطنية التونسية بعدما ازاح كل خصومه من الساحة السياسية، واستطاع أن يثبت احقيته في تولي القيادة السياسية في المجتمع التونسي، لما له من مؤهلات وملامح ومميزات قيادية، جعلته يلقي القبول من طرف معظم أطياف المجتمع التونسي، كما حظي بالترحاب من طرف جل القيادة السياسية في تونس آنذاك نتيجة للمجهودات التي كان يقدمها لخدمة القضية التونسية، من خلال مقالاته الصحفية التي كان يكتبها باللغة الفرنسية تحدى بها الإدارة الفرنسية، فكانت عاملا مهما في تعريفه وكشف مواهبه النضالية المختلفة فتعلقت به آمال وطموحات الشعب التونسي<sup>1</sup>.

كما أن الزعيم بورقيبة قد نجح في النفاذ إلى ضمائر وعقليات المواطنين، وغرس فيهم رؤياه وابصاره للمستقبل من خلال تجاربه الطويلة والمريرة مع الاستعمار الفرنسي فعمل من أجل بناء تونس الحديثة على ضوء أفكاره العقلية التحديثية التي تلقاها في أوروبا وأمريكا<sup>2</sup>.

أما الثاني فقد بزغ نجمه في مطلع الثلاثينيات من خلال دروسه الدينية في جامعة القرويين، ثم تزايدت مكانته في المجتمع المغربي بعد الحملة التي شنّها ضد قانون الظهير البربري سنة 1930، من خلال مقالاته ومحاضراته ودروسه التي أظهر من خلالها الأهداف الحقيقية للاستعمار من وراء هذا القانون، فأظهر نظامه ودعمه لوحدة

<sup>1</sup> هشام البنزرتي، بورقيبة الاستثناء والمنعرج الحاسم، منشورات ميديا سوفت، تونس، 2017، ص. 1.

<sup>2</sup> نفسه، ص. 18.

الشعب المغربي، وحارب السياسة الاستعمارية التي لم تجد حلا سوى في اعتقاله<sup>1</sup>، كل هذه العوامل وغيرها أكسبت علال بين مجتمعه مكانة مرموقة فهو المرشد والمصلح الديني بدروسه، المناضل والسياسي الغيور على شعبه ووطنه، فارتقى بسرعة الى مرتبة القائد السياسي الذي يقتدى به وتوجب الطاعة لأوامره، مماكنه من افتكاك الريادة والقيادة داخل المجتمع المغربي، فنال احترام الشعب والطبقة السياسية في ظرف وجيز.

من خلال ما سبق نلاحظ ان مكانة القائد السياسي في المجتمع المغربي لها شروط وجب توفرها في الزعيم حتى يلقى القبول والرضا من طرف كل أفراد مجتمعه، فلاتشترط الشجاعة والاقدام فقط، بل وجب على القائد أن يكون حكيما عاقلا خطيبا بارعا في السياسة وفي أمور الحياة المختلفة، وأن يتميز بخصائص قيادية تميزه عن غيره، وتظهره في شكل شخصية توجب الولاء والاحترام والتقدير وأحيانا التقديس<sup>2</sup>، وتكون له قوة التأثير على الآخرين بالفعل او القول ولا أدل على ذلك، خطابات بورقيبة التي تبهر سامعيها، مما جعله يعتمد على سياسة الاتصال المباشر مع الجماهير الشعبية لفرض منطقته القيادي في المجتمع التونسي ويحشد الآلاف من الأنصار لمنهجه وسياسته معتمدا على الكاريزما السياسية التي حازها في الكفاح ضد المستعمر لفرض خياراته السياسية التي كان يرى فيها للعامل السياسي الدور الأكبر<sup>3</sup>.

لقد قمنا باستعراض لأبرز محطات التغلغل الفرنسي في أقطار المغرب العربي (تونس والمغرب) مع مطلع القرن العشرين، والسياسة الاستعمارية الاستبدادية التي مارسها المستعمر في المنطقة بهدف إخضاع سكانها وتجريدتهم من ممتلكاتهم،

<sup>1</sup> عبد الرحيم بن سلامة، علال الفاسي الزعيم الوطني والإفريقي، مطبوعات الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي، الرباط، المغرب، 2017، ص. 14.

<sup>2</sup> خالد خطاب، فن امتلاك الكاريزما، دار الكتاب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2019، ص. 30.

<sup>3</sup> الصحراوي قمعون، نويرة وبورقيبة "السلطة بين الاقتصاد والسياسة والاستحقاق الديمقراطي"، دار ميم للنشر والاتصال، تونس، 2019، ص. 23.

والاستحواذ على خيرات بلادهم، حتى يتسنى له تثبيت جذوره في هذه المنطقة والحاقها بالوطن الأم فرنسا. ثم بينا رد فعل هذه الدول لم ترسخ لهذه السياسة وانتفضت دفعة واحدة، من خلال سلسلة من المقاومات والثورات الشعبية التي عمّت البلدين، بزعامة القبائل والاعراش المنتشرة في القرى والأرياف خاصّة، حيث اعلنوا رفضهم لكل محاولات الدمج والإخضاع بالقوة، معتمدين في ذلك على إمكانياتهم الذاتية المتواضعة ومتحدين قدرات العدو العسكرية والمادية، التي استطاع من خلالها القضاء على هذه الثورات تباعا. ورغم فشلها في تحقيق جل أهدافها، إلا أنها أعطت للاستعمار دروسا في التضحية والشجاعة والقتال.

وإذا كانت هذه المقاومات المسلحة في الجبال والأرياف والبوادي قد فشلت بسبب عدم التكافؤ في القوة والعتاد والامكانيات العسكرية والبشرية، وبسبب تعنت الاستعمار ورفضه لمطالب هذه الشعوب التي واجهها بأساليبه القمعية والوحشية متناسيا الوعود التي قطعها لهذه الشعوب عند احتلال بلدانهم، من خلال تلك الاتفاقيات والمعاهدات على غرار معاهدة باردو مع تونس 1881 ومعاهدة فاس مع المغرب سنة 1912 والتي تعهد فيها باحترام حريات ومعتقدات هذه الشعوب.

هذه الأخيرة لم تياس بعد فشل المقاومات المسلحة السابقة، فظهرت المقاومة السياسية تحت لواء قيادات سياسية جديدة، على غرار الحبيب بورقيبة وعلال الفاسي في تونس والمغرب الأقصى.

# الفصل الأول: ترجمة لشخصيتي الحبيب بورقيبة وعلال الفاسي

المبحث الأول: التعريف بشخصية الحبيب بورقيبة  
المبحث الثاني: التعريف بشخصية علال الفاسي  
المبحث الثالث: أوجه التشابه والاختلاف بين  
الزعمين "الحبيب بورقيبة" و"علال الفاسي"

لقد شهد العقد الأول من القرن العشرين في بلاد المغرب العربي بروز زعماء وطنيين، سيكون لهم بمرور الأعوام شأن كبير ودور عظيم في تاريخ المغرب المعاصر، وفي مقدمة هؤلاء نذكر الحبيب بورقيبة، وعلال الفاسي، وهما محل بحث هذه الدراسة، حيث تمّ في هذا الفصل، تناول مولد ونشأة كل منهما، والبيئة الاجتماعية والسياسية والثقافية التي ترعرعا فيها الرجلين، مع التركيز على الظروف والعوامل التي أثرت بصورة مباشرة أو غير مباشرة على مسارهما الدراسي بجميع أطواره ومراحله، وأثرت أيضا في تكوين شخصيتهما وتحديد توجههما ومسارهما السياسي والفكري، والذي سيظهر جليا بعد التخرج وبداية ممارسة الحياة المهنية، ثم دخول معترك السياسة.

كما أن الرجلين من طينة الزعماء، إذ لم يلزما الحياد اتجاه ما يحدث في بلاد المغرب عموما وبلديهما بصورة خاصة، لاسيما وان بلاد المغرب قد شهدت في تلك الفترة أحداثا جسيمة، سيكون لها الأثر البعيد على مسار الأحداث والوقائع التاريخية المتوالية، وبناء عليه فإن عدة تساؤلات تفرض نفسها، حول بعض الأحداث التي ظهرت خلال هذا العقد الذي شهد مولد الزعيمين، ومدى تأثيرها في تكوينهما، لعل أبرزها الظاهرة الاستعمارية الفرنسية التي تشابهت في البلدين، ونقصد هنا تونس والمغرب اللذان عرفا نظام الحماية كنمط جديد للاستعمار في منطقة المغرب العربي، أثر بصورة مباشرة على جميع مظاهر الحياة، وما يهنا هنا هو علاقة ذلك بحياة ومسار ونضال الزعيمين.

وفي ختام هذا الفصل تمّ إجراء مقارنة بين السيرة الذاتية لهما، وذلك بإبراز أوجه التشابه والاختلاف بينهما من حيث النشأة والتكوين وجوانب أخرى.

## المبحث الأول: التعريف بشخصية الحبيب بورقيبة

## أولاً: مولده ونسبه

هو الحبيب بن علي بن الحاج محمد الأصغر بن الحاج محمد بورقيبة<sup>1</sup>، ولد يوم 03 أوت عام 1903<sup>2</sup> في مدينة المنستير<sup>3</sup> حسب اغلب الدراسات، لكن هناك من يشكك في هذا التاريخ على غرار الطاهر بلخوجة حيث قال بان: "بورقيبة يدّعي أن هذا التاريخ المتداول هو تاريخ ولادته"<sup>4</sup>، فتاريخ ميلاده كان محل جدل وخلاف فلا أحد يعرف العام الذي ولد فيه على وجه الدقة، فبعض الوثائق ترجع ميلاده إلى 1901 أو 1902 بحكم دخوله إلى المدرسة عام 1907، لكن التاريخ الرسمي المعتمد هو 3 أوت 1903 والذي تثبته وثائق هوية بورقيبة<sup>5</sup>.

ويؤكد الحبيب بورقيبة ذلك من خلال سرده لسيرته الذاتية حيث قال: "ولدت في سنة 1901 لكن عند تسجيلي في كلية الحقوق بباريس 1924، أخطأ كاتب الكلية وسجل بدل تاريخ ميلادي سنة 1903، وبما أنني كنت كبيراً في السن فقد رضيت بذلك التاريخ واحتفظت به"<sup>6</sup>. وعليه فالأقرب إلى الصّحة هو التاريخ المدون في الوثائق الرسمية لبورقيبة.

<sup>1</sup> الحبيب بورقيبة، حياتي، آرائي، جهادي، ط. 3، نشرات وزارة الإعلام، تونس، 1984، ص. 8.

<sup>2</sup> Dominique Mataillet, *Ainsi Etait...Bourguiba, La Revue L'intelligence De Monde, N 71 Mai - Juin 2017, Les Ed Du Jaguar, Paris, P. 55*.

<sup>3</sup> مدينة تونسية تقع على الساحل الشرقي للبلاد، تشرف على المياه من الجهات الثلاث، تقع جنوب العاصمة، وتبعد عنها بحوالي 185 كلم. أنظر: الطيب الفقيه أحمد، المنستير وبطل التحرير، الشركة القومية للنشر، تونس، 1962، ص. 41.

<sup>4</sup> Taher Belkhdja, *Les Trois Décennies Bourguiba, Ed Arcantres-Publisud, 1999, P. 30*.

<sup>5</sup> أنظر الملحق رقم 01، وثائق هوية الحبيب بورقيبة، ص. 394.

<sup>6</sup> Pierre Albin Martel, *Habib Bourguiba Un Homme, Un Siècle, Ed, Jaguar, France, 1999, P. 11*.



تزوج والده علي بن الحاج أمه فطومة بنت احمد خفشة سنة 1880 وعمره 30عاما، أي قبل ثلاث سنوات من نهاية عمله بالجندية والذي دام 19 سنة<sup>1</sup>، وقد أنجبت له سبعة أولاد كان بورقيبة أصغرهم<sup>2</sup>. أقام والده أول الأمر في بيت العائلة بحي الطرابلسية دار الأباء والأجداد والاعمام<sup>3</sup>، ونتيجة لتزايد الخلافات بين النسوة انتقلوا إلى دار بسيطة مؤجرة بحي القرايعية، وفيها ولد الحبيب بورقيبة<sup>4</sup> أو محمد الحبيب بورقيبة<sup>5</sup>، حيث أمضى أيام طفولته الأولى، ثم انتقل إلى منزل آخر أكثر بوجوازية، به بئر وبهو محاط بأربع غرف مزينة بزخارف وفسيفساء<sup>6</sup> ومع ذلك فقد عاش وترى في عائلة فقيرة.

ويقدم لنا بورقيبة وصفا في إحدى محاضراته التي كان يلقيها بمعهد الصحافة وعلوم الإخبار عن وضعية أسرته قائلا: "إننا لم نكن محظوظين ولا مدللين ولم تكن الإمكانيات متوفرة لدينا وأبرز دليل على ذلك أن حذائي كان مثقوبا..."<sup>7</sup>. ثم يصور لنا

<sup>1</sup> كتابة الدولة للأخبار والإرشاد، الحبيب بورقيبة، حياته، جهاده، منشورات كتابة الدولة للاعلام، تونس، 1968، ص. 20.

<sup>2</sup> وهم: محمد واحمد، محمد (بفتح الميم) وناجية، ومحمود وعيشوشة التي تكبر بورقيبة بسبع سنوات. أنظر: نفسه، ص. 19.

<sup>3</sup> Pierre Albin Martel, Op-Cit, p. 12 .

<sup>4</sup> أرشيف مركز التوثيق القومي التونسي، ببيروغرافيا الشخصيات تحت رقم 171/000 الحبيب بورقيبة، رقم 4-18/029.

<sup>5</sup> يشير "محمد الهاشمي عباس" -والذي ترتبط عائلته بعلاقات مصاهرة وصدائة بعائلة "بورقيبة"- أن أحد المناضلين يثبت أن "الاسم الكامل للزعيم هو "محمد الحبيب" دليله في ذلك وثيقة كان يستعملها عندما كان محاميا، حملت على يمين مطلعها "محمد الحبيب بورقيبة" أفوكا باب سوقة عدد 158 تونس تلفون 7500". وهي وثيقة بخط "بورقيبة" وإمضاءه تضمنت قرار بحل اللجنة التنفيذية، وإقالة السيد "محي الدين القليبي" من الحزب بتاريخ 17 مارس 1934. مع العلم أن جميع الأوراق الرسمية تحمل اسم الحبيب بورقيبة والمرجح هنا أن اسم محمد أسقط لتسهيل تسجيله في المدرسة بسبب الإجراءات الاستعمارية الرامية إلى محاربة كل ما هو إسلامي باعتبار أن اسم محمد له دلالة دينية. أنظر: محمد الهاشمي عباس، بورقيبة ونويرة، ذكريات ومذكرات الجزء 1، ميديا كوم للنشر، تونس، 2010، ص. 115، 116.

<sup>6</sup> Jean Rous, Habib Bourguiba, L'homme D'action De L'afrique, Les Edition John Didier, Paris, 1969, P. 11 .

<sup>7</sup> الحبيب بورقيبة، المصدر السابق، ص. 13.

الوضع المادي لعائلته قائلاً: "عائتي فقيرة وأجر معاش والدي المتأني من العمل العسكري - عمل والده جندياً في جيش الباي- هزيل جداً يقدر ب 45 فرنك في السنة، ظل ثابتاً طوال حياته والى غاية مماته في سبتمبر 1926"<sup>1</sup>.

لقد طبع على عائلة الحبيب بورقيبة جو من التحرر والوطنية، فقد تم سجن الجد والعم جراء المشاركة سنة 1864 في انتفاضة عصيان ضد طغيان حكم الباي<sup>2</sup>. ويصف لنا بورقيبة هذه الانتفاضة التي تصدى لها الجنرال زروق<sup>3</sup> قائلاً: "لم يكتف زروق بمصادرة أملاك جدي وإدانته في حريته وكرامته بل عمد إلى تجنيد والدي وكانت الحكومة في ذلك الوقت محتاجة إلى العساكر... ففضى بالجيش 17 سنة من العام 1864 إلى 1881م وهو عام انتصاب الحماية الفرنسية بتونس حيث سرح من الجندية..."<sup>4</sup>

هذه الأحداث وان لم يعاصرها بورقيبة إلا أنها طبعت في وجدانه منذ الصغر الوطنية وحب التحرر من الاستعمار، وأجبت حقه وكرهه للبلاط الحسيني، وأتباعه المتعاونين مع السلطة الاستعمارية بتونس. فتوارثت عائلته رواية أخبار المحنة التي عاشها جده على يد الجنرال زروق جيلاً بعد جيل، والمعاناة والاهانة التي لحقت بعائلته بسبب مساندتها لثورة "علي بن غداهم"<sup>5</sup>، فقد تأثر بورقيبة بما كان يحكيه له

<sup>1</sup> هشام البنزرتي، المرجع السابق، ص. 9.

<sup>2</sup> قاد هذه الانتفاضة "علي بن غداهم" بالمنستير، ضد إجراءات الحكومة القمعية اتجاه المواطنين الذين رفضوا دفع الضريبة السنوية للدولة الحسينية، وذلك بسبب تضاعفها عدة مرات مما أرهق كاهلهم، فقاموا بإغلاق أبواب المدينة فكلف الباي التونسي "الجنرال زروق" بالقضاء علي هذه الانتفاضة، هذا الخير اعتقل أعيان المدينة بعد اقتحامها ومن بينهم علي الحاج بورقيبة وأخيه وسلط عليهما أنواعاً من التعذيب، ولم يطلق سراحهما إلا بعدما دفعت عائلة بورقيبة كل ما لديها من مصوغ وعقود عقارية. أنظر: بيار ألبان مارتال، الحبيب بورقيبة، رجل وقرن، ترجمة: عبد الرؤوف الإمام، منشورات جاغوار، فرنسا، 2000، ص. 13.

<sup>3</sup> جريدة الأخبار: العدد 12، بتاريخ 01 جوان 1955.

<sup>4</sup> أرشيف مركز التوثيق القومي، المصدر السابق.

<sup>5</sup> الحبيب بورقيبة، بورقيبة بلسان بورقيبة المصدر السابق، ص. 12.

والده عن ماضيه وأسباب فقر العائلة التي ترجع إلى سنة 1864، تاريخ ثورة علي بن غدام، وكيف تصدى لها الجنرال زروق وطريقة معاملة عائلته وبالخصوص جده وعمه<sup>1</sup>. وهو ما يفسر انتقام الحبيب بورقيبة من الباي وأسرته، حيث عمد إلى مصادرة كل أملاكهم سنة 1957 بعد إبعادهم عن العرش<sup>2</sup>.

هكذا كانت الأسرة التي ولد فيها الحبيب بورقيبة وهكذا كان الجو فيها مهيئاً لأن يصبح هذا الوليد فيما بعد رأس الحركة الوطنية ثم رئيس للدولة التونسية الحديثة. هذه العائلة التي شكلت نقطة خلاف بين الباحثين والمؤرخين حول أصولها، فمنهم من ذهب للاعتقاد بأنها عائلة بلقانية دخلت الإسلام وانتقلت مع العثمانيين إلى تونس حين قدموا إليها<sup>3</sup>، ومنهم من اعتبرها عائلة مهاجرة قدمت من مصراتة الليبية، معتمدين في هذا الطرح على عدة نظريات، منها أصل اللقب العائلي "بورقيبة" فهو غير موجود في الألقاب ذات الأصل الأمازيغي أو العربي، الذي يعود إليه معظم سكان شمال إفريقيا<sup>4</sup>، حيث نجد شبه اتفاق بين أصحاب هذه الآراء على التشكيك في الانتماء العرقي العربي لعائلة بورقيبة.

بينما يطرح فريق آخر فكرة مفادها أن كنية "بورقيبة" صيغة تصغير لكلمة رقبة وهو المتعارف عليه في ليبيا، أي أنها مقاربة للأسماء الموجودة في ليبيا بلقب بورقيبة الذي يوحي أنه مركب على نفس المنوال الذي يوجد في العائلات الليبية، مثل بوعوينة، بوسنينة، بوذينة، بوخشم، بورجيلة، بوكريشة، فهذا التأويل والمقاربة جعل

<sup>1</sup> محمد الهاشمي عباس، المصدر السابق، ص. 98.

<sup>2</sup> الحبيب بورقيبة، المصدر السابق، ص. 12.

<sup>3</sup> معزة عز الدين، فرحات عباس والحبيب بورقيبة، دراسة فكرية وتاريخية مقارنة 1899-2000، أطروحة دكتوراه علوم، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، قسم التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة، 2009، ص. 94.

<sup>4</sup> السوفي عمار، عواصف الاستقلال، رؤية في الخلاف اليوسفي البورقبي جذوره وتداعياته من ثامر إلى الشرايطي، مطبعة الياسمينية، تونس، 2006، ص. 15.

العديد من الباحثين يعتقدون أن عائلة بورقيبة قادمة من مصراتة، حتى أن الرئيس السابق معمر القذافي رحمه الله كان كثيرا ما يذكر بأن بورقيبة من مصراتة الليبية<sup>1</sup>. كما أن الحبيب بورقيبة لم يتنكر أبدا لأصوله الليبية، فطالما ردّد أن عائلته جاءت من ليبيا، فهناك أسر تونسية تعود جذورها إلى قبائل ومدن وقرى وأرياف ليبية، استوطنت بعض المدن الساحلية التونسية على غرار جربة والمهدية والمنستير. رغم انه كثيرا ما كان يتباهى بعيونه الزرقاء "التي لا يمكن أن تنتمي إلى عيون العرب السوداء" حسب قوله<sup>2</sup>. بينما يرى البعض رأي آخر مفاده أن عائلته بورقيبة ربما تكون من كراغلة مصراتة، هاجر جدهم عبر البحر إلى تونس سنة 1795 بسبب ضغط سياسة القرمانيين<sup>3</sup>.

في حين يذكر الصحفي كمال الشطي بأن عائلة بورقيبة ذات أصول ألبانية قدمت مع الفتح العثماني إلى مصراتة الليبية، ثم انتقلت إلى تونس واستقر أحد فرعيها في جزيرة جربة، والفرع الآخر انتقل في مدينة المنستير الساحلية في حومة الطرابلسية حيث ولد وتربى الحبيب بورقيبة<sup>4</sup>. وبقي بورقيبة طول حياته يبحث عن جذوره البعيدة.

بعد عرضنا لهذه الآراء حول أصل الحبيب بورقيبة ربما تكون عائلته قد انتقلت إلى ليبيا ثم تونس في نهاية القرن 18م مع العثمانيين واستوطنت في مدينة المنستير الساحلية، حيث ذكرت الكاتبة "صوفي بسيس" في كتابها حول سيرة الحبيب بورقيبة بأنّ: "والده وصل إلى السواحل التونسية في حدود سنة 1795، ومعه أسرته ومكاسبه وصيادوه وعبده الأربعة مع أبنائهم وحتى طبيبه الخاص، وانتصبت هذه القبيلة

<sup>1</sup> سعيد جلاوي، النظام البورقيبي وقضايا المغرب العربي 1956-1987، أطروحة دكتوراه علوم، تخصص تاريخ معاصر، جامعة الجزائر 2، 2016، ص. 13.

<sup>2</sup> الصافي سعيد، بورقيبة "سيرة شبه محرمة"، ط. 4، شركة عرايب للإعلام المتعدد، تونس، 2011، ص. 34.

<sup>3</sup> فرج عبد العزيز نجم، القبيلة والإسلام والدولة في ليبيا، دار الدعوة، القاهرة، 2000، ص. 235.

<sup>4</sup> مقابلة أجريتها مع الصحفي التونسي كمال الشطي بمنزله بشارع البيئة المساكن سوسة يوم 16 نوفمبر 2018 على الساعة 16:30.

بالمستير بحي الطرابلسية منذ ذلك الوقت<sup>1</sup>. وهو ما يؤكد بورقيبة نفسه في بعض تصريحاته.

إلى جانب أصوله نجد ديانته، إذ شكلت علامة استفهام للبعض نتيجة لمواقفه الغربية تجاه الدين الإسلامي، وعلماء الزيتونة بالأخص. فقد حاول تغيير بعض أركان الدين الإسلامي وعلى رأسهم صوم رمضان الذي اعتبره يعرقل عملية التنمية والإنتاج بسبب نقص المجهود المبذول في هذا الشهر<sup>2</sup>، فاعتبر البعض ذلك استخفافا واحتقارا للعقيدة الإسلامية واستفزازا لمعتقبيها.

أما الحج فقد انتقده بورقيبة في أحد خطابه بتاريخ 20 أبريل 1964 حيث وصف حرص البعض على أدائه بالسلوك المبالغ فيه، وعبر في نفس الخطاب بأنه يستطيع الإقتاء بأولوية رصد المال المخصص للحج، في صندوق التضامن الاجتماعي أو إقراض الدولة إياه<sup>3</sup>، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، على حسب تعبير احد الكتاب التونسيين الذي أورد رأي بورقيبة في الحج حيث قال: "وللمسلم الذي يود بعثرة ما لديه من مال، فهو مخير بين أمرين إما الاكتفاء بزيارة قبور أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن تضم رفاتهم الطاهرة تربة البلاد التونسية "كابي زمعة البلوي" وبالتالي يتمسح ويجني البركة، أو الاقتصار باختصار شديد على حجة واحدة"<sup>4</sup>.

لقد وصل استخفاف "بورقيبة" بمشاعر المسلمين فيما نقلته صحيفة الشهاب اللبنانية في عددها الصادر يوم 1 أبريل 1974، وذلك عند تغطيتها للخطاب الذي ألقاه بورقيبة في مؤتمر دولي للمدرسين بتونس، حيث قال: "أن القرآن الكريم يحوي

<sup>1</sup> Sophie Bessis, Souhayr Belhassen, Bourguiba A la conquête d'un destin 1901- 1957, Tom. 2, Jeune Afrique Livres, paris, 2012, P.46.

<sup>2</sup> خطاب الحبيب بورقيبة عن رمضان "جريدة الصباح" 14 فيفري 1960.

<sup>3</sup> الحبيب بورقيبة، خطب، الجزء. 17، نشریات وزارة الإعلام والشؤون الثقافية، المطبعة الرسمية، تونس، 1980، ص. 194.

<sup>4</sup> الحسين بن عيسى، البورقيبية والهوية "صراع مشاريع"، مكتبة تونس، تونس، 2015، ص. 301.

تتناقضات فضيحة لم يعد يقبلها العقل، منها حسب رأيه أن القرآن يسلب الإنسان القدرة على امتلاك مصيره وبيت فيه روح الاستسلام للأقدار<sup>1</sup> مستدلا بقوله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة التكويد/ الآية 29].

ومجمل القول أن ولاء "بورقيبة" لعقيدة الشعب التونسي والمسلمين عموما يشوبها الشك، فمعظم الباحثين يجمعون على أنه كان قليل الاكتراث بعقائد المسلمين، بل ميال لإنكار مسلمات الدين الإسلامي<sup>2</sup>، رغم تأكيده في عدة مرات على أنه مسلم ويحترم الدين الإسلامي، ولكن الوقائع تكذب ذلك. "فمحمد المصمودي"<sup>3</sup>، ووزيره الراحل "محمد مزالي"<sup>4</sup>، يؤكدان أن "بورقيبة" لا يؤمن بالله وهما المقربان إليه حيث يذكر "محمد مزالي" أن "بورقيبة" أخبره "بأن الإيمان لا يقبله عقلي". وأنه كل ما دخل معه في مناظرات دينية شعر أنه لا يؤمن بالله<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> الحسين بن عيسى، المرجع السابق، ص. 56.

<sup>2</sup> Sophie Bessis, Souhayr Belhassen, Op-Cit, P. 48

<sup>3</sup> سياسي ورجل دولة تونسي، ولد في مدينة المهدية في 25 ماي 1925، درس بالمعهد الصادقي بتونس ثم في جامعة السربون بفرنسا، وفي عام 1949 ترأس جامعة فرنسا للحزب الحر الدستوري الجديد. وفي عام 1954 عين وزيرا للدولة في حكومة الطاهر بن عمار. وفي عام 1956 كلف بوزارة الاقتصاد، انضم محمد المصمودي إلى الديوان السياسي للحزب الحر الدستوري الجديد، ثم تولى عدة مناصب سياسية من بينها كتابة الدولة للأخبار فيما بين 1958 و1961، عين على رأس السفارة التونسية في باريس، في الفترة 1965 و1970، ثم عين وزيرا للشؤون الخارجية عوضا عن الحبيب بورقيبة الابن، توفي في 7 نوفمبر 2016 بمقر سكناه بالمهدية. أنظر: الموسوعة التونسية الإلكترونية، المرجع السابق.

<sup>4</sup> سياسي ورجل دولة تونسي، ولد في 23 ديسمبر 1925 بالمنستير، درس بالمعهد الصادقي بالعاصمة، ثم انتقل الى باريس لاتمام دراسته في جامعة السوربون كلية الاداب، تحصل على ليسانس في الفلسفة وديبلوم الدراسات العليا في الاداب، وبعد تخرجه عاد الى تونس، شغل في ابدية منصب استاذ ثم مدير الشبيبة والرياضة سنة 1959، ثم مدير الاذاعة والتلفزيون التونسي سنة 1964، ثم تقلد عدة مناصب وزارية في الدفاع والتربية والصحة، ثم شغل منصب الوزير الأول بين 1980 و1986. خلفا للهادي نويرة. عزله بورقيبة في جويلية 1986 واتهم بالفساد وسوء الإدارة، استطاع الفرار إلى الجزائر قبل صدور الحكم. عاد إلى تونس سنة 2002 بعد إلغاء الأحكام الصادرة ضده، توفي في باريس 23 جوان 2010، ودفن في مسقط رأسه مدينة المنستير. أنظر:

Mohamed Mzali, Un Premier Ministre de Bourguiba Témoigne, Sud Ed, Tunis, 2010, p. 412.

<sup>5</sup> *ibid* p. 413 .

ونحن بدورنا لا نجزم بان بورقيبة ملحد أو كافر، ولكن نذهب إلى الاعتقاد بأنه تعلق و تأثر بشدة بالحضارة الغربية وتعاليم دينها النصراني وأضواء بهرجها الساحرة مما جعله يسعى إلى تقليدها تقليدا أعمى، ومحاولة فرضها على المجتمع التونسي المسلم، لكنه وجد معارضة شديدة من طرف مشايخ وعلماء الزيتونة، مما دفعه إلى محاربتهم وتهميش دورهم في الحياة العامة تدريجيا، ثم انتقل إلى تكييف تعاليم وأركان الإسلام وفقا لمصالحه ومبادئه العقلية، وما يخدم مشروعه التحديثي العلماني.

### ثانيا: نشأته

لقد عاش الحبيب بورقيبة طفولة صعبة ميزها الفقر والحاجة وقلة الإمكانيات، فكان ذلك حافزا له للمثابرة والإصرار من أجل الوصول إلى مراتب أسمى وتحقيق أهدافه، والتخلص من هذه الأوضاع المزرية<sup>1</sup>، ويعطينا بورقيبة صورة حية عن حالة الفقر والحاجة التي كان يعيشها من خلال وصفه هذا: "كان والدي يعيش بموارد زهيدة، إذ كان يتقاضى منحة تقاعد بسيطة لم تكن تتجاوز 45 فرنكا سنويا، بالإضافة إلى ما يدره عليه 21 أصلا من الزيتون في قرية "منزل حرب"، وهذا إلى جانب ما توفره وظيفة أمين فلاح، فهي الوظيفة التي أسندها إليه محمد الصادق باي، اعتبارا لخدماته في الجيش الذي جنده فيه أحمد زروق بالقوة، فبلغ فيه رتبة شاوش ثم تمت ترقيته إلى رتبة ملازم، كما شغل وظيفة شيخ تراب بمثابة عمدة على وحدة الطرابلسية"<sup>2</sup>. لقد تعلم الحبيب بورقيبة منذ صغره الطاعة لمن يكبره سنا، وتعلم كيف يجمع الزيتون ويتعهد الحديقة، بل وتعلم حتى طهي الطعام والتعهد بشراء بعض شؤون المنزل من محلات البيع، زيادة على ذلك كان عليه أن يمسك بالإبريق بعد الفطور، ويصب الماء على يدي إخوته الذين يكبرونه سنّا<sup>3</sup>، ولصغر سنّه كان العرف يقتضي

<sup>1</sup> لقاء مع ابنة الحبيب بورقيبة السيدة هاجر بورقيبة، المصدر السابق.

<sup>2</sup> الحبيب بورقيبة، حياتي، آرائي، جهادي، المصدر السابق، ص. 10.

<sup>3</sup> هشام البنزرتي، المرجع السابق، ص. 9، 10.

منه أن يخاطبهم بكلمة "سيدي" لذلك تدرج الصبي على مبدأ احترام ناموس الواجب العائلي السليم كما لو شبّ عليه تلقائياً، وهو مبدأ سوف لن يتخلى عنه أبداً<sup>1</sup>. كما أن عائلته متعددة الأفراد، فهي العائلة التقليدية المتسمة بكثرة الولادات القائمة على الاحترام المتبادل بين أفرادها والمحافظة على لحمتها<sup>2</sup>.

إنّ هذه العوامل والمؤثرات سيكون لها بالغ الأثر في صقل شخصية الحبيب بورقيبة في مراحل حياته القادمة، كتعلقه الشديد بوالدته وتأثره بصورتها المنهكة وقد أصابها الكبر والمرض وأعيته الشيخوخة فخصها بمكانة في قلبه، ظهرت جليا في مختلف مراحل حياته. حيث كان يجهش بالبكاء كلما ذكرها في خطبه الرسمية حتى وهو رئيس<sup>3</sup>. ففي واحدة من هذه الخطب تحدث عنها بتأثر بالغ قائلاً "كانت أمي تعمل دون انقطاع من الصباح إلى المساء، فالأعمال الشاقة الأخرى هدّت صحتها"<sup>4</sup>، ويعود إلى ذكر أمه من حين إلى آخر في خطبه مفصلاً في الأعمال الشاقة التي أنهكتها قائلاً: "كانت المسكينة تعيش في حيرة دائمة من أجل مستقبلي، لا تعرف على وجه التدقيق كيف سيعيش ولدها بعدها، وباغتها الموت في الأربعين ... لقد تحطمت تماما تحت وطأة جيش من الأولاد غص بهم بيتها، وفترات الإرضاع المنهكة، والشدائد، ومشاق الرحي، والطابونة، وحلج الصوف، وغزله والتطريز، وغسل الثياب"<sup>5</sup>.

وفي خطاب آخر ذكر بورقيبة أن الآلام التي تجرعتها والدته في حياتها كأم وكرّة بيت، هي التي جعلته يعجل حال استلامه السلطة بتأمين حقوق المرأة

<sup>1</sup> آرثر كونت، أسطورة بورقيبة، الدار التونسية للنشر، تونس، (د.ت.ن)، ص.12.

<sup>2</sup> لقاء خاص أجرته مع ابنة الحبيب بورقيبة السيدة هاجر بورقيبة، يوم 27 نوفمبر 2018، بسيدي بوسعيد. في الساعة 10:15.

<sup>3</sup> كمال الشطي، المصدر السابق.

<sup>4</sup> أمال موسى، بورقيبة والمسألة الدينية، ط. 2، سراس للنشر، تونس، 2006، ص. 27، 28.

<sup>5</sup> أندري بوتار، بورقيبة، تعريب ونشر، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1985، ص. 54، 55.



التونسية<sup>1</sup>. فهل من قبيل الصدفة أن يكون إصدار مجلة الأحوال الشخصية من أولى الإصلاحات التي قام بها. كما كان لوفاتها عام 1913م أشد صدمة عرفها في حياته<sup>2</sup>، فقد عبر عن ذلك قائلاً: "كان لوفاة أمي أثر عميق في نفسي، إن المحن القاسية التي منيت بها في حياتي معروفة ... ولم أضعف قط، وكان قلبي دائماً من فولاذ، ... لكنني اشعر كلما ذهبت إلى قبر أمي لاقف عنده مترحماً، أني أتحوّل إلى طفل صغير يتشوق إلى حنان الأم، ولا أتمالك عن الضعف، وأنا الرجل الذي لا يقهر أبداً، إنني أتمنى بكل جوارحي... أن يجمعني بها الله في الدار الدائمة..."<sup>3</sup>.

أما بالنسبة لتأثير والده فيذكر بورقيبة انه أثناء تشييع جنازة البشير صفر رافق والده في موكب التشييع وقد رأى والده يبكي، للمرة الأولى وقال: "تأثرت في شبابي بدموع أبي... لقد تركت الحادثة في نفسي أثراً عميقاً ساهم في إيقاظ الشعور الوطني في صدري"<sup>4</sup>، ثم يذكرها في موضع آخر "إن جنازة البشير صفر وصورة والدي وهو يبكي إلى جانبي، لا أنا أسأله لما كان يبكي ولا هو يقول لي السبب، هي الحدث الثاني الذي عشته وأثر في تكوين شخصيتي الوطنية..."<sup>5</sup>.

ويحدّثنا أيضاً عن شدّة حرص والده على تعليمه ورعاية مستقبله رغم الفقر والحاجة، فيصف لنا زيارة والده له في تونس قائلاً: "دعاني السيد سيردون من قاعة المذاكرة فوجدت أبي معه، وعلى الفور قال له سيردون إن ابنك "شيطان... شيطان... شيطان" فسأله أبي إن كنت مجتهداً في الدروس، فأجابته بأن مثابرتي على الدراسة لا بأس بها، فقال له أبي، إذا دعه يهرج ما يشاء"<sup>6</sup>. فاهتمام الأب كان منصباً على

<sup>1</sup> الحبيب بورقيبة، المصدر السابق، ص. 10.

<sup>2</sup> أمال موسى، المرجع السابق، ص. 27، 28.

<sup>3</sup> أندري بوتار، المصدر السابق، ص. 55، 56.

<sup>4</sup> نفسه، ص. 68، 69.

<sup>5</sup> الحبيب بورقيبة، المصدر السابق، ص. 23.

<sup>6</sup> محمد الهاشمي عباس، المصدر السابق، ص. 194.

الدراسة والاجتهاد فحسب. مما سيترك انطبعا لديه حول أهمية التعليم في حياة الإنسان باعتباره أساس كل تقدم حضاري مما سيدفعه للمثابرة والاجتهاد أثناء مرحلة الدراسة، ثم التركيز على التعليم في منهجه لبناء تونس بعد الاستقلال.

لقد خلفت معاناة الأم ثم وفاتها في ريعان الشباب الأثر البالغ في مسار حياة الحبيب بورقيبة، فكان تأثير الوالدين واضحا في مسيرة بورقيبة، حيث رسمت مواقف والده طريقا واضحا نحو الوطنية والتحرر. بينما دفعته معاناة الأم إلى الاهتمام بالمرأة التونسية من خلال إقامتها في الحياة العامة وإشراكها في كل الميادين، ومساواتها بالرجل في الحقوق والواجبات

**ثالثا: المسار الدراسي والمهني والثقافي:**

**1/ المسار الدراسي:**

عندما بلغ الطفل الحبيب بورقيبة الخامسة من عمره وجهه والده إلى العاصمة التونسية للدراسة وذلك سنة 1907، ويقدم لنا بورقيبة وصفا دقيقا عن رحلته للعاصمة للدراسة قائلا: "انتقالي كان في عربة مجرورة يسوقها الحوزي المالطي ماركو من المنستير إلى سوسة، ومنها ركبت القطار لشركة عناية-قائمة فوصلت بعد 5 ساعات على وجه التقريب إلى تونس العاصمة"<sup>1</sup>. لتبدأ مرحلة جديدة في حياته تختلف كلياً عما عاشه في المنستير.

**أ/ مرحلة الدراسة في تونس:**

التحق الحبيب بورقيبة بالمدرسة الابتدائية فرع المدرسة الصادقية في الفترة (1907-1913) حيث تلقى تعليمه الابتدائي، وقد تكفل به أخوه الأكبر محمد (بفتح الميم) الذي كان يقطن بالعاصمة ويعمل كموظف في الإدارة الفرنسية، وقد كان صارما

<sup>1</sup> آرثور كونت، المرجع السابق، ص. 12.

في تعليم أخيه<sup>1</sup>، ويشمل التعليم المتلقى بالصادقية في تلك الفترة، على اللغة العربية واللغات الأجنبية خاصة الفرنسية، ودراسة أبرز الآثار الأدبية والفلسفية، إضافة إلى التدريب على الرياضيات والعلوم التي تقوم على الملاحظة<sup>2</sup>.

وتتمتع مدرسة الصادقية بمكانة خاصة عند بورقيبة، ما فتىء يبوح بها في خطاباته حيث قدم وصفا دقيقا حول دورها وأهميتها في الحياة العلمية للبلاد التونسية قائلا: "أنتم تعلمون قيمة المدرسة الصادقية وتأثيرها في النهضة التونسية، لأنها وإن شاركتها مدارس أخرى في ذلك، فهي الحجر الأساس في الثقافة القومية العصرية ولأنها ترتبط بي شخصيا، وبكثير من زملائي ارتباطا متينا، إذ قضينا بها أمدا من العمر يعتبر أذ فترات الحياة وأفضلها وأجملها..."<sup>3</sup>.

عرف الحبيب في العاصمة فترة مراهقة صعبة في عائلة أخيه محمد، الذي كان متزوجا بامرأة برجوازية، واحتفظ من تلك الفترة بذكرات تغلب عليها المرارة، كانت بعض الممارسات في هذا المجتمع تتسم أيضا بشيء من القسوة تركت آثارا بليغة في نفسه حتى آخر المراحل من حياته، وربما ذلك سيولد لديه لاحقا رغبة في الزواج بامرأة من هذه الطبقة<sup>4</sup>. لكن هذه الظروف لم تقف عائقا أمام نجاحه حيث ثابر إلى أن تحصل على شهادة اختتام المرحلة الابتدائية سنة 1913م، مما أهله للمشاركة في مناظرة الدخول إلى الصادقية ونجح كتلميذ مقيم<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> Jean Rous, Op-Cit, P. 12 .

<sup>2</sup> محمد الصياح، الحبيب بورقيبة يؤسس الدولة الجديدة، ترجمة: علي الشنوفي، دار العمل، تونس، 1986، ص. 212.

<sup>3</sup> الحبيب بورقيبة، خطب، الجزء. 7، المصدر السابق، ص. 50.

<sup>4</sup> الشاذلي القليبي، أضواء من الذاكرة، الحبيب بورقيبة، ترجمة. محمد مزالي، دار الكتب الوطنية، تونس، 2014، ص. 31.

<sup>5</sup> عبد الجليل بوقره، هل بورقيبة مستبد، المرجع السابق، ص. 33.

وكم كانت فرحة والدته كبيرة لما بلغها نبأ نجاحه، هذه الفرحة التي لم تدم طويلا للثنتين، فلم يكد يبدأ الدراسة الثانوية بالمدرسة الصادقية<sup>1</sup> حتى فوجئ يوم 17 نوفمبر 1913 بموت أمه فطومة، فعاش بورقيبة اليتيم في سن مبكرة وطبع حياته الحزن والألم، وتركت في نفسه الأثر الكبير<sup>2</sup>.

لقد أكمل بورقيبة دراسته الثانوية بصفته مقيم داخلي منذ مستهل السنة الدراسية 1913-1914 إلى السنة الدراسية 1918-1919 أي طوال فترة الحرب العالمية الأولى، واكتسب ثقافة أساسية متينة باللغتين العربية والفرنسية وتتلذذ بالخصوص على يد نخبة من المدرسين الزيتونيين اللذين حببوا إليه الأدب العربي، ونخص بالذكر منهم المشايخ محمد بن القاضي، وأحمد النيقر، وعبد العزيز جعيط<sup>3</sup>، ومن بين زملائه في المدرسة الصادقية نذكر، الشاذلي الخلافي<sup>4</sup>.

إن تأثر بورقيبة بالأدب العربي جعله شديد التعلق بالمعلقات الشعرية فقد دأب على حفظ الكثير منها وترديدها في العديد من المناسبات<sup>5</sup>، كما أحب دراسة اللغة الفرنسية وأظهر تأثرا كبيرا ببعض الأساتذة المتمرسين فيها<sup>6</sup>. فمثلت فترة دراسته في تونس العاصمة التي قضاها بمنزل أخيه محمد بورقيبة ثم بالمدرسة الصادقية فرصة

<sup>1</sup> أنظر الملحق رقم 02، صورة الحبيب بورقيبة تلميذ بالمدرسة الصادقية، ص. 395.

<sup>2</sup> هشام البنزرتي، المرجع السابق، ص. 10.

<sup>3</sup> هو من أشهر علماء الزيتونة المعاصرين، شغل في عهد الحماية عدة خطط عالية في التدريس والقضاء، وفي عهد الاستقلال عينه بورقيبة مفتيا للجمهورية. أنظر:

*Ahmed Mestiri, Témoignage pour l'Histoire, Sud Editions, tunis, 2011, P.18.*

<sup>4</sup> مناضل وسياسي تونسي ولد في 10 ماي 1901 بتونس، وبعد أن أنهى دراسته الابتدائية، التحق بالمدرسة الصادقية حيث زاول دراسته الثانوية من أكتوبر 1914 إلى جوان 1920، وكان من زملائه في الدراسة الحبيب بورقيبة والطاهر صفر انتدب في آخر سنة 1920 مترجما بالمصالح العذلية، نشط بالصحافة منذ سنة 1924، ثم انخرط في سلك المحاماة. واشتهر بالحملة الصحفية على قادة الحزب الدستوري الجديد وفي مقدمتهم الكاتب العام الحبيب بورقيبة، توفي في 9 فيفري 1990. أنظر: الموسوعة التونسية الإلكترونية، المرجع السابق.

<sup>5</sup> مجلة الصادقية، المرجع السابق، ص. 06.

<sup>6</sup> الشاذلي القليبي، المرجع السابق، ص. 31.

سانحة، واكب خلالها الشاب أبرز الأحداث الوطنية التي شهدتها الإيالة التونسية تحت وطأة المستعمر الفرنسي، والتي تركت أثرا بليغا في حياة وشخصية الحبيب بورقيبة كحوادث الزلاج، وحادثة الترامواي، ووفاة البشير صفر، والتي تطرقنا لها سابقا<sup>1</sup>.

وفي أواخر 1919 اضطر الفتى إلى الانقطاع عن الدراسة بسبب مرض السل الذي ألم به جراء سوء التغذية أثناء إقامته في مبيت المدرسة الصادقية أثناء الحرب العالمية الأولى، فكما روى بورقيبة في إحدى محاضراته بدار الصحافة: "أن مدير الصادقية السيد "بولون" كان يفتر كثيرا في نفقات الأكل بالمعهد حتى يوفر أكبر قدر ممكن من المال ليشتري به سندات لتمويل الخزينة الفرنسية، ولم يقتصر هذا التضيق على الطعام بل تجاوزه إلى اللباس... وفي تلك الظروف أصبت بمرض يشبه داء السل، فأقمت في المستشفى مدة شهر..."<sup>2</sup>.

أقام بورقيبة خلال فترة مرضه في مدينة الكاف لدى شقيقه الأكبر محمد الذي كان يعمل ممرضا بمستشفى تلك المدينة، فساعده هواؤها الجاف وحسن الرعاية على استعادة عافيته، فما لبث أن عاد إلى الدراسة في 01 أكتوبر 1921م بعدما قضى سنة ونصف هناك<sup>3</sup>، ليمنه أخوه محمود الذي كان يشتغل مترجما بالعاصمة من التسجيل بمعهد "كارنو"<sup>4</sup>، في السنة الخامسة ثانوي عوضا عن السنة السادسة نتيجة لانقطاعه عن الدراسة<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> للمزيد أنظر: الأطروحة، الفصل التمهيدي، ص. 36.

<sup>2</sup> الشاذلي القليبي، المرجع السابق، ص. 39.

<sup>3</sup> جريدة الأخبار التونسية، العدد 12، المصدر السابق.

<sup>4</sup> ليسى كارنو وهو أقدم المعاهد التونسية، ويعود تأسيسه إلى فترة الحماية بتونس وتحديدا عام 1882 تحت اسم القديس لويس ثم حول اسمه إلى معهد القديس شارل، وفي عام 1894 أصبح يسمى ليسى كارنو، وكان يدرس وفق النظام الفرنسي وكان أكثر طلابه من الفرنسيين والأجانب، وقد بقي يحمل نفس الاسم إلى غاية 1983م ليتحول اسمه إلى معهد بورقيبة النموذجي بتونس فهو وريث للصراع بين المدارس الدينية والمدارس الجمهورية في فترة ما قبل انتصاب الحماية الفرنسية، وقد وقع استعمال المعهد خلال الحرب العالمية الثانية، وخرج المعهد من شبكة=

لم يكن اختيار أخوه لهذه المؤسسة عفويا بل للمكانة والدور الذي تتمتع بهما بين بقية المعاهد، باعتبارها الأكثر ضمانا لفتح الآفاق أمام خريجها المتحصلين على شهادة البكالوريا، في حين أن ختم شهادة الدروس الثانوية لفرع الصادقية التي تعرف باسم ديبلوم الصادقية، لا يمكنه إلا من الحصول على وظيفة مترجم<sup>2</sup>، وقد تمكن بورقيبة فيها من إثبات وجوده من خلال تفوقه في الرياضيات و الفلسفة بالخصوص فاطلع على العديد من المذاهب الفلسفية الغربية، وتابع باهتمام كبير قصائد "فيكتور هوغو" و"لامرتين" و"الفريد دي فينيي" مما جعله يحفظ البعض منها عن ظهر قلب. وحتى عندما أصبح رئيسا فانه ظل شديد الميل إلى ترديد هذه القصائد أمام ضيوفه<sup>3</sup>.

وفي سنة 1922 تحصل بورقيبة على شهادة المدرسة العليا للغة والآداب، المعروفة من قبل بشهادة العطارين<sup>4</sup>. كما شهدت هذه السنة أيضا احتكاكه لأول مرة بالسياسة من خلال مشاركته في مظاهرة شعبية يوم 05 أفريل 1922م<sup>5</sup>، لينضم بعدها إلى الحزب الحر الدستوري، وكان أول عمل قام به رفع برقية احتجاج للمقيم العام الفرنسي "لوسيان سان" لتعطيله جريدة الحزب الأسبوعية - حينذاك - "الصواب"<sup>6</sup>.

ان احتكاك بورقيبة بالسياسة لم يمنعه من الاجتهاد في دراسته، حيث أحرز في جوان 1923م على الجزء الأول من شهادة البكالوريا، فنال المرتبة الأولى في

---

=التعليم الفرنسي عام 1983 ليصبح تحت إشراف وزارة التربية التونسية. أنظر: شارل اندري جوليان، المعمرون الفرنسيون، المرجع السابق، ص. 62.

<sup>1</sup> محمد الهاشمي عباس، المصدر السابق، ص. 8.

<sup>2</sup> مجيد خدوري، عرب معاصرون (أدوار القادة في السياسة)، دار المتحدة للنشر، بيروت، لبنان، 1973، ص. 221.

<sup>3</sup> حسونة مصباحي، رحلة في زمن بورقيبة، دار آفاق برسبكتيف للنشر، تونس، 2011، ص. 24.

<sup>4</sup> مجلة الصادقية، المرجع السابق، ص. 06.

<sup>5</sup> مظاهرة قادها طلبة الزيتونة وطلبة الصادقية على إثر الخبر الذي نشرته جريدة الصواب، ومفاده تهديد الباي محمد الناصر بالاستقالة والتنازل عن العرش، بسبب مضايقات الإدارة الفرنسية. أنظر: حسونة مصباحي، المرجع السابق، ص. 21.

<sup>6</sup> جريدة الأخبار، العدد 12، المصدر السابق.

الرياضيات، إذ كان متفوقا على الفرنسيين والإيطاليين واليهود، أما الجزء الثاني من البكالوريا فقد ناله في جوان 1924 شعبة الفلسفة بملاحظة حسن، إذ احتل المرتبة الأولى في كل البلاد التونسية<sup>1</sup>. ولعل تفوقه الدراسي على الفرنسيين والإيطاليين واليهود والمسلمين قد خلق لديه شعور بالأهمية وإحساسا بالتميز وصل إلى حد الشعور بالانرجسية والتفرد، مما ولد لديه حب الذات وهو شعور طبيعي وضروري لنمو الإنسان<sup>2</sup>، بشرط ألا يتعدى حدود المعقول.

وقد اختار بورقيبة الفلسفة للدراسة في باريس رغم نبوغه في الرياضيات وكذا تشجيع معلم الرياضيات له لاختيارها، وقد قال في هذا المجال في إحدى خطبه: "أردت أن أدرس مادة الفلسفة المتفتحة على الآفاق الجديدة والتي تمكّني من السيطرة على عدة مسائل عويصة ومعقدة زيادة على حفظ دروسي، إذ ذهبت إلى المكتبة لأطلع على نصوص وكتابات الفلاسفة الذين أدرس أفكارهم وأحلّها جيدا"<sup>3</sup>.

### ب/ مرحلة الدراسة في باريس:

لقد اختار بورقيبة الدراسة في المرحلة الجديدة في باريس وقال في هذا الشأن مبررا تفضيله للدراسة في باريس: "... لمقاومة الاستعمار، يجب أن أتعلم في بلاده العديد من الأشياء منها عاداته، قوانينه، نظامه، تشاريحه ... لذا قررت مواصلة دراستي العليا في الحقوق في باريس"<sup>4</sup>. حيث سافر إلى باريس في شهر نوفمبر 1924 ليواصل دراسته، فدخل جامعة السربون وأختار كلية القانون، ولم يكتف بدراسة

<sup>1</sup> Pierre Martel Albin, Op-Cit, P. 21.

<sup>2</sup> آمال موسى، المرجع السابق، ص. 32.

<sup>3</sup> هشام البنزرتي، المرجع السابق، ص. 13.

<sup>4</sup> عبد الجليل بوقرة، المرجع السابق، ص. 63.

الحقوق فسجل نفسه في كلية الآداب وعلم النفس ومعهد العلوم السياسية حيث زاول دروسه في شعبة المالية العامة<sup>1</sup>.

لقد واجه الحبيب بورقيبة ظروف عيش قاسية خلال هذه الفترة في باريس، فقد أقام في أحقر الفنادق وعرف الجوع والخصاصة<sup>2</sup>، فالحوالة البريدية التي كان يرسلها له أخوه محمود قليلة لا تفي بالحاجة، ولم تتجاوز 50 فرنكا فرنسيا شهريا، لكن أوضاع بورقيبة المالية تحسنت بعدما تحصل على منحة دراسية من المدرسة الصادقية قدرها 1800 فرنك يتم دفعها على قسطين وذلك بفضل تدخل محاسب المدرسة السيد حسين الشاذلي أصيل المنستير<sup>3</sup>، فأصبح أكثر حركة ونشاطا وتفرغا للدراسة، خصوصا بعد عثوره على غرفة في حي الطلبة<sup>4</sup>.

خلال هذه المرحلة تعلق بورقيبة بعدة شخصيات كالقائد التركي مصطفى كمال أتاتورك وبزعيم الاشتراكية الفرنسي "جون جوزجيس" "اوغست كونت" وأعجب كثيرا بالعبارة التي كتبت تحت التمثال المنتصب في ساحة السربون "لنحيا من أجل الغير"<sup>5</sup>، كما تأثر بآراء جون جاك روسو وكلود بيرنارد وفكتور هوغو، فمثل الأخير لبورقيبة الخيال المتناهي، بينما حرك فيه روسو حب الحرية والعمل السياسي، وعموما فهؤلاء هم الذين صاغوا فكر بورقيبة السياسي<sup>6</sup>.

لتعرف حياته في باريس منرجا مميذا خلال سنة 1925 حيث انتقل من الحي الجامعي ببولفار "جوردان" إلى الدائرة العشرين، كما التقى برفقاء الامس ممن درسوا

<sup>1</sup> آمال موسى، المرجع السابق، ص. 33.

<sup>2</sup> حسونة مصباحي، المرجع السابق، ص. 24.

<sup>3</sup> Sophie Bessis, Op-Cit, P. 39 .

<sup>4</sup> الصافي سعيد، المصدر السابق، ص. 63.

<sup>5</sup> قدارة شايب، المرجع السابق، ص. 39.

<sup>6</sup> مجيد خدوري، المصدر السابق، ص. 221.



معه في المعهد الصادقي بالعاصمة التونسية على غرار، محمود الماطري<sup>1</sup>، والظاهر صفر<sup>2</sup>، والبحري قيققة<sup>3</sup>، والتقى أيضا بالسيدة "ماتيلدا لوران"<sup>4</sup> التي ستصبح زوجته وأم ابنه الوحيد بعد ذلك رغم أنها تكبره سنا<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> مناضل تونسي ولد سنة (1897-1972) بمدينة تونس، درس في المدرسة الصادقية وتخرج منها، وعمل معلما في مدينة المرسى عام 1916، ثم التحق بكلية العلوم الطبية في مدينة ديجون الفرنسية عام 1919 ثم انتقل الى كلية العلوم الطبية بباريس، وتخرج منها بتاريخ 1926، وبعد عودته الى تونس اشتغل في البداية في ميدان الطب، ثم التحق بالعمل السياسي رفقة الحبيب بورقيبة ورفقائه، من خلال العمل الصحفي في جريدة العمل التونسي، وفي سنة 1934 انتخب رئيسا للحزب الحر الدستوري التونسي، واستقال من رئاسته سنة 1938 بسبب خلاف مع الحبيب بورقيبة، اعتقل عدة مرات من طرف السلطات الفرنسية، بعد الاستقلال شغل منصب وزير الصحة، توفي سنة 1972. أنظر: محمد بوذينة، المصدر السابق، ص. 454، 455. وانظر أيضا: الصادق الزمري، المصدر السابق، ص. 355-360.

<sup>2</sup> مناضل تونسي ولد سنة (1903-1942) في مدينة المهدية، التحق بالمدرسة الصادقية سنة 1916، وبعد تخرجه واصل دراسته في ليسى كارنو وتخرج عام 1922، ثم درس بباريس في كلية القانون والتقى هناك بالحبيب بورقيبة ومحمود الماطري والبحري قيققة. وغيرهما، عاد الى تونس سنة 1928 عمل محاميا في البداية، ثم انخرط في صفوف الحركة الوطنية التونسية، فانتخب سنة 1934 عضوا في الديوان السياسي للحزب الحر الدستوري الجديد، اعتقل سنة 1934 مع بورقيبة، ثم اطلق سراحه سنة 1936 توفي سنة 1942. أنظر: محمد حمدان، أعلام الأعلام في تونس 1860-1956، الدار التونسية للكتاب، تونس، (د.ت.ن)، ص. 206. وأنظر أيضا: محمد بوذينة، المصدر السابق، ص. 194.

<sup>3</sup> مناضل تونسي من مواليد في 4 مارس 1904، درس بالمعهد الصادقي حيث تحصل على شهادة البكالوريا سنة 1924، ثم التحق بكلية الحقوق بباريس. وهناك التقى بالحبيب بورقيبة ومحمود الماطري والظاهر صفر، حصل على شهادة الدكتوراه في القانون سنة 1928، وبعد تخرجه عاد الى تونس حيث مارس مهنة المحاماة ومنذ سنة 1932 انضم إلى هيئة تحرير جريدة العمل التونسي، ثم انضم الى اللجنة التنفيذية للحزب الحر الدستوري سنة 1933، انتخب في الديوان السياسي لحزب الدستور سنة 1934، ومنذ ذلك التاريخ لم يبخل بجهده في سبيل نصرة القضية التونسية حتى نالت تونس استقلالها سنة 1956، وبعد الاستقلال عينه بورقيبة سنة 1959 محافظا للملكية العقارية، ثم اعتزل السياسة وتفرغ للمحاماة حتى وافته المنية سنة 1995. أنظر: الموسوعة التونسية الإلكترونية: المرجع السابق، آخر زيارة للموقع بتاريخ 20 أبريل 2020.

<sup>4</sup> من مواليد 1892 بباريس فقدت زوجها في أعقاب الحرب العالمية الأولى، تعرف عليها الحبيب بورقيبة أثناء دراسته بباريس 1925، كانت تعمل في وزارة المالية الفرنسية، تزوجها بورقيبة وهي تكبره بـ 11 سنة وأنجبت له ابنه الوحيد الحبيب الابن 1927/4/9 أي قبل زواجه بها، عادت مع بورقيبة الى تونس واسلمت سنة 1958، وأصبحت تدعى مفيدة وتطلقت منه سنة 1962، توفيت سنة 1976. أنظر: عادل بن يوسف، المرأة والسلطة في تونس خلال فترة الحكم البورقبي وسيلة بورقيبة نموذجا، أعمال المؤتمر الخامس حول: نهاية حكم بورقيبة والقيادات السياسية العربية بين الصعود والانحدار، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2005، ص. 34. وأنظر أيضا: محمد بوذينة، المصدر السابق، ص. 473.

<sup>5</sup> أرشيف مركز التوثيق القومي التونسي ببيروغرافيا الشخصيات، المرجع السابق.

لقد اعتاد بورقيبة أثناء العطلة الصيفية العودة إلى تونس وقضائها مع اهله، لكن عودته هذه المرة وافقت جنازة والده في شهر سبتمبر 1926م، وتألّم لذلك كثيرا لفراق والده وسنده<sup>1</sup>، ولكنه اصر على العودة و إتمام دراسته في باريس رغم حزنه الشديد على فراق والده<sup>2</sup>، وبعدهما أنهى دراسته وحصل على الإجازة في شهادة العلوم السياسية، شعبة المالية العمومية عاد إلى تونس في أوت 1927 رفقة زوجته الفرنسية وابنه الرضيع الذي كان يبلغ 5 أشهر<sup>3</sup>. ليبدأ مرحلة جديدة تختلف كلياً عما عاشه في باريس.

## 2/ المسار المهني:

### أ/ نشاط بورقيبة في المحاماة:

إثر رجوع الحبيب بورقيبة إلى تونس وبعد تحمله على الإجازة في الحقوق، إنخرط في سلك المحامين المتربصين بالعاصمة<sup>4</sup>، حيث باشر تربصه بمكتب المحامي "قايان سيربي"، حتى أواخر أكتوبر من سنة 1927. ثم انتقل إلى مكتب السيد "فيليكس شمامة" وهو يهودي، إلى غاية جوان 1928م، ولأنه لم يدفع له إلا القليل من المال كتعويض عن أتعابه، اضطر للانتقال لمكتب "صالح فرحات"<sup>5</sup> الكاتب العام للجنة التنفيذية للحزب الحر الدستوري لمدة شهرين، لينتقل بعد ذلك للعمل بمكتب

<sup>1</sup> حسونة مصباحي، المرجع السابق، ص. 24.

<sup>2</sup> محمود الماطري، مذكرات مناضل، تعريب: حمادي الساحلي، دار الشروق، القاهرة، مصر، 2005، ص. 60.

<sup>3</sup> محمد لطفي الشابيبي، الحداد وبورقيبة معركة السفور واللقاء المؤجل (1924-1956)، منشورات سوتيميديا للنشر والتوزيع، تونس، 2019، ص. 53.

<sup>4</sup> كتابة الدولة للأخبار والإرشاد، المصدر السابق، ص. 27.

<sup>5</sup> من رواد الحركة الوطنية التونسية، من مؤسسي الحزب الحرّ الدستوري التونسي سنة 1920، ولد يوم 26 جويلية جويلية 1894 بمدينة منوبة بالعاصمة التونسية. درس بمعهد "كارنو" وحصل على شهادة الباكالوريا بالفرنسية سنة 1914، وكان يتابع في الوقت نفسه دروسا في اللغة والآداب العربية بجامع الزيتونة. عمل مترجما، إلى أن رُسم محاميا بتونس الحاضرة سنة 1919، انتخب سنة 1921 عضوا باللجنة التنفيذية للحزب الحرّ الدستوري التونسي وبلجنته التشريعية. واختير أمينا عاما مساعدا للحزب سنة 1923، ثمّ انتخب كاتباً عاماً إثر وفاة الأستاذ أحمد الصافي سنة 1935 وألّت إليه رئاسة الحزب إلى حين رجوع الزعيم عبد العزيز الثعالبي سنة 1937. توفي يوم 18 مارس سنة 1979 بالعاصمة. أنظر: الموسوعة التونسية الإلكترونية: <http://www.mawsouaa.tn/> 29/12/2018 11:00

الأستاذ "برنار سيبو"، والذي مكث فيه إلى غاية جويلية 1931، حيث خصص له راتب بمبلغ 600 فرنك شهريا، الأمر الذي جعل بورقيبة يعمل سنة إضافية في ذلك المكتب بعد نهاية مدة التدريب. لينتقل في النهاية للعمل بمكتبه الخاص "الكائن مقره ب 158 نهج باب سويقة بتونس العاصمة"، واتخذ من "عائلة العويطي" كاتباً له وسيتم في خدمته كسكرتير خاص إلى غاية تنحيت بورقيبة عن السلطة سنة 1987. بينما يذكر محمود الماطري ان بورقيبة قد استقر في البداية في حي "سان هنري" وهو حي بوشوشة الآن ثم استأجر منزلا صغيرا بضاحية المرسى، وفيه كان يجتمع مع بعض رفاقه الذين درسوا معه في الصادقية، ثم في باريس<sup>1</sup>.

### ب/ نشاط بورقيبة الصحفي:

لقد أدرك الحبيب بورقيبة أن الصحافة هي المحرك الأساسي والرئيسي للرأي العام التونسي<sup>2</sup>، والمنبر الحقيقي للدفاع عن حقوقه، والوسيلة الفعالة لمحاربة ومواجهة أساليب الاستعمار الفرنسي، لذلك انضم مبكرا لهذا المجال من خلال كتابة المقالات الصحفية في بعض الصحف التونسية، وفي هذا الصدد قال بورقيبة: "ترجع بداية عهدي بالصحافة إلى عام 1930، حيث كنت انشر مقالات صحفية بجريدة "اللواء التونسي"<sup>3</sup> ثم جريدة "الصوت التونسي"<sup>4</sup>، وقد التف حول هذه الجريدة نخبة من شباب الحزب الحر الدستوري التونسي وكذا من خارجه ممن انهوا دراستهم في الخارج"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> محمود الماطري، المصدر السابق، ص. 66.

<sup>2</sup> الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص. 62.

<sup>3</sup> جريدة يومية، ناطقة باللغة الفرنسية لصاحبها الشاذلي خير الله، ظهرت من 04 جانفي 1929م إلى 10 فيفري 1930، كتب فيها بورقيبة عدة مقالات نارية منذ 1929م، لذلك قامت السلطات الفرنسية بتعطيلها. أنظر: عبد المجيد شاكر، الهادي شاكر جهاد واستشهاد (مذكرات)، مطابع التعااضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس، تونس، 2003، ص. 22.

<sup>4</sup> جريدة تونسية تصدر باللغة الفرنسية، تأسست حسب ما ذكره الكاتب الطاهر عبد الله في سنة 1928 تحت إدارة الشاذلي خير الله، في حين يذكر البعض أنها تأسست في 26 مارس 1930 واستمرت في الصدور حتى 27 جوان 1950. وهي جريدة أسبوعية تحولت سنة 1931 إلى جريدة يومية، وتأرجحت بين أسبوعية ويومية إلى غاية=

لقد كتب الحبيب بورقيبة العديد من المقالات الصحفية في جريدة اللواء التونسي " وكان لها من القيمة والموقع ما بوأها الصدارة<sup>2</sup>، على غرار مقاله حول الحجاب الذي نشره يوم 11 ديسمبر 1929 في جريدة اللواء التونسي، والذي عالج فيه قضية الحجاب في تونس ومدى ارتباطها بالشعب التونسي حيث قال: "قرأيت من اللائق أن أطرق الموضوع من ناحيته الاجتماعية -وهي التي من شأنها أن تسترعي الاهتمام- حتى نخلصه من بعض العناصر الأجنبية عنه والتي من شأنها إدخال الالتباس عليه، وإن أمضي دون خوض في نشأة الحجاب... إلى إبراز حقيقة هامة وهي أن القضية تتعلق بمادة تأصلت عندنا منذ قرون وصارت من صميم تقاليدنا..."<sup>3</sup>.

"فبورقيبة" دافع عن الحجاب لا من وجهة نظر إسلامية بل دافع على الشخصية والهوية التونسية، وضرورة المحافظة عليها وعلى عاداتها وتقاليدها وصونها من الاندثار.

ثم نشر مقال آخر في نفس الجريدة هاجم فيه الاشتراكيين في فيفري 1931 وتوالت مقالاته وكتاباتة في المجال السياسي، حيث عمد إلى انتقاد الانتهاكات التي تقوم به سلطات الحماية ضد الشعب التونسي، ثم كتب في جريدة "صوت التونسي" مقالا بعنوان "تطور الحماية" هاجم فيه السياسة الاستعمارية الفرنسية والانتهاكات المرتكبة في حق التونسيين في ظل نظام الحماية المطبق منذ سنة 1881<sup>4</sup>. وذلك في مقال بعنوان "تطور الحماية" ويعتبر من أهم المقالات الجامعة التي كتبها ولخص

=1950. أنظر: حسونة مصباحي، المرجع السابق، ص. 31. أنظر أيضا، علي المحجوبي، جذور الحركة الوطنية التونسية (1904-1954)، تعريب: عبد الحميد الشابي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، (د. س. ن)، ص. 501.

<sup>1</sup> الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص. 57.

<sup>2</sup> الحبيب بورقيبة، حياتي، آرائي، جهادي، المصدر السابق، ص. 79.

<sup>3</sup> الحبيب بورقيبة، مقالات صحفية 1929-1934، دار العمل، تونس، 1982، ص. 11.

<sup>4</sup> مركز التوثيق القومي، بيوغرافيا الرئيس الحبيب بورقيبة، رقم الملف، 18-4-A.

فيها وجهة نظره في قضية تونس وطرق معالجتها، فقال بعد أن حلل التطورات التي حدثت بالبلاد التونسية منذ سنة 1881م: "إن الواقع المائل والحالة الراهنة التي لا سبيل إلى نكرانها يوضحان في جلاء أن الحكومة الفرنسية حطمت أو تكاد أن تحطم جميع إطارات الدولة التي كان من واجبها احترامها ثم أضاف قائلاً: "إن التطور أمر لا بد منه وإن أمام الشعب طريقين: طريق الجمود والفناء... وطريق الحياة ورد الفعل الذي تفرضه غريزة حب البقاء والتقدم والرقي وطي المراحل"<sup>1</sup>.

لقد عمد بورقيبة إلى دراسة قضية الحماية دراسة موضوعية، مبينا فيها التحولات التي شهدتها تونس في ظل الحماية وكيف تحولت من دولة مستقلة إلى مستعمرة تابعة للإدارة الفرنسية، هذه الأخيرة سعت وبكل الطرق والسبل إلى طمس ذاتية المجتمع التونسي العربي المسلم ومحاربة مقوماته الاصلية. من هنا انبرى الزعيم "الحبيب بورقيبة" مندداً بهذه الممارسات الأخلاقية، واللا معقولة، وقام بالرد على الدعاية الاستعمارية مبينا مساوئ الاستعمار، والآلام التي يتخبط فيها الشعب التونسي منذ 50 سنة، من حرمان للحقوق السياسية ومصادرة الأراضي والأموال<sup>2</sup>.

واستمر الحبيب بورقيبة في كتابة المقالات المعادية للاستعمار باللغة الفرنسية في هذه الصحيفة إلى نهاية 1931، ليتخلى عنها مع مجموعة من أصدقائه، بعدما طلب منهم صاحب الجريدة السيد الشاذلي خير الله أن يخففوا من حدة اللهجة في كتاباتهم ضد الإدارة الاستعمارية الفرنسية، فأسس بورقيبة وأصدقائه<sup>3</sup> جريدة "العمل التونسي"<sup>4</sup>

<sup>1</sup> جريدة الحديث، العدد. 149، 25 جويلية 1959.

<sup>2</sup> حفيظ الطباي، المرجع السابق، ص. 38.

<sup>3</sup> وهم: محمود الماطري، والطاهر صفر، البحري قيق، والأخوين محمد (بفتح الميم) والحبيب بورقيبة، وقد انضموا إلى اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري الحر، وأشاعوا فيه روحاً جديدة من النضالية في الحزب. أنظر: عبد المجيد شاكر، المصدر السابق، ص. 23.

<sup>4</sup> صدر العدد الأول بتاريخ 1 نوفمبر 1932 (بالفرنسية) وكان مقرها خلف صيدلية علي بوحاجب بالعاصمة واستمرت إلى 30 ماي 1933، كصحيفة يومية ثم من 16 ديسمبر 1936 إلى 9 أفريل 1938 كصحيفة=

في 1 نوفمبر 1932، وتولى بورقيبة بنفسه إدارتها، حيث كتب العديد من المقالات التي تدعو إلى الحرية والعدل والمساواة بين التونسيين والفرنسيين<sup>1</sup>.

وقد حققت هذه المجموعة نجاحا كبيرا في استقطاب التونسيين لأفكارهم، التي كانوا ينشرونها في جريدتهم واستماتتهم في الدفاع عن مطالب الشعب التونسي في الحرية والكرامة، وكانوا يسمون بجماعة "العمل التونسي".

لقد كانت افتتاحياته في هذه الصحيفة مكتوبة بأسلوب واضح جذاب، حيث يعتمد إلى تسجيل الأحداث اليومية، والأخبار التي كان يتلقاها من المراسلين الموزعين في معظم أنحاء البلاد التونسية، وكانت مقالاته تتسم بالعنف والتهجم على الإدارة الفرنسية وسياستها التعسفية، لذلك عطلت جريدته وأحيل على المحاكم عدة مرات<sup>2</sup>، ولعل ذلك ما جعله يلقي ترحابا كبيرا داخل الحزب الدستوري الحر عند انضمامه له سنة 1933 رفقة أفراد هذه المجموعة.

مع العلم أن أفراد هذه المجموعة قد درسوا جميعا في الجامعات الفرنسية، وتلقوا علوما عصرية وتشبعوا بأفكار الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان وعايينوا التجربة السياسية الديمقراطية الفرنسية عن قرب<sup>3</sup>. وقد كتب بورقيبة أول مقال بها بعنوان الميزانية التونسية مبينا من خلال الانعكاسات السلبية التي خلفتها السياسة الفرنسية على الشعب التونسي، ومناديا في نفس الوقت بضرورة استفادة كل طبقات الشعب التونسي من الميزانية المخصصة لتونس<sup>4</sup>.

=أسبوعية وعطلت أول الأمر في 31 ماي 1933 ومرة أخرى اثنى حوادث أفريل 1938. أنظر: علي المحجوبي، المرجع السابق، ص. 501. وأنظر أيضا: عبد المجيد شاكر، المصدر السابق، ص. 22.

<sup>1</sup> مركز التوثيق القومي، بيوغرافيا الرئيس الحبيب بورقيبة، المصدر السابق.

<sup>2</sup> مركز التوثيق القومي، تاريخ الحركة الوطنية، الزعيم التونسي الأستاذ الحبيب بورقيبة، المصدر، الحزب العربي القومي حلب، رقم الملف A-4-18.

<sup>3</sup> عبد اللطيف الحناشي، نخبة الاستقلال المغاربة والمسألة الديمقراطية، الحبيب بورقيبة أنموذجا، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد. 29، سنة 2011، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2011، ص. 31.

<sup>4</sup> Habib Bourguiba 'Articles de Presse 1929 – 1933, 3<sup>ème</sup> Edition, Dar El Emal, Tunis, 1982, P.43.

## 3/ أعماله الفكرية والثقافية:

ترك الحبيب بورقيبة أعمال فكرية وثقافية متنوعة شملت فترة نضاله داخل الحركة الوطنية التونسية، وطوال فترة حكمه التي استمرت ثلاثين عاما، ميزها التمجيد لشخصه والتعظيم لسلطته فقد كان معجبا بنفسه وبشخصيته ومكانته ودوره في تاريخ تونس لذلك اجتهد في تخليد ذكرياته وآثاره المختلفة وأعطى لنفسه طابع القدسية، إذ كانت حاشيته والقائمين على هياكل الحزب ووسائل الإعلام تبالغ في تمجيد شخصه وتعظيم سلطته. حتى أن جريدة الحزب كتبت "إن بورقيبة ليس رئيس الدولة والرجل السياسي الظافر والزعيم القائد فحسب، بل هو أيضا الرجل الذي ينتاب عقولنا باستمرار ويغمر أقوالنا وأعمالنا"<sup>1</sup>.

كما صرح الطيب المهيري<sup>2</sup> معبرا عن المكانة التي كان يحظى بها الحبيب بورقيبة قائلا: "إن تاريخ الشعوب مرتبط دائما بمصير عدد من الأشخاص الأفاض الذين يبرزون في بعض الفترات الحرجة لقيادة أمتهم نحو تحقيق أهدافها... ولكل حركة وطنية رمز تجتمع حوله عواطف الشعب ويتجسم فيه كفاحه ويتعلق به آماله فيكون قائده في اليسر والعسر"<sup>3</sup>.

إنّ هذا التمجيد للزعيم الحبيب بورقيبة من طرف مقريه وحاشيته جعل منه مهوسا بمكانته في التاريخ، ولعل ذلك ما يفسر كثرة وتعدد التماثيل سواء النصفية أو

<sup>1</sup> جريدة العمل، جوان 1975.

<sup>2</sup> ولد السياسي الطيب بن محمد المهيري، في جويلية 1924 بضاحية المرسى، درس المرحلة الثانوية بالمدرسة الصادقية إلى أن حصل على الجزء الأول من شهادة البكالوريا، انخرط في صفوف الحزب الدستوري الجديد سنة 1938، تزامنت عودة الطيب المهيري من باريس مع عودة الزعيم بورقيبة من القاهرة (1949)، حيث شهد العمل السياسي انتعاشة بعد مرحلة الركود التي سادت إثر انتهاء الحرب العالمية الثانية. ومباشرة بعد عودته انتخب الطيب المهيري كاتباً عاما للجامعة الدستورية لتونس والأحواز (1949-1952)، وفي شهر نوفمبر 1964 أعيد انتخابه بمجلس الأمة. عينه بورقيبة كاتب دولة للداخلية، توفي يوم 29 جوان سنة 1965. أنظر: الموسوعة التونسية الإلكترونية، المرجع السابق.

<sup>3</sup> جريدة الأخبار، العدد 12، المصدر السابق.

المكتمة المنصوبة داخل قاعات المعاهد والمؤسسات وفي الساحات العامة<sup>1</sup> وكذا في المقبرة المخصصة لدفن موتى عائلته. هذه التماثيل جعلت خصيصا لتجسيم أطوار كفاحه، فهو التلميذ في المعهد الصادقي في الساحة أمام بلدية المنستير، وفي ساحة إفريقيا في العاصمة ظهر ممتطيا فرسا كما كان الشأن يوم عودته مظفرا إلى تونس في غرة جوان 1955.

كما تحول مكان اعتقاله بالقصبة داخل السجن بالعاصمة التونسية إلى متحف صغير يزوره الضيوف، حيث يروى لهم كيف نام بورقيبة على الإسمنت واضعا يده تحت خده، كما وضع صورته على الأوراق النقدية التونسية، وتسمية المراكز الرئيسية في العاصمة باسمه، على غرار تسمية أكبر شوارع العاصمة باسم شارع الحبيب بورقيبة، فالهدف من وراء ذلك إرضاء لنزعة شخصية، أو ما يعبر عنه بتمجيد الذات.

ولشدة عشقه وتعلقه بأبطال تونس على غرار القائد حنبعل القرطاجي الذي أصر على استقدام رفاته إلى تونس من تركيا، بعدما لاحظ الإهمال لقبره من طرف الأتراك فلم يرتج باله حتى جلب معه قارورة تحوي تراب من قبره، كما أقام تماثيل منحوتة لأبطال تونس الأربعة: حنبعل، ويوغرطة، وابن خلدون، وسان أوغستان، ومنصة خامسة لتحمل تماثله بعد وفاته، وذلك داخل قاعة مجلس الوزراء بقصر قرطاج<sup>2</sup>.

كما عمل الحبيب بورقيبة على ترسيخ سيرة حياته ونضاله في ذاكرة شعبه من خلال إلقاء سلسلة محاضرات أمام طلبة معهد الصحافة وعلوم الإخبار سرد فيها تاريخه وسيرته وتاريخ الحركة الوطنية التونسية، وقد طبعت هذه الخطب في كتابه

<sup>1</sup> من خلال زيارتي لقصر سقانس بالمنستير وكذلك في المقبرة الخاصة بعائلته بورقيبة التي أصبحت معرضا ووجهة سياحية بنفس المدينة شاهدت العديد من هذه التماثيل بالإضافة إلى مختلف الآثار التي تركها كاللباس الرسمي والطربوش والنظارات ومكتبته ومختلف أغراضه الخاصة وصوره عبر مراحل حكمه لتونس مع مختلف الشخصيات الدولية البارزة.

<sup>2</sup> الطاهر بلخوجة، الحبيب بورقيبة - مسيرة زعيم - شهادة على العصر، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، مصر، 1999، ص. 32-33.



"الحبيب بورقيبة حياتي، آرائي، جهادي"<sup>1</sup>، كما جمعت خطبه في عدة مؤلفات بلغت 31 جزء باللغتين العربية والفرنسية ضمنها كل تحركاته ولقاءاته ونشاطاته وآرائه حول القضايا التونسية والمغربية والعالمية. كما تم جمع كل مقالاته الصحفية ورسائله السياسيّة أو الشخصية في عدة كتب أبرزها:

- الحبيب بورقيبة: بين تونس وفرنسا كفاح مريم طيلة ربع قرن في سبيل التعاون<sup>2</sup>، حيث سجل فيه بورقيبة كل نشاطه السياسي، مبرزا دوره في بعث نشاط الحركة الوطنية.

- الحبيب بورقيبة: حياتي، أعماله، وقد قسمه إلى خمسة أجزاء وهي كالتالي:
  - ✓ الجزء الأول: الحبيب بورقيبة، حياتي، أعماله 1929-1933، تناول فيه سيرته الذاتية وتنشئته الثقافية والفكرية والأحداث التي عاصرها في تونس وكان لها تأثير كبير في حياته<sup>3</sup>.

- ✓ الجزء الثاني: ويغطي الفترة الممتدة بين 1934، 1938، وقد خصصه لنشاطه السياسي خلال هذه المرحلة انطلاقا من مؤتمر قصر هلال في 2 مارس 1934 إلى غاية حوادث 9 أبريل 1938، حيث ذكر فيه أهم اللقاءات والمؤتمرات التي عقدها الحزب الحر الدستوري الجديد والتي كانت منعرجا حاسما في تاريخ الحركة الوطنية وتونس عموما وبورقيبة خصوصا، لاسيما منها قضية الانقسام داخل الحزب الدستوري الحر وميلاد الحزب الدستوري الجديد<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> الحبيب بورقيبة، حياتي، آرائي، جهادي، المصدر السابق، ص. 04.

<sup>2</sup> الحبيب بورقيبة، بين تونس وفرنسا كفاح مريم طيلة ربع قرن في سبيل التعاون، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، 1957، ص. 13.

<sup>3</sup> Habib Bourguiba, *Ma Vie, Mon Œuvre 1929-1933*, TI, Ed, Plon, Paris, 1986.

<sup>4</sup> *Op-Cit*, T2.

✓ أما الجزء الثالث: فقد خصصه للفترة الممتدة ما بين سنتي 1938-1943 تطرق فيه إلى نتائج أحداث 09 أبريل 1938 على حزبه والشعب التونسي، وظروف وملابسات دخوله السجن، وتأثيرات الحرب العالمية الثانية على تونس ونضال الحركة الوطنية وبين موقفه من طرفي النزاع في الحرب العالمية الثانية<sup>1</sup>.

✓ الجزء الرابع: خصصه للفترة الممتدة ما بين سنتي 1951-1944 وضمنه نضاله بالقاهرة ونشاطه الدعائي للقضية التونسية بالدول الأوروبية التي كان يزورها لطلب دعم القضية التونسية، وقد حمل فيها بورقيبة مسؤولية الانسداد الذي حصل بين فرنسا وتونس إلى النظام الاستعماري التعسفي المطبق ضد الشعب التونسي الراض لهذه السياسة<sup>2</sup>.

✓ الجزء الخامس والأخير: فقد خصصه للفترة الممتدة ما بين سنتي 1952، 1956، ركز فيه على الثورة المسلحة التونسية مستعرضا دوره في مفاوضات الاستقلال الداخلي، والصعوبات التي واجهها من أجل إقناع قادة فرنسا للجلوس إلى طاولة المفاوضات، والاعتراف بحق الشعب التونسي في النهاية بالاستقلال التام<sup>3</sup>.

ولم يهمل الحبيب بورقيبة تاريخ الثورة الجزائرية فقد ضمنها في كتاب أسماه: "من أجل السلام في الجزائر" وقد نشر هذا الكتاب عام 1959، وتضمن نضال الشعب الجزائري وموقف بورقيبة الداعم له.

<sup>1</sup> Habib Bourguiba, Op-Cit, , T3,

<sup>2</sup> Ibid, T4.

<sup>3</sup> Habib Bourguiba, ma vie, mon œuvre 1952-1956, T5, Ed, Plon, Paris, 1986 .

## رابعاً: الإطاحة ببورقيبة، ووفاته

لقد أقدم الرئيس الحبيب بورقيبة على تعيين الجنرال زين العابدين بن بن علي<sup>1</sup> في 02 أكتوبر 1987 على رأس الحكومة التونسية مع احتفائه بحقيبة وزارة الداخلية فلم يمهل هذا الأخير رئيسه أكثر من أيام معدودة ليبادر إلى خلعه<sup>2</sup>، إذ فاجئه في صبيحة يوم 07 نوفمبر 1987، ببيان أعلن فيه عجز بورقيبة عن مواصلة أداء مهامه<sup>3</sup>، فأصدرت مجموعة من الأطباء بأمر من الوكيل العام للجمهورية تقريرا طبيا أكد حالة العجز التي أصبح عليها الرئيس بورقيبة، وبالتالي مرت رئاسة الجمهورية التونسية آليا إلى الوزير الأول حسب ما نص عليه الدستور (في المادة رقم 57)، ومن المؤكد أن "بن علي" نجح في ما فشل فيه غيره، بفعل جرأته، وشخصيته الصارمة، والدعم الدولي خاصة من طرف الولايات المتحدة الأمريكية، إضافة إلى الترحيب الشعبي<sup>4</sup>، من طرف بعض الأطياف الشعبية التونسية الذين نزلوا إلى الشوارع بالآلاف للتعبير عن فرحهم متوسمين الخير في التغيير عله ينقذ تونس من الأوضاع الصعبة خاصة في المجال الاقتصادي والاجتماعي<sup>5</sup>.

لقد تم نفي الرئيس المخلوع مبدئيا إلى مزرعة مرناق ثم تم حبسه في الفيلا المخصصة لسكن والي المنستير في مدخل المدينة (قصر سقانس) إلى آخر يوم في حياته، وقد أخضع لرقابة مشددة بأوامر من بن علي، ولم يكن يسمح له باستقبال رواده إلا بإذن منه، ورغم الشيخوخة والمرض ظل بورقيبة محافظا على شيء من الصفاء

<sup>1</sup> أحمد المستيري، شهادة التاريخ، ذكريات وتأملات وتعاليق حول فترة من التاريخ المعاصر لتونس والمغرب الكبير (1940-1990) وثورة 2010، دار الجنوب للنشر، تونس، 2011، ص. 291.

<sup>2</sup> كمال الشطي، بورقيبة في عقديه الأخيرين "مذكرات صحفي"، شركة البرق للنشر والتوزيع، تونس، 2017، ص. 115.

<sup>3</sup> حسونة مصباحي، المرجع السابق، ص. 136، 137.

<sup>4</sup> عرفان نظام الدين، ذكريات وأسرار 40 عاما في الإعلام والسياسة، دار الساق، بيروت، لبنان، 2008، ص. 511.

<sup>5</sup> الصافي سعيد، المصدر السابق، ص. 26.

الذهني، وعلى قدرة قراءة الأحداث قراءة صحيحة وموضوعية<sup>1</sup>، فقد ذكر الصحفي كمال الشطي بأن بورقيبة قد أخبر بعض مقربيه أثناء غزو العراق للكويت بهذه العبارة "حصل المنجل في القلة" أي أن صدام أوقع نفسه في فخ وسوف يصعب عليه الخلاص منه وقد أثبتت الأحداث صحة رؤيته<sup>2</sup>.

وبعد عزله لم يظهر "بورقيبة" إلا في (أفريل 1989) بمناسبة أول انتخابات رئاسية تونسية، حين أصر الرئيس المعزول على المشاركة قائلاً «أنا لي جبت بن علي»، حيث ظهر ممدا على أريكة غير قادر على الوقوف والحركة، وحتى الكلام. وقد تم تأويل هذه العبارة إلى عدة تأويلات، لكن لم يفهم القصد الحقيقي لها آنذاك، بمعنى هل أراد القول انه صاحب قرار تعيين بن علي ليخلفه في السلطة، أم أن - زين العابدين بن علي "انقلب ضده"<sup>3</sup>، وفي كلا الحالتين فالأمر سيان.

وقد تكفلت الدولة التونسية برعايته حتى وافته المنية يوم (06 أفريل 2000) بمسقط رأسه في مدينة المنستير، عن عمر ناهز 97 عاماً<sup>4</sup>، بعدما تدهورت صحته خلال الأسابيع الأخيرة من حياته، حيث تم نقله قبل أسبوعين من وفاته إلى المستشفى العسكري بتونس لتلقي العلاج، وفيه توفي وقد أعلن الحداد في تونس لمدة 07 أيام.

ويذكر "الباجي قايد السبسي"<sup>5</sup> في مذكراته بأنه تم نقل جثمان "الحبيب بورقيبة" من المنستير إلى تونس في العنبر المخصص للسلع في طائرة تحمل تسمية "07

<sup>1</sup> حسونة مصباحي، المرجع السابق، ص. 137، 138.

<sup>2</sup> لقاء مع كمال الشطي، المصدر السابق.

<sup>3</sup> مقابلة مع الصحفي كمال الشطي، المصدر السابق.

<sup>4</sup> الطيب بشير، "آخر أيام المجاهد الأكبر"، جريدة الإتحاد، العدد 508، نشر يوم 2011/10/13، الزيارة يوم،

على الرابط الإلكتروني. 2018/10/03 [www.alittihad.ae/details](http://www.alittihad.ae/details)

<sup>5</sup> من مواليد 1926 زاول تعليمه بالمعهد الصادقي، ثم درس الحقوق بجامعة السوربون بباريس، مناضل في صفوف صفوف الحزب الدستوري الجديد، اشتغل بالمحاماة، تقلد عدة مهام سامية في الدولة التونسية، كان آخرها رئاسة الدولة التونسية سنة 2014، توفي سنة 2018. أنظر: الباجي قايد السبسي، الحبيب بورقيبة المهم والأهم، دار الجنوب للنشر، تونس، 2011، ص. الغلاف الخارجي.

نوفمبر" لكي يسجى في غرفة بمقر التجمع الدستوري الديمقراطي، حيث توافد المناضلون لتوديعه الوداع الأخير، قبل أن يسلك النعش في اليوم الموالي طريق العودة إلى المنستير، حيث نظمت جنازة وطنية بتاريخ 08 أفريل 2000 بحضور شخصيات تونسية وقائمة قصيرة من رؤساء وممثلي الدول والحكومات الصديقة، أما الشعب التونسي فلم يتسن له في أغلبيته الساحقة حضور الجنازة أو متابعتها مباشرة على شاشة التلفزة الوطنية<sup>1</sup>، إذ رفض بن علي نقل موكب تشييع جثمان بورقيبة إلى مقبرة آل بورقيبة على شاشات القنوات التلفزيونية التونسية<sup>2</sup>.

لقد كان بورقيبة حريصا على ترتيب وضبط تفاصيل جنازته قبل وفاته بسنوات من خلال إقامة ضريح فخم، وقد قام مستشاره في الهندسة المعمارية بجولة في جميع أنحاء العالم لزيارة أشهر النصب التذكارية واستلهاهم أشكالها وزخارفها، وقد أعد "بورقيبة" تابوته منذ عام (1976)، خاصة بعد أن قضى "بورقيبة" ثلاثة أشهر في جنيف لتلقي العلاج، فقد طلب ثلاثة أشخاص ليعرض عليهم طريقة تنظيم جنازته. ومما طلبه: "فور الوفاة يترتب على ابني إحضار مجموعة من رؤساء الدول، وحتى يتسنى قدوم العدد الأكبر يجب تأجيل المأتم بيومين بعد الإعلان عن الوفاة ويجب على وجه الخصوص نقل الجثمان رويدا رويدا من قرطاج إلى المنستير، وإشراك كامل الشعب التونسي في الحداد..."<sup>3</sup>.

لقد كان "بورقيبة" من خلال هذه الطلبات متأثرا بسير جنازة و"ونستون تشرشل" و"دوايت إيزنهاور" فتركت تلك الأحداث أثارا في نفسه مما جعله يصبر ألا يقل مأتمه عظمة من هؤلاء، ولم يتوقف عند هذا الحد بل أوفد عام (1972) وزيره للخارجية إلى موسكو حاملا رسالة شخصية إلى "بريجنيف" طالبا منه إمداده بسر التحنيط وطرقه

<sup>1</sup> الباجي قايد السبسي، المصدر السابق، ص. 395، 396.

<sup>2</sup> حسونة مصباحي، المرجع السابق، ص. 138.

<sup>3</sup> مقابلة خاصة مع الصحفي، كمال الشطي، المصدر السابق.

وبالرغم أن "بورقيبة" لقد توفي بورقيبة وخرج من الحكم وهو لا يملك شيئاً من متاع الدنيا وهو أمر نادر في العالم الثالث<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> الطاهر بلخوجة، المصدر السابق، ص. 33.

## المبحث الثاني: التعريف بشخصية علال الفاسي.

نسلط الضوء في هذا المبحث على أحد الأقطاب والأعلام البارزين في تاريخ المغرب الأقصى ألا وهو علال الفاسي الذي ترك بصمات مسيرته النضالية في كل الميادين، من خلال تصديه لسلطة الحماية الفرنسية المفروضة على المغرب الأقصى منذ توقيع معاهدة فاس سنة 1912.

إن إيمانه الكبير بالدور الحاسم للفكر في العمل النضالي قد أكسب شخصيته طابعا مميزا، حيث مكنت كتاباته الكثيرة والهامة من إمطة اللثام عن جانب مهم من تاريخ الحركة الوطنية والكفاح التحرري المغربي، لذلك كان من الضروري إعطاء تعريف شامل عن هذه الشخصية، من خلال استعراض المراحل الكبرى في مساره، من المولد إلى النشأة مرورا بمختلف محطات تعليمه ونشاطاته المهنية. لأعرج بعدها على أعماله الثقافية والفكرية من شعر وتأليف ومشاركات فاعلة في الملتقيات والندوات والأعمال الصحفية، والتي ضمنها آراءه وأفكاره وقصائده الشعرية الحماسية اتجاه أحداث القرن 19م وبداية القرن العشرين التي تواكب فترة شبابه.

## أولا: مولده ونسبه:

في بيت عرف بالعلم والدين والجاه، من بيوت فاس<sup>1</sup> العاصمة العلمية للمغرب<sup>2</sup> ولد محمد بن علال بن عبد الواحد بن عبد السلام بن عبد الله بن المجدوب الفاسي في

<sup>1</sup> مدينة مغربية عريقة بدأ بناؤها سنة (192هـ-808م)، وقد قام الأدارسة بتأسيسها، وسبب التسمية هو أن أميرهم الإدريس بن الإدريس الحسن، وعندما شرع في بنائها اخذ بالفأس، يحفر ويصنع به ما يريد للبناء، فأقدم خدمه على صناعة فأس له من الذهب والفضة، فكثر عندهم ذكر الفأس، فسميت المدينة بذلك. وقد تم بناء عدوة الأندلس أولا ثم في السنة الموالية تم بناء عدوة القرويين التي أصبحت دار للملك وعاصمة منذ وصل المرينيين للحكم في القرن 13م. أنظر: أحمد بابانا العلوي، علال الفاسي رائد التنوير الفكري في المغرب "المفكر السلفي المجدد والزعيم السياسي"، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، 2010، ص. 26.

<sup>2</sup> عبد الحميد المرينسي، الحركة الوطنية المغربية من خلال شخصية علال الفاسي إلى أيام الاستقلال، مطبعة الرسالة، الرباط، المغرب، 1978، ص. 21.

جانفي 1910<sup>1</sup>، وقد أطلق اسم، "علال" عليه تيمنا باسم جد والده "علال بن عبد الله" الذي كان عالما ومؤلفا وتقيا ورعا، مما أهله لنيل تقدير الأعيان والوجهاء وهو صاحب التأليف الشهير إيقاظ "السكرارى المحميين بالنصارى"<sup>2</sup>.

ففي درب الهقار في زقاق العيون على ضفاف حي الاندلس<sup>3</sup>، ولد علال الفاسي وتربى في كنف والده العلامة الشيخ "عبد الواحد الفاسي"<sup>4</sup> المولود في سنة 1875، كان يشتغل بالتدريس في القرويين، كما عمل موظفا في المجلس العلمي بكلية القرويين<sup>5</sup>. وكان خطيبا بليغا ومفتيا بارعا، اشتغل أيضا بسلك القضاء بالدار البيضاء لكنه عزل من منصبه بسبب النشاط السياسي لنجله "علال" فرجع إلى فاس ولزم داره إلى أن توفي سنة 1941م<sup>6</sup> "وعلال" في المنفى<sup>7</sup>.

ويذكر "محمد العلمي" بأن: "والد "علال" كان يملك دورا عديدة في فاس وكان غنيا وله صداقة متينة مع رجال المخزن<sup>8</sup>، ورغم كثرة انشغالاته إلا أنه اعتنى بتربية ابنه علال عناية كبيرة واهتم بتعليمه وأشرف على ذلك بنفسه<sup>9</sup>. وأمه "للاه راضية" أرملة تاجر كبير بفاس اسمه "بناني" الذي خلف لها ثروة مهمة" وتتنمي إلى أسرة

<sup>1</sup> أحمد حماني، "علال الفاسي" المفكر المجتهد، مجلة الأصالة الجزائرية، السنة الرابعة، العدد 20، ماي-جوان 1974، ص. 158.

<sup>2</sup> أنظر: عبد القادر الإدريسي، علال الفاسي قمة من المغرب، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة، القاهرة، 2015م، ص. 533.

<sup>3</sup> محمد العلمي، علال الفاسي رائد الحركة الوطنية، مطبعة الرسالة، الرباط، المغرب، 1980، ص. 12.

<sup>4</sup> محمد عبد الحفيظ كنون، النضال في شعر علال الفاسي، مطبعة اسبارطيل، طنجة، المغرب، 2005، ص. 24.

<sup>5</sup> عبد الكريم غلاب، ملامح من شخصية علال الفاسي، مطبعة الرسالة، الرباط، المغرب، 1974، ص. 200.

<sup>6</sup> محمد حجي، معلمة المغرب، مطابع سلا، الرباط، المغرب، 2004، ص. 113.

<sup>7</sup> عبد الكريم غلاب، المصدر السابق، ص. 200.

<sup>8</sup> محمد العلمي، المصدر السابق، ص. 28.

<sup>9</sup> أبو عمران الشيخ وآخرون، معجم مشاهير المغاربة، منشورات حلب، سوريا، ص. 369.



المسفر الشريف، فقد كان هذا الزواج بمثابة تحالف بين أسرتي "الفاسي" و"المسفر" توفيت سنة 1917م و"علال" لم يتجاوز السابعة من عمره<sup>1</sup>.

ينحدر مترجمنا من أسرة آل الجد الفهريين العريقة<sup>2</sup> الذين هاجروا من الأندلس إلى المغرب، سنة 800هـ ثم انتقلوا من مالقة إلى مدينة فاس وأسهموا طوال هذا التاريخ في العطاء العلمي والوطني<sup>3</sup>، وسكن بعض أفرادها مدينة القصر الكبير شمال المغرب، بسبب التجارة والمصاهرة وهناك عرفت بعائلة "الفاسي" أو "الفاسي الفهري"، وقد أورد صاحب (سلوة الأنفاس) ترجمة آل الجد الفهري وحقيقة تسمية "الفاسي" وإليها ينتمي عدد كبير من الشخصيات المغربية قديما وحديثا، منهم علماء وسياسيون ووزراء وقضاة... وإلى هذه الأسرة تنتمي "فاطمة الفهرية" مؤسسة جامع القرويين<sup>4</sup> بفاس<sup>5</sup>.

وتعتبر عائلة "الفاسي" من الأسر المعروفة بجهادها في سبيل الله وشغفها بالعلم ومن الأسر الشريفية<sup>6</sup>، إذ يقول "جاك بريك" عن الأسرة الفاسية: "إن الفاسيين يعدون من سلالة الفاتح العربي "عقبة بن نافع" وبعد كثير من التحولات والتغييرات المختلفة سواء في الأندلس أو في شمال إفريقيا، أقاموا بشكل رئيسي في فاس أبرزهم "الشيخ أبو المحاسن يوسف الفاسي" الذي توفي سنة 1604، وهو عالم وصوفي ذا شأن<sup>7</sup>، ومنذ

<sup>1</sup> أسيم القرقر، علال الفاسي وإستراتيجية مقاومة الاستعمار، منشورات إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2010 ص. 16.

<sup>2</sup> أحمد الريسوني، علال الفاسي عالما ومفكرا، ط. 2، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2014، ص. 22.

<sup>3</sup> أحمد بابانا العلوي، المصدر السابق، ص. 02.

<sup>4</sup> أهم وأقدم مركز علمي وديني في المغرب الإسلامي، شيدت في القرن 03 هجري في العهد الإدريسي، وكانت السيدة فاطمة الفهرية هي من تكفل بمصاريف بناء الجامع وقد توسع حجم الجامع عبر القرون وشهد أهم توسعة في عهد المرابطين، بحيث زاد امتداده في كل الاتجاهات اختص الجامع بالتعليم العالي في فاس وقد تحقق ذلك في عهد دولة السعديين أما نظام التدريس فهو تلقين العلوم الإسلامية. أنظر: نفسه، ص. 45، 46.

<sup>5</sup> أحمد الريسوني، المرجع السابق، ص. 22، 23.

<sup>6</sup> أحمد حماني، المرجع السابق، ص. 159.

<sup>7</sup> أحمد بابانا العلوي، المصدر السابق، ص. 24.

ذلك الحين ظلت هذه العائلة تشغل أعلى مناصب الأستاذية في المدينة، ولم يكن من باب الصدفة أن يجد الجيل الجديد للبرجوازية الفاسية في سليل هذه العائلة رمزا لمناهضة الحماية والجيل المغربي السابق والأحوال المتدهورة للمسلمين<sup>1</sup>. كما أورد "أسيم القرقرى" نقلا عن بعض الروايات أن نسب "علال الفاسي" يعود إلى قبيلة قريش<sup>2</sup>.

فأسرة "علال الفاسي" قد أخرجت الكثير من العلماء الذين كان لهم تأثير في الدولة المغربية، نذكر منهم، "عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي" الذي كان يطلق عليه لقب "سيوطي زمانه" نسبة إلى "السيوطي"، وكان لأسرته إسهامات سياسية، من ذلك إسهامهم في صياغة مشروع دستور كان قد رفع للملك. كما كتب "شكيب أرسلان"<sup>3</sup> حول أسرة "الفاسي": "وفي فاس أندلسيون كثيرون أشهرهم آل الفاسي، وهم من بني الجد الفهريين الذين كانوا في قرطبة، ثم في اشبيلية ثم في مالقة إلى أن ارتحلوا إلى فاس، عندما لم يبق دار للإسلام بالأندلس، وفي كل من العدوتين حفظت هذه الأسرة مجدها وثرواتها ورئاستها، ومنهم الشاب الناهض السيد علال الفاسي،

<sup>1</sup> محمد العلمي، المصدر السابق، ص. 12.

<sup>2</sup> أورد "أسيم القرقرى" نقلا عن بعض الروايات حول نسب عائلة علال الفاسي أنها ترجع إلى قبيلة قريش وأجدادهم هم بنو عدي وكعب وغالب وفهر، يلتقون مع سيدنا "محمد" صلى الله عليه وسلم، في جده كعب بن مناف وهم أيضا من سلالة أصحاب المصطفى، وكذلك حسب وثيقة المولى سليمان حول النسب الشريف لأسرة الفاسي آل الجد والتي نشرها محمد العابد بن عبد الله الفاسي سنة 1927، والتي طعن في مصدقتهما عبد الكريم الفيلاي في كتابه "التاريخ المفترى عليه في المغرب" والذي هاجم فيه آل الفاسي عموما وعلال خصوصا وأنها وثيقة مكنوبة منسوبة للسلطان مولاي سليمان. أنظر: أسيم القرقرى، المرجع السابق، ص. 13، 15.

<sup>3</sup> كاتب وأديب ومفكر وشاعر وسياسي عربي لبناني، ولد في 25 ديسمبر 1869 بقرية الشويفات قرب بيروت، لقب بأمير البيان لغزارة انتاجه الفكري، كان كثير الترحال بين العديد من البلدان، فقام برحلاته المشهورة من لوزان بسويسرا إلى نابولي بإيطاليا، إلى بور سعيد بمصر وصولا إلى جدة ثم مكة المكرمة. من أشهر مؤلفاته، "الحلل السندسية" و"لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم"، كان من دعاة الوحدة الإسلامية، "توفي في 9 ديسمبر 1946. أنظر: أحمد الشرباصي، أمير البيان شكيب أرسلان، الجزء 1، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، 1963، ص.

والشباب الفاضل محمد الفاسي وفقه الله<sup>1</sup>. ونورد هنا ما ذكره "علال الفاسي حول أصله إذ يقول: "أنني واحد من إحدى الأسر التي عاشت في الأندلس المسلمة سبعة قرون وهاجرنا منها حينما تغلبت النصرانية علينا ومنعت أسلافنا من إعلان ديانتهم وإقامة شعائرهم"<sup>2</sup>.

بعد عرضنا لهذه الآراء يمكننا أن نخلص إلى الاعتقاد بأن أصول "علال الفاسي" تتحدر من الأندلس، ثم نزح جده وأهله إلى المغرب الأقصى وبالضبط إلى مدينة فاس وذلك بعد سقوط الأندلس، فرارا من الاضطهاد الذي مارسه النصارى ضد المسلمين باسم حروب الاسترداد، فوجدوا في المغرب الأمن لدينهم وعقيدتهم.

وبغض النظر عن انتماء عائلة "الفاسي" للنسب الشريف للرسول "محمد" صلى الله عليه وسلم أو عدمه، فإنها تتمتع بقدر وفير من العلم والمعرفة والنفوذ، وتعد من أشرف فاس، كما أنها عائلة برجوازية على عكس عائلة "بورقيبة" التي كانت تعيش أوضاعا مزرية بسبب الفقر والحاجة<sup>3</sup>، ولكن الصفة المشتركة بين العائلتين أن أصولهما لم تكن محلية، أي لا تونسية بالنسبة "لبورقيبة" ولا مغربية بالنسبة "لعلال".

### ثانيا: نشأته:

فن من العلوم والمعارف الإنسانية<sup>4</sup>، حيث تربى وترعرع في حجر والده العالم الفقيه القاضي المدرس، إذ لم يمنعه صغر سنه من حضور اجتماعات والده مع زملائه فحضر قرار إنشاء الزاوية الناصرية الحرة لتربية الناشئة، وتهيأ للنضال الواعي ضد الاستعمار. ولقد استمر "علال" يتلقى فيها مع الشباب مبادئ الفقه والتوحيد والنحو والأدب حتى بلغ الحادية عشر من عمره، حيث كان شابا وسيم الطلعة يتنبأ له

<sup>1</sup> محمد الصالح الصديق، أعلام من المغرب العربي، الجزء 2، ط. 2، موفم للنشر، الجزائر، 2008، ص. 207.

<sup>2</sup> علال الفاسي، دفاع عن الشريعة، دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر، 2010، ص. 18.

<sup>3</sup> محمد العلمي، المصدر السابق، ص. 32.

<sup>4</sup> أحمد بابانا العلوي، المصدر السابق، ص. 24.

الكثيرون بالشخصية الفذة ذات الهمة العالية والسلوك الحسن<sup>1</sup>. وقد قدم الكاتب "عبد الكريم غلاب" وصفا لعلال بأنه "ذو عينين زرقاوتين يتقدان ذكاء وعزيمة، ينبئان عن قوة هائلة لا تتلاءم تماما مع جسمه النحيل، وكان إذا حدثك ركزهما في عينيك لشدة إيمانه بما يوجه إليك من حديث"<sup>2</sup>.

أما إذا تطرقنا إلى أهم الأحداث التي واكبت فترة طفولته، وبداية شبابه، وكان لها بالغ الأثر على توجيهه وتكوين شخصيته السياسية والفكرية والدينية، نجد في سنة 1912 أي بعد ميلاد علال بسنتين، انتصاب الحماية الفرنسية والاسبانية على المغرب<sup>3</sup>، وبعدها في سنة 1914 اندلعت الحرب العالمية الأولى (1914-1918) والتي استأثرت باهتمام الجميع، وما كادت تنتهي حتى هب المغاربة يعدون العدة للكفاح المسلح لاسترجاع السيادة والاستقلال، بزعامة بطل الريف المغربي "محمد بن عبد الكريم الخطابي". هذه الأحداث التي عاصرت المرحلة الأولى من حياة "علال الفاسي"، غيرت نظرتة إلى الحياة، وفنقت ذهنه وعبقريته وحبه للوطن<sup>4</sup>.

"فعلال" الشاب كان على موعد مع هذه الأحداث الجسام، التي أصابت وطنه وأصابت العالم العربي، وكانت السبب المباشر في تغليب روح التضحية لديه، على النفس، وحب الذات، مما جعله يندفع راضيا لتحمل المصائب والشدائد من أجل تحرير وطنه من أيدي المستعمرين، منذ السنوات الأولى من حياته. فحين فتح عينيه وجد وطنه يرزخ تحت قيود الاستعمار وأتمه تعيش في ظل التقاليد البالية والأعراف الفاسدة<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> Mohamed El Alami, Allal EL Fassi, Patriarcege du Nationalisme Marocain, Dar El Kitab, Casablanca, Maroc, P.35.

<sup>2</sup> عبد الكريم غلاب، المصدر السابق، ص. 23.

<sup>3</sup> فادية عبد العزيز القطعاني، المرجع السابق، ص. 33.

<sup>4</sup> عبد الكريم غلاب، المصدر السابق، ص. 24.

<sup>5</sup> محمد عبد الحفيظ كنون، المرجع السابق، ص. 14.

التحق "علال" بالكتاب القرآني في الخامسة من عمره<sup>1</sup>، كأغلب أبناء المغاربة في هذه الفترة التي غلب عليها التعليم الديني والتقليدي<sup>2</sup>، حفظ القرآن كاملا، مع بعض النصوص والأشعار في السابعة من عمره، على يد الفقيه محمد الخميسي ومحمد العلمي<sup>3</sup>، حيث كان الأول يعلمه الكتابة بالخط العربي، أما الفقيه الثاني فكان يتولى تحفيظه القرآن الكريم، فالبيئة التي نشأ فيها بيئة علمية وأخلاقية، لأنّ التربية والعلم هما نواة المجتمع الراقي المتحضر، وكل هذه الظروف والشروط قد توفرت لدى "محمد علال الفاسي" حسب المراجع المعتمد عليها، فالقرآن الكريم حسب ابن خلدون "يجب أن يسبق كل شيء في قلوب التلاميذ، ليرسخ في نفوسهم الإيمان، وحب الدين والعقيدة الإسلامية، وحتى يكون الطفل الصغير ملماً ولو بالقدر القليل بأمر اللغة العربية"<sup>4</sup>. وتتحدث المصادر بأنّ "علال" تأثر بالغ الأثر لوفاة أمه وهو صبي لم يتجاوز السابعة من عمره، لكن الرعاية التي أحاطته بها زوجة أبيه "عائشة المرنيسي" خفت عنه هول المصاب<sup>5</sup>. وكان يناديها "امي عائشة" ويكنّ لها حبا كبيرا<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> بلقاضي هشام، معجم علماء الدين والاصلاح في ليبيا، تونس، المغرب، (د. د. ن)، تلمسان، الجزائر، 2011، ص. 236.

<sup>2</sup> بالعباس فتيحة، الشعر الوطني عند علال الفاسي، مطبعة الأمنية، الرباط، المغرب، 2011، ص. 34.

<sup>3</sup> محمد امديجار، علال الفاسي (1910-1974)، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، موسوعة الحركة الوطنية والمقاومة وجيش التحرير بالمغرب الجزء 2، أعلام الحركة الوطنية، المجلد 5، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، 2005، ص. 732.

<sup>4</sup> عبد العزيز محمد عادل، التربية الإسلامية في الغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1986، ص. 12.

<sup>5</sup> أحمد الأزمي، "تضال الفقيه علال الفاسي"، مجلة دعوة الحق، العدد 380، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، 2004، ص. 37.

<sup>6</sup> أسيم القرقر، المرجع السابق، ص. 16.

ثالثا: المسار الدراسي والمهني والثقافي:

### 1/ المسار الدراسي:

كانت عائلة "الفاسي" كغيرها من العائلات العربية الإسلامية حريصة على توجيه أبنائها لتعلم القرآن الكريم منذ الصغر، وقد كان "علال" من بين هؤلاء الأبناء الذين تمتعوا بعناية كبيرة من طرف أسرهم لتعلم القرآن الكريم وعلى يد خيرة المشايخ في تلك الفترة، كما ذكرنا ذلك سلفا، وبعد الانتهاء من مرحلة الكتاب ألحقه والده بإحدى المدارس الابتدائية وهي المدرسة الناصرية الحرة لتربية الناشئة بحي القلقلين بفاس، وفيها تعلم مبادئ الفقه والتوحيد والنحو والأدب والعروض.

لقد أظهر علال منذ الصغر تمسكه بتقاليد بلاده دون التخلي عن مواكبة الوضع القائم في المغرب، فكان رفقة زملائه في الصف يرتدون الزي التقليدي القومي كما كان يرتدي الكسوة الأوربية من حين لآخر، وكان هؤلاء الشباب متعطشين للعلم ومتشبعين بالوطنية<sup>1</sup>.

لقد اتصف علال ورفاقه في المدرسة بالانضباط والالتزام، ومحدودية مجال اللعب واللهو، وذلك بسبب الرعاية المستمرة لأولياءهم<sup>2</sup>، وقد قدم أحد الكتاب وصفا لعلال فقال: "...وكان أيضا شاب نحيف الجسم، على سمة من الوقار، لاضحك ولا ابتسام ولا نزق في تصرف ولا طيش في حركة"<sup>3</sup>، وكان الكثيرون يتنبؤون له

<sup>1</sup> نذكر منهم: عبد العزيز إدريس، والهاشمي الفيلاي، ومحمد الفاسي، وعبد العزيز بن عبد الله. أنظر: أحمد الريسوني، المرجع السابق، ص. 23، 25.

<sup>2</sup> محمد السلوي أبو عزام، أسرار وحقائق عن علال الفاسي، دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء، المغرب، 1981، ص. 110.

<sup>3</sup> محمد بن تاويت، "علال الفاسي طالبا، معلما، زعيما"، مجلة دعوة الحق، العدد 229، الرباط، 1983، ص. 32.

بالشخصية المميزة والمستقبل الواعد، وكان أساتذته يحترمون فيه علو هامته، فلم يكن يتغيب عن الدرس، وكان يحفظ دروسه جميعا، ويطالع كثيرا من الكتب العربية<sup>1</sup>. بعد نجاح علال في المرحلة الابتدائية دخل كلية القرويين وهو في الرابعة عشرة من عمره<sup>2</sup>، حيث تابع بها دراسته العليا<sup>3</sup>، وقد كانت هي المنبع الذي استقى منه اغلب زعماء الحركة الوطنية حسهم السياسي والقومي ودفعت بهم إلى المساهمة في استقلال البلاد<sup>4</sup>، فظهر نبوغه ومؤهلاته العلمية بسبب شغفه بالقراءة والمطالعة خاصة وان الكلية آنذاك كانت عامرة بالآثار العلمية النادرة والكتب النفيسة، وقد تتلمذ على يد نخبة من العلماء والمشايخ<sup>5</sup>.

لقد أورد "أحمد الريسوني" أن "علال" قال في كتابه "أبو بكر بن العربي في أحكام القرآن" الذي كتبه في منفاه في الغابون: "وقد سبق لي أنا وثلاثة من زملائي أثناء دراستنا العالية بالقرويين ان طلبنا من شيخنا المرحوم "أبي العباس أحمد البلغيتي" قراءة أحكام القرآن معنا، ولكن سرعان ما قضى الله بوفاة الشيخ ونحن لم نتم ثلاثة أحزاب... وكنت أنا السارد"<sup>6</sup>. وسرعان ما تفتحت قريحته، مما جعله أنبغ طلبة القرويين وأبرز خريجها، فظهر نبوغه في الشعر وهو لم يتجاوز الخامسة عشر من عمره، بنظمه لقصيدة عصماء يقول في مطلعها:

بعد مرور الخمس عشرة ألب  
ولي نظر عال ونفس أبيه  
والهو بلذات الحياة وأطرب  
مقاما على هام المجرة تطلب

<sup>1</sup> محمد العلمي، المصدر السابق، ص. 34.

<sup>2</sup> أنظر الملحق رقم 03، صورة الطالب علال الفاسي في جامعة القرويين، ص. 396.

<sup>3</sup> أسيم القرقرقي، المرجع السابق، ص. 17.

<sup>4</sup> عبد الحميد المرنسي، المصدر السابق، ص. 22.

<sup>5</sup> نذكر منهم: الفقيه محمد بن العربي العلوي، والقاضي عبد الله الفضيلي، والفقيه الرياني احمد العمراني، والفقيه الشيخ أبي شعيب الدكالي، والفقيه محمد بن عبد الرحمان العراقي، الفقيه المحدث محمد بن الحاج السلمي... وغيرهم. أنظر: أحمد الريسوني، المرجع السابق، ص. 23، 24.

<sup>6</sup> نفسه، ص. 24.

تضيع إذا لاعت دهرى وتذهب

وعندي أمال أريد بلوغها

إلى أن قال في آخرها:

كما عرفوني اليوم إذ قمت أخطب

سيعرفني قومي إذا جد جدهم

وما الفذ إلا من يقول فيعرب<sup>1</sup>

فما الفذ إلا من يصارح قومه

ومما يؤكد هذا النبوغ النادر "علال الفاسي"، أنه بدأ التأليف في هذه السن المبكرة، ففي سنة 1925 ألف كتيبا نقديا سماه "وادي الجواهر ومجموع المكنون من الذخائر"، ووصف مضمونه بقوله: "وهو عبارة عن شذرات شعرية مختارة من أقلام خيرة شعراء فاس، تمثل فصاحة العرب في القرن الرابع عشر"<sup>2</sup>. كما كان ينظم الأناشيد التي كانت تنشد في المناسبات الدينية والوطنية، فلقب "بشاعر الشباب"<sup>3</sup>، وأصبح اسمه يذكر إلى جانب شعراء أكبر سنا منه بكثير "كعبد الله الفاسي" و"محمد بوعشرين" وغيرهم<sup>4</sup>، ففرض نبوغه على كبراء الشعراء والأدباء وهو دون العشرين<sup>5</sup>. لذلك أصبح الشاب علال معروف لدى النخبة المغربية كشاعر وناشط سياسي وهو طالب لم ينه دراسته بعد، فأصبح منافسا لمحمد الوزاني<sup>6</sup>.

كما شهدت حلقات دروسه اقبالا لم تعرفه دروس الأساتذة الكبار، وكان شعره في المقام الأول شعر جهاد ونضال، يحظ على النهوض والرقى والتحرر والتضحية، فهو القائل<sup>7</sup>:

حر وما يرضاه رب ذكاء

إن الجهاد اجل ما يختاره

<sup>1</sup> علال الفاسي، ديوان علال الفاسي، ط. 2، الجزء 1، دار البوكيلي للطباعة والنشر، المغرب، 1998، ص. 25.

<sup>2</sup> أحمد الريسوني، المرجع السابق، ص. 25.

<sup>3</sup> محمد عبد الحفيظ كنون، المرجع السابق، ص. 28.

<sup>4</sup> أسيم القرقرى، المرجع السابق، ص. 18.

<sup>5</sup> محمد العلمي، المصدر السابق، ص. 44.

<sup>6</sup> Mohamed El Alami, Allal EL Fassi, Op-Cit , P.50.

<sup>7</sup> أحمد بابانا العلوي، المصدر السابق، ص. 47، 48.



ما زال مغربنا معبدا

لتحالف الدخلاء والعملاء

عقب ازدهار الحركة السلفية<sup>1</sup> في المغرب فيما بين 1926-1927 برز "علال الفاسي" كامتداد نظري "لأبي شعيب الدكالي"<sup>2</sup> و"محمد العربي العلوي"<sup>3</sup>، ومن ثمة رأى بضرورة الإصلاح الديني في المغرب بدرجة أولى ثم في العالم الإسلامي في مرحلة ثانية، لما للإصلاح الديني من دور في النضال السياسي<sup>4</sup>. يقول علال الفاسي "ومن الحق أن نؤكد أن امتزاج الدعوة السلفية بالدعوة الوطنية كان ذا فائدة مزدوجة في

<sup>1</sup> وهي حركة تمتد في أصولها الى الحركة الوهابية التي نشأت في الحجاز في أواخر القرن 18 وبدايات القرن 19، وهي تدعو الى تطهير الدين من الخرافات التي ألصقت به والعودة به الى السلف الصالح روح السنة المطهرة، بغرض تربية الشخصية الإسلامية على المبادئ التي جاء بها الدين الإسلامي. ويعرفها علال بأنها الرجوع بالدين الى أصلها الأصيل، ومصدره النقي، لتزج عنه كل ما ألصقته الأجيال به من آثار الجمود والجود، وما غطت به حقائقها الناصعة تأويلات المبطلين، وتحريفات الجاهلين. أنظر: علال الفاسي، حديث المغرب في المشرق، تحقيق، مختار باقة، ط. 2، منشورات مؤسسة علال الفاسي، الرباط، المغرب، 2012، ص. 13. وأنظر أيضا: علال الفاسي، الحركات الاستقلالية...، المصدر السابق، ص. 156.

<sup>2</sup> ولد أبو شعيب عبد الرحمن بن عبد العزيز الدكالي الصديقي عام 1878 بالمغرب، دخل الكتاب في سن مبكرة واستطاع حفظ القرآن كاملا وهو صبي، مما زاد في نبوغه وتفقه في العلم والدين، تميز بقدرة قياسية في الحفظ، حيث نجح في حفظ الفية مالك في عشرة أيام، سافر الى فاس ثم الريف المغربي لاتمام دراسته في الحديث والفقه، ثم سافر إلى مصر سنة 1894، حيث نهل من الأزهر الشريف لمدة ست سنوات، ثم سافر إلى مكة المكرمة فكان مدرسا وخطيبا في الحرم المكي، ثم عاد إلى المغرب سنة 1910، وأسند اليه منصب القضاء بمدينة مراكش، ثم عين وزيرا للعدلية والمعارف، وفي الأخير تفرغ للتدريس والدعوة والإصلاح إلى غاية وفاته سنة 1937، وقد تتلمذ على يديه قادة الحركة الوطنية المغربية، أمثال علال الفاسي، وأحمد بلافريج، وعبد الله كنون... وغيرهم. أنظر: محمد عز الدين المعيار الإدريسي، نظم الدرر واللال في ترجمة أبي شعيب الدكالي، مجلة دعوة الحق، العدد. 294، بتاريخ 2 نوفمبر 1992، المغرب، ص. 142-144.

<sup>3</sup> هو الشريف المصلح أبو مصطفى محمد ابن العربي، ولد سنة 1887 بالقصر الجديد، بالمغرب، حفظ القرآن الكريم كاملا في سن مبكرة، أرسله والده الى فاس سنة 1898، حيث جامعة القرويين فنهل من علمائها الشيء الكثير من العلوم وأمور الدين، تتلمذ على يد العديد من الأساتذة أبرزهم أبي شعيب الدكالي، اشتغل بالتدريس في القرويين، كما اشتغل قاضيا بفاس ثم رئيسا لمجلس الاستئناف الشرعي الأعلى، ثم وزيرا للعدل، قام بدور هام أثناء فترة الحماية للدفاع عن بني وطنه، توفي سنة 1964، أنظر: أسامة شحادة، شيخ الإسلام محمد العربي العلوي، مجلة البيان، 2004، المغرب، ص. 66. وأنظر أيضا: حماد بن أحمد القباح، حياة شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي العالم المفكر، والمصلح المناضل (1301/1384)(1887/1964)، (د. د. ن)، الدار البيضاء، المغرب، 2014، ص. 7، 8.

<sup>4</sup> عبد القادر الشاوي، السلفية والوطنية، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1985، ص. 180.

المغرب الأقصى وعلى الوطنية معاً، ومن الحق أن نؤكد أن الأسلوب الذي اتبع في المغرب أدى إلى نجاح السلفية لدرجة لم تحصل عليها حتى في بلاد محمد عبده وجمال الدين الأفغاني<sup>1</sup>، ولعل الميزة الأهم في سلفية علال أنها كانت سلفية وطنية عقلية أي لا تلغي العقل وتحبذ الاجتهاد<sup>2</sup>.

أما بوادر نشاطه السياسي فقد ظهرت من خلال تتبعه لأخبار جهاد أبطال الريف، فكان يدعو في الأوساط الشعبية لمحمد بن عبد الكريم الخطابي ويعرف بنضاله المستميت، وينشط في تحرير المناشير مع بعض الرفاق في الكلية ثم يتم توزيعها على السكان، وقد لعب دورا بارزا في تكذيب الإشاعات التي كانت تروجها وسائل الاعلام المختلفة للسلطات الاسبانية والفرنسية، مدعية أن الخطابي كان يخطط للاستلاء على الحكم أي يسعى للإطاحة بالملك المغربي.

ويوضح "علال" المسألة بقوله: "وكان غرض الاستعماريين في هذه الدعاية أن يقنعوا المرحوم "مولاي يوسف" والمخزن بسوء نية "عبد الكريم" ليبرروا تدخلهم المسلح ضده، وقد أفسدنا على الفرنسيين خطتهم هذه، حيث كتبنا رسالة دورية نسبناها للبطل الريفى... في نسخ عديدة، وأرقنا عليها شيئا من الزيت لتظهر وكأنها واردة من الجبليين القادمين لبيع زيوتهم... ثم وزعناها على العلماء والمسؤولين في المغرب، وكان فحواها شكر البطل لأعيان الأمة على تأييدهم له، وتمنيه أن ينصره الله ليحتفل معهم بجلاء الأجنبي في ضريح "مولاي إدريس"، وفي ظل ملك البلاد، وهكذا أفسدنا على المستعمر دعايته المغرضة دون أن يكتشف أحد مصدر هذه الرسالة..."<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> علال الفاسي، الحركات الاستقلالية...، المصدر السابق، ص. 101.

<sup>2</sup> عبد الكريم غلاب، المصدر السابق، ص. 129.

<sup>3</sup> أسيم القرقرى، المرجع السابق، ص. 17.

لقد سطع نجم علال الفاسي وظهرت شخصيته الكاريزمية القيادية، التي شددت إليه الأنظار<sup>1</sup>، مما أهله لترأس جمعية سرية لطلبة القرويين سنة 1926<sup>2</sup>. وقد دعت هذه الجمعية إلى مقاطعة كل ما هو أجنبي من بضائع الشاي والدخان وملابس وغيرها وخصوصا منها الفرنسية، وذلك ردا على احتكار السلطات الاستعمارية الفرنسية لاستغلال مياه مدينة فاس لصالح المعمرين على حساب أصحاب الأرض<sup>3</sup>. وكان "علال الفاسي" أول المقاطعين.

لكن السلطات الفرنسية استطاعت اكتشاف نشاط هذه الجمعية فقامت باعتقال زعمائها وعلى رأسهم "علال" وهو لا يزال طالبا، وقد أفرج عنهم بعد شهر، ويذكر "محمد العلمي" أن "علال" اعتقل لأول مرة سنة 1930، بعد صدور الظهير البربري في 16 ماي 1930، وذلك عند خروجه في مظاهرات شعبية منددة بالظهير، ثم اعتقل مرة أخرى في شهر سبتمبر من نفس السنة ووضع رهن الحراسة في قرية بالأطلس المتوسط<sup>4</sup>.

ولم يقتصر نشاط "علال" عند هذا الحد بل استمر في نشر هدفه الأسمى والمتمثل في بث الروح الوطنية من خلال دروسه التي كان يلقيها بالمساجد بما فيها جامع القرويين<sup>5</sup>، عن السيرة النبوية وحياة الخلفاء الراشدين وهو موضوع سياسي ديني واسع وله وقع في نفوس المغاربة، فكان كثيرا ما يختم هذه المحاضرات بعبارات تلهب

<sup>1</sup> أحمد بابانا العلوي، المصدر السابق، ص. 47.

<sup>2</sup> ذكر الأستاذ المختار السوسي قائلا: "واخترناه رئيسا لجماعتنا السرية الأولى في القرويين مع أنه كان أصغرنا سنا لما كان يتمتع به من نكاه وقدرة على الفهم والتعبير والاستيعاب وتقدير بين جميع زملائه". أنظر: عبد الكريم غلاب، المصدر السابق، ص. 15.

<sup>3</sup> أحمد صلاح زكي، أعلام النهضة العربية في العصر الحديث، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2001، ص. 215.

<sup>4</sup> محمد العلمي، مصدر سابق، ص. 52.

<sup>5</sup> أحمد الريسوني، المرجع السابق، ص. 24.

الحماس وتوقظ الضمائر<sup>1</sup> على غرار قوله: "أوردنا اليوم هذه القصة لتكون عبرة للشباب الإسلامي في كل بقاع المعمورة، وليستلهم منها جميع المرين"<sup>2</sup>. وقد عملت سلطة الحماية على منعه من إعطاء الدروس عن طريق مجلس القرويين، وفي هذا الصدد ذكر "علال" قائلاً: "أما الإدارة فقد رأت في هذه الدروس مظاهرات سياسية يومية لا يمكن أن يسمح ببقائها، وحاولت منعها مرارا ولكنها كانت تجد صعوبة من وجهة شكلها الديني، فأخذت تحاول اتخاذ التدابير لمنعها باسم جلالة الملك... ولم يقبل جلالة الملك أن يصدر أي منع لي من إلقاء هذه الدروس"<sup>3</sup>.

عندما بلغ سن العشرين وقبل أن ينهي دراسته قرر الزواج، فاقترن بابنة عمه "للا الزهراء" بنت "سيدي المهدي بن يوسف" القاضي الشرعي بمدينة "مولاي إدريس زرهون"<sup>4</sup>، وقد رزق من هذا الزواج ببنتان وولدان<sup>5</sup> وهو بذلك شابه الحبيب بورقيبة عندما تزوج "ماتيلدا" وهو لا يزال طالبا، وعندما بلغ "علال" سن الرابعة والعشرون نجح في الامتحان النهائي المؤهل للأستاذية، لكن بأمر من الإقامة العامة الفرنسية استدعاه المجلس العلمي سنة 1932 مع زميلين له هما: "عبد العزيز بن إدريس" و"إبراهيم الكتاني" وأبلغهم بأن صفة عالم لن تمنح لهم إلا بعد أن يوقعوا التزام اشتراطته الإدارة الاستعمارية بتاريخ 14 سبتمبر 1932 هذا نصه<sup>6</sup>: "أعلن أسفي على موقف الاحتجاج الذي صدر مني ضد الظهير البربري، وأتعهد بتنفيذ جميع أوامر الحكومة وبن أمثلي دائما لها<sup>7</sup> لكن الطلبة الثلاثة رفضوا التوقيع وبذلك فقدوا صفة "عالم" وقد ظل الطلاب الثلاثة محرومين من شهادتهم العلمية حتى سنة 1956 حيث قرّر

<sup>1</sup> Mohamed El Alami, *Op-Cit*, P.50.

<sup>2</sup> Gaudio Attilio, *Allal El-Fassi Ou L'histoire De L'istiglal*, (Ed, Alain Maroceau, Paris, 1972, P. 25.

<sup>3</sup> علال الفاسي، الحركات الاستقلالية...، المصدر السابق، ص. 178.

<sup>4</sup> أسيم القرقر، المرجع السابق، ص. 18.

<sup>5</sup> محمد العلمي، المصدر السابق، ص. 103.

<sup>6</sup> محمد امديجار، علال الفاسي (1910-1974)، المصدر السابق، ص. 729.

<sup>7</sup> محمد العلمي، المصدر السابق، ص. 56، 57.

السلطان محمد الخامس<sup>1</sup> منح شهادة العالمية لهم. ولم يكن لقرار الإدارة بحرمان "علال" من شهادته الجامعية أثر يذكر على حلقات دروسه في القرويين، بل كانت تكتظ بالحاضرين<sup>2</sup>.

## 2/ المسار المهني:

رغم حرمان "علال" من الشهادة العالمية إلا أنه استمر في إلقاء الدروس مجاناً في القرويين وتطوع لتدريس التاريخ الإسلامي بالجامعة، فكانت محاضراته مجمع النخبة المغربية من الطلبة وعامة الشعب<sup>3</sup>، واستمرت الرقابة الاستعمارية على دروسه وتحركاته وتم رفع تقارير تدينه إلى السلطان اتهم فيها بالتحريض وتهديد الأمن العام وإثارة الفوضى، ثم قررت الإدارة الاستعمارية اعتقاله عند عودته من طنجة عام 1933، لكنه علم بالأمر فلم يدخل إلى منطقة الحماية الفرنسية، فحاول الدخول إلى المنطقة الخليفة -منطقة الحماية الإسبانية- فتوجه إلى إسبانيا ثم تنقل بين باريس وسويسرا ليستقر مدة سبعة أشهر بباريس<sup>4</sup>، وكانت أول مرة يغادر فيها "علال" إلى الخارج<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> هو محمد بن يوسف ولد سنة 1910، تولى الحكم سنة 1927 وهو لم يبلغ سن 18 من عمره، عرف بمواقفه النضالية أثناء الاحتلال الفرنسي للمغرب مما دفع بالسلطات الفرنسية الى نفيه في 20 أوت سنة 1953 إلى كورسيكا ثم مدغشقر ليحل محله ابن عرفة، فكان ذلك سببا لاندلاع ثورة مسلحة بالمغرب لم تتوقف إلا بعد عودة الملك للعرش ومصادقته على اتفاقيات الاستقلال في 6 نوفمبر 1955 ثم إعلان استقلال المغرب في 2 مارس 1956. توفي سنة 1961. أنظر: محمود السيد، تاريخ المغرب العربي تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 2006، ص. 52.

<sup>2</sup> محمد امجدار، علال الفاسي (1910-1974)، المصدر السابق، ص. 729.

<sup>3</sup> علال الفاسي، رسائل تشهد على التاريخ، الجزء 1، مطبعة الرسالة، القاهرة، 2006، ص. 19.

<sup>4</sup> علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص. 180.

<sup>5</sup> محمد رحاي، المرجع السابق، ص. 141.

وخلال هذه الرحلة التقى علال بعدة مناضلين من مختلف البلدان العربية والإسلامية<sup>1</sup>، وعلى رأسهم الأمير "شكيب أرسلان" الذي ربط معه صلات وثيقة كان لها الأثر في تعاون الرجلين في الميدانين السياسي والعلمي<sup>2</sup>، ليعود بعدها للمغرب سنة 1934م، فوجد والده قد عين قاضيا في "بوشرون"، وكان الهدف من هذا التعيين إبعاد "علال" عن فاس<sup>3</sup>.

لقد كرس علال حياته للنضال السياسي داخل الحركة الوطنية المغربية طيلة الفترة الاستعمارية، وأثناء تواجده بالقاهرة، التي حل بها منذ 25 ماي 1947<sup>4</sup>، فقام بعدة أنشطة كالكتابات الصحفية وإلقاء المحاضرات، كما كان أستاذا محاضرا بجامع الأزهر، وتم تعيينه عضوا مراسلا للمجمع اللغوي بالقاهرة وأيضا عضوا مراسلا للمجمع العلمي العربي بدمشق، وبعد الاستقلال شغل عدة مناصب سياسية، داخل الحكومة المغربية تولى حقيبة وزارية (وزير الدولة المكلف بالشؤون الإسلامية)<sup>5</sup>، أو في المجال الحزبي كرئاسة حزب الاستقلال خلال سنوات: 1960، 1962، 1965-1967.

وعندما أسس "السلطان محمد الخامس" المجلس التأسيسي لوضع الدستور، انتخب "علال الفاسي" رئيسا لهذا المجلس<sup>6</sup>، وعقب وفاة "السلطان محمد الخامس" أستدعي لوضع دستور للبلاد سنة 1962، وقد نجح في هذه المهمة، ثم استقال مع ممثلي حزب الاستقلال سنة 1963م، لأنه عارض توجهات الحكومة المغربية في الناحية الاقتصادية، ومنذ ذلك الحين أصبح معارضا للنظام الحاكم<sup>7</sup>، حيث يعبر

<sup>1</sup> علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص. 181.

<sup>2</sup> Gaudio Attilio, *Op-Cit*, P. 15.

<sup>3</sup> علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص. 181.

<sup>4</sup> نفسه، ص. 375.

<sup>5</sup> علال الفاسي، علال الفاسي نهر من العلم الجاري والوطنية الخالدة، منشورات مؤسسة علال الفاسي، الرباط، المغرب، 2010، ص. 18.

<sup>6</sup> عبد الحميد المرنسي، المصدر السابق، ص. 115، 116.

<sup>7</sup> عبد الكريم غلاب، المصدر السابق، ص. 206.

"علال" عن طريقة معارضته بقوله: "ولكن وطنيتنا تفرض علينا إن نسير في خطة بناءة حتى أثناء المعارضة، مكتفين بالقول والبيان ومحاولة الإقناع والتي هي أحسن"<sup>1</sup>. كما أنتخب في نفس السنة في مجلس النواب، وكانت له إسهامات كبيرة في جميع التشريعات التي أصدرها المجلس، كما شغل منصب أستاذ كرسي بجامعة محمد الخامس ودار الحديث الحسينية وكلية الشريعة، فكان كاتباً مقتدراً، ومحلاً اجتماعياً ممتازاً، وخطيباً بارعاً، وشاعراً غزير العطاء متعدد الاهتمامات<sup>2</sup>، وفي سنة 1965م أُختير لرئاسة المؤتمر التأسيسي الذي عقد في مكة المكرمة<sup>3</sup>.

### 3/ آثاره الفكرية والثقافية والدينية:

في لقاء أجرته مع "المختار باقة" مدير مؤسسة علال الفاسي بالرباط بخصوص الآثار التي تركها "علال الفاسي" قال "بأنه ترك أثارا وتراثا غزيرا ومتوعا، باعتبار شخصيته متعددة الجوانب، فحضوره كان ساطع ومبهر في مجالات كثيرة، وله مشاركات متنوعة في مختلف التظاهرات العلمية والثقافية والفكرية في الأدب والشعر واللغة في الداخل والخارج، إضافة إلى المجال الوطني والسياسي لذلك فما طبع من كتب "علال" لا يمثل حتى النصف من تراثه الزاخر فمثلا الخطب السياسية التي كان يترجلها وتنتشر كاملة أو ملخصة في جريدة "العلم" لم تجمع في كتب، مع إنها تركت من الفكر الوطني، إضافة إلى عمل ضخم في طور الانجاز يتكون من عدة أجزاء يؤرخ لتاريخ المغرب السياسي عبر عدة مراحل بالاعتماد على كتابات علال الموجودة في خزانة المؤسسة"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> حزب الاستقلال، عشرون سنة بعد عودة زعيم المغرب من المنفى، مطبعة الرسالة، الرباط، المغرب، 1966، ص. 35.

<sup>2</sup> علال الفاسي، رسائل تشهد على التاريخ، المصدر السابق، ص. 24.

<sup>3</sup> عثمان أشقرا، المرجع السابق، ص. 70.

<sup>4</sup> مقابلة مع السيد المختار باقة: المسؤول الإداري والثقافي لمؤسسة علال الفاسي، الرباط، يوم الجمعة 09 فيفري 2018 بمكتبه، بمؤسسة علال الفاسي، على الساعة 11: 00 صباحا.

فالملاحظ إذا من خلال تصريح السيد مختار باقة أن "علال" ترك أثارا ضخمة ومتعددة في كل المجالات العلمية والفكرية والثقافية بل وحتى السياسية وهو ما وقفت عليه شخصيا "بمؤسسة علال الفاسي" بالرباط، هذه المؤسسة التي تحمل اسمه، والتي أسست بأمر من الملك الراحل الحسن الثاني بتاريخ 17 أبريل 1979م حيث أمر بتحويل بيت المرحوم "علال الفاسي" إلى مؤسسة ثقافية تخليدا لاسمه واعترافا وتقديرا لعلمه وتقانيه في خدمة الوطن، كما وضعت عائلته جميع الكتب والوثائق الخاصة به والتي تتشكل منها الخزنة التي تركها والمتواجدة حاليا بمقر المؤسسة.<sup>1</sup>

لم يقف "علال الفاسي" موقف المتفرج من الوضعية التي كان المغرب يجتازها من احتلال وفهم خاطئ للإسلام من قبل عدد غير قليل من المغاربة، لذلك فقد حارب كل هذه الشوائب، بعد إن اطلع على كتابات ومؤلفات كان لها وزنها في التاريخ العربي والإسلامي مثل كتب: "مالك بن أنس" و"أبي حنيفة"، و"الشافعي"، و"ابن تيمية" و"الأفغاني"... وغيرهم. فبعد إن استوعب كل ما اطلع عليه من علوم وأفكار انتقل إلى مرحلة جديدة ومهمة وهي مرحلة التأليف والكتابة والمحاضرة وبث الأفكار المستنيرة في تلاميذه وطلابه وعامة الناس المنتبعين لدروسه ومحاضراته في القرويين وخارجها، ومما يشهد على طول باع "علال الفاسي" في كل هذه الميادين قائمة المؤلفات الطويلة التي تركها<sup>2</sup>. ونقتصر هنا على ذكر أهمها، ونميز فيها بين التاريخي السياسي الاجتماعي، والديني ونقسمها كما يلي:

<sup>1</sup> مؤسسة علال الفاسي، علال الفاسي "نبذة موجزة عن حياته وفكره"، منشورات مؤسسة علال الفاسي، الرباط، المغرب، 2010، ص. 3.

<sup>2</sup> محمد بن تاويت، المرجع السابق، ص. 38.



أ/ كتب ذات طابع تاريخي سياسي اجتماعي:

• الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، القاهرة 1948 ضمنه علال الظروف والملابسات التي عاشتها أقطار المغرب العربي في ظل القهر الاستعماري<sup>1</sup>.

• النقد الذاتي، القاهرة 1952م، يقول فيه الأستاذ "عبد الله كنون": "فهو أكثر من كتاب سياسي، انه والحق يقال منهاج للحكم والإصلاح الاجتماعي يضعه "علال" نصب أعين المكافحين من أجل استقلال المغرب... وسيبقى أثرا شاهدا بعقوبة جيل النهضة وأصالة الحركة الفكرية في هذا العهد"<sup>2</sup>. كما خصّص علال هذا الكتاب لتحليل أسباب تأخر المسلمين عن ركب الحضارة تحليلا منطقيًا، مبينا في نفس الوقت الحلول الكفيلة لتغيير هذا الوضع من خلال اليقظة الواعية والثورة السلمية والصحة المسؤولة<sup>3</sup>.

• حديث المغرب في المشرق، القاهرة 1956 احتوى هذا الكتاب على بعض المحاضرات والخطب - 9 محاضرات - التي ألقاها "علال" أيام إقامته بالقاهرة، وكلها كانت حول التعريف بقضية المغرب وكفاح المغاربة ضد الاستعمار.

• حماية اسبانيا في مراكش من الوجهتين التاريخية والقانونية، القاهرة 1948 وفيه شرح دقيق عن تاريخ الحماية الاسبانية وأشكال مقاومتها من طرف المغاربة والحجج القانونية من وجهة نظر علال التي تلغي الحماية الاسبانية بالمغرب<sup>4</sup>.

• منهج الاستقلالية، الرباط 1973 وهو نص التقرير المذهبي الذي قدمه "علال" في المؤتمر السابع لحزب الاستقلال المنعقد في الدار البيضاء 1965 تحت شعار "معركة اليوم والغد".

<sup>1</sup> أسيم القرقرى، المرجع السابق، ص. 26.

<sup>2</sup> أحمد بابانا العلوي، المصدر السابق، ص. 134.

<sup>3</sup> محمد الصالح الصديق، المرجع السابق، ص. 215.

<sup>4</sup> علال الفاسي، حماية اسبانيا في مراكش من الوجهتين التاريخية والقانونية...، المصدر السابق، ص. 36.

- كي لا ننسى، الرباط 1973 ويعتبر امتدادا لكتابه "دفاعا عن وحدة البلاد" باعتباره يتناول القضايا التي تهم استكمال الوحدة الترابية للمغرب<sup>1</sup>.
- نداء القاهرة، طنجة 1959 ويتضمن نصوصا وثائقية مهمة تساعد على معرفة الخطوط الجوهرية لتطور القضية الوطنية، فيما بين 1953-1955 وذلك عقب نفي السلطان محمد الخامس من طرف السلطات الفرنسية بالمغرب نتيجة مساندته ودعمه للنشاط الحركة الوطنية المغربية<sup>2</sup>.

### ب/ كتب ذات طابع ديني:

- مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، لبنان 1963 وهو مجموعة محاضرات كان يلقيها المؤلف على طلبته بكلية الحقوق بجامعة فاس، وطلبة الحقوق بجامعة محمد الخامس بالرباط، وعلى طلبة كلية الشريعة بجامعة القرويين بفاس، وقد تحدث فيه بالخصوص على الإجتهد وضرورة بقائه واستمراره، والفرق بين الإجتهد الشرعي وبين اتباع الهوى، كما تعرض بالتفصيل للكثير من القضايا الشرعية الإسلامية<sup>3</sup>.
- عقيدة وجهاد، الرباط 1960 ويتضمن نص التقرير الذي القاه "علال" في المؤتمر العام لحزب الاستقلال في جانفي 1960، استعرض فيه وضعية البلاد وحالة الميدان الثقافي والتعليمي، كما تصدى فيه لمسألة الانشقاق وطالب بضرورة تجاوزها من خلال بسط خاص لوقائع انبثاق وتطور الحركة الوطنية المغربية<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> أسيم القرقرى، المرجع السابق، ص. 31.

<sup>2</sup> علال الفاسي، نداء القاهرة، تصحيح، المختار باقة، ط. 3، منشورات مؤسسة علال الفاسي، الرباط، المغرب، 2013، ص. 7.

<sup>3</sup> محمد الصالح الصديق، المرجع السابق، ص. 215، 216.

<sup>4</sup> عثمان أشقرا، "علال الفاسي موجز سيرة فكرية"، مجلة أفاق، عدد مزدوج، 65، 66، 2001م، اتحاد كتاب المغرب، الرباط، المغرب، ص. 432.

• دفاع عن الشريعة، الرباط 1966 أصل مادة الكتاب محاضرات كان المؤلف يشارك بها في المهرجانات الثقافية السنوية، التي كانت تنظمها ثانوية النهضة في مدينة سلا، بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف<sup>1</sup>.

بالإضافة إلى العديد من الكتب والمؤلفات الأخرى نذكر منها:

✓ حديث عن التبشير المسيحي وبعض الوثائق الطائفية والهندية، الرباط 1973.

✓ المدرسة الكلامية وأثر الشيخ الطويبي، إيران 1970.

✓ مهمة علماء الإسلام: الرباط 1959.

✓ نضالية الإمام مالك ومذهبه، الرباط 1971.

وقد أسهم أيضا بنصيب وافر في ميدان الشعر، فنبوغه في سن مبكرة مكّنه من نسج ونظم الكثير من القصائد والمقطوعات والأراجيز في كل الميادين والمجالات السياسية والدينية والوطنية الحماسية، ممّا أهله لأن يلقّب بشاعر الشباب. وقد ترك ديوانا شعريا ضخما في أربعة أجزاء ضمنه معظم قصائده<sup>2</sup>، وقد وصف عبد القادر الإدريسي ديوان علال قائلا: "اهتمت قصائده بقضايا الاستقلال في بلاده، فكان شعره صورة من صور التزام الشاعر بقضايا أمته، وهو ما كان له تأثيره على الأداء الفني حيث كان لرعاية المضمون أثر على حساب رعاية الجانب الفني"<sup>3</sup>، وقد منحه الملك محمد الخامس أول وسام يمنح لشخصية مغربية بعد الاستقلال (وسام العرش الفكري)<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> أحمد الريسوني، المرجع السابق، ص. 109.

<sup>2</sup> محمد امدجار، علال الفاسي (1910-1974)، المصدر السابق، ص. 740.

<sup>3</sup> عبد القادر الإدريسي، المصدر السابق، ص. 337.

<sup>4</sup> نفسه، ص. 337.

## رابعاً: وفاته:

كان الزعيم "علال الفاسي" قد تعرض إلى حادث مرور يوم 25 فيفري 1967 في طريق الدار البيضاء، وتعرض إلى عدة كسور مما دفع بالسلطان الحسن الثاني إلى إرساله إلى فرنسا للعلاج، ثم تعرض قبل شهور من وفاته إلى نوبة قلبية<sup>1</sup>، وبعد تحسن صحته قام بعدة رحلات داخل المغرب وخارجه، رغم معارضة أطبائه لذلك ونصائح أسرته وأصدقائه له بالتزام الراحة حفاظاً على عافيته، إذ سافر إلى الجزائر والعربية السعودية، وإيران، وأبو ظبي، والكويت، وأخيراً رومانيا التي وافاه فيها الأجل وكان ينوي التوجه إلى بلغاريا<sup>2</sup>.

كان الزعيم "علال" في رومانيا لتلبية دعوة من جهة الوحدة الاشتراكية، وكان برفقته "أحمد بوسنة" و"عبد الحفيظ القادري" عضوان في اللجنة التنفيذية للحزب، ففي يوم 13 ماي ذهب إلى الرئيس الروماني "تساويسيكو" لمقابلاته في مكتبه، وبحضور عدد من الصحفيين الذين التقطوا عدة صور لهذه المقابلة، وكانت آخر صور للزعيم على قيد الحياة، وقد تطرقا الرجلين لبعض القضايا العربية، والعلاقات العربية الرومانية، وقضية فلسطين<sup>3</sup>. كما يذكر "أحمد حماني" أنهما تناقشا أيضاً في قضية الصحراء الغربية<sup>4</sup>، ويذكر محمد بوسنة مرافق علال في هذه السفيرة، بأنه قد طلب أي -علال- من الرئيس الروماني تساويسيكو الموافقة على طلب فتح مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية برومانيا، وقد وافق الرئيس الروماني على طلبه<sup>5</sup>. وماهي إلا

<sup>1</sup> Mohamed EL ALAMI, Op-Cit, P.124.

<sup>2</sup> ذكر الأستاذ - محمد العلمي " أن العلامة الفقيد كان قد تعرض ثلاث مرات لمحاولات اغتيال الأولى: بالقاهرة سنة 1956، والثانية بمدريد في نفس السنة، والثالثة بالمغرب سنة 1957. أنظر: أحمد الريسوني، المرجع السابق، ص. 31، 32.

<sup>3</sup> محمد العلمي، المصدر السابق، ص. 190.

<sup>4</sup> أحمد حماني، "المرجع السابق، ص. 154.

<sup>5</sup> عبد القادر الإدريسي، المصدر السابق، ص. 344.

لحظات حتى أحس الزعيم بانتهاء واختناق شديد، وأصيب بنوبة قلبية حادة، فقصد النافذة ليستنشق الهواء وقبل أن، يصل إليها سقط أرضاً، وتم إسعافه من طرف أطباء الرئيس الروماني، ثم نقل على جناح السرعة إلى المستشفى، لكنه لفظ أنفاسه الأخيرة بعد ساعة من الإصابة، أي حوالي الرابعة بتوقيت المغرب<sup>1</sup>. ويذكر "أحمد الريسوني" أن علال كان يعاني أيضاً من مرض ارتفاع ضغط الدم<sup>2</sup>.

وبمجرد وصول الخبر للمغرب، حتى عم الحزن جميع أنحاء المملكة، وسارعت الحكومة لإذاعة هذا البيان: "بمجرد ما علم صاحب الجلالة "الملك الحسن الثاني" بنبأ وفاة الأستاذ السيد علال الفاسي، تأثر -حفظه الله- تأثراً عميقاً لهذا الخبر المفجع، وذلك نظراً لما كان يحتله الفقيه العزيز من تقدير خاص لدى جلالته...".

وقد أعطى الملك المغربي أوامره لاتخاذ جميع الترتيبات من أجل نقل جثمان الفقيه إلى أرض الوطن، كما صرح أمام أعضاء اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال بهذه العبارات: "إذا كان هناك من ضاع في "علال" فأنا أول من ضاع فيه كمجاهد ومناضل وعالم. لقد كان "علال" عالماً وأستاذاً، وإذا كان هناك ما يعوض فان أستاذية "علال"، للأجيال الكثيرة التي تتلمذت على يديه في الوطنية والعلم، لا تعوض"<sup>3</sup>.

وقد نشرت جريدة "العلم" لسان حزب الاستقلال، البلاغ الآتي للجنة التنفيذية للحزب: "بقلوب يعتصرها الألم والأسى، تتعى اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال زعيم الشعب المغربي، محرر الأمة ورائد الوطنية الرئيس "علال الفاسي" في الساعة الرابعة بعد ظهر الاثنين 20 ربيع الثاني 1394 هـ الموافق لـ 13 ماي 1974، اختاره الله إليه

<sup>1</sup> حبيب حسن اللولب، أبحاث ودراسات في تاريخ المغرب المعاصر، منشورات سيدي نايل، الجزائر، 2013، ص. 285.

<sup>2</sup> أحمد الريسوني، المرجع السابق، ص. 31.

<sup>3</sup> محمد العلمي، المصدر السابق، ص. 191.

في عاصمة رومانيا وفي مكتب رئيس الدولة، وهو يشرح نضال الشعب الفلسطيني لاسترجاع أرضه المقدسة<sup>1</sup>.

ووصل جثمان الفقيد إلى مطار الرباط -سلا- عشية 14 ماي 1974، على متن طائرة خاصة تابعة للخطوط الجوية الرومانية رفقة الممثل الشخصي للرئيس الروماني وكان قد حيا الجثمان في مطار بوخارست كبار مسؤولي الحزب الشيوعي الروماني وقادة جبهة الوحدة الاشتراكية، وسفراء الدول العربية والإسلامية، وأعضاء سفارة المغرب، وفي مطار سلا استقبل الجثمان من طرف وفد حكومي، وأعضاء من أسرة الفقيد ومئات المواطنين<sup>2</sup>. ثم شيعت جنازته في حفل مهيب<sup>3</sup>. وتم دفنه بمقبرة الشهداء بحي لعلو بمدينة الرباط<sup>4</sup>

<sup>1</sup> حزب الاستقلال لجنة الاعلام والنشر، علال الفاسي في ذكراه الأربعين، مطبعة الدار البيضاء، المغرب، 1974، ص. 5.

<sup>2</sup> عبد القادر الادريسي، المصدر السابق، ص. 343، 344.

<sup>3</sup> محمد الصالح الصديق، المرجع السابق، ص. 216.

<sup>4</sup> أحمد الريسوني، المرجع السابق، ص. 31.

المبحث الثالث: أوجه التشابه والاختلاف بين الزعيمين "الحبيب بورقيبة" و"علال الفاسي".

بعد دراستنا للسيرة الذاتية للزعيمين "الحبيب بورقيبة"، و"علال الفاسي"، وتتبع مختلف مراحل ومحطات حياتهما، وكيف انبرا الاثنان للدفاع عن حرية شعبيهما من الاستبداد والاضطهاد والظلم والتعسف الاستعماري، كل بوسائله وطرقه الخاصة حسب موقعه ومكانته في بلاده، مما جعل كل شخصية تتميز بمجموعة من الخصائص قد تختلف أحيانا وتتشابه أحيانا أخرى مع الشخصية المدروسة الأخرى سواء من حيث التنشئة العائلية أو الاجتماعية أو الدراسية وحتى الثقافية.

كما أن البيئة التي نشأ فيها الاثنان متشابهة إلى حد كبير، باعتبارها بيئة مغاربية تجمعها نفس الخصائص الطبيعية والبشرية والثقافية وحتى السياسية، لكن مع ضرورة وجود فوارق في جوانب أخرى تعطي الخصوصية والتميز لكل قطر وبالتالي لكل شخصية منهما<sup>1</sup>.

والذي يهمنا من هذه المقارنة معرفة مدى تأثير البيئة المغاربية في تكوين شخصية الرجلين وصقلها، حتى يتهيأ للدفاع عن شعبيهما بالدرجة الأولى، وشعوب المنطقة المغاربية بدرجة ثانية، ومواجهة هذا الاستعمار العاشم الذي سلب هذه الأمة العربية عموما حريتها، وأذل كرامتها، واستعبد شعوبها، ونهب خيراتها، واستوطن أراضيها.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: ماهي أوجه التشابه والاختلاف بين الزعيمين الحبيب بورقيبة التونسي وعلال الفاسي المغربي، في التنشئة العائلية، والاجتماعية والتعليمية، والدينية؟

<sup>1</sup> للمزيد أنظر: الأطروحة، الفصل التمهيدي، ص. 17، 18.

- وإلى أي مدى ساهمت ظروف وعوامل التنشئة المختلفة في تكوين شخصية

الرجلين؟ وتوجيه مسارهما السياسي فيما بعد؟

أولاً: أوجه التشابه:

• نشأ الحبيب بورقيبة وعلال الفاسي تنشئة مغربية في وسط عائلي عربي إسلامي، له مقوماته وعاداته وتقاليده، فتربى الاثنان على الاحترام والتقدير لمن يكبرهم سناً أو يفوقهم علماً، وهذا ما لمسناه في مسارهما منذ الصغر، وخلال مراحل دراستهما المختلفة مما اكسبهما مكانة مرموقة بين الأساتذة والمعلمين عبر تدرج مراحل التعليم المختلفة<sup>1</sup>.

• رغم أن أصول العائلتين متباينة تماماً، مما يطرح اختلافاً في منهج التربية ونمطها وحتى في اختيار مهنة المستقبل، ومع ذلك فإن النهج الذي اختارته العائلتين متشابه إلى حد بعيد، فكلاهما ركزا على التربية السليمة والتنشئة الإسلامية الصحيحة والمستقبل العلمي الواعد، انطلاقاً من تحفيظ القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، ودراسة مبادئ اللغة العربية ومختلف العلوم الأخرى<sup>2</sup>، مع خصوصية "علال" الذي أولاه والده عناية خاصة بتعليم وتحفيظ القرآن الكريم في سن مبكرة، ليكون ذلك سلاحاً ذا فعالية للثنتين في مسارهما السياسي لاحقاً، بغض النظر عن الواجهة العلمية في الداخل أو الخارج.

• نشأ الحبيب بورقيبة" في ظل عائلة تونسية عربية مسلمة ووطنية وعريقة، أصولها ليبية حسب أغلب الباحثين والمؤرخين. حيث ولد ونشأ في مدينة "المنستير"

<sup>1</sup> للمزيد أنظر: الأطروحة، الفصل الأول، المبحث الأول، ص. 68، 69. والمبحث الثاني، ص. 98.

<sup>2</sup> للمزيد أنظر: محمد العلمي، المصدر السابق، ص. 35، 37.



الساحلية، بمناخها المعتدل والرطب، والذي سيكون أثره واضح في تحديد طباع "الحبيب بورقيبة"<sup>1</sup>، فالعوامل الطبيعية عادة ماتترك أثارها المختلفة على الانسان.

أما نشأة الزعيم "علال الفاسي" فقد كانت ضمن عائلة مغربية عربية مسلمة وعريقة في مدينة فاس<sup>2</sup>، وان كان هو أيضا ذو أصول أندلسية، كما ذكرنا سلفا، فمدينة فاس تقع إلى الداخل أي بوسط المغرب، وقد مثلت عاصمة الحكم حتى دخول الاستعمار الفرنسي سنة 1912، وبذلك يشترك الاثنان في هجرة أجدادهم إلى بلاد المغرب أي تونس والمغرب، فأصل "بورقيبة" لبيبي و"علال" أندلسي.

• تشترك العائلتين في الماضي الوطني والثوري، فإذا كان جد وعم الحبيب بورقيبة قد ثارا ضد تسلط الحكومة التونسية وشاركا في الثورة ضد حكم الباي سنة 1864 مما أدى إلى سجنهما، فان عائلة "علال" كان لها أيضا دور تاريخي كبير في أعلاء راية الإسلام إبان معركة واد المخازن تحت راية الدولة السعيدية<sup>3</sup>.

• يتشابه الرجلين في المحيط والبيئة السياسية والتي تميزت بالسيطرة الاستعمارية الفرنسية، وبتدمير البنى الاقتصادية والثقافية والاجتماعية للمجتمعات المغاربية ككل، وقد استمر هذا التسلط الاستعماري طوال فترة الطفولة والشباب لكليهما، حيث عاصرا أهم الأحداث التي عاشتها بلاد المغرب عموما، في ظل التواجد الاستعماري المتسلط، فكان التشابه واضحا في البيئة السياسية التي ترعرعا فيها، وعليه بدأ تشكل الحس الوطني لدى الاثنين منذ الطفولة.

<sup>1</sup> Jean Rous ,Op-Cit, P. 11.

<sup>2</sup> ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، (د. د. ن)، الرباط، 1972، ص. 55.

<sup>3</sup> عبد القادر الادريسي، المصدر السابق، ص. 336.

• يتشابه الاثنان في اليتيم المبكر، حيث فقدوا "بورقيبة" والدته وهو لم يبلغ العاشرة من عمره، بينما علال توفيت أمه وهو لم يتجاوز سن السابعة، وكان لذلك الأثر البالغ عليهما، وخاصة بالنسبة "لبورقيبة".

• على أن الشيء المشترك الآخر بينهما هو اهتمام العائلتين بالمسار التعليمي لولديهما ونقصد هنا، والد "علال" السيد "عبد الواحد الفاسي"، ووالد بورقيبة السيد "علي بن الحاج محمد بورقيبة". إذ سهر والد "علال" بنفسه على تعليم ابنه، واختيار المدرسين والمشايخ، والعلماء الذين يشرفون على تدريسه، وتعليمه القرآن الكريم، ومبادئ الكتابة والقراءة، أما والد بورقيبة فرغم فقره وحاجته إلا أنه أصر على تعليم بورقيبة، فأرسله إلى أخوه بالعاصمة التونسية، رغم معارضة بعض أفراد العائلة، وكان يزوره كلما سنحت الفرصة، وقد ذكرنا ذلك سلفاً<sup>1</sup>. كما يروي بورقيبة بنفسه وصية والده الذي كان يحثه على الدراسة، فيقول عنه: "كان رحمه الله لا ينفك ينصحني بالاجتهاد في الدرس حتى لا أحمل البردعة وكنت أسأله وما البردعة؟ فيجيبني: إنها الكساء الذي يوضع على ظهر الحمار، ويقول لي: لقد حملها أبوك على كتفيه سنوات طويلة أثناء تنقل الجيش من منطقة إلى أخرى في البلاد"<sup>2</sup>. وهذا القول يؤكد صحة ما ذهبنا إليه، رغم اختلاف الغايات والأهداف من الدراسة بالنسبة لكل منهما.

• اهتم الاثنان باللغة العربية وفضاحل الشعر العربي، والتاريخ العربي الإسلامي "لبورقيبة" الذي درس على يد عدد من كبار مشايخ الزيتونة في المعهد الصادقي، أمثال الشيخ "الطاهر بن عاشور"<sup>3</sup> قد أكسبه ثقافة إسلامية عميقة تمثلت في إتقانه

<sup>1</sup> الحبيب بورقيبة، حياتي، آرائي، جهادي، المصدر السابق، ص. 13، 14.

<sup>2</sup> الحبيب بورقيبة، خطب، الجزء. 7، المصدر السابق، ص. 50.

<sup>3</sup> من أشهر الفقهاء المعاصرين، تولى مناصب سامية في القضاء الشرعي ومشيخة جامع الزيتونة وكانت له علاقات طيبة مع سلط الحماية، أصدر فتوة في قضية التجنيس لم ترض الوطنيين الذين كانوا يرون تكفير المتجنس ويعترضون على دفنه في مقابر المسلمين، وكثيراً ما انتقده الدستوريون القداماء والجدد على هذا الموقف، يعتبر مرجع من مراجع تفسير القرآن. أنظر: أحمد المستيري، المصدر السابق، ص. 106.

وتقننه في اللغة العربية وآدابها، واهتمامه بحفظ المعلقات الشعرية، إذ كان معجبا كثيرا بالشعر الجاهلي، مما دفعه لحفظ المعلقات السبع وهو في المرحلة الابتدائية. وقد كان كثيرا ما يرددها في مجالسه عندما أصبح رئيسا لتونس وحتى أثناء إلقاء بعض خطبه<sup>1</sup>.

بالنسبة "لعلال" فقد أحب الأدب ودرسه وأبدع فيه، وظهر ذلك جليا في نبوغه وفصاحته ونظمه للشعر مبكرا وهو في سن الخامسة عشر حسب قول العديد من الباحثين والدارسين في سيرة "علال". إذا فكلاهما أحب الشعر ولكن احدهما نظمته وحفظه ووظفه في كل مجالات الحياة، والآخر -أي بورقيبة- حفظه ورددته في خطبه ومجالسه فقط.

• كلاهما اختار الدراسات العليا ثم التخصص الوظيفي، مما يسمح لهما بممارسة وظائف مهنية. "فالحبيب بورقيبة" اختار المحاماة "وعلال الفاسي" اختار الأستاذية، وكلاهما سخر مهنته للدفاع عن استقلال وحرية بلاده، وقد تمكنا من خلال دراسة العلوم الإنسانية والاجتماعية، من إتقان فن الخطابة والتأثير في الآخرين وهو ما يفسر براعة "علال" في دروسه بالقرويين ومدى الإقبال الشعبي على حضورها والتعلق بها، مما أربك السلطات الاستعمارية الفرنسية التي سعت لمحاربتها، ومنعها بشتى الطرق والوسائل -كما ذكرنا ذلك سلفا-.

أما "بورقيبة" فقد كان خطيبا بارعا، يأسر مستمعه ويشد انتباهه ويؤثر فيه بحركاته وتقاسيم وجهه، فكان شديد التأثير في زملائه وأساتذته، مما ساعده لتسلق درجات الشهرة والمجد، إذ وظف ذلك في جولاته وخطبه أمام حشود التونسيين قبل وبعد الاستقلال<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> مقابلة خاصة مع الصحفي كمال الشطي، المصدر السابق.

<sup>2</sup> الباجي قائد السبسي، المصدر السابق، ص.20.

• كما يشترك الاثنان أيضا في التأثر بفكر الأنوار ولو بدرجات متفاوتة، "فبورقيبة" متشبع بالفكر الغربي وخاصة الفرنسي منه، وتجلى ذلك في خطابه وتوجهاته وأفكاره التي آمن من خلالها بالفكر الغربي كأساس لأي تطور حضاري وعصري، ترجمتها أعماله وأفعاله كما سيأتي الحديث عن ذلك لاحقا.

كما أن "علال الفاسي" لم يتردد في الاستشهاد بالفلاسفة والمفكرين والأدباء الغربيين، أمثال "مونتيسكيو" و"فولتير" و"ادم سميث" و"جوستاف اوبون" و"موريس دوفرجي" و"كارل ماركس" وغيرهم. وكذلك "بابن خلدون" و"ابن سينا" و"الجاحظ" وآخرين، وقد كان حضور كل من "مونتيسكيو" و"فولتير" و"ابن خلدون" قويا في اقتباساته<sup>1</sup>، لأنه كان يؤمن كما آمن بورقيبة بأن فكر الأنوار الذي بزغ في أوروبا في القرن الثامن عشر الميلادي، قد غير فلسفتها ونظرتها لذاتها ولما حولها من عوالم ومجتمعات وثقافات.

• أما إذ نظرنا إلى التركة الثقافية والفكرية فإننا نجدتها قد ترجمت مختلف مراحل حياتهما العلمية والنضالية، من خلال الخطب والذكرات، والمقالات والمؤلفات التي أرخت لمرحلة هامة من تاريخ تونس والمغرب السياسي. مع وجود فوارق في القيمة التاريخية والفكرية، وهذا راجع للتكوين الثقافي والميولات الفكرية والدينية، وللبيئة السياسية التي عاش وترعرع فيها كل منهما، فالظروف الدولية أثناء الحرب العالمية الأولى، وقبلها وبعدها، حتى الحرب العالمية الثانية كان لها تأثير عميق في نمو ونضج الوعي السياسي لديهما.

"الحبيب بورقيبة" تأثر وهو في سن المراهقة بأحداث "الجلاز" وإعدام مواطن تونسي، وقد روى "بورقيبة" تلك الحادثة فيما بعد قائلا: "لقد تم شنق هذا المواطن عام 1912م في ساحة "باب سعدون"، وكان هناك فرنسيون يصفقون أمام مشهد جسد

<sup>1</sup> المصطفى شادلي، كتاب النقد الذاتي أو الخلفية السلفية في فكر علال الفاسي، مجلة الإدارة التربوية، العدد. 5 فيفري 2016، كلية علوم التربية، الرباط، المغرب، ص. 175.

ينتفض وسط الدم، وقد انفصل عن الرأس<sup>1</sup>. وكذا وفاة المناضل "البشير صفر" في 15 أبريل 1917م، ومشهد والده وهو يبكي في جنازته، مما خلق بداخله إحساسا وطنيا متشعبا بالتضحية وحب الوطن وكره للاستعمار الفرنسي فكان ذلك دافعا جعله يشارك وهو شاب لأول مرة في مظاهرة وطنية يوم 5 أبريل 1922م، إلى جانب القوى الوطنية من طلبة الصادقية وطلبة الزيتونة، وذلك احتجاجا على تقديم الباي محمد الناصر لاستقالته وتهديده بالتنازل عن العرش بسبب تعنت السلطات الاستعمارية<sup>2</sup>، فظهرت بوادر النضال والزعامة عنده منذ الصغر.

أما "علال" فقد تأثر بأخبار الأمير عبد الكريم الخطابي وثورته، وتتبع جهاده ودافع عنه في الأوساط الشعبية، حيث عمل على نشر المناشير التي تبرىء الأمير، ثم شارك سنة 1930 في تطير أول مظاهرة احتجاجية ضد الظهير البربري الهادف إلى تمزيق وحدة البلاد فتم اعتقاله من طرف السلطات الفرنسية<sup>3</sup>، وبعد اطلاق سراحه تغلغت في داخله فكرة محاربة الاستعمار بشتى الطرق والوسائل وتعلق يوما بعد يوم بوطنه وشعبه وظهرت عليه علامات التميز والنبوغ والقيادة، فتبلورت لديه فكرة النضال السياسي على غرار "بورقيبة" في نفس الفترة تقريبا.

• نشأ ترعرعا الاثنان في العاصمة باعتبارها مركزا للتمدن والتحضر من ناحية، والاحتكاك بالأجانب من ناحية ثانية، مما وفر لهما فرصة الظهور والتألق ومواكبة ابرز وأهم الاحداث التي تعيشها بلادهما. كما سهل من عملية التعلم، نظرا لوفرة مراكز الدراسة وتنوعها مما يتيح للثنتين المجال واسعا لاختيار المدرسة والمعهد والجامعة.

وخلاصة القول أن هناك عدة مميزات وملامح تجمع الرجلين، وتشكل نقاط التقاء بينهما، لعل أبرزها ظهور ملامح النبوغ المبكر والمؤهلات القيادية لكليهما فتفوق

<sup>1</sup> حسونة مصباحي، المرجع السابق، ص. 16، 17.

<sup>2</sup> الصافي سعيد، المصدر السابق، ص. 41، 42.

<sup>3</sup> أسيم القرقرى، المرجع السابق، ص. 19.

بورقيبة على الفرنسيين والايطاليين واليهود والمسلمين في الدراسة خلق لديه شعورا بالأهمية وإحساسا بالتفرد والتميز، كما أن سطوع نجم "علال" في الشعر والدراسة والتأليف وهو ابن الخامسة عشر، وتزايد شهرته في الداخل والخارج، قد ولد لديه هو الآخر حس التميز والتفرد، مع الاختلاف في درجة هذا الإحساس بين الاثنين خاصة بالنسبة لبورقيبة الذي تحول لديه هذا الشعور تدريجيا إلى حب الذات ونرجسية وصلت إلى حد تضخم الأنا<sup>1</sup>.

### ثانيا: أوجه الاختلاف:

بالرغم من وجود نقاط التقاء بين الزعيمين في الكثير من المحطات، إلا أن نقاط الاختلاف كثيرة أيضا، حيث تظهر ملامح التباين بينهما في عدة ميادين ومجالات لعل أبرزها:

- التنشئة العائلية حيث نجد الحبيب بورقيبة قد نشأ في عائلة فقيرة متوسطة الحال كثيرة العدد، فكل أفراد العائلة المنحدرين من جد واحد يقيمون في منزل واحد مما أدى إلى كثرة الخلافات بين أفرادها، وإن كانت عريقة فهي ليست بعراقة عائلة "علال الفاسي" التي تنحدر من وسط علمي عريق شريف النسب. وعليه فقد نشأ "بورقيبة" في بيئة اجتماعية صعبة قاسية مثله مثل غالبية الشعب التونسي، الذي يريزخ تحت نير الحماية الفرنسية<sup>2</sup>، هذا الوضع المزري خلق لدى الحبيب بورقيبة إحساسا ووعيا سياسيا، وغرس فيه كرها وحقدا دفينا للاستعمار الفرنسي، باعتباره المسؤول الأول والأخير عن وضعية أسرته، فكل هذه الظروف صقلت شخصيته وزادت من ارتباطه بالوطن<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الطاهر بن يوسف، الحبيب بورقيبة تضخم الأنا سبب البلية، مطبعة فن الطباعة، تونس، 2012، ص. 47.

<sup>2</sup> عروسية التركي، فصول في تاريخ الحركة الوطنية في تونس المعاصرة، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، 2005، ص. 17، 18.

<sup>3</sup> الصافي سعيد، المصدر السابق، ص. 41، 42.

أما "علال الفاسي" فقد نشأ في عائلة برجوازية، إذ كان والده يمتلك العديد من العقارات والمحلات، والدور، ويشغل فقيها وقاضيا، مما سمح له في اكتساب مكانة في السلم الاجتماعي بسهولة، مقارنة "بالحبيب بورقيبة" الذي عاش طفولة صعبة وارتقى بصعوبة في سلم المجد. كما كان "علال" متمسكا بالقيم الإسلامية لذلك انتهج فيما بعد نهج السلفية حيث سعى من خلالها إلى محاربة الظواهر والعادات الدخيلة عن المجتمع المغربي، كالدجل والشعوذة والخرافات... الخ، وزادته جامعة القرويين علما وثقافتا وتمسكا بالدين الإسلامي.

• أما من ناحية المسار الدراسي والتكويني، فنجد بينهما فرقا شاسعا. فالحبيب بورقيبة" زاول لمدة قصيرة من الزمن تعليمه في المدرسة الفرنسية بالمنستير، حيث تعلم فيها بعض قواعد اللغة الفرنسية، كالحروف والنطق، ثم انتقل بين مختلف أطوار التعليم إلى أن نال شهادة المحاماة من جامعة السربون بباريس. وخلالها تعلم "بورقيبة" القيم السياسية الفرنسية والغربية، وأبهرته الحياة السياسية في فرنسا وحرية التعبير والديمقراطية ومبادئ الثورة الفرنسية المتمثلة في الحرية، والمساواة من ناحية، والاطلاع على حضارتها والنهل منها، من ناحية ثانية، لكن رغم هذا التأثير الشديد بالحضارة الغربية، إلا أن كرهه للسياسة الاستعمارية التي طبقها الاستعمار الفرنسي في بلاده، كان أكثر تأثيرا في شخصيته وهو ما تجلّى في نضاله السياسي فيما بعد<sup>1</sup>.

أما الزعيم "علال الفاسي" فقد حفظ القرآن الكريم في الكتاب على يد مشايخ اختارهم والده، ثم انتقل إلى المدرسة الناصرية الحرة لتربية الناشئة، حيث تعلم أصول اللغة العربية، فغرس ذلك فيه روح المقاومة ضد الاستعمار الأجنبي المسيحي، ثم تدرج هو الآخر بين مختلف أطوار التعليم وصولا للقرويين، حتى نال شهادة العالمية ببورقيبة أرسل للمدرسة الابتدائية بالمنستير لدراسة اللغة الفرنسية، بينما "علال" أرسل

<sup>1</sup> للمزيد أنظر: الأطروحة، الفصل الثاني، المبحث الأول، ص. 71، 72.

للمدرسة العربية الحرة ليتعلم مبادئ الدين وقواعد اللغة العربية، وهنا تظهر بوادر الاختلاف بين الزعيمين<sup>1</sup>.

فكان ذلك كافيا ليتأثر علال بالقيم الإسلامية التي استمدتها من الثقافة العربية الإسلامية، في حين تشبع "بورقيبة" بالقيم الغربية الفرنسية. وعليه فان المدرسة العربية الإسلامية كان لها تأثير قوي على شخصية "علال الفاسي"، والذي يختلف عن تأثير المدرسة الفرنسية بمختلف أطوارها على "بورقيبة".

• هناك نقطة أخرى مهمة لا يجب إهمالها ونحن بصدد معرفة نقاط التباين والاختلاف بين الزعيمين، ألا وهي التركيبة الثقافية والآثار الفكرية والدينية وحتى السياسية التي خلفها الزعيمان، حيث نجد فرقا واضحا بينهما "فالحبيب بورقيبة" قد أرخ لنفسه، ففي نظره كتابة التاريخ يجب أن تسند لمن عاصر وعاش هذه الأحداث، وبالأخص تاريخ الحركة الوطنية التونسية وفي بعض الأحيان حتى المغاربية، فقد كتب كل ما يتعلق بحياته الشخصية، وبأدق التفاصيل، وهنا تظهر النرجسية وحب الذات وتمجيدها<sup>2</sup> لدى الزعيم "بورقيبة" التي تكلمنا عنها سابقا، حيث أراد أن يجعل من شخصه أحد العظماء الذين عرفهم التاريخ التونسي والعربي بل وحتى العالمي، فكثيرا ما انتقد سياسة بايات تونس والحكام العرب، وعلى رأسهم جمال عبد الناصر، وحتى "مصطفى كمال أتاتورك" لم يسلم من انتقادات "بورقيبة" رغم إعجابه بشخصيته وسياسته.

وعلى النقيض تماما نجد "علال" بقي محافظا على تواضعه إلى آخر يوم في حياته. فحتى مذكراته لم يعطها الهالة والإكبار على غرار بورقيبة، بل تعرض فيها فقط لأبرز محطات حياته ومراحل نضاله السياسي، وظروف كفاحه، وسوء معاملته من

<sup>1</sup> للمزيد أنظر: الأطروحة، الفصل الأول المبحث الثاني، ص. 99، 100.

<sup>2</sup> جريدة الأخبار، العدد 12، المصدر السابق.



طرف الإدارة الفرنسية في المنفى، وكبت حريته، معللا ظروف كل مرحلة وخصوصيتها<sup>1</sup>، وحتى مؤلفاته التي كتبها لم يكن يتعرض فيها كثيرا لحياته وسيرته الذاتية والعائلية، ولكن ركز جل اهتمامه على الكتابات التاريخية السياسية التي تتناول وتعالج أوضاع بلاده السياسية، في ظل الهيمنة الاستعمارية المزدوجة، حيث تصدى من خلالها إلى محاولات المسخ والتتصير التي اتبعتها الاستعمار الفرنسي للقضاء على الهوية الوطنية المغربية، فتميزت كتبه بالتنوع، إذ لم يقتصر على الجانب السياسي فقط بل كتب في الثقافة والدين والفكر<sup>2</sup>. أما شعره فقد جاء غزيرا هادفا، تناول فيه كل المواضيع والأغراض الشعرية.

• إن نشاطهما المهني كان متباينا، فبورقيبة شغل المحاماة ثم الصحافة، هذه الأخيرة جعلها صوتا لكل التونسيين عبر من خلالها عن مطالب التونسيين، وحققهم في الحرية والاستقلال. أما "علال" فقد اشتغل بالتدريس والأستاذية وإلقاء الدروس والمحاضرات، فكانت دروسه رسائل مشفرة للمغاربة، تحثهم على الثورة والانتفاضة، وتوحيد صفوفهم، ورفض الوضع القائم والمطالبة باستقلال بلادهم وطرد المستعمر الفرنسي الغاصب.

<sup>1</sup> محمد الصالح الصديق، المرجع السابق، ص. 215.

<sup>2</sup> للمزيد أنظر: الأطروحة، الفصل الأول المبحث الثاني، ص. 110-112.

# الفصل الثاني: الدور السياسي للزعيمين في الحركة الوطنية لبلديهما (1930\_1956)

المبحث الأول: نشاط الحبيب بورقيبة السياسي داخليا وخارجيا  
المبحث الثاني: النشاط السياسي لعلال الفاسي في الداخل والخارج  
المبحث الثالث: تقييم نشاط الزعيمين وإبراز أوجه الاختلاف  
والتشابه بينهما

تطرقنا في هذا الفصل إلى الدور السياسي للزعيمين "الحبيب بورقيبة" و"علال الفاسي" من خلا تتبع مسارهما النضالي الطويل، والذي يبدأ تقريبا في بداية الثلاثينيات من القرن العشرين إلى غاية استقلال تونس والمغرب في منتصف الخمسينيات. رغم أن الكثير من المؤرخين يرجعون أولى الإرهاصات السياسية للزعيمين إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، تاريخ ظهور بوادر حركة سياسية وطنية في كلا البلدين تزعمتها نخبة من الوطنيين المغاربة مستغلة الظرف الدولي بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، لاسيما مبادئ ولسن التي تضمنت حق الشعوب في تقرير مصيرها، وكذا الإصلاحات السياسية التي أعلنتها فرنسا في مستعمراتها.

كل هذا وغيره ساهم في نمو نزعة وطنية حماسية لدى الزعيمين، أساسها رفض السياسة الاستعمارية، والبحث عن سبل وطرق جديدة لمقاومتها، خصوصا بعد فشل المقاومات المسلحة المغاربية في تحقيق النصر على المستعمر، وتخليص شعوبها من الرق والعبودية والاستغلال والاضطهاد المسلط عليها، منذ فرض الحماية الفرنسية على تونس سنة 1881 ثم المغرب سنة 1912، فالظروف الدولية والبيئة السياسية المحلية التي نشأ فيها الزعيمين، قد هيئتهما لتحمل مسؤولية الدفاع عن بلديهما، وخلقت لديهما شعورا متميزا عن أندادهم من الشباب الذين عاصروهم في تلك الفترة، فكانت علامات النبوغ والنضج الفكري والانفراد والزعامة أبرز سماتهم.

كما تمّ تسليط الضوء في نهاية الفصل على أبرز عناصر التماثل والتناظر في نشاط الزعيمين "بورقيبة" و"علال" من خلال إجراء مقارنة بين البرامج السياسية للرجلين أساليب الكفاح المنتهجة، والعقبات التي واجهت كفاحهما من اجل التحرر كما حاولنا تقييم نشاطهما من خلال تقسيمه إلى مراحل كبرى لمعرفة نقاط القوة والضعف في مسيرة الزعيمين.

## المبحث الأول: نشاط الحبيب بورقيبة السياسي داخليا وخارجيا

### أولا: نشاطه السياسي بالداخل

في هذا المبحث سنتناول مراحل الكفاح السياسي الذي خاضه "الحبيب بورقيبة" في تونس في مطلع الثلاثينيات مركزين على الظروف والمطالب والمصاعب التي واجهت بداية نشاطه السياسي الحقيقي، وكيف استطاع التخلص من خصومه في الحزب العتيد وقلب الأمور لصالحه في ظرف وجيز؟، وكيف تعامل مع الإدارة الاستعمارية الفرنسية المتشددة في تلك الفترة؟

"الحبيب بورقيبة" التلميذ، شهد أحداث "الزلاخ" سنة 1911 وعمره 09 سنوات وحادثة "الترامواي" 1912 وشاهد تنفيذ حكم الإعدام في حق الثائرين التونسيين "الجرجار والخضراوي" اللذين ثارا ضد الاستعمار، وكيف تعامل الفرنسيون الحاضرون باستهزاء وسخرية مع الحادثة، فأثر ذلك في نفسيته تأثيرا بليغا، وأصبح يتساءل بينه وبين نفسه: هل يعقل أن يضحي الإنسان بحياته من أجل أن يعيش غيره؟ وهل يحق للإنسان الموت في سبيل حرية شعبه واستقلال بلاده؟<sup>1</sup>

كما شارك أيضا في مظاهرة وطنية سنة 1922-وسنه لم يتجاوز 20 سنة ضد ظلم وتعسف الإدارة الفرنسية<sup>2</sup>، ثم ما لبث أن انضم إلى الحزب الدستوري الحر، فكان من المتقدمين فيه، حيث رفع برقية احتجاج للمقيم العام الفرنسي "لوسيان سان" لتعطيله جريدة الحزب الأسبوعية -حينذاك- "الصواب"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> برنامج الوثائق لقناة العربية، "زمن بورقيبة" شهادة طبيب بورقيبة الخاص، عمر الشاذلي، بث أوت 2006، تاريخ الزيارة 20 مارس 2019، الساعة 22:10.

<sup>2</sup> حسونة مصباحي، المرجع السابق، ص. 21.

<sup>3</sup> للمزيد أنظر: الأطروحة، الفصل الأول، المبحث الأول، ص. 122.

والأكثر من ذلك أنه رفض الدراسة في الجزائر بعدما حصل على شهادة البكالوريا سنة 1924، واختار فرنسا عمدا حتى يتعلم لغة عدوه ويتعرف على طرق مقاومة الاستعمار الجاثم على صدور التونسيين، فأراد أن يتعلم العديد من الأشياء منها عاداته، قوانينه، ونظمه.

كل هذا كان كافيا لجعل "بورقيبة" قائدا وطنيا وزعيما للحركة الوطنية التونسية خاصة بعد فشل النخبة الإصلاحية بقيادة "عبد العزيز الثعالبي"، وجماعة الحزب الدستوري القديم، في تحقيق مطالب الشعب التونسي وطموحاته الاستقلالية. فوجد الساحة السياسية خالية، فانطلق رفقة بعض زملائه في الدراسة سابقا أو رفاقه في العمل سواء في المحاماة أو في الصحافة، ينشرون أفكارهم ويعبرون عن آرائهم السياسية الراضية للسياسة الاستعمارية الفرنسية.

### 1/ بداية نشاطه السياسي:

لقد كان "الحبيب بورقيبة" يحمل في أعماق نفسه آثار التطورات التي حدثت في بلاده، وأصداء الحركات الثورية والسياسية التي قامت بها للتخلص من الحماية، وزادته أوضاع البلاد الاقتصادية وكذلك الفقر المدقع الذي اتعب وأرهق الشعب التونسي قناعة بضرورة تحمل مسؤولية الدفاع عن أبناء وطنه، فلم يدخر أي جهد لخدمة قضية بلاده ولم يجد بدا من الدخول في معترك السياسة<sup>1</sup>.

وفي هذا الخصوص يذكر بورقيبة في أحد خطبه أمام طلبة الصحافة وعلوم الأخبار قائلا: "أما عن بداية عهدي بالعمل السياسي فيعود إلى سنة 1928 إذ دعيت ذات مرة لحضور محاضرة نيابة عن أخي "محمد" الذي كان عضوا في جمعية

<sup>1</sup> جريدة الحديث، العدد 149، 1959/07/25.

ليسور<sup>1</sup>،... وكان موضوع المحاضرة "الحجاب" وحضرتها السيدة "حبيبة منشاري"... التي صبت جم غضبها على الحجاب وأزاحت حجابها في حركة مشهودة أمام الحاضرين... وتناولت الكلمة فبينت أن الحجاب قد يخلو من طابع اللطافة، لكنه يعد جزءا من الشخصية التونسية، وقلت أن الدولة المسيطرة علينا تسعى إلى محق هذه الشخصية وتروم فرنستها<sup>2</sup>.

في حين تؤكد العديد من الوثائق بأن بداية نشاطه السياسي تعود إلى سنة 1930، مستدلين في ذلك بمقالاته الصحفية التي كان ينشرها في جريدة "اللواء التونسي"<sup>3</sup> ثم "صوت التونسي" وأخيرا جريدة "العمل التونسي"، منذ سنة 1932 والتي هاجم من خلالها السياسة الاستعمارية وطالب بضرورة المساواة بين التونسيين والفرنسين في الحقوق والواجبات، كما انتقد سياسة الحماية وممارساتها السلبية ضد الشعب التونسي<sup>4</sup>.

والمهم هنا أن البدايات الأولى للحبيب بورقيبة في النشاط السياسي كانت من خلال نشاطه الصحفي، الذي أصبح أكثر نضجا عندما أسس جريدة "العمل التونسي" فخدم القضية التونسية أجل خدمة، بما كان ينشره من وثائق تكشف عن نوايا فرنسا الرامية لمحاولة فرنسة الشعب التونسي وإدماجه وسحق مقوماته الشخصية، وضمه

<sup>1</sup> الحبيب بورقيبة، مقالات صحفية 1929-1934 المصدر السابق، ص. 11.

<sup>2</sup> الحبيب بورقيبة، حياتي، آرائي، جهادي، المصدر السابق، ص. 80.

<sup>3</sup> كتب الحبيب بورقيبة مقالا في جريدة اللواء التونسي في أول فيفري سنة 1928 بعنوان "الدورانية أو الاشتراكية العرجاء" اتهم فيه الاشتراكيين الذين أنكروا الشخصية التونسية، بالازدواجية في المواقف كونهم يشيدون ببلادهم فرنسا بالمساواة بين البشر، في حين يؤيدون استغلال الثروات التونسية. أنظر: عمر الشاذلي، بورقيبة كما عرفته، تعريب: علي حمريت وأخرون، سيمباك، تونس، 2013، ص. 43.

<sup>4</sup> نفسه، ص. 44.

للمجموعة الفرنسية، كما قاوم فيها طغيان إدارة الحماية واستبدادها بالنفوذ، كما جعلها منبرا يلهب حماس الشباب الوطني، معتمدا على لهجته النارية.

وقد تجلت مواقفه البطولية اتجاه العديد من القضايا التي أثارها الإدارة الاستعمارية الفرنسية في تلك الفترة لعل من أبرزها نذكر: المؤتمر الأفخارستي<sup>1</sup> والاحتفال بخمسينية بسط الحماية<sup>2</sup> وقضية التجنيس، هذه الأخيرة كان لها الدور البارز في تلميع صورة الحبيب بورقيبة ورفاقه أمام الشعب التونسي، حيث وفرت قضية تجنيس التونسيين "للحبيب بورقيبة" (حسب قانون 12 جويلية و 20 ديسمبر 1923) فرصة لتعبئة الرأي العام التونسي ضد السياسة الاستعمارية، الهادفة إلى محو الذاتية القومية التونسية، وفرنسة البلاد بالإكثار من العنصر المتجنس، بالإضافة إلى العنصر الفرنسي الأصل.

ففي نهاية سنة 1932 رفض سكان بنزرت دفن متجنس في المقبرة الإسلامية معتمدين على فتوى أصدرها مفتي بنزرت الشيخ إدريس، فاستغلها "بورقيبة" وقاد حملة مضادة تأييدا لموقف المفتي<sup>3</sup>، فضحت جريدته "العمل التونسي" المؤامرة وقاومت القائمين بها، والمتواطئين معهم من رجال الدين، وكشفت ما في القضية من تنكر

<sup>1</sup> عقد هذا المؤتمر من 7 إلى 11 ماي 1930 بقرطاج بتونس حيث اكتسح المسيحيون تونس وضواحيها، وقامت جماعات من الشباب الكاثوليكي بالطواف في شوارع مدينة تونس وهم يلبسون أزياء الصليبيين. لقد جاء هذا المؤتمر كحملة صليبية، تريد استرجاع مجد الكنيسة الرومانية بإفريقيا وتتصير سكانها. أنظر: عمر الشاذلي، المصدر السابق، ص. 44.

<sup>2</sup> لم تمض سنة أو أقل على انعقاد المؤتمر الافخارستي، حتى شرعت سلطات الحماية في الإعداد للاحتفال بمرور 50 سنة على بسط الحماية الفرنسية على البلاد التونسية، وتؤكد لشعبها عن استمرار نفوذها في تونس للأبد، وان هذه الحماية تهدف إلى تمدين البلاد، والحال أنها كانت تعمل على بسط حكم فرنسا عليها واستغلال ثرواتها، واستعباد شعبها والحاقها فكريا، وسياسيا، واقتصاديا، كما أرادت أن تبرز من وراء حملتها الإعلامية، ضخامة منجزاتها الحضارية، في إطار ما يسمى ب "المهمة الحضارية". أنظر: حفيظ الطباي، المرجع السابق، ص. 39.

<sup>3</sup> Habib Bourguiba, *Articles De Presse, 1929-1933 Dar El Amal, Tunis, 1982, P. 46, 47.*

لشريعة الإسلامية، معتمدة<sup>1</sup> على الآية القرآنية الكريمة في قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة النساء/ الآية 65]

فأمسى دفن أي متجنس في مقبرة إسلامية منذ ذلك الحين محل معارضة من طرف الشعب، وتدخلت قوات الأمن لردع المظاهرات<sup>2</sup>.

ونفس الحدث وقع بالمنستير بتاريخ 8 أوت 1933، حيث كتبت جريدة الزهرة مايلي: "ورد إلينا في آخر وقت من المنستير أنه قد مات صبيا ابن متجنس وعارض السكان في دفنه بالمقبرة الإسلامية، ووقعت مناوشات خطيرة مات فيها اثنان من الأهالي وجرح منهم الكثير"<sup>3</sup>. وذلك عقب تدخل قوات من الجيش الفرنسي المتواجدة بمدينة سوسة التي أطلقت النار على المتظاهرين فقتلت المسمى "شعبان بن الصالح البحوري"<sup>4</sup>.

واستغل الزعيم "بورقيبة" هذه الأحداث للتقرب إلى الجماهير، من خلال حملاته ضد سلطات الحماية، فكان يوم الحسم حسب قول الوزير الأول "محمد مزالي": "لقد أدرك الزعيم المجاهد بنظرته الثاقبة أن معركة التجنيس مصيرية في حد ذاتها لما يليها من معارك، فخطط لها ورتب لها أسباب النصر، انطلاقا من أسلوب جديد في النضال السياسي، يعتمد على وضوح الرؤية والتمسك بالجوهر والمرونة في التفاعل مع الأحداث"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> مركز التوثيق القومي، قسم تونس، رقم الملف، A-3-37.

<sup>2</sup> مركز التوثيق القومي، قسم تونس، رقم الملف، B-3-37.

<sup>3</sup> جريدة الزهرة 1933/8/9.

<sup>4</sup> شارل أندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، المرجع السابق، ص. 100.

<sup>5</sup> مركز التوثيق القومي، قسم تونس، المصدر السابق.



وهكذا أصر بورقيبة على معارضة دفن المتجنسين بالمقابر الإسلامية، ولو بدعوة الشعب للنزول للمقابر لمنع ذلك الدفن، وقد قال في إحدى مقالاته: "أرادت السلطات فرض دفن المتجنس في مقابر المسلمين بالقوة فوثبنا وعقدنا العزم على أن نمنع ذلك وكانت تتجدد المظاهرات كلما توفي أحد المتجنسين وتضرب الحراسة على قبره خوفاً من أن تخطف جثته، وكان موت أحد المتجنسين يسبب فضيحة بالنسبة إلى عائلته حتى دفع المتجنسون إلى المطالبة باسترجاع الجنسية التونسية"<sup>1</sup>.

وهو ما وقع في العاصمة التونسية في الفاتح من ماي سنة 1933 عند دفن زوج كبير المتزعمين لحركة التجنيس، حيث تجمهر الشعب وأصرّ على عدم دفنه بمقبرة الزلاج، وقاد "بورقيبة" أول مظاهرة رافضة لدفن المتجنسين التونسيين بالجنسية الفرنسية، وهي إحدى الوسائل التي قاومت بها الحركة الوطنية مسألة تجنيس التونسيين<sup>2</sup>، وقد كان لهذا الموقف دور كبير في القرار الذي اتخذته المقيم العام الفرنسي "فرانسوا مانصرون"<sup>3</sup>. إذ لم تمض أيام قلائل على تلك الأحداث وما تلاها من ضجة إعلامية قادها "بورقيبة"، حتى تقرر تخصيص أماكن على حدا لدفن المتجنسين خارج المقابر الإسلامية، من طرف الإدارة الفرنسية وبموافقة "مانصرون" هذا القرار أغضب الجالية الفرنسية التي طالبت بتغيير المقيم العام<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> أندري بوتار، المصدر السابق، ص. 99، 100.

<sup>2</sup> عبد اللطيف الحناشي، المرجع السابق، ص. 28.

<sup>3</sup> ولد سنة 1862، تولى منصب مقيم عام بتونس منذ سنة 1929، خلفا للوسيان سان اشتهر بالشدة والقساوة، تطبيق القوانين. أنظر: عبد المجيد شاكر، المصدر السابق، ص. 23.

<sup>4</sup> عبد اللطيف الحناشي، المرجع السابق، ص. 28.

فكان قراره دون أن يدري نصرا "الحبيب بورقيبة"، وللذاتية التونسية، وكانت النتيجة امتناع غالبية الشعب التونسي عن المطالبة بالجنسية الفرنسية<sup>1</sup>، وفي 31 ماي قام مانصرون بتعطيل عمل الجرائد الثلاث الصادرة بالفرنسية (صوت التونسي العمل التونسي، وصوت الشعب) ثم حل الحزب الحر الدستوري، فلجأت الحكومة الفرنسية إلى عزله وتعيين "مارسال بيروطن" مقيما جديدا<sup>2</sup>، بتاريخ 29 جويلية 1933<sup>3</sup>. والذي سيعرف عهده مواجهات ساخنة مع "الحبيب بورقيبة" ورفاقه.

## 2/ بورقيبة وإسهاماته في الحزب الدستوري التونسي (1933-1939)

على إثر أحداث قضية التجنسين ودفن المتجنسين في المقابر الإسلامية التي وقعت في غرة ماي 1933 في تونس وبنزرت ومنطقة الساحل، وما صاحب ذلك من أعمال قمعية وصلت إلى حد الاصدام الدامي، وأمام تصاعد القمع الاستعماري المسلط على الشعب التونسي والحركة الوطنية التونسية، وذلك منذ تعيين المقيم العام مارسال بيروتون، هذا الأخير الذي إفتتح عهده بإصدار أمرا بتاريخ 6 ماي 1933 يسمح بإيقاف أي شخص يخل بالأمن العام بمجرد قرار إداري<sup>4</sup>، عقد الحزب الحر الدستوري يومي 12 و 13 ماي 1933 مؤتمرا فوق العادة وكان ذلك بطلب من أعضاء الشعبة الذين تأثروا بالعمل الايجابي الذي قام به الحبيب بورقيبة ورفاقه حيث دعي الحبيب

<sup>1</sup> راغب السرجاني، قصة تونس... من البداية إلى ثورة 2011، مجلة حصاد الفكر، العدد. 229، ماي 2011، مركز الإعلام العربي، ص. 53

<sup>2</sup> (1887-1983) سياسي فرنسي، عين مقيما عاما في تونس منذ شهر جويلية سنة 1933 إلى غاية مارس 1936، حيث عوضه أرمان غيون وعرف بيروطن بتعسفه الشديد إزاء الوطنيين التونسيين، وقد عين خلفا لفرونسوا مانصرون (1929-1933). أنظر: زهير الذوادي، تحولات العمل الوطني التونسي في السنوات الثلاثين (1929-1939)، الأطلسية للنشر، تونس، 2003، ص. 17، 18، 19.

*Habib Bourguiba, Ma Vie, Mon Œuvre 1934-1938, T2, Op-Cit, P.9.*

<sup>3</sup> أحمد القصاب، المرجع السابق، ص. 538.

<sup>4</sup> زهير الذوادي، المرجع السابق، ص. 17.

بورقيبة لحضور المؤتمر فخطب أعضاءه شارحا خطته في بعث الوعي بين الجماهير<sup>1</sup>، وأسفرت أشغال المؤتمر على عدة نقاط هامة أبرزها:

- المطالبة بإنشاء برلمان تونسي منتخب بالاقتراع العام.
- وتشكيل حكومة مسؤولة أمام البرلمان.
- الفصل بين السلطات الثلاث<sup>2</sup>.
- منح الحريات العامة لجميع التونسيين دون استثناء.
- جعل التعليم اجباريا للجميع.
- حماية اقتصاد البلاد.
- كما قرر المؤتمر بالاجماع ضم أعضاء الأسرة المؤسسة للعمل التونسي إلى اللجنة التنفيذية للحزب<sup>3</sup>.

والملاحظ على هذه المطالب أنها لم تطرح فكرة الإستقلال التام عن فرنسا بصورة واضحة، واكتفت بالمطالب التي تحفظ للتونسيين حقهم في العيش بحرية وكرامة وتخول لهم التصرف كأسياد في تسيير شؤون بلادهم. وقد عبر الحبيب بورقيبة عن إعتدال هذه المطالب في خطابه الإفتتاحي للمؤتمر حين قال: "حل أزمة المجتمع التونسي يتمثل في إستقلال البلاد من ناحية، وإيجاد معاهدة صداقة ووحدة مع الجمهورية الفرنسية لضمان مصالح فرنسا العليا في تونس من ناحية أخرى"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> برنامج الوثائقية لقناة العربية، "زمن بورقيبة" شهادة محمد المصمودي، بث أوت 2006، تاريخ الزيارة 20 مارس 2019، الساعة 21:00.

<sup>2</sup> زهير الذوادي، المرجع السابق، ص.18.

<sup>3</sup> كتابة الدولة للأخبار والارشاد، المصدر السابق، ص.38.

<sup>4</sup> زهير الذوادي، المرجع السابق، ص.18.

وبذلك انضم "بورقيبة" إلى قيادة الحزب الدستوري الحر أو أدخل إليه، بحسب روايته<sup>1</sup>، واستمر انتماءؤه إليه أقل من أربعة أشهر من (12/5/1933 إلى 9/9/1933)<sup>2</sup>. وحصل شبه وفاق بين جماعة الدستوريين القدامى، والجدد (جماعة العمل التونسي)، لكن سرعان ما انفصم وعاد الخلاف من جديد واخذ يظهر في مجالات مختلفة، ولعل ذلك يعود لعدة عوامل كان أبرزها:

- 1) عدم قدرة قيادة الحزب على مواصلة الكفاح وعجزها عن تجاوز الطرق التقليدية لتطوير أسلوب عملها (توجيه الانتقادات، القيام بالاحتجاجات عبر البيانات، المناقشات في البيوت والصالات).
- 2) وقوفهم عند حد المطالبة ببعض الإصلاحات الدستورية والتي لم تكن تتجاوز البعد الديني.

كل هذا وغيره كان كافيا لجماعة "بورقيبة"، للمناداة بأساليب عمل جديدة تتوافق مع التطور الحاصل في المجتمع التونسي، والمغربي، وحتى على المستوى الفرنسي. إضافة لما رافق هذه الفترة من أحداث جعلت الانفصال بين الجانبين أمرا محتوما، خاصة وان "بورقيبة" قد أخبر جماعة اللجنة التنفيذية<sup>3</sup>، أنه في غنى عن المشاركة في هذه اللجنة لأنه يعتبر ذلك قيد يحول دون قيامه بأي نشاط يريده<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> للمزيد من التفاصيل. أنظر: الحبيب بورقيبة، حياتي، آرائي، جهادي، المصدر السابق، ص.91.

<sup>2</sup> قدم وفد من المنستير يضم 70 شخصا إلى العاصمة وطلب من الحبيب بورقيبة -بوصفه من أبناء المدينة المنكوبة (أحداث 8 أوت 1933)- أن يصحبهم إلى قصر الباي لشكره على عزل عامل، الذي قصر في حماية الأهالي من الاضطهاد فاستجاب لهم، مما أغضب أعضاء اللجنة التنفيذية. أنظر: الصافي سعيد، المصدر السابق، ص.85.

<sup>3</sup> لم يكن أغلب جماعة اللجنة التنفيذية من خريجي المدرسة الفكرية الزيتونية التقليدية، فمنهم أيضا خريجي المعهد الصادقي والجامعات الفرنسية، مثل الخلاوي وأحمد الصافي، وكان فيهم محامون وأطباء درسوا بفرنسا، يساوون بورقيبة ورفاقه في الدرجة العلمية، إلا أنهم يدورون في فلك المدرسة الفكرية التقليدية. أنظر: فاتح والي، البورقيبية واليسار التونسي، ميديا بوكس للنشر، تونس، 2017، ص. 56.

<sup>4</sup> الحبيب بورقيبة، حياتي، آرائي، جهادي، المصدر السابق، ص. 76.

لقد كتب عبد الباقي الهرماسي بصدد ذلك الوضع: "...إنطلاقاً من سنة 1930، نشاهد ظهور جيل جديد من المثقفين، أصيلي داخل البلاد متخرجين من معاهد التعليم العليا الأوربية، ففي محاولة انفتاح، كان الحزب الدستوري أول من أقحم هؤلاء المثقفين الشبان، ولكنهم كانوا هم الذين اكتشفوا أن الحزب لم يكن سوى مجموعة من الأعيان الهرميين، فدفعهم تفتحهم الفكري تجاه الطموحات الشعبية والأشخاص دون اعتبار أصولهم الاجتماعية والجهوية، وكذلك امتعاضهم من التكتيكات البيزنطية، إلى تحملهم بأنفسهم قيادة الحزب الدستوري وبالتالي قيادة الحركة الوطنية"<sup>1</sup>. كل هذه العوامل أدت إلى تتافر بين جيل الدستوريين القدامى والجدد، وظهور بوادر الخلاف داخل الحزب الدستوري.

كما تضافرت مجموعة من العوامل الأخرى سرعت من عملية الانفصال وزادت من حدة الخلاف بين عناصر الحزب وجماعة جريدة "العمل التونسي"، لعل من أبرزها توجيه قيادة الحزب نقداً ولوماً "للحبيب بورقيبة" على خلفية ترأسه للوفد القادم من المنستير لمقابلة الباي، دون إذن من الحزب، ثم مقابلة ممثلين عن اللجنة التنفيذية للمقيم العام "بيروطون" والاتفاق على بعض الإصلاحات شريطة أن تبقى سرية إلى حين آخر، إلا أن "البحري قيقة" انتقد ذلك وأفشى سر اللقاء<sup>2</sup> فتم عزله. مما دفع "ببورقيبة" إلى الاستقالة من اللجنة التنفيذية، رفقة "محمود الماطري"، و"الطاهر صفر"،

<sup>1</sup> زهير الزواوي، المرجع السابق، ص. 18.

<sup>2</sup> جاء هذا اللقاء بعد استدعاء بيروطون لممثلين عن اللجنة التنفيذية وأنبهم على ما يقومون به من أعمال مناهضة لفرنسا فما كان منهم إلا أنهم تبرؤوا منها محملين بورقيبة وجماعته مسؤولية ذلك، مستشهدين بما نشروا من مقالات للتعقل وبين ما كتبه بورقيبة في جريدة العمل التونسي واقسموا فيما بينهم ألا يفشوا سر المقابلة حتى لا يتسرب الأمر إلى بورقيبة بالخصوص، ولكن ما لبث أحد أعضاء الوفد أن تحدث بالخبر لدى رجال الحزب فتم فصله عقاباً له فتضامن معه بورقيبة وبقي رفاقه في الحزب. أنظر: مركز الوثائق القومي، قسم تونس، رقم الملف، B-3-37.

و"محمد بورقيبة"، متهمين قيادة الحزب "بالاستبداد بالرأي" و"سوء التصرف المالي" و"التزلف للحكومة"<sup>1</sup>.

وقد تعرض "بورقيبة" في إحدى خطبه إلى أسباب استقالته من الحزب الدستوري القديم قائلا: "لقد لامني قادة الحزب القديم على مرافقتي -دون ترخيص- لوفد من أعيان المنستير إلى الباي ليشتكوا له سوء معاملة المعمرين لهم، ويقدموا شكرهم له لعزله عامل المنستير الذي قصر في حماية الأهالي من الاضطهاد... ورغم إنني كنت عضوا في المكتب السياسي لهذا الحزب فقد اخترت الانسحاب وقدمت استقالتي من الحزب القديم يوم 9 سبتمبر 1933"<sup>2</sup>.

وعلى إثر ذلك وجهت اللجنة التنفيذية بيانا، حذرت فيه من موقف المستقلين واعتبرته تمردا على الحزب، ومحاولة للانشقاق والتفرد ببعض المناصب القيادية في الحزب، ثم أطلقت عليهم تسمية "المنشقين"<sup>3</sup>.

لم يقف "بورقيبة" ورفاقه إزاء حملة التشهير موقف المتفرج بل سارعوا إلى القيام بجولة بالساحل شرحوا خلالها موقف جماعتهم تجاه اللجنة التنفيذية<sup>4</sup>، ثم عقدوا مجموعة من اللقاءات مع شعب الحزب ببلدة قصر هلال، محاولين إقناعهم بضرورة عقد مؤتمر جديد، وقد كانت للحزب شعبة قوية يرأسها أحد رجالته البارزين، ولكنهم قابلوا بورقيبة ورفيقه الطاهر صفر بجفاء متأثرين بالاتهامات التي كالتها لهم اللجنة التنفيذية، ونجح بورقيبة في اقناع المناضل أحمد عياد بعقد لقاء في بيته ليوضح وجهة نظره لأعضاء الشعبة.

<sup>1</sup> التيجاني المقتي، محاضرات في تاريخ الحركة الوطنية التونسية، الجزء 1، دار الحزب الاشتراكي الدستوري، تونس، 1978، ص. 102.

<sup>2</sup> Hicham Benzarti, Bourguiba L'exception et L'evahl de 2014, Editions Media-Soft, Tunis, 2018, p. 25 .

<sup>3</sup> كتابة الدولة للأخبار والإرشاد، المصدر السابق، ص. 41.

<sup>4</sup> علي المحجوبي، المرجع السابق، ص. 566.

واستطاع بورقيبة بشيء من الصعوبة من إقناع أعضاء شعبة قصر هلال بوجاهة هذا الموقف، وتعددت اللقاءات والاجتماعات طيلة شهر جانفي وفيفري 1934 وأفضت إلى اقتناع أعضاء الشعبة بصحة موقف بورقيبة وجماعته ورجحت فكرة عقد مؤتمر استثنائي للحزب، وكان الداعي له الحاج البشير بن فضل<sup>1</sup>، لبحث الإشكال والبت فيه بصفة تامة<sup>2</sup>.

وقد أخذ "بورقيبة" وجماعته على عاتقهم الإعداد لهذا المؤتمر<sup>3</sup>، رغم معارضة اللجنة التنفيذية لطلبات الشعب الدستورية لعقد هذا المؤتمر الإستعجالي فوق العادة.

#### أ/ مؤتمر قصر هلال وانشقاق الحزب الحر الدستوري التونسي:

انعقد هذا المؤتمر الاستثنائي بمدينة قصر هلال يوم 2 مارس 1934<sup>4</sup>، في منزل "احمد بن عياد" بالمنستير، وبحضور ستين نائبا منتدبا من شعب الحزب، ولم يكن اجتماعهم للاستماع إلى المنشقين، بل لفض الخلاف بين شقي اللجنة التنفيذية للحزب، ثم السعي لتحريك العمل الوطني المتجمد - في المناقشات الكلامية- والخروج به إلى العمل الميداني لتمكين البلاد من الإنعتاق وتحقيق السيادة<sup>5</sup>.

وقد ناقش المؤتمر جميع المسائل من خلال عدة جلسات، حيث ترأس "بورقيبة" الجلسة الثانية وألقى خطابا مطولا<sup>6</sup> شرح فيه أسباب الخلاف محملا أعضاء اللجنة

<sup>1</sup> كتابة الدولة للأخبار والإرشاد، المصدر السابق، ص.43.

<sup>2</sup> جريدة الصباح 1967/03/02.

<sup>3</sup> فيلكس فارس، بورقيبة ومولد أمة، ترجمة: وبراوي الملوح وآخرون، منشورات مكتب الصحافة والنشر للحزب الدستوري التونسي، مطبعة العمل، تونس، 1975، ص. 57.

<sup>4</sup> أحمد بكير محمود، قصر هلال، ومعركة التحرير، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، 1975، ص. 33.

<sup>5</sup> مركز التوثيق الوطني، قسم الحركة الوطنية، رقم الملف، B-1-32.

<sup>6</sup> أكد "بورقيبة" في الكلمة التي ألقاها خلال مؤتمر "قصر هلال"، على الانتماء إلى الثقافة الغربية مبرزا أهميتها البالغة في حياة الجيل الجديد وذلك بقوله: "دخلت الشبيبة الواقفة أمامكم معترك السياسة بعد أن قضت السنين العديدة في البلاد الأوربية تزاوّل علومها، وتتنظر إلى شعوبها، وطرق المقاومة عندها، فتعلموا تلك الأساليب =

التنفيذية مسؤولة الانقسام والانسداد الحاصل داخل الحزب<sup>1</sup>، ومما جاء فيه: "إني قبل كل شيء ألاحظ لكم أهمية هذا المؤتمر وقيمه الرمزية إذ أنه حقيقة يمثل إرادة الأمة التونسية ولذلك يمكن أن يكون له السلطة التامة والنفوذ الكامل في مقرراته ... أما أسباب الخلاف الحقيقية فهي الطريقة التي اتخذتها الجماعة القديمة والتي لا تريد عنها بديلا وهي طريقة التكتّم على الشعب مع التزلف إلى الحكومة". ليختم خطابه بهذا النداء: "أيها المؤتمرين أيها الشعب التونسي كله يجب عليكم أن تحكموا وإن تصدروا حكمكم بصراحة، يجب عليكم أن تقولوا من هم الرجال الذين يدافعون عنكم وعن القضية التونسية. وبهذا الحكم وحده ستحسمون الخلاف"<sup>2</sup>. وقد نجح "بورقيبة ورفاقه في التأثير على المؤتمرين وفي نواب الشعب الدستورية للحزب.

وبعد مشاورات حسم المؤتمرين الخلاف بين "الحبيب بورقيبة" ورفاقه من جهة، وبقية أعضاء اللجنة التنفيذية للحزب الحر الدستوري من جهة أخرى. فقرروا حلّ اللجنة التنفيذية السابقة<sup>3</sup> وتعويضها بالديوان السياسي<sup>4</sup>، ليتولى محمود الماطري قيادة الحزب والحبيب بورقيبة أمانته العامة، والطاهر صفر مساعد الأمين العام، ومحمد بورقيبة (بفتح الميم) أمين الصندوق، والبحري قيققة مساعد أمين الصندوق<sup>5</sup>، كما تم

---

=المفيدة وجاءوا ليطبّقوها في مسقط رؤوسهم. أنظر: وزارة الاعلام، مؤتمرات الحزب الحر الدستوري التونسي، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، دون تاريخ، ص. 16.

<sup>1</sup> أنظر الملحق رقم 05، مقتطف من خطاب الحبيب بورقيبة بمؤتمر قصر هلال مارس 1934، ص. 398.

<sup>2</sup> جريدة الصباح، 2 مارس 1967.

<sup>3</sup> أنظر الملحق رقم 08، رسالة بورقيبة إلى محمد قاسم 1934، يطلعه على التشكيلة السياسية الجديدة للحزب، ص. 404.

<sup>4</sup> وهو الهيئة التنفيذية العليا للحزب الحر الدستوري الجديد وهو المسؤول عن سير الحزب و تنفيذ للقرارات التي يتخذها مؤتمر الحزب الذي ينتخبه بالاقتراع السري، للمزيد من التفاصيل. أنظر: المركز القومي للتوثيق، القانون الداخلي للحزب الحر الدستوري لعام 1934، رقم الملف B-1.

<sup>5</sup> Ahmed Kassab-Ahmed Ounaies, *Lepoque Contemporaine (1881-1956), Tome.4, Sud Editions, Tunis, 2010, P.403.*



انتخاب أعضاء المجلس الملي<sup>1</sup>، وتم وضع النظام الداخلي للحزب الجديد<sup>2</sup> في شكل نظاما هرميا ينطلق من الخلية المحلية ليصل إلى المكتب السياسي واللجان الجهوية والمجلس القومي، وهكذا تأسس الحزب الحر الدستوري الجديد - وهو يعارض مبادئ الحزب الدستوري القديم - على يد الزعيم "الحبيب بورقيبة"<sup>3</sup>.

وتم فصل القادة الذين اختاروا سياسة المقالات الصحفية والاحتجاجات السلبية أسلوبا للكفاح، وانكمشوا على أنفسهم في عزلة عن الشعب وواقعه، فجمدت الحركة الوطنية، ويئست الأمة من زوال الاستعمار، وبرز جيل من الشباب المتشبع بأفكار الحضارة الغربية، بقيادة "الحبيب بورقيبة" فكانت قرارات المؤتمر بالغة الأهمية، وسيكون لها انعكاسات حاسمة على مجرى الأحداث في تونس. أما أعضاء اللجنة التنفيذية فقد أصروا على مواصلة عملهم رغم قرار الحل من قبل المؤتمر، لذلك سيجد التونسيون أنفسهم أمام حزب دستوري قديم وحزب دستوري جديد<sup>4</sup>.

وما يمكن قوله في الأخير أن مؤتمر قصر هلال كان منعرجا حاسما في تاريخ الحركة الوطنية التونسية، وحدا فاصلا بين مرحلتين. الأولى - قبل انعقاد المؤتمر - حيث ميزتها سياسة التهدئة وتجنب التصادم مع المستعمر والتركيز على الإصلاحات الدستورية في ظل الحزب الدستوري القديم، والثانية - بعد المؤتمر - أي في ظل الحزب الدستوري الجديد، حيث عرفت تطورا سريعا تحول خلالها الحزب إلى قوة ضاربة قادرة على الصمود في وجه القمع والاضطهاد، خطابه عقلاني، يعتمد خطة المراحل للقضاء على الاستعمار والظفر بالحرية والاستقلال.

<sup>1</sup> وهو مجلس مكلف بمراقبة سير أعمال الديوان السياسي، يجتمع مرة واحدة كل 4 أشهر، تغيرت تسميته إلى المجلس القومي بعد مؤتمر الحزب الحر الدستوري الجديد سنة 1964. أنظر: جهاد عودة، تجربة الاشتراكية في تونس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1978، ص. 38.

<sup>2</sup> أنظر الملحق رقم 09، مقتطفات من القانون الداخلي للحزب الدستوري الجديد، ص. 402.

<sup>3</sup> Hicham Benzaarti Bourguiba L'exception Et L'evahl De 2014, P. 27.

<sup>4</sup> عبد المجيد شاكر، المرجع السابق، ص. 27.

ولكن هل تستطيع قيادة الحزب الجديد التي ينتمي أكثرها إلى البرجوازية وكبار الملاكين أن تتجاوز ما عجز عنه الحزب الدستوري القديم؟ وهل ستمكن من تحقيق مطالبها مع محافظتها على الاتجاه العربي الاسلامي الذي يعبر عن رغبات الشعب؟

سيعرف الحزب في هذه المرحلة تطورات كبيرة من خلال المطالب الجريئة التي اعتمدها "بورقيبة" ورفاقه اتجاه سلطات الحماية، معتمدين على الاتصال المباشر بال جماهير التونسية، وعلى الحوار والاقناع كوسيلة لنشر الوعي الوطني وحشد الأنصار وتشريك الشعب في الحياة السياسية للبلاد، خصوصا خلال انتظام الأسواق وفي الساحات العمومية، معتمدا على اللهجة العامية (التونسية) في مخاطبة الجماهير في جولاته لإدراكه بدور الجماهير في معركة الاستقلال<sup>1</sup>. إذ قال: "إني منذ عام 1934 أدركت دور الجماهير في معركة الاستقلال"<sup>2</sup>.

فكان يلهب مشاعر التونسيين أثناء جولاته للمطالبة بالاستقلال وبالحرية والعدالة، ويذكر أنه قال في إحدى جولاته: "مادام المرء يرى بتونس أناسا يجدون مالا يأكلون وآخرين لا يجدون ما يأكلون فالحرب تصبح ضرورية، سرية كانت أو علنية والالتجاء إلى العنف واجب والسلم من قبيل الأوهام"<sup>3</sup>.

كما اعتمد على العمل الصحفي، فبعد الترخيص لجريدة العمل بالعودة للنشاط في غرة جوان 1934 باللغة العربية بدلا عن الفرنسية، بدأت في نشر مقالات هاجمت فيها سياسة الحماية، على غرار ما نشر بتاريخ 30 أوت 1934 بقلم "الحبيب بورقيبة" حيث إتهم الحكومة بالتقصير في أداء واجباتها اتجاه الشعب، الذي أعياه الفقر والجوع

<sup>1</sup> محمد الأمين خلفه، بورقيبة والجانب النفساني من خطته، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، 1971، ص. 87، 90.

<sup>2</sup> نفسه، ص. 45.

<sup>3</sup> فيلكس فاراس، المصدر السابق، ص. 54.

جراء سياسة التقشف التي اعتمدها المقيم العام، فكتب قائلاً: "ما كنا نظن أن حكومة الحماية قد أنزلتنا دون منزلة الأنعام، فلم نعد نظفر بحد أدنى من الرعايا، فهي لم تكلف نفسها حتى حماية صحة الشعب وحفظ قواه"<sup>1</sup>. ثم يرد على تهديدات المقيم العام "مارسال بيروطون" قائلاً: "إن التهديد لا يثبينا عن عزمنا مادامت امتنا تموت جوعاً، وإنك لتدرك جيداً أن أمة هذا حالها تفضل الموت على الحياة. أما نحن فما زلنا نؤمن بعدالة قضيتنا وبأن النصر سيكون حليفنا طال الزمان أو قصر"<sup>2</sup>.

ولم تنتظر السلطات الاستعمارية كثيراً بعد هذا التصريح، حيث جاء ردها قويا وعنيفاً، ومدبراً ففي يوم 3 سبتمبر 1934 أقي القبض على "الحبيب بورقيبة"، وسبعة آخرون من أشهر المسؤولين في الحزب الحر الدستوري الجديد<sup>3</sup>، حيث أصدر بلاغ رسمي بنفيهم<sup>4</sup>، فتم إبعادهم إلى "برج البوف" بالجنوب التونسي.

ولم يبطئ الشعب في ردة الفعل، فما إن انتشر خبر إيقاف الزعماء حتى اندلعت مظاهرات في تونس، ومدنين وقصر هلال وطبرقة ونفطة وغيرها من المدن التونسية وتوالت الإضطرابات والإصطدامات بين التونسيين وقوات المحتل<sup>5</sup>، تضامناً مع

<sup>1</sup> الحزب الدستوري الحر، الدستور الجديد "إزاء المحنة الأولى 1934-1936"، وثائق، 2، دار العمل، تونس، 1979، ص. 66.

<sup>2</sup> *Le Néo-Destour, face à la Première Epreuve 1934-1936, Documents. 2, Edition de Presse, Tunis, 1981, P. 116 .*

<sup>3</sup> كما أقي القبض على: محمود الماطري، محمد بورقيبة، يوسف الرويسي، الحبيب بوقطفة، الصادق حميدة بن الورداني، محمد العكرومي بن زروق، محمد كركر. أنظر: محمد السعيد عقيب، الحزب الحر الدستوري التونسي القديم 1934-1956، أطروحة دكتوراه في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر 02، السنة الجامعية 2009-2010، ص. 134.

<sup>4</sup> وذلك بناءً على أمر صادر بتاريخ 15 أفريل 1934 وهو أمر تنقيحي للأوامر الجائرة التي صدرت بتاريخ 6 ماي 1933 من طرف المقيم العام مانصرون -مثل إيقاف جريدة "العمل التونسي" يوم 30 ماي 1933-، ومنذ هذا التاريخ أي 3 سبتمبر 1934 أصبح المقيم العام هو الذي يتخذ قرارات الإبعاد ضد المشوشين بدلاً عن مجلس الوزراء. أنظر: حفيظ الطباي، المرجع السابق، ص. 39.

<sup>5</sup> *Le Néo-Destour, Septembre 1934 Repression et Resistance, Maison Tunisienne de L'édition, Tunis, p. 60, 61 .*

الزعماء المبعدين ودفاعا عن المطالب التي اعتقلوا من أجلها<sup>1</sup>، وأغلقت أعداد كبيرة من المحلات، والدكاكين، ووقعت مشادات دامية يوم 5 سبتمبر 1934 فيمكنين<sup>2</sup> بسبب تصدي السلطات الاستعمارية للمتظاهرين وقمعهم، ونتيجة لاعتقال بورقيبة ورفاقه، شكل الحزب ديوانا سياسيا ثانيا تألف من الطاهر صفر والبحري قيقة وصالح بن يوسف<sup>3</sup>، والذين قدموا مذكرة احتجاج إلى المقيم العام "بيروطن" طالبوا فيها إطلاق سراح المعتقلين السياسيين، إلا أنه رفض مطالبهم وقام باعتقالهم<sup>4</sup>.

وقد حاول "بيروطن" عبثا إجبار "بورقيبة" ورفاقه على الاستسلام حيث صرح في خطاب ألقاه في المجلس الكبير<sup>5</sup> قائلا: "إني لا أواجه خصما صريحا بضراوة، بل إني اشتريت ومازلت اشتري من الأشخاص المسلط عليهم العقاب تعهدات وأدلة على

<sup>1</sup> قدارة شايب، المرجع السابق، ص. 143.

<sup>2</sup> الحزب الدستوري الحر، الدستور الجديد "إزاء المحنة الأولى"، المصدر السابق، ص. 78.

<sup>3</sup> ولد في جزيرة جربة في 11 أكتوبر 1907 من عائلة عريقة وميسورة، التحق بمعهد ليسييه كارنو وبعدي حصوله على شهادة البكالوريا عام 1930، سافر إلى باريس ودرس في كلية الحقوق بجامعة السوربون وتخرج فيها عام 1933. وبعد عودته إلى تونس عمل بالمحاماة وفي عام 1934 شارك في مؤتمر قصر هلال، وانتخب في الديوان السياسي واعتقل سنة 1934 ثم سنة 1938 وبعد هجرة بورقيبة إلى القاهرة، أصبح أمينا عام للحزب الدستوري الجديد، ثم وزيرا للعدل سنة 1950، كما شارك في الوفد التفاوضي مع فرنسا على الاستقلال الداخلي سنة 1950، وبعد إلقاء فرنسا القبض على أعضاء الحكومة التونسية هرب إلى بلجيكا ثم القاهرة سنة 1952. ولم يعد إلى تونس إلا سنة 1955، ليدخل في مرحلة صراع مع الحبيب بورقيبة انتهت باغتياله سنة 1961 بألمانيا. أنظر: الجيلاني بن الحاج يحي، الزعيم الكبير صالح بن يوسف "حياته ونضاله"، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس، 2009، ص. 7-33.

<sup>4</sup> بتاريخ 4 جانفي 1934، اتخذ قرار باعتقال معظم قادة الحزب وهم: الطاهر صفر، البحري قيقة، صالح بن يوسف، الهادي شاكور، محي الدين القليبي، محمد الحبيب بوقطفة، محمد الصالح كركر، محمد التعبوري. أنظر: الحزب الدستوري، المصدر السابق، ص. 186.

<sup>5</sup> في عام 1896 أسست لجنة استشارية من المستوطنين الفرنسيين مهمتها مد المقيم العام بأرائها فيما يتعلق بالشؤون الاقتصادية. وفي عام 1907 قرر المقيم العام الفرنسي استحداث لجنة استشارية أخرى تتكون من تونسيين. وفي عام 1922 تم إنشاء هذا المجلس عوضا عن اللجنتين، وقد اشتملت على قسمين فرنسي منتخب يتكون من 160 عضوا من المستوطنين، والثاني معين يتكون من 41 عضو تونسي يتم تعيينهم من المجالس البلدية والغرف الفلاحية والتجارية وكانت مهمته استشارية وله حق النظر في ميزانية الدولة، لكن لا يقر شيء. أنظر: شارل اندري جوليان، افريقيا الشمالية تسير، المرجع السابق، ص. 96.

الاستسلام". فأجابه "بورقيبة" من منفاه في "برج البوف" برسالة طويلة في نوفمبر 1934<sup>1</sup> قال فيها: "لا تنتظروا مني خضوعا ولا استسلاما، فإني ما زلت راضيا بمرارة التغريب، ولو لم يكن له حد ولا نهاية، مؤثرا حياة المنفى والإبعاد، لأنني أريد أن أبقى واقفا على قدمي..."<sup>2</sup>.

تجاوبت الجماهير التونسية مع تصريحات الحبيب بورقيبة متحدية سياسة "بيروطون" التعسفية، الذي لجأ لاستخدام كل وسائل القمع والاضطهاد للقضاء على الاضطرابات وحركات التمرد وأعمال الفوضى، أما أعضاء الحزب فقد أنشؤوا الديوان السياسي الثالث<sup>3</sup>، بقيادة الشاذلي خير الله، وتقدموا بتاريخ 3 جانفي 1935، بطلب لمقابلة المقيم العام بيروطون بهدف إطلاق سراح قادة الحزب المعتقلين، لكنه أجل مقابلتهم إلى شهر مارس، ثم امتنع عن اللقاء عندما حل الأجل متحججا بكثرة انشغالاته<sup>4</sup>، فقاموا بالدعوة إلى تنظيم مظاهرة كبيرة في العاصمة يوم 29 مارس 1935 شارك فيها نحو 30 ألف متظاهر احتجاجا على سياسة المقيم العام في تونس<sup>5</sup>، وعندما فشلوا في تحقيق مطالبهم قدموا استقالتهم يوم 14 أبريل 1935 ليتشكل بعدها الديوان السياسي الرابع<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> أنظر الملحق رقم 07، رسالة تحدي من الحبيب بورقيبة إلى المقيم العام بيروطون من برج البوف 1934، ص. 400.

<sup>2</sup> حمادي الساطي، المجاهد الأكبر الزعيم الحبيب بورقيبة وكفاحه من أجل الاستقلال وبناء الدولة العصرية (1901-2000)، مجلة الصادقية، العدد. 22، تصدر عن قداماء الصادقية، تونس، 2001، ص. 8.

<sup>3</sup> تشكل المكتب السياسي الثالث من الشاذلي خير الله رئيسا، والطاهر زاوش كاتب عام خاص باللغة الفرنسية، بشير فورتني كاتب عام خاص باللغة العربية، نورالدين زاوش ومحمد سويسي أمينا المال. أنظر: Roger Casemajor, *L'action Nationaliste En Tunisie*, Sud Editions-Tunis, 2009, p.86.

<sup>4</sup> Ibid. p.86.

<sup>5</sup> الحزب الدستوري الحر، الدستور الجديد "إزاء المحنة الأولى، المصدر السابق، ص. 66.

<sup>6</sup> نفسه، ص. 219.

بعد هذه الاحداث لم تجد الحكومة الفرنسية حلا لتهدئة الأوضاع سوى إبعاد المقيم العام بيروتون حيث تم نقله إلى المغرب، وعين محله "ارمان قيون" في أبريل 1936<sup>1</sup>، الذي افتتح عمله بالعفو عن سائر المعتقلين السياسيين، وسمح "للحبيب بورقيبة" و"صالح بن يوسف" و"الطاهر صفر" و"البحري قيقة" و"محي الدين القليبي"<sup>2</sup> وغيرهم من القادة الدستوريين بالعودة إلى مراكزهم<sup>3</sup>. مع اشتراطه في بيان رسمي: "إن ما أتخذ من إجراءات للتهدئة لا يسمح بالمساس بالتراتب القانونية السارية المفعول ولا بعقد اجتماعات أو بالتظاهر أو بعث الأحزاب التي تم حلها"<sup>4</sup>.

فكان ذلك نصرا "للحبيب بورقيبة" وللحركة الوطنية والشعب التونسي عامة وللحزب الدستوري الجديد خاصة، الذي بدأ في تنظيم صفوفه، فانتشرت الشعب الدستورية في كل أنحاء البلاد التونسية، وتزايد أنصار الحزب، وقد تبنى الحزب في اجتماع المجلس الملي المنعقد في جلسته الخارقة للعادة بتونس في 10 جوان 1936 نفس المطالب التي اتفق عليها في مؤتمر نهج الجبل فلا تبديل ولا تغيير لمذهبه وميثاقه<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> علال الفاسي، المصدر السابق، ص. 77.

<sup>2</sup> مناضل تونسي، ولد سنة 1899 في مدينة تونس، أخذ تعليمه الأول في الكتاب فحفظ القرآن، ثم صاحب والده إلى حلقات الدروس في جامع الزيتونة لطلب العلم، انقطع عن التعليم سنة 1921 قبل اتمام دراسته الثانوية، انخرط في الحزب الحر الدستوري مبكرا، كتب العديد من المقالات التي هاجم فيها الاستعمار الفرنسي، فتم سجنه سنة 1924 لمدة 7 أشهر، تولى إدارة الحزب الحر الدستوري بعد سفر الثعالبي، واستمر في نضاله السياسي حتى وفاته المنية سنة 1954. أنظر: محمد بوذينة، محي الدين القليبي 1899-1954، منشورات محمد بوذينة، الحمامات، تونس، (د.ت.ن)، ص. 3-11.

<sup>3</sup> مركز التوثيق القومي بيروغرافيا الشخصيات الحبيب بورقيبة، رقم الملف A-4-18.

<sup>4</sup> عبد المجيد شاكر، المصدر السابق، ص. 90.

<sup>5</sup> وزارة الإعلام، الحزب الدستوري الحر، الدستور والجهة الشعبية بفرنسا (1936-1938) "الحوار"، الجزء 1، وثائق. 3، دار العمل، تونس، 1979، ص. 31، 32.

ومن هنا يمكننا القول بان الحزب الدستوري الجديد استطاع أن يغير فكر الشعب التونسي في طرق ووسائل الكفاح لتحقيق مطالبه المشروعة، وذلك من خلال عمليات التوعية التي قام بها شباب الحزب، وخاصة من طرف أمينه العام آنذاك "الحبيب بورقيبة" الذي اكتسب خبرة سياسية كبيرة وسعى لتوظيفها بالبلاد التونسية في كل الميادين.

### ب/ بورقيبة وحكومة الجبهة الشعبية:

في ظل هذه الظروف وصلت حكومة الجبهة الشعبية<sup>1</sup> إلى الحكم في فرنسا، بتاريخ 21 جوان 1936 وعين على رأسها الراديكالي الاشتراكي<sup>2</sup> "ليون بلوم"<sup>3</sup>، الذي أظهر النية لتغيير سياسة فرنسا في تونس والقيام بإصلاحات دستورية، كما تظاهر المقيم العام الجديد<sup>4</sup> بتفهمه للمشاكل العامة وقدرته على إدارتها بهدوء وحكمة واجتتاب سياسة العنف<sup>5</sup>. فاستبشر التونسيون خيرا ووضعوا الأمل في الجبهة الشعبية، وأراد الدستوريون الجدد أن يستغلوا الفرصة للحصول على مكاسب وطنية لبلادهم، فحدّدوا

<sup>1</sup> عبارة عن ائتلاف حزبي لليسار في فرنسا، استطاع الفوز في الانتخابات في شهر جوان من سنة 1936، ومنها شكل أول حكومة حقيقية لليسار عرفتها فرنسا منذ الحرب العالمية الأولى وترأس حكومتها "ليون بلوم". أنظر: محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص. 166.

<sup>2</sup> Mustapha Kraïem, 'Mouvement National E Tfront Populaire "La Tunisie Des Anneestrente "Imprimerie Officielle De La Republique Tunisienne, Tunis, 1996, P. 309 .

<sup>3</sup> (1872-1950) كاتب ورجل سياسة فرنسي، ترأس حكومة الجبهة الشعبية بفرنسا في جوان 1936، غادر منصبه في جوان 1937. تولى بعدها العديد من المناصب السياسية من 1938 حتى 1946. أنظر: حفيظ الطباي، المرجع السابق، ص. 111.

<sup>4</sup> من الإجراءات التي قام بها، إطلاق سراح المعتقلين، وإلغاء بعض القرارات الجائرة، كما اشترك في استقبال المبعدين يوم عودتهم إلى تونس، واطهر الطرفين إمكانية التعاون الفرنسي التونسي. أنظر: فيلكس فاراس، المصدر السابق، ص. 347.

<sup>5</sup> نفسه، ص. 348.

جملة من المطالب. لعرضها على الحكومة الفرنسية وتم تكليف بورقيبة بالسفر إلى باريس للاتصال بحكومة الجبهة الشعبية<sup>1</sup>.

سافر بورقيبة إلى باريس وتمكن من عقد لقاء يوم 6 جويلية سنة 1936 مع "بيار فيانو" Pierre Viénot وكيل وزير الخارجية الفرنسي والمسؤول عن الشؤون التونسية والمغربية في حكومة "ليون بلوم"، وسلمه مذكرة تضمنت بعض المطالب الإصلاحية، التي كانت قد أقرتها قيادة حزب الدستور الجديد<sup>2</sup>. وقد وجد تفهما من حكومة باريس، واستعدادا للنظر معه بجدية في الطلبات التونسية، حيث صرح المقيم العام "فيون" لا يمكن بعد 50 سنة من الاحتلال المحافظة على تونس بالقوة، لأن ذلك قد يمثل خطرا إذا ما حدث نزاع<sup>3</sup>. فأعلن حينها "بورقيبة": "أن البلدان يخوضان تجربة تحتاج إلى تعاون وحسن نية من الطرفين حتى يمكن أن تتحقق الآمال المرجوة"<sup>4</sup>.

وقد شرح "بورقيبة" سياسته في جريدة "العمل التونسي" متعرضا للقائه "بفيانو" Viénot فقال: "إن الحل الأمثل والعادي والمنطقي والضروري لدى الشعب التونسي -ككل الشعوب الخاضعة لسيادة أجنبية- هو تحقيق استقلاله ذات يوم. لكن هذا الاستقلال نتصوره كنتيجة ضرورية لتحريره هو الذي يكون أيضا من عمل فرنسا ومن عمل الحزب... لذا فكرنا في محاولة إيجاد تجربة واسعة مع فرنسا، قصد توجيه الحماية، بوسائل سلمية، نحو نظام عادي يستمد قوته، لا من استكانة الضعيف، ولكن

<sup>1</sup> عمر الشاذلي، المصدر السابق، ص. 59.

<sup>2</sup> وهي: - إلغاء التثنت الاستعماري. - إيقاف استيلاء المعمرين على الأراضي الزراعية. - تكوين بلديات منتخبة. - التعليم الإجباري للجميع. - إلغاء المجلس الكبير وتعويضه ببرلمان تونسي وحكومة مسؤولة أمامه. أنظر: علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص. 81. وأنظر أيضا: الحزب الدستوري الحر، الدستور والجبهة الشعبية بفرنسا، المصدر السابق، ص. 63، 64، 65.

<sup>3</sup> الحزب الدستوري الحر، الدستور والجبهة الشعبية بفرنسا، المصدر السابق، ص. 61.

<sup>4</sup> Le Neo-Destour, Le Dialogue, Dar El Amel, Tunis, 1969, T. 1, P. 58. 59 .



بمشاركته الحرة الكاملة والتامة<sup>1</sup>. وهو دعوة صريحة من "بورقيبة" إلى فتح باب التعاون مع فرنسا وربط مصير الشعب التونسي سياسيا واقتصاديا بالدولة الفرنسية، وانتهاج سياسة المراحل.

ليعود "بورقيبة" إلى تونس متفائلا، فقد ألغيت القوانين الجائرة التي فرضها "بيروطون"، وأرجعت الحريات العامة وتم الوعد بإجراء إصلاحات هامة لتشريك التونسيين في تصريف شؤون بلادهم. لكن الجالية الفرنسية بتونس لم ترض بهذه القرارات لا سيما المعمرين الفرنسيين الملقبون "بالمتفوقين"<sup>2</sup>، فقاموا بحملات صحفية عنيفة واتصالات سياسية واسعة للضغط على الحكومة، كما تهجموا على الحزب الدستوري الجديد وخاصة على أمينه العام "الحبيب بورقيبة"<sup>3</sup>.

مما جعل الحكومة الفرنسية تتماطل في تلبية الرغبات التونسية. فأعلن المقيم العام "ارمون قيون" "Armand Guillon" لتهدئة المستوطنين أن الحماية الفرنسية على تونس تقوم على أساس الاتفاق بين الحكومة الفرنسية والباي التونسي<sup>4</sup>، في حين توجه "فيانو" "Viénot" بتطمينات للمستوطنين فيما يخص حمايتهم وامنهم والحفاظ على مصالحهم قائلا: "أما في بلدان الحماية... تقوم العلاقات الموجودة بين فرنسا والبلدان

<sup>1</sup> عمر الشاذلي، المصدر السابق، ص. 59، 60.

<sup>2</sup> أو المهيمنون يشكلون أهم كتلة ضمن الجالية الفرنسية وهم كبار مالكي الأراضي الفلاحية والتجار وأصحاب المؤسسات وشكلوا مراكز ضغط "لوبيات" كما امتلكوا وسائل إعلام ناطقة باسمهم دافعت عن مصالحهم. أنظر: محمد العفاس، حوادث أبريل 1938، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، 2016، ص. 9.

<sup>3</sup> وزارة الاعلام، الحزب الدستوري الحر، الدستور والجهة الشعبية بفرنسا، المصدر السابق، ص. 67.

<sup>4</sup> سعد زغلول عبد ربه، الحركة الوطنية في تونس بين الحربين العالميتين، مجلة البحوث والدراسات العربية، العدد. 10، مصر، 1979-1980، ص. 245.

المحمية في شكل تعاون مستمر وعضوي لا ينفصم ولا يمكن أن يتم التطور المشروع للحريات المحلية إلا داخل هذا التعاون"<sup>1</sup>.

لكن "بورقبيية" لم ييأس وسعى إلى تدارك الوضع، وتحريك القضية، ومواصلة الحوار واجتتاب القطيعة، فسافر ثانية إلى باريس في 12 فيفري 1937، لكن "بيار فيانو" Viénot رفض مقابله هذه المرة<sup>2</sup>، مما اضطره إلى استخدام الوساطة لتبليغ مذكرته، التي ضمنها حصيلة عن الأوضاع السياسية والاقتصادية المتردية في تونس<sup>3</sup>، وقد تقابل مع عدة شخصيات سياسية فرنسية على غرار الإشتراكي "شارل اندري جوليان"، حيث التمس منهم التدخل لدى الحكومة والقوى السياسية المساندة لها حتى يتم الوفاء بما التزموا به من تعهدات اتجاه القضية التونسية<sup>4</sup>.

من هنا نلاحظ الدور الكبير الذي لعبه "بورقبيية" في سبيل الحصول على إصلاحات لصالح بلاده، رغم تعنت الإدارة الاستعمارية من جهة، ورفض الحزب الدستوري القديم لمنهجه وسياسته وطريقة عمله من جهة أخرى. والتي اعتمد فيها على الضغط على الحكومة الفرنسية في أوقات معينة، والدخول معها في مفاوضات وتقديم تنازلات لصالحها في أوقات أخرى، أو ما يسمى بسياسة "خذ وطالب"، في المقابل اقتصر دور الحزب القديم على التثديد وتقديم الاحتجاجات، دون القيام بأي نشاط فعلي أو عملي لصالح الشعب التونسي.

<sup>1</sup> وزارة الإعلام، الحزب الدستوري الحر، المصدر السابق، ص. 67.

<sup>2</sup> بعد أسبوع من زيارة بورقبيية لباريس زار "بيار فيانو" تونس واستقبل وفدا من الديوان السياسي يقوده "محمود المطري"، وتجنب تشريك "بورقبيية" في هذا الوقت حتى لا يستفز الجالية الفرنسية، فصرح -معبرا عن الصيغة النهائية للاتفاقيات التي تربط تونس بفرنسا - "إن بعض مصالح الفرنسيين المقيمين الخاصة بتونس، لا تتوافق بالضرورة مع مصالح فرنسا". أنظر:

Ahmed Kassab, *Histoire de la Tunisie L'Epoque Contemporaine, Op-Cit, P. 409.*

<sup>3</sup> عمر الشاذلي، المصدر السابق، ص. 60.

<sup>4</sup> الهادي البكوش، المرجع السابق، ص. 54. 55.

ومما زاد الأمور تعقيدا في هذه المرحلة عودة "عبد العزيز الثعالبي" بتاريخ 8 جويلية 1937 إلى تونس، وشروعه في حملة دعائية لتوحيد قيادات الحزب تحت لوائه<sup>1</sup>، مما أزعج الزعيم "بورقيبة" الذي رفض مشاركة الشيخ له في القيادة<sup>2</sup>. فتصدى لكل محاولات الوحدة بين الحزبين التي تبناها "الثعالبي"، مستغلا في نفس الوقت الضعف الذي يعاني منه الحزب الدستوري القديم، ليفرض هيمنة حزبه الجديد على الحياة السياسية والاجتماعية وتسلم مقاليد الأمور في البلاد وكسب تأييد الجماهير التونسية<sup>3</sup>.

من هنا يمكننا ان نخلص إلى أن "بورقيبة" ورغم الاتهامات الموجهة إليه خاصة من طرف الدستوريين القدامى<sup>4</sup>، إلا أنه اقلق السلطات الاستعمارية ونجح في الحصول على بعض المكاسب في تلك الفترة وأن كانت ظرفية. وقد أوضح للذين ينتقدون سياسته التوفيقية التي ربطها مع "بيار فيانو" Pierre Viénot: قائلا "إن السياسة الحقيقية هي التي تعتمد الواقع"، ويضيف: "فمنذ عودتنا من "برج البوف" منذ التبدل الذي كشف عنه هذا التغيير في سياسة فرنسا، فإننا دفعنا بكل قوانا حتى تتطور هذه

<sup>1</sup> لقد استطاع الثعالبي التوصل إلى عقد اجتماع تمهيدي بين قيادة الحزبين في 3 أوت 1937 وقد حضر هذا الاجتماع، الطاهر صفر، المنصف المنستيري، سليمان بن سليمان، الطيب الجميل، الطيب المهيري، أحمد بن ميلاد الشاذلي، علي بوحاجب، صالح بن يوسف، صالح فرحات، الحبيب بورقيبة، ورياسة الثعالبي. حيث شكلت لجنة من، الطاهر صفر، سليمان بن سليمان، علي بوحاجب، صالح فرحات، لكن بورقيبة ورفاقه عملوا على إفشال عمل هذه اللجنة ووضع العراقيل أمامها بل وعملت على تعطيل الوحدة مما جعل الثعالبي يتحول للشعب والقيام بالزيارات إلى القرى والمدن، وقام بشن حملة لتشويه أعضاء الديوان السياسي، ودعوة الشعب لتوحيد صفوفه ضد العدو. أنظر: عبد العزيز الثعالبي، الكلمة الحاسمة، مطبعة الإدارة، تونس، 1937، ص. 95.

<sup>2</sup> Roger Casemajor, Op-Cit, P. 97.

<sup>3</sup> مركز التوثيق الوطني القومي، بيروغرافيا الشخصيات الحبيب بورقيبة، رقم الملف، A-4-18.

<sup>4</sup> إن المنتبغ لسير الأحداث يجد أن حزب الدستور القديم تغاضى عن خيبة أمل الدستور الجديد لإثبات فعاليته وممارسة سياسته العلنية، وحملاته حينها كانت تدور حول الفكرة الرئيسية بأن: "لا ينتظر النية أو الإرادة الحسنة من الحكومة الفرنسية، وهذا ما يبين الفارق والتباين بين الدستور القديم والجديد، حيث سخر من ثقة بورقيبة في الجبهة الشعبية". أنظر: محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص. 172.

السياسة، وتوقفت فرنسا عن أن ترى فينا أشرارا أو أعداء، فرغبت في التفاوض معنا، وحاولت أن تفهم الشعب التونسي، وأن توفق بين حاجيات الشعب ومطامحه وبين المنافع الفرنسية. فهل يجب علينا أن نجيبها بعدم القبول، وأن ننطوي في وضع سلبي، أو أن نقوم بلعبة المستعمر ذاته<sup>1</sup>. وقد أقام الحجة على حكومة الجبهة الشعبية التي أظهرت نيتها الاستعمارية وتكرها للمطالب التونسية، وأنها لا تختلف بنظرتها الاستعمارية للشعب العربي، عن غيرها من الحكومات الفرنسية الأخرى<sup>2</sup>، كما أنها لم تهتم بأي شكل من أشكال التعاون مع التونسيين، رغم التساهل الذي أبداه الدستوريون الجدد وعلى رأسهم الزعيم "بورقيبة"، حيث عمدت إلى إعطاء الوعود لريح الوقت وتخدير الشعب والهاء الحركة الوطنية بإصلاحات زائفة، وفي المقابل كسب رضا وثقة المعمرين الفرنسيين.

فساءت العلاقة بين الحزب الدستوري الجديد، والحكومة الفرنسية أكثر فأكثر وترعزت الثقة<sup>3</sup> خاصة بعدما اتخذت الحركة المطالبة توجهات أكثر تشددا، لكن الاستعمار سوف يخاطبها بلغة السلاح، هكذا تكون الجبهة الشعبية التي عقد عليها قادة الحركة الوطنية آمالهم بدرجات متفاوتة، قد ختمت مدتها في بحر من الدم، فسقط من عمال المناجم في المتلوي 18 قتيلا وعددا لا يحصى من الجرحى في عدة مدن

<sup>1</sup> محمد الهاشمي عباس، المصدر السابق، ص، 181.

<sup>2</sup> نفسه، ص. 183.

<sup>3</sup> نذكر منها: 1- تضامن بورقيبة مع مصالي الحاج في الجزائر، علال الفاسي بالمغرب، اللذين سلطت عليهما وعلى رفاقهم إجراءات قمعية حيث دعا إلى إضراب تضامني معهم تم يوم 20 نوفمبر 1937. 2- إصرار الحزب الدستوري الجديد على بعث نقابة عمالية تونسية على غرار النقابة التي أسسها محمد علي سنة 1924 مما أثار حفيظة الكاتب العام "CGT" الجامعة العامة للعمل وتهجمه على بورقيبة وحزبه. 3- إضراب في المتلوي يوم 4 مارس 1937 قتل فيه قرابة 17 عاملا وعشرات الجرحى، واتهمت الصحافة الفرنسية الحزب الدستوري الجديد بالوقوف وراءها. أنظر: الهادي البكوش، الحبيب بورقيبة وأحداث 9 أبريل، المرجع السابق، ص. 58.

تونسية أخرى<sup>1</sup>، ثم ما لبثت أن سقطت حكومة "ليون بلوم"، في جوان 1937 وجاءت حكومة الراديكالي "شوتون" الذي كان أقل تعاطفا ممن سبقه مع الشعوب المستعمرة<sup>2</sup>.

فتعكرت العلاقات مع فرنسا، وخابت الآمال التي وضعها الدستوريون ومن ورائهم الشعب التونسي في الجبهة الشعبية، واستخلص الحزب العبرة من هذا التطور السيئ الحاصل في المواقف الفرنسية.

في ظل هذه المستجدات عقد الحزب مؤتمره الثاني بتونس "بنهج التريبونال" من 30-31 أكتوبر إلى 2 نوفمبر 1937، وكانت البلاد تعيش آنذاك التجربة الأولى للتعاون التونسي الفرنسي التي قادها "الحبيب بورقيبة"، عندما همت حكومة الجبهة الشعبية بفرنسا سنة 1936 بإصلاح نظام الحماية وتطوير هياكله، ولكنها تراجعت في ظل ضغط المستوطنين الفرنسيين بتونس، الذين رفضوا أي تغيير أو إصلاح لصالح الشعب التونسي<sup>3</sup>.

لكن سرعان ما فهم الشعب حقيقة النية المبيتة وأنه لم يعد هناك أمل للتعاون مع فرنسا في ذلك الجو، ودعا الشعب إلى استئناف الكفاح ضد الاستعمار<sup>4</sup>. وقد القى بورقيبة خطابا حماسيا في هذا المؤتمر جاء فيه "لقد أقمنا الشعب التونسي بان عليه البحث في نفسه، لا في الخارج، عن وسائل تحريره، وأنه في استطاعته أن يغير بوسائله الخاصة مجرى السياسة الفرنسية بالبلاد التونسية، وأن يحقق تحريره الكامل تدريجيا بخطى ثابتة"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> المنصف الشابي، الزعيم صالح بن يوسف حياة كفاح، ط.4، دار نقوش عربية، تونس، 2017، ص.52، 53.

<sup>2</sup> مركز التوثيق الوطني، القومي بيروغرافيا الشخصيات الحبيب بورقيبة، المصدر السابق.

<sup>3</sup> عبد المجيد شاكر، المصدر السابق، ص.95.

<sup>4</sup> مركز التوثيق الوطني، قسم الحركة الوطنية، مؤتمرات الحزب الاشتراكي الدستوري، رقم الملف، B-1-32.

<sup>5</sup> عبد المجيد شاكر، المصدر السابق، ص.95.

وقد سيطر على هذا المؤتمر روح الاندفاع والحماس لدى الشبان ولدى مناضلي الحزب القياديين. كما عمدوا إلى سحب الثقة من الحكومة الفرنسية ومن المقيم العام، الذي سيتعرض فيما بعد إلى التهجم من طرف "بورقيية"<sup>1</sup>، ولكنه أكد في نفس الوقت إمكانية تحقيق الاستقلال في كنف النظام والسلم والثقة بالتعاون مع فرنسا، وهو بذلك أبقى باب الرجوع إلى الحوار مفتوحاً<sup>2</sup>.

لكن هذه التطمينات لم تغير من مجرى الأحداث فالأوضاع تطورت نحو قطيعة بلا رجعة، لذلك اجتمع المجلس الملي للحزب الدستوري الجديد، يومي 13، 14 مارس 1938 ودعا الشعب الدستورية جهارا إلى الدخول في المقاومة<sup>3</sup>، وانتشر زعماء الحزب في كل البلاد، وعلى رأسهم "الحبيب بورقيية" يعقدون الاجتماعات ويدعون الشعب إلى القيام بأعمال الشغب، ويهددون بالنزول إلى الشارع والعصيان المدني والإضراب عن دفع الأداءات الضريبية، ومقاطعة السلع والبضائع الفرنسية المستوردة.<sup>4</sup> وقد تجول "الحبيب بورقيية" في عدة جهات من البلاد محرضاً الشعب التونسي لمواجهة السياسة الاستعمارية<sup>5</sup>، هذه الجولات<sup>6</sup> امتدت من الوطن القبلي إلى الجنوب التونسي ولم يتوقف يتوقف حتى أصيب بالتهاب حاد في حنجرته ألزمه الفراش إلى حين إلقاء القبض عليه في أبريل 1938، مع العلم أن رئيس الحزب "محمود الماطري" رفض العنف كوسيلة

<sup>1</sup> حيث نشر بورقيية مقالا انتقد فيه المقيم العام "ارمون فيون" تحت عنوان "ذهول أم وقاحة" وقد سبب هذا المقال خلافاً حاداً بينه وبين الماطري الذي رفض سياسة بورقيية والتجأه للعنف. أنظر: محمد العفاس، المرجع السابق، ص. 60

<sup>2</sup> الحبيب بورقيية، بين تونس وفرنسا، المصدر السابق، ص. 190.

<sup>3</sup> الشاطر وآخرون، المرجع السابق، ص. 110

<sup>4</sup> الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص. 65.

<sup>5</sup> لقد أنكر الحبيب بورقيية أثناء استنطاقه بعد حوادث 9 أبريل بشأن تحريض الحزب لاستعمال العنف ضد فرنسا في حالة عدم امتثالها وأضاف أنه لو علم بتلك الإجراءات لكان عارضها. أنظر: نشرات وزارة الإعلام، قضية بورقيية 9 أبريل 1938، وثائق رقم 6، دار العمل، تونس، ص. 297.

<sup>6</sup> للإطلاع على جولات الحبيب بورقيية والخطابات التي ألقاها في المناطق التي زارها خلال سنة 1938، أنظر: المصدر نفسه، ص. 299، 303.

لتحقيق الاستقلال، فنشب خلاف حاد بينه وبين كاتب الحزب العام، مما دفعه إلى الاستقالة من منصبه يوم 13 جانفي 1938<sup>1</sup>.

وقد أدى هذا الأسلوب إلى صدامات ومواجهات بين الشعب، والجنود الفرنسيين وتعددت الاشتباكات وتصدت السلطات الاستعمارية بوحشية لهذه الأعمال، كما نجح الحزب في تأطير الطلبة الزيتونيين وحثهم على الإضراب، وزادت هذه الأعمال ضراوة بداية من 7 و 8 و 9 أبريل 1938<sup>2</sup>، حيث نظم علي البلهوان<sup>3</sup> مظاهرة في مدينة تونس احتجاجا على سياسة سلطات الحماية القمعية يوم 8 أبريل 1938 فوُقت أحداث دامية، استخدم فيها الجنود الفرنسيون الرصاص الحي لصد المدنيين العزل واعتقلوا الآلاف من مناضلي الحزب الدستوري الجديد<sup>4</sup>، الذي تم حله وتفكيك جمعياته، ومنع جريدته من الصدور، وحجز وثائقه ومنعه من أي نشاط<sup>5</sup>، وقد خلفت هذه الأحداث 122 قتيل و 66 جريح في صفوف التونسيين فكانت التكلفة عالية<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> Anissa el Materi Hached Mahmoud El Matrei, "Pionnier de La Tunisie Moderne, Sud Editions, Tunis, 2011, P. 157 .

<sup>2</sup> وقعت هذه الأحداث على خلفية المظاهرات التي نظمها الحزب الدستوري الجديد يوم 8 أبريل 1938 بالعاصمة والذي خطب فيه علي البلهوان خطابات حماسية وفي اليوم الموالي استدعاه قاضي التحقيق للمثول بين يديه فتجمع المتظاهرون أمام قصر العدالة للاحتجاج، فأطلقت عليهم قوات الأمن الرصاص وأسفرت المواجهة عن عدد كبير بين قتلى وجرحى وأعلنت الحكومة الفرنسية حالة الحصار ومنعت الاجتماعات وعطلت الصحف الوطنية. أنظر: حمادي الساحلي، المرجع السابق، ص. 9.

<sup>3</sup> مناضل تونسي ولد سنة 1909 في مدينة تونس، حيث تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي، ثم انتقل إلى العاصمة باريس عام 1924 ودرس في كلية قسم اللغة العربية، وبعد تخرجه عاد إلى تونس في عام 1935، حيث عمل مدرسا للغة العربية في المدرسة الصادقية، وفي العام الموالي انخرط في الحزب الحر الدستوري الجديد، ألقى عليه القبض عام 1938 بعد حوادث 9 من أبريل 1938، أطلق سراحه سنة 1943، أنتخب سنة 1948 عضوا في الديوان السياسي للحزب الحر الدستوري، شارك بعد الاستقلال في مؤتمر طنجة عام 1958 وتوفي في 10 ماي 1958 بتونس. أنظر: محمد بوزينة، المصدر السابق، ص. 256.

Habib Bourguiba, *Ma Vie, Mon œuvre 1938-1943, T3, Ed, Plon, Paris, 1986, P. 10.*

<sup>4</sup> أحمد القصاب، المرجع السابق، ص. 569.

<sup>5</sup> Samya El Machat, *Le Nationalisme Tunisien, Scission et Conflits (1934-1944), Paris, L'Harmattan, 2002, P. 111 .*

<sup>6</sup> Habib Bourguiba, *Ma Vie, Mon œuvre 1938-1943, T3, Ed, Plon, Paris, 1986, P. 10.*

في هذه الظروف الحرجة التي تتطلب تضافر جهود الجميع وتضامنهم معا لمواجهة التعسف الاستعماري. نجد "الثعالبي" يحدد كيفية تعامل أتباعه مع هذه الأحداث إذ قال: "وبالنسبة لأصدقائي ولي أنا شخصا فإننا نحافظ على هدوءنا أمام هذه المسرحية المحزنة، وعندما تنتهي فإن الله يقدر البقية". ورفضوا التدخل في تلك الأحداث المؤسفة، وألغوا جميع صحفهم العربية والفرنسية وأغلقوا نواديهم إلى حين تنتهي فترة الشغب السائدة<sup>1</sup>.

وهذا الموقف السلبي للثعالبي وأتباعه اتجاه أبناء جلدتهم، الذين يقتلون ويشردون في حين يقف ومن معه موقف المتفرج، يجعلنا نشكك في نوايا الشيخ الذي اتهمه جماعة الديوان السياسي بالعمالة، رغم أن التاريخ المشرف للثعالبي طوال فترة نضاله السياسي يجعلنا نتريث في إصدار أي حكم. ولكن يبقى السؤال المطروح لماذا وقف الشيخ وأتباعه هذا الموقف المخزي اتجاه أحداث 09 أبريل 1938؟

وفي 10 أبريل القي القبض على قادة الحزب وعلى رأسهم، "الحبيب بورقيبة" و"علي البلهوان" و"سليمان بن سليمان" و"صالح بن يوسف" و"الطاهر صفر" و"الهادي نويرة"<sup>2</sup>، ووجهت لهم تهمة التآمر وإثارة الفوضى، فحكم عليهم بالسجن والنفي حيث قضوا خمس سنوات منتقلين من السجن العسكري إلى السجن المدني بتونس ومن السجن العسكري "بتبرسق" إلى حصن "سان نيكولا" بمرسيليا<sup>3</sup>. إلى أن أفرج عنهم

<sup>1</sup> مناصرية يوسف، الصراع الايديولوجي في الحركة الوطنية التونسية 1934-1937، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، 2002، ص. 46

<sup>2</sup> مناضل وسياسي تونسي (1911-1993) من مواليد مدينة المنستير، تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في العاصمة التونسية، ثم أكمل دراسة الحقوق في باريس، ترأس الشعبة الدستورية فيها وبعد عودته الى تونس عمل بالمحاماة منذ سنة 1937، سجن رفقة بورقيبة في عدة معتقلات، انتخب عضوا في الديوان السياسي للحزب سنة 1948 شغل عدة مناصب رفيعة ثم الوزارة الأولى من 1970 الى 1980 قاد التجربة الليبرالية في تونس. أنظر: محمد الهاشمي عباس، المصدر السابق، ص.92

<sup>3</sup> I. S. H. M. N - Bobine n: 610 «serie, T, carton., 2 «Dossier, 3, (1950-1955), Tunis .



الألمان بتاريخ 10 ديسمبر 1942 عند احتلالهم لجنوب فرنسا، وسلموهم إلى الحكومة الإيطالية التي أفرجت عنهم في 8 أفريل 1943<sup>1</sup>.

بعد عودته إلى تونس ومع اقتراب موعد نزول الحلفاء بتونس، أصدر بورقيبة من مخبئه في تونس منشورا أعلن فيه وقوف حزبه إلى جانب الحلفاء، وطالب بتأسيس مجلس مشترك بين التونسيين والفرنسيين<sup>2</sup>، وقد قال في هذا الصدد: "لقد تبينت في الأثناء إن الحرب ستنتهي بانتصار الحلفاء<sup>3</sup> فحرصت حينئذ على تجنب ما من شأنه أن يوقعنا فيما وقعنا فيه عام 1920"<sup>4</sup>. ثم ما لبث أن إتصل بالقنصل الأمريكي في تونس "هوكر دوليتل" في 17 ماي 1943 ليوضح موقفه المساند للحلفاء، ويطلب منه التدخل لصالحه لدى المقيم العام الفرنسي، للحصول على ترخيص للتحرك في البلاد التونسية وقد حصل على مراده في جوان 1943، فانطلق في جولات لبعض المدن التونسية لنشر الوعي الوطني في الأوساط الشعبية التونسية، لكن الإدارة الفرنسية أحست بخطورة الأمر فسارعت إلى وضعه تحت الإقامة الجبرية في العاصمة التونسية<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> مركز التوثيق القومي، بيروغرافيا الشخصيات، الحبيب بورقيبة، المصدر السابق.

<sup>2</sup> اندري بوتار، المصدر السابق، ص.131.

<sup>3</sup> أرسل بورقيبة رسالة إلى الحبيب ثامر وهو رهن الاعتقال بسجن (سان نيكولا) بتاريخ 18 نوفمبر 1939 يخبره بأن الغلبة ستكون للحلفاء، وان من مصلحة تونس أن تكون في صفهم لا في صف المغلوبين، وانه إذا انتصر الألمان فان النكبة ستكون اشد وقعا على الشعب التونسي، مطالبا بعدم الاعتراض بالدعاية الألمانية. أنظر: مركز التوثيق القومي، قسم الحركة الوطنية، بورقيبة والحلفاء، رقم الملف، A-4-55.

- لقد وجه بورقيبة إنذاره المشهور من راديو روما في 6 أفريل 1943: "بينما بلادنا تدور فيها حرب ضروس طاحنة فهي في الوقت نفسه فريسة للهيمنة الاستعمارية محل أطماع الأجنبي". أنظر: جريدة العلم التونسية، العدد. 9، بتاريخ 1959/03/20.

<sup>4</sup> الحزب الدستوري الحر، محاضرات الرئيس الحبيب بورقيبة أمام طلبة معهد الصحافة وعلوم الأخبار، 30 نوفمبر 1973، تونس، ص. 7.

<sup>5</sup> وزارة الاعلام، الاستعداد لمواجهة المحنة الثانية، وثائق رقم 12، شركة فنون الرسم للنشر، تونس، 1984، ص. 52.

لم يبق بورقيبة مكتوف الأيدي فأرسل مذكرة في 22 مارس 1944 إلى المقيم العام الفرنسي ايمانويل ماست Emmanuel Mast (1943-1947) يطالب فيها بإقرار السيادة التونسية وإلغاء جميع النصوص القانونية التي تحظر نشاط حزبه<sup>1</sup>. ولم يابث المجلس المجلس الملي للحزب الدستوري أن عقد إجتماعا سريا في شهر ديسمبر عام 1944، أقر فيه استغلال الضغط الدولي على فرنسا من أجل الحصول على بعض المطالب الوطنية وفي مقدمتها مطلب الاستقلال الوطني، وبعد هذا الإجتماع قرر الديوان السياسي للحزب الحر الدستوري في 19 مارس عام 1945 إرسال بورقيبة إلى القاهرة للتعريف بالقضية التونسية<sup>2</sup>.

### 3/ بورقيبة والاستعداد لخوض المعركة الحاسمة (1945-1952):

بعد وضع جميع الترتيبات لسفر بورقيبة تحول بورقيبة خلسة إلى القاهرة حيث يذكر في إحدى محاضراته أمام طلبة معهد الصحافة وعلوم الأخبار: "... واتجهت النية نحو العمل من أجل كسب الأنصار وبت الدعاية في البلدان العربية وفي الولايات المتحدة الأمريكية والذي لا يمكن أن يتيسر إلا بالخروج من تونس ولم يكن ذلك بالأمر الهين... إذ كنت أعرف أن الظروف عسيرة سيما وقد كنت في رقابة صارمة ليلا ونهارا بعد أن حجرت علي السلطة الفرنسية الخروج من تونس"<sup>3</sup>.

لقد اختار الحبيب بورقيبة القاهرة لعدة اعتبارات لعل أبرزها، تحول القاهرة إلى قبلة للوطنيين من جميع أنحاء العالم وخاصة الوطنيين العرب، بعدما أصبحت مقرا

<sup>1</sup> وزارة الاعلام، الدستور الجديد يحطم جدار الصمت، وثائق رقم 10، شركة فنون الرسم للنشر، تونس، 1984، ص.14.

<sup>2</sup> الحزب الحر الدستوري، بعث أمة وبناء دولة، نشرات كتابة الدولة للشؤون الثقافية والارشاد، تونس، 1964، ص.34.

<sup>3</sup> الحزب الدستوري الحر، محاضرات الرئيس الحبيب بورقيبة أمام طلبة معهد الصحافة وعلوم الأخبار، 30 نوفمبر 1973، تونس، ص.7.

لجامعة الدول العربية، فانطلق في رحلة برية سرية<sup>1</sup>. دامت قرابة الشهر، طواها "بورقيبة" مشيا على الأقدام من تونس إلى القاهرة عبر الصحراء الليبية<sup>2</sup>، وذلك في الفترة الممتدة من 26 مارس إلى 26 أبريل 1945<sup>3</sup>.

وعندما استقر به الحال في القاهرة بدأ اتصاله بالمسؤولين في جامعة الدول العربية والتعريف بالقضية التونسية، وإخراجها من طور العمل الداخلي إلى المجال الدولي، فعقد الندوات الصحفية وأدلى بالتصريحات وألقى الخطب، سواء كان ذلك في الدول العربية، أو في الدول الحرة المناصرة لقضايا التحرر، فرسم "بورقيبة" خريطة الطريق للنضال التونسي والمغربي في الخارج<sup>4</sup>.

وبعد أربعة سنوات قضاها بورقيبة بالقاهرة سعيًا منه لإقناع الدول العربية لتحمل مسؤوليتها اتجاه دول المغرب العربي، وعندما يأس من الجامعة العربية، قفل راجعًا إلى تونس بتاريخ 8 سبتمبر 1949، وقرر تحمل مسؤولية بلاده بنفسه.

ومنذ الوهلة الأولى لعودته التاريخية<sup>5</sup>، سعى لإعادة تنظيم دواليب الحزب، لما لاحظ مدى درجة الفتور والتراجع لمكانته في فترة غيابه، وظهور مجموعة مناوئة

<sup>1</sup> أنظر الملحق رقم 10، الطريق الذي سلكه بورقيبة إلى القاهرة بعد فراره من تونس، ص. 403.

<sup>2</sup> Habib Bourguiba, *Ma Vie, Mon œuvre 1944-1951*, T4, Ed, Plon, Paris, 1986, P.27.

<sup>3</sup> لقد دامت هذه الرحلة البرية قرابة الشهر حيث خرج بورقيبة من العاصمة واتجه نحو صفاقس في 26 مارس 1945 ومنها إلى خليج قرقنة وبمساعدة أحد انقل في قارب إلى الحدود الليبية ثم أكمل السير إلى الحدود المصرية، حيث اكتشف أمره عند قرية الضبعة، وقد منعت السلطات المصرية من الدخول لولا أن أرسل خطابا إلى عبد الرحمان عزام أمين جامعة الدول العربية، ونجح في استصدار الأوامر للسماح له بالدخول إلى مصر في 26 أبريل 1945. أنظر: الأرشيف الوطني التونسي، تاريخ الحركة الوطنية، رقم العلبه 54، رقم الملف 1945/02. وأنظر أيضا: شوقي عطا الله، وعبد الرزاق إبراهيم، تاريخ العالم العربي الحديث والمعاصر من الفتح العثماني للعالم العربي إلى الوقت الحاضر، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، مصر، 2007، ص. 275.

<sup>4</sup> جريدة العلم، 1959/10/25، العدد. 9.

<sup>5</sup> تذكر بعض التقارير أن بورقيبة عند نزوله بالمطار هبت الجماهير الشعبية وعدة أطراف فاعلة في الحزب وخارجه لاستقباله، كما عمد بورقيبة لاستعادة مكانته وبريقه الشعبي إلى ركوب سيارة مكشوفة جالت شوارع=

لأفكاره والتي عارضته في اجتماع المجلس الملي الذي عقد في أوت 1949، وحاولت هذه العناصر التشكيك في زعامته، ودعت إلى ضرورة إبعاد "الحبيب بورقيبة" من مهامه وتحتيته من عضوية الحزب<sup>1</sup>. كما أيد "صالح بن يوسف" فكرة بقاء "بورقيبة" في المشرق وهو ما اعتبره مترجمنا تأمرا عليه من قيادات الحزب الحر الدستوري التونسي لإبعاده عن الساحة السياسية في تونس.

حيث يذكر في إحدى محاضراته التي ألقاها بمعهد الصحافة عن تاريخ الحركة الوطنية قائلا: "عندما استقر عزمي على العودة إلى تونس أبرق لي "صالح بن يوسف" يطلب مني البقاء في القاهرة، وانتظار رسالة يشرح فيها رأيه، ثم قام بإرسال "الهادي شاکر"<sup>2</sup> إلى مصر ليقنعني بالبقاء هناك، بينما كانت السفارة الفرنسية بالقاهرة تقوم بالمسعى ذاته، وبذلك أصبح حزبي متفقا مع فرنسا على إبقائي خارج الوطن"<sup>3</sup>. ويواصل "بورقيبة" كلامه "لقد كانوا يركضون وراء الزعامة يريدونها دون أخطاء وبلا سجون ودون التعرض للموت ففي كل مرة ابتعدت فيها عن تونس تتسرب إلى الصفوف نزعة الاستسلام والخنوع"<sup>4</sup>.

=العاصمة فقوبل بالتصفيق والتهنئة، وذلك لمدة 6 ساعات وقد كان لذلك أثر بالغ على صالح بن يوسف، الذي نجح في إخفاء امتعاضه من عودة بورقيبة إلى أرض الوطن. كما أجرى زيارة مجاملة، خدمة لعمله الشخصي وحزبه للباي التونسي، الذي استقبله بابتهاج وصاحبه على رؤوس الملا إلى البهو الخارجي من القصر، حيث قبله أمام الجماهير، ثم توجه بعد ذلك للترحم على قبر المنصف باي. أنظر: الأرشيف الوطني التونسي، تاريخ الحركة الوطنية، رقم العلية، 56، رقم الملف، 4 الفترة 1949. وأنظر أيضا: الحبيب بورقيبة، بين تونس وفرنسا، المصدر السابق، ص. 270.

<sup>1</sup> علي المعاي، ذكريات وخواطر مؤوية، منشورات المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية التونسية، تونس، 2007، ص. 260.

<sup>2</sup> ولد سنة 1908 مناضل في الحزب الدستوري الحر تعرض للسجن عدة مرات في سبيل استقلال البلاد ترأس المؤتمر السري للحزب الدستوري الجديد سنة 1952 واصل نضاله إلى غاية اغتياله من طرف العصابات الإرهابية الفرنسية سنة 1953. أنظر: علي البلهوان، تونس الثائرة، (د.د.ن)، (د.ت.ن)، ص. 490.

<sup>3</sup> Habib Bourguiba, *Ma Vie, Mon œuvre 1944-1951*, T4, Ed, Plon, Paris, 1986, P.65 .

<sup>4</sup> الحبيب بورقيبة، حياتي، أرائي، جهادي، المصدر السابق، ص. 208.

ومن هنا نشعر -حسب تصريح "بورقيبة"- أن "صالح بن يوسف" كان لا يرغب في عودة "بورقيبة" إلى تونس ليتسنى له الانفراد بالزعامة بينما ينفي "بن يوسف" ذلك ويبرره بضرورة بقاء "بورقيبة" في القاهرة للدفاع عن تونس وحصد التأييد الدولي للقضية التونسية وضرورة السعي لتوحيد الكفاح المغاربي المشترك.

ومهما يكن فإن عودته من القاهرة مثلت تحولا خطيرا، فقد أعلن بصفته رئيسا للحزب الحر الدستوري الجديد عن التخلي عن مطلب الاستقلال التام المعلن عنه في الميثاق الوطني لعام 1946<sup>1</sup>، وسار على تكتيك أخذ الاستقلال على مراحل (سياسة خذ وطالب)<sup>2</sup>، كما أعلن "بورقيبة" عن ضرورة التفاهم المباشر مع فرنسا لاستخلاص حقوق تونس، وقد برر ذلك بعدم قدرة جامعة الدول العربية أو هيئة الأمم المتحدة على مساندة تونس في كفاحها من أجل الاستقلال<sup>3</sup>.

هذا الموقف "للزعيم بورقيبة" اعتبرته صحيفة الدستور القديم تنكرا للميثاق الوطني وانطلاقا لسياسة المراحل والمفاوضات من أجل الإصلاحات، وتخليا عن المطالبة بالاستقلال الذي يعتبر هدفا للأمة التونسية، إذ ترى: "أن من يتخذ سياسة الاستقلال مرة والمساومة مرة أخرى فهو المسؤول الوحيد عن عرقلة سير قضية تونس وتعطيلها"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> انبثق هذا الميثاق عن مؤتمر دار سليم المنعقد بتاريخ 16-17 أكتوبر 1948، حيث صادق المؤتمر على لائحة تنص على عدم التعاون مع فرنسا والشروع في تهيئة الأسس التشريعية التي ستقوم عليها إدارة البلاد. أنظر: مركز التوثيق القومي، قسم الحركة الوطنية، رقم الملف، B-3-9.

<sup>2</sup> عبد الكريم الماجري، حزب الدستور القديم وبرنامج بورقيبة الاصلاحية في بداية الخمسينات: ثبات على المبدأ ونشاط سياسي محدود، وارد في أعمال الندوة الدولية السادسة المنعقدة أيام 13 و14 و15 ديسمبر 1991 بقرطاج بتونس، 1993، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، جامعة تونس، 1993، ص. 54.

<sup>3</sup> محمد الصافي، المرجع السابق، ص. 77.

<sup>4</sup> عمر الشاذلي، المصدر السابق، ص. 84.

خاصة وأن الحركة النقابية التونسية التي كان يقودها فرحات حشاد<sup>1</sup> والتي تبنت الكفاح الوطني والاجتماعي منذ سنة 1946، قد صعدت روح النضال والكفاح والمقاومة، ووصلت إلى مراحل متقدمة في مطلع الخمسينيات، حتى أن الإدارة الفرنسية أصبحت تقرأ لها حسابات مختلفة<sup>2</sup>.

وقد شرع مباشرة بعد عودته من القاهرة في جولة عبر المدن والقرى التونسية حسبما تؤكد بعض التقارير -الخاصة بتنقلات "الحبيب بورقيبة"- في الفترة الممتدة من أكتوبر 1949، حيث أوردت انه "منذ عودته يوم 8 سبتمبر 1949، وبعد أخذه لقسط من الراحة لبضعة أيام في تونس ثم بالمنستير مع أفراد عائلته، شرع "الحبيب بورقيبة" في جولة عبر أقطار التراب التونسي حيث لاقى ترحابا واستقبالا كبيرين من طرف الشعب التونسي في المناطق التي كان يحل بها"<sup>3</sup>.

فكان يبيث الدعاية، ويشرح ما يتطلب الشرح، ويحث الناس على الاتحاد لتحرير البلاد، وذلك لعلمه بأهمية التواصل مع الجماهير الشعبية لاستعادة بريقه ومكانته<sup>4</sup>، ومن هذه اللقاءات بالجماهير التونسية نذكر لقاء باجة، في 11 و 12 نوفمبر 1949، حيث شدد على مجموعة من الإجراءات أهمها:

<sup>1</sup> هو فرحات بن محمد بن حشاد، نقابي ومناضل تونسي، ولد في 2 فيفري 1914 بجزيرة فرقة في صفاقس، لم تسمح له ظروفه المعيشية الصعبة من إتمام دراسته، فخرج للحياة العملية منذ سن 14 من عمره، انخرط في العمل النقابي منذ سنة 1936 في النقابة الفرنسية، أسس نقابة مستقلة سنة 1943 بين عمال السكك الحديدية التونسيين بصفاقس، وفي سنة 1945 أسس اتحاد النقابات المستقلة للشمال، ثم الاتحاد العام التونسي للشغل في 5 أوت 1945، فرغ لواء المقاومة والنضال ضد الاستعمار الفرنسي مما أدى إلى اغتياله من طرف السلطات الفرنسية في يوم 5 ديسمبر من طرف عصابة اليد الحمراء 1952. أنظر: عبد الحميد بالهادي، فرحات حشاد، نضال ومواقف نضالية 1945-1952، منشورات المعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر، جامعة منوبة، تونس، 2013، ص. 386-392.

<sup>2</sup> الطاهر عبد الله، تاريخ الحركة النقابية في تونس، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د.ت.ن)، ص. 55.

<sup>3</sup> الأرشيف الوطني التونسي، تاريخ الحركة الوطنية، رقم العلبه، 56، رقم الملف، 3، الفترة. 1949.

<sup>4</sup> Habib Bourguiba, *Ma Vie, Mon œuvre 1944-1951*, T4, Ed, Plon, Paris, 1986, P.64

• أن مستقبل تونس سيكون أفضل بعد الاستقلال نظرا للموقع الاستراتيجي الذي تحتله تونس في المغرب العربي.

• أعلن أن تونس ستلعب دورا مهما على الصعيد العالمي عاجلا أو أجلا في كل الميادين.

• أكد للحضور ان إتصالاته في القاهرة وواشنطن ببعض الشخصيات المسلمة لدعم القضية التونسية في المحافل الدولية<sup>1</sup>.

وما إن أنهى بورقيبة جولته الدعائية بالداخل حتى اتجهت أنظاره نحو الخارج فسافر إلى باريس بتاريخ 12 أفريل 1950 لبعث تجربة الحوار الثنائي التونسي الفرنسي من جديد، موضحا مشروع التفاهم مع فرنسا، وكان يعتقد انه سيكون أساسا في بدء مرحلة التعاون الجديدة مع فرنسا، فطرح بورقيبة ما اصطلح عليه "بالنقاط السبع" كأساس للتفاوض:

- (1) استرجاع السيادة التونسية.
- (2) تشكيل حكومة تونسية يرأسها وزير أول تونسي يعينه الباي.
- (3) إلغاء منصب الكاتب العام للحكومة الفرنسية.
- (4) إلغاء مناصب المراقبين المدنيين الفرنسيين<sup>2</sup>.
- (5) إلغاء الجند رمة الفرنسية.
- (6) تشكيل مجلس وطني ينتخب انتخابا عاما، لوضع دستور يحدد العلاقات التي ينبغي أن تكون في المستقبل بين تونس وفرنسا، والتي يجب أن تقوم على الاحترام المتبادل.

<sup>1</sup> الأرشيف الوطني التونسي، تقارير سرية، سنة 1949، العلبه رقم. 56، الملف رقم.3.

<sup>2</sup> 190 Jean Rous, Op-Cit, P. 34.

7) إحداه بلديات منتخبة مع تمثيل للمصالح الفرنسية حيث توجد أقليات من الفرنسيين<sup>1</sup>.

وقد اظهر الباي تضامنه مع هذه المطالب، بينما أكد "محي الدين القليبي" مدير الدستور القديم، أن ظهور هذا البرنامج لا يعدو أن يكون سوى فصل من مسرحية شكلتها فرنسا على يد الديوان السياسي، فهي التي جلبت "الحبيب بورقيبة" من مصر لتمثيل الدور الأساسي، وما سفره إلى فرنسا إلا لإتمام هذا الدور المتمثل في إبقاء الاستعمار وقبول الإصلاحات بدل الاستقلال<sup>2</sup>.

في هذه الأثناء تقرر تشكيل حكومة تونسية جديدة في 17 أوت 1950 برئاسة "محمد شنيق"<sup>3</sup>، وهو من الوطنيين المعتدلين. وقد أشرك فيها "بورقيبة" عددا من ممثلي الحزب الدستوري الجديد وعلى رأسهم "صالح بن يوسف"، وأوكل لهذه الحكومة مهمة المفاوضات مع فرنسا، بعدما أظهرت نيتها في القيام ببعض الإصلاحات لفائدة التونسيين<sup>4</sup>.

ومن أجل إنجاح فرنسا لسياستها الجديدة، عينت مقيما عاما جديدا هو "بريلي"<sup>5</sup>، والذي افتتح عهده بالإعلان عن إصلاحات اجتماعية واقتصادية متجاهلا مطالب

<sup>1</sup> علال الفاسي، المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى، المصدر السابق، ص. 112. 113.

<sup>2</sup> عبد الكريم الماجري، البلاد التونسية سنتي 1950-1951، أعمال الندوة الدولية السادسة المنعقدة أيام 13 و14 و15 ديسمبر 1991، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، قرطاج، تونس، 1993، ص. 61.

<sup>3</sup> من أعيان تونس، كان عضوا في غرفة التجارة التونسية منذ عام 1924، وفي عام 1928 أنتخب رئيس المجلس الكبير، كان يميل الى جماعة بورقيبة التي أسست الحزب الحر الدستوري الجديد، أصبح رئيسا للوزراء عام 1942 ثم استقال، وأعيد مرة أخرى رئيسا للوزراء عام 1950 في الوزارة التفاوضية مع فرنسا من أجل الحصول على الاستقلال الذاتي. أنظر: محمد بوذينة، المصدر السابق، ص. 383.

<sup>4</sup> صرح "روبير شومان" وزير الخارجية الفرنسي في 15 جوان 1950، عن نية فرنسا منح تونس استقلالها داخليا. أنظر: المنحي الكعلي، في خدمة الجمهورية بقيادة بورقيبة، سراس للنشر، تونس، 2013، ص. 30.

<sup>5</sup> محمد علي داهش، المرجع السابق، ص. 51، 52.



الحركة الوطنية التونسية، فصرح في أكتوبر 1950 قائلاً: "بأن المشكلة السياسية ليست ملحة في تونس، وبأن الحكومة الفرنسية ستوجه اهتمامها إلى المشاكل الاجتماعية والاقتصادية"، مما أدى إلى رد فعل شعبي عنيف، جعل فرنسا تسعى لاسترضاء التونسيين ببعض الإجراءات الدستورية لامتناس نفة وغبب الجماهير التونسية<sup>1</sup>.

أمام تدهور الوضع الداخلي للبلاد التونسية ومن أجل الضغط على الحكومة الفرنسية، سافر الوزير الأول التونسي محمد شنيق في 31 أكتوبر 1951 إلى باريس أين سلم وزارة الخارجية مذكرة حملها جملة من المطالب التونسية، جاء في مقدمتها: تشكيل حكومة تونسية صرفة، وتونس الإدارة، فجااء رد فرنسا مخيباً لآمال التونسيين حيث صرح "روبير شومان" وزير الخارجية في 15 ديسمبر 1951 قائلاً: "إن نظام الحماية الذي أعلن قبل 70 عاماً في تونس يبقى على وضعه السابق دون تغيير، وأن العلاقات بين تونس وفرنسا يجب أن تقوم على مبدأ السيادة المزدوجة". ثم أكد "شومان" "أنه من المستحيل استثناء فرنسا من المشاركة في فعاليات المؤسسات التونسية وأنه على هذه المؤسسات أن تواصل تطورها في كنف التوافق"<sup>2</sup>، فتأكد "بورقيبة" أن لا فائدة ترجى من المفاوضات مع الفرنسيين.

في هذه الأثناء سافر "بورقيبة" للخارج للقيام بجولة عبر العالم، فزار باكستان، الهند، اندونيسيا، مدريد، طنجة، القاهرة، لندن ستوكهولم، واشنطن، روما، اسطنبول بهدف تحسيس الرأي العام العالمي بالقضية التونسية، وكذلك لاقتناء الأسلحة والأرصدة المالية سندا لخلية المقاومة، والتقى "بمحمد شنيق" في باريس، فأطلعته هذا

<sup>1</sup> المنجي الكعلي، المصدر السابق، ص. 30.

<sup>2</sup> عبد العزيز بن حمد الحسن، المرجع السابق، ص. 321.

الأخير على تعنت الحكومة الفرنسية ورفضها للمقترحات التونسية، وذلك بعد تصريح "روبير شومان" الأخير<sup>1</sup>.

وبناء على ذلك غير موقفه من فرنسا، واتبع تكتيكا جديدا تماشيا مع الموقف الشعبي العام، وصرح أمام الصحافة الفرنسية قائلا: "إن إجابة "روبير شومان" تفتح عهدا من القمع والمقاومة، ومن الدموع والأحقاد، وإن الشعب التونسي المغتاض قادر على التحكم في المحنة"<sup>2</sup>. وقد ذكرت جريدة الصباح أن المجاهد الأكبر يعود لتونس بعد جولة دعائية لبعض عواصم العالم بما فيها باريس، فضح من خلالها السياسة الاستعمارية الفرنسية بتونس. وقد لقي الزعيم استقبالا جماهيريا كبيرا، حيث صرح لمراسل الصباح: "بأن سنة 1952 تعتبر سنة تفاعل، لكن مع الأسف لا يخلو هذا التفاؤل من بعض الاصطدامات والحوادث الخطيرة التي ستزيد الهوة اتساعا وعمقا بيننا وبين الفرنسيين"<sup>3</sup>.

وبذلك بدأت حركة التحرير الوطني التونسي تتحرك باتجاه اعتماد أسلوب العنف والعصيان، وتزامن ذلك مع استبدال فرنسا لمقيمها العام في تونس، حيث تم تعيين "جان دي هوتكلوك" في 13 جانفي 1952 والذي وصل على متن بارجة حربية إلى تونس، وفي ذلك تلميح إلى استمرار السيطرة الفرنسية على تونس<sup>4</sup>، مما شكل استفزاز لمشاعر الشعب التونسي والحركة الوطنية التونسية.

استغل بورقيبة تردي الأوضاع وغضب الشارع التونسي، واخذ يحمس الجماهير بخطبه الملتهبة، وينادي بالكفاح والتضحية والمقاومة من جهة، ويهيب حزبه للمعركة

<sup>1</sup> عبد العزيز بن حمد الحسن، المرجع السابق، ص. 324

<sup>2</sup> عمر الشاذلي، المصدر السابق، ص. 89.

<sup>3</sup> جريدة الصباح، العدد، 284، 1952/01/2.

<sup>4</sup> فيرنز روف، البورقيبية والسياسية الخارجية لتونس المستقلة، ترجمة: الصبحي الثابت، منشورات المعهد التونسي للعلاقات الدولية "معتد"، سوسة، تونس، 2013، ص. 91.

الوشيقة من جهة أخرى، حيث طالب أثناء تجمع شعبي في بنزرت الشعب التونسي بضرورة القيام بعمليات قتالية على نطاق واسع، حيث قال: "إن الثورة ستنتظم، وإن الدم سيسيل"<sup>1</sup>، فبورقبيية كان يعتقد بوجود الضغط على فرنسا من خلال الدعوة إلى الكفاح المسلح والقيام بالثورة، ف جاء رد فعل فرنسا من خلال منع المقيم العام الفرنسي جان دي هوتكلوك، انعقاد مؤتمر الحزب الدستوري الجديد يوم 16 جانفي 1952<sup>2</sup>.

لقد أدت تصرفات المقيم العام إلى حالة هيجان في الأوساط الشعبية التونسية وانتشرت حوادث الشغب في شمال البلاد، ثم تلى ذلك إيقاف الحبيب بورقبيية يوم 18 جانفي 1952 في الثالثة صباحا من بيته. فقبل ابنه قبل خروجه وهو نائم وقال لزوجته "إن هذا الإيقاف هو الأخير"<sup>3</sup>.

وضع بورقبيية في الإقامة الجبرية بطبرقة ثم نقل يوم 26 مارس 1952 إلى رمادة ومنها نفي إلى جزيرة جالطا، حيث قضى فيها عامين لم ينقطع خلالها عن الاتصال بالوطنين وحثهم على الصمود والاستمرار في الكفاح، وقد حصلنا على العديد من الرسائل التي كان يرسلها الزعيم إلى بعض الوطنيين التونسيين، حيث كان يحثهم على مواصلة الكفاح وعدم الاستسلام حتى النهاية<sup>4</sup>.

ولعل الميزة المسيطرة على هذه الرسائل هي إيمان الزعيم بالنصر القريب ورضاه عن خطة الكفاح، وقد عبر عن ذلك بقوله: "فالنجاح حينئذ في يدنا لان أسبابه منوطة بنا وبصمودنا وصدق عزميتنا وكل هاته الشروط متوفرة في الشعب التونسي والحمد لله" ويضيف منبها: "حتى يكون ايماننا بالنصر سليما مبنيا على تفهم صحيح للوضعية

<sup>1</sup> فيرنز روف، المرجع السابق، ص. 93

<sup>2</sup> Habib Bourguiba, *Ma Vie, Mon œuvre 1952-1956*, T5, Ed, Plon, Paris, 1986, P29.

<sup>3</sup> Mansour Moalla, *De L'Indépendance à La Révolution "système politique et développement économique en Tunisie"*, Sud Editions- Tunisie, 2011, P. 71 .

<sup>4</sup> الحزب الاشتراكي الدستوري، رسائل سجين جالطة، إنجاز جريدة العمل، تونس، 1983، ص. 15. 16.

الراهنة وعلى وزن الأمور بميزان العقل السليم اعتمادا على الواقع الملموس لا على العاطفة فقط"<sup>1</sup>.

في هذه الأثناء كانت دائرة المقاومة المسلحة قد توسعت لتشمل المناطق الجبلية والجنوب التونسي، ودخلت تونس معركة مسلحة ضد الاستعمار، ولم تنجح القوات الفرنسية في إيقاف الجماهير الغاضبة، رغم استخدامها لأبشع الوسائل القمعية والتعسفية التي تدل على وحشية الاستعمار وتسلطه على الشعوب الضعيفة<sup>2</sup>.

كما بادرت قوات الأمن الفرنسية بإلقاء القبض على رئيس الحكومة "محمد شنيق"، واجبر الباي على تشكيل وزارة جديدة برئاسة "صلاح الدين البكوش" افريل 1952، غير أن هذه الوزارة كان مصيرها الفشل منذ أيامها الأولى لعدم قناعة الحركة الوطنية بها ولأنها تمثل المصالح الفرنسية في تونس<sup>3</sup>.

#### 4/ دور بورقيبة في استقلال تونس وإعلان الجمهورية (1952-1957)

في الوقت الذي بلغت فيه الحركة التحررية ذروتها في تونس، أخذت فرنسا تبحث عن مخرج من هذا المأزق، ونظرا للضغوط الداخلية والخارجية بادر "منداس فرانس" Mendés France بزيارة مفاجئة لتونس يوم 31 جويلية 1954، أعلن فيها أمام الباي عن استعداد فرنسا منح تونس الاستقلال الذاتي، الأمر الذي رحب به الباي<sup>4</sup>، وشكل حكومة تفاوضية جديدة برئاسة "الطاهر بن عمار"<sup>5</sup> في 8 أوت 1954 ضمت ثلاثة

<sup>1</sup> الحزب الاشتراكي الدستوري، المصدر السابق، ص. 15. 16.

<sup>2</sup> صلاح العقاد، المغرب العربي من الاستعمار الفرنسي إلى التحرير القومي، الجزء 2، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، (د.ت.ن)، ص. 202.

<sup>3</sup> عمر الشاذلي، المصدر السابق، ص. 84.

<sup>4</sup> LE Monde, 20 Aout 1954 .

<sup>5</sup> مناضل تونسي درس في معهد كارنو، من مؤسسي الحزب الدستوري، ترأس الحكومة التفاوضية للاستقلال من 8 أوت 1954 إلى 12 سبتمبر 1958، ومن 17 سبتمبر 1955 إلى 9 أفريل 1956 قاد مفاوضات الاستقلال =

وزراء من الحزب الحر الدستوري الجديد<sup>1</sup>، وكانت مهمتها التفاوض مع الحكومة الفرنسية لوضع آليات النظام الجديد<sup>2</sup>، في هذه الظروف اندلعت الثورة الجزائرية في الفاتح من نوفمبر 1954، مسببة ضغطا موازيا على الجانب الفرنسي، لذلك سرّعوا عملية التفاوض مع التونسيين، فإتجهت أنظار الفرنسيين نحو "بورقيبة" باعتبار أفكاره تتجاوب مع متطلبات المرحلة الراهنة<sup>3</sup>.

في هذه الأثناء تم نقل "بورقيبة" من منفاه بجالطة إلى فرنسا، بجزيرة قروا أولا ثم أميلي على مسافة 110 كلم عن باريس، ليستقر أخيرا في نزل كونتينتال بباريس حيث اتصل به "منداس فرانس" عدة مرات بسرية مطلقة، وكانت المفاوضات تسير ببطء شديد، هذه المحادثات السرية لم يكتب لها الاستمرار بسبب إسقاط حكومة "منداس" في فيفري 1955، وتم تعيين "ادغارفور" رئيسا للوزراء خلفا لمنداس، في الفترة (فيفري 1955 - مارس 1956) فكانت المفاوضات في عهده صعبة ومضنية كما عبر عنها "بورقيبة" خلال أحد لقاءاته مع بعض الإعلاميين العرب<sup>4</sup>.

ويذكر "المنجي الكعلي" في مذكراته قوله "ولولا "بورقيبة" ما كنا لنخرج منها فائزين" أي -المفاوضات- ذلك أن "إدغارفور" بعدما عجز الطرفان في التوصل إلى

---

=الداخلي والتام ووقع على بروتوكول الاستقلال يوم 20 مارس 1956، ولما تولى بورقيبة رئاسة الحكومة خلفا له قام اتهمه بالخيانة وتم عزله. أنظر: محمد حمدان، المصدر السابق، ص 214. وأنظر أيضا: مجلة الذاكرة الوطنية، المجلة التاريخية، أولى المحاكمات السياسية "الطاهر بن عمار أمام محكمة القضاء العليا"، العدد 3، أبريل 2013، ص. 12، 13.

<sup>1</sup> ممثلي الحزب الدستوري في هذه المفاوضات هم: المنجي سليم، عزيز جلولي، محمد المصمودي. أنظر:

Ahmed Mestiri, Op-Cit, P.83.

<sup>2</sup> Tunisie - France, Samdi, 4 Sept 1954 .

<sup>3</sup> Moncef El Materi, De Saint-Cyr au Peloton D'Exécution de Bourguiba, Tome.1, Arabesques Editions, Tunis, 2014, P.413.

<sup>4</sup> أنظر: الملحق رقم 18، ندوة صحفية للحبيب بورقيبة مع مندوبي الوفود العربية عقب مؤتمر صفاقس 1955، ص. 411.

حل يرضي الطرفين، التجأ إلى "بورقيبة" واستدعاه للتفاوض علنا في مقر رئاسة الحكومة وذلك يوم 20 أبريل 1955 وانتهت باتفاق الطرفين<sup>1</sup>.

كما يذكر "المنجي الكعلي" أثناء زيارته "لبورقيبة" في اليوم الموالي بنزل الكنتيننتال بباريس بأن "بورقيبة" كان سعيدا بما حققه حيث أخبرهم "بأن الخلاف بين الوفدين التونسي والفرنسي كان قائما حول أربع نقاط وهي كالاتي: إدارة مناطق الجنوب والثانية تمثيل الفرنسيين في بعض البلديات، والثالثة تكوين مجلس اقتصادي مزدوج والأخيرة وضع اللغة الفرنسية في تونس"<sup>2</sup>.

ثم أستطرد قائلا: "اقترح "ادغارفور" بان اختار اثنين واترك له اثنين ولكنني استعرضت بعجالة النقاط الأربعة فوجدتها كلها أساسية ولها مساس بالسيادة التونسية ولا يمكنني التنازل عن أي منها... وتبادر إلى ذهني أن "ادغارفور" هو صاحب المبادرة، وليس من صالحه أن يخيب، فلا بد حينئذ أن يأتي بحل آخر، فقررت وقلت له لن أتنازل عن أي نقطة منها، فنهض "ادغارفور" ودخل إلى مكتب مدير ديوانه ثم خرج وقال لي: بما أنك لا تريد أن تتنازل عن أي نقطة، فاني اقترح عليك إدراج هذا النص في مقدمة الاتفاقيات: "تتعهد الحكومتان بدراسة الوسائل الكفيلة بتمكين الفرنسيين من الإقامة والتمتع بحقوقهم المدنية في تونس وتمكين التونسيين من التمتع بنفس الحقوق في فرنسا" فيقول "بورقيبة": وكان ذلك بمثابة حبل الإنقاذ فتمسكت به وأجبتة بالقبول"<sup>3</sup>.

ومهما يكن من أمر "بورقيبة" والشكوك التي حامت حول مفاوضاته مع الفرنسيين وقبوله بمبدأ الاستقلال الداخلي، والتنازلات التي قدمها للفرنسيين، ومعارضة الكثير من

<sup>1</sup> المنجي الكعلي، المصدر السابق، ص.31.

<sup>2</sup> نفسه، ص. 32.

<sup>3</sup> نفسه، ص. 33.

الوطنيين التونسيين والمغاربة والعرب، ووصفهم له بالخائن والمتآمر، بل ذهب البعض إلى وصف أسلوبه التفاوضي بالخيانة بالقول أنها سياسة "خن وطالب بدلا من خذ وطالب"<sup>1</sup>. إلا أن الأمر في النهاية أُل كما خطط له "بورقيبة"، حيث حصل الاتفاق الأول بين الطرفين المتفاوضين على أن يتم التوقيع على الاتفاقيات في أجل أقصاه 30 ماي 1955، وبالفعل وقع عليها بالأحرف الأولى يوم 24 ماي 1955 من طرف حكومة الطاهر بن عمار، ووقع عليها رسميا في 03 جوان 1955 بباريس وصادق عليها الباي في 27 أوت 1955<sup>2</sup>، لتجد هذه الاتفاقيات ردود فعل مختلفة داخليا وخارجيا.

في هذه الظروف سارع "الحبيب بورقيبة" بالعودة إلى تونس للدفاع عن هذه الاتفاقيات ومواجهة الأطراف الراضة لها، على غرار صالح بن يوسف، فامتطى باخرة قادمة من مرسيليا في 01 جوان 1955<sup>3</sup>، حيث لقي استقبالا جماهيريا من الجالية التونسية وحتى الجزائرية في ميناء مرسيليا، تميزت بحفاوة كبيرة، إذ كتبت جريدة الأخبار في افتتاحيتها تصف استقبال الجماهير الشعبية في مرسيليا "للحبيب بورقيبة" "مرحبا بزعيم الأمة وقائدها الأكبر رسول الوطنية المظفر" ولم يفوت بورقيبة الفرصة فصرح في ميناء مرسيليا لمبعوث جريدة الأخبار بما يلي: "إني مغتبط جدا بعودتي إلى وطني بعدما شاركت في وضع علاقاتنا مع فرنسا على أسس سليمة أي على أسس الاشتراك الحر من طرف شعب يدرك أن الانزواء في هذا العالم معناه الانتحار"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> عثمان العدل، الخواجة بورقيبة، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، 1955، ص. 11.

<sup>2</sup> عروسية التركي، المرجع السابق، ص. 211.

<sup>3</sup> أنظر الملحق رقم 17، الاستقبال الحافل للحبيب بورقيبة يوم عودته إلى تونس 1 جوان 1955، ص. 410.

<sup>4</sup> جريدة الأخبار، العدد. 13، بتاريخ 02 جوان 1955.

وعند نزوله في مرسى حلق الواد وجد في استقباله حشود من الجماهير الغفيرة، ورفع على الاكتاف اعترافا بجهوده المبذولة في سبيل استرجاع السيادة الوطنية<sup>1</sup> هذا الاستقبال العظيم للزعيم بورقيبة، ينبأ عن المكانة التي أصبح يحظى بها بعد نجاح المفاوضات التونسية الفرنسية التي كان لبورقيبة فيها الباع الكبير.

في حين عنونت جريدة الصباح افتتاحيتها "سيد الأحرار يعود" كما أوردت أن مئات الآلاف من التونسيين يخرجون في حماس يفوق الوصف لاستقبال المجاهد الأكبر بميناء حلق الواد وعلى طول الطريق من قرطاج إلى معقل الزعيم<sup>2</sup>، وكعادته في استغلال الفرص، فقد القى بورقيبة خطابا في ميناء حلق الواد جاء فيه: "إخواني أبنائي الأوفياء بناتي، سيداتي سادتي، هذا المهرجان العظيم الذي ظهرت فيه علامات الفرح والاستبشار على وجوهكم يدل دلالة قطعية على أنكم قد لمستم أنه في هذه المرحلة من مراحل الكفاح قد تحصلنا واسترجعنا وطننا من أيدي الأجنبي...<sup>3</sup> كما عنونت جريدة العمل في صفحتها الأولى "القيادة التي أحبت الشعب وعاشت له" ثم أشادت بمناقب وبطولات الزعيم واعتبرته منقذ الأمة التونسية.<sup>4</sup>

ثم ذكرت نفس الصحيفة في افتتاحيتها بأن الأمة التونسية جمعاء تحتفل بذكرى عودة المجاهد الأكبر، وتحدثت عن أخبار عودته من فرنسا، والمشاكل التي واجهته في سبيل إقناع مناضلي الحزب بوجهة نظره حول قبوله مسودة الاستقلال الداخلي<sup>5</sup>.

مما سبق نلاحظ أن عودة "الحبيب بورقيبة" إلى أرض الوطن قد قابلها الشعب والإعلام بارتياح، وهو دليل على الرضا ومباركة اتفاقيات الاستقلال الداخلي. في حين

<sup>1</sup> La Presse, Jeudi 2 Juin 1955 .

<sup>2</sup> جريدة الصباح، العدد 1055، 2 جوان 1955.

<sup>3</sup> I. S. H. M. N - Bobine n: 641, serie, E, carton, 3, Dossier, 4, (1950-1955), Tunis.-

<sup>4</sup> السوفي عمار، المرجع السابق، ص. 115.

<sup>5</sup> جريدة العمل 1 جوان 1956، العدد. 189.



واجه معارضة شديدة من طرف الكثير من رموز الحركة الوطنية وعلى رأسهم الأمين العام للحزب "صالح بن يوسف" الذي كان متواجدا بالخارج حتى هذه الفترة وستشهد عودته تجدد الصراع بينه وبين الزعيم الحبيب بورقيبة، مما يخلف انعكاسات سلبية على الحزب والحياة السياسية بتونس، ولعل ذلك ما يفسر سر عودة الحبيب بورقيبة مباشرة بعد امضاء اتفاقيات الحكم الذاتي في نهاية شهر ماي سنة 1955.

والغالب أن مترجمنا كان يدرك مسبقا رد فعل "بن يوسف" على اتفاق 21 أبريل 1955 فحرص جاهدا على تطويق الخلاف قبل استفحاله. لكن الأمور حدثت عكس ما خطط لها، فصالح بن يوسف وقبل عودته إلى تونس أعلن من القاهرة رفضه لهذه الاتفاقيات وانتقد بورقيبة بشدة في هذا الخصوص، وقد لقي نفس الاستقبال تقريبا من طرف الجماهير التونسية يوم 13 سبتمبر 1955 في المطار التونسي - أكثر من 15000 تونسي - مما اكسبه ثقة في النفس في استمرار شعبيته في الداخل، إضافة إلى علاقاته الخارجية الجيدة مع القاهرة وقادة الثورة الجزائرية.

لقد بدأت معالم الاختلاف والفرقة تظهر في المطار يوم استقبل بورقيبة صالح بن يوسف، رغم أن الزعيمان تظاهرا بالتفاهم في البداية، إلا أن "صالح بن يوسف" سرعان ما أعلن رفضه لاتفاقيات الحكم الداخلي، ووصفها بأنها خطوة إلى الوراء<sup>1</sup>، مما أغضب "بورقيبة"، وأدى إلى احتدام النزاع بينهما ودخل الطرفان فيما اصطلح عليه باسم الصراع "البورقيبي اليوسفي"<sup>2</sup>. وقد تسبب هذا الخلاف في إحداث شرخ عميق في

<sup>1</sup> La DEPECHE, Jeudi 2 Juin 1955, N. 21457

<sup>2</sup> محمد لطفي الشايب، الحركة الوطنية التونسية ومطلب الاستقلال (1881-1956)، أعمال الندوة الدولية 13 حول: استقلال تونس ومسيرة التحرر من الاستعمار، المنعقدة بتونس أيام 4، 5، 6، 2006، منشورات المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية عدد 13، تونس، 2010، ص. 37.

صفوف المناضلين أدى إلى زعزعة الوحدة الوطنية، وهو ما وقع حسمه في مؤتمر الحزب المنعقد بصفاقس في 15 نوفمبر 1955<sup>1</sup>.

ولم تلبث الظروف التاريخية أن ساعدت التونسيين للحصول على الاستقلال التام، حيث دخلت الحكومة التونسية في مفاوضات طويلة وشاقة مع فرنسا توجت في النهاية بالحصول على السيادة التامة بموجب بروتوكول 20 مارس 1956، ورغم أن السيادة لم تكن كاملة بسبب احتفاظ فرنسا ببنزرت وبعض المناطق الأخرى، واستمرار تحكمها في القطاعات الحيوية بتونس، إضافة إلى الوضع المأساوي الذي ورثته البلاد في كل الميادين والمجالات، إلا أن الشعب التونسي اعتبر ذلك نصرا كبيرا على الاستعمار، وحافزا لمواصلة النضال حتى يتم التخلص النهائي من بقايا الإرث الاستعماري<sup>2</sup>.

ومن هنا كان على الحبيب بورقيبة مواجهة تلك التحديات، سواء كرئيس حكومة في البداية أو كرئيس للدولة التونسية الحديث، فبعد نجاحه في استكمال الاستقلال السياسي، عمل على إحداث مجلس تأسيسي بالضغط على الباي، هدفه سن دستور جديد للبلاد ثم نقل السلطة من الباي إلى المجلس التأسيسي، وذلك من خلال إجراء انتخابات في البلاد، حصد فيها الحزب الحر الدستوري الجديد جميع مقاعد المجلس

<sup>1</sup> المؤتمر الخامس للحزب الحر الدستوري التونسي الجديد، بمدينة صفاقس مابين 15 و18 نوفمبر 1955، وقد حضره 1242 نائبا يمثلون مختلف الشعب الدستورية، كم حضرته وفود العديد من بلدان الدول الشقيقة والصديقة، ووفود الحكومات والأحزاب والحركات التحريرية على غرار (الحكومة المصرية، والعراقية، والليبية، والهند)، كما حضرته وفود إعلامية عربية، وفيه دافع بورقيبة عن اتفاقيات الحكم الذاتي 3 جوان 1955، وتم فصل الامين العام للحزب صالح بن يوسف وانتخاب الديوان السياسي الجديد، والمجلس الملي، وتم انتخاب الحبيب بورقيبة رئيسا للحزب. أنظر: مركز التوثيق القومي، قسم تونس، مؤتمرات الحزب الحر الدستوري التونسي، رقم الملف، B-1-32

<sup>2</sup> Ahmed Mestiri, *Op-Cit*, P. 105.

التأسيسي بنسبة 34.98% من الأصوات، وبالتالي تهميش المعارضة بما فيها الحركة اليوسفية، وإعطاء الشرعية الكاملة للحبيب بورقيبة لبناء مؤسسات الدولة الحديثة<sup>1</sup>.

وتم انتخاب المجلس القومي التأسيسي يوم 8 أبريل 1956 وتعيين " بورقيبة" أول رئيس له، وتم تكليفه بتشكيل أول حكومة وطنية يوم 14 أبريل 1956 فسارع إلى تعيين أعضاء حكومته، وعرضها على المجلس التأسيسي يوم 15 أبريل 1956 وضمت 19 وزيراً<sup>2</sup>، وقد نقلت الصحف التونسية في أعدادها الصادرة يوم 17 أبريل 1956 موكب تنصيب الحكومة الجديدة، وتقليد الملك التونسي للوزراء الجدد المناصب في قصر قرطاج<sup>3</sup>، حيث تولى فيها بورقيبة رئاسة الوزراء والخارجية والدفاع<sup>4</sup>.

وفي اليوم الموالي ألقى الحبيب بورقيبة رئيس الحكومة الجديد خطاباً أمام أعضاء المجلس التأسيسي أهم ما جاء فيه " ... ما قبلت شرف المسؤولية الكبرى في البلاد إلا لأعمل على تحقيق ذلك الانسجام ولأنفذ إرادة الشعب واستكمال البناء حتى لا يكون العمل ابتر ولا تكون الثمرة دون الجهود. فالفت حكومة هي مرآة للجبهة القومية الفائزة بثقة الشعب وانتدبت معظم أفرادها من الشباب المتصف بالكفاءة والحزم والإخلاص..."<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> زهير المظفر، من الحزب الواحد الى حزب الأغلبية، مطبعة سبناكت، تونس، 2004، ص. 124، 125.

<sup>2</sup> نذكر هنا بعض الوزراء: الباهي الأدغم رئيس مجلس الوزراء، الطيب المهيري وزير الداخلية، احمد المستيري وزير العدل، محمد المصمودي وزير الدولة مكلف بالتفاوض، المنجي سليم وزير الدولة مكلف بالتفاوض، مصطفى الفيلاي وزير الفلاحة، الفرغاني بن الحاج عمار وزير الصناعة والتجارة... وغيرهم. أنظر: منير الشرفي، وزراء بورقيبة "دراسة ترسم ملامح الوزير التونسي في عهد الحكم الفردي"، ط. 2، المغاربية للطباعة واشهار الكتاب، تونس، 2017، ص. 149.

<sup>3</sup> نفسه، ص. 150، 151.

<sup>4</sup> عمر الشاذلي، المصدر السابق، ص. 115.

<sup>5</sup> Ahmed Mestiri, Op-Cit, P. 107.

واستمر عملها إلى غاية 25 جويلية 1957 أين أعلن عن قيام النظام الجمهوري<sup>1</sup>، وتم تكليف الزعيم "الحبيب بورقيبة" برئاسة أول جمهورية تونسية وامتدت فترة حكمه إلى غاية 7 نوفمبر 1987.

### ثانيا: نشاطه السياسي بالخارج للتعريف بالقضية التونسية (1945-1948)

#### • النشاط الدعائي والإعلامي للحبيب بورقيبة بالقاهرة.

• القاهرة بعد الحرب العالمية الثانية كانت تعيش أخصب فترات التاريخ حيوية ونشاطا، وذلك لاتخاذها مقرا للجامعة العربية بعد تأسيسها في 22 مارس 1945، فبينما كان الجنود الانجليز يغادرونها، كانت الوفود العربية تتوافد عليها للمشاركة في أعمال الجامعة، والتشاور في الشؤون العربية، كما هرع إليها مناضلون من مختلف الأقطار العربية وفي مقدمتهم مناضلو البلدان المغاربية<sup>2</sup>، الذين حولوا نشاطهم من العواصم الأوربية وخاصة باريس، إلى القاهرة، إذ عملوا على التنسيق والعمل المشترك من أجل الدعوة لتوحيد النضال المغاربي ضمن جبهة قوية تمثل أقطار المغرب العربي تمثيلا حقيقيا<sup>3</sup>.

• ومن بين هؤلاء المناضلين الذين وصلوا إلى القاهرة الحبيب بورقيبة، زعيم الحزب الحر الدستوري التونسي الجديد، وعلال الفاسي زعيم حزب الاستقلال المغربي

<sup>1</sup> عمر الشاذلي، المصدر السابق، ص. 115.

<sup>2</sup> الرشيد إدريس، ذكريات عن مكتب المغرب العربي في القاهرة، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، 1981، ص. 11.

<sup>3</sup> رضا ميموني، دور الوطنيين المغاربة في حركة تحرير تونس والجزائر من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى الاستقلال، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الانسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2011-2012، ص. 38.

وغيرهما من الوطنيين المغاربة، حيث بادر الزعيمان إلى التعاون مع القيادات المغربية الشابة المقيمة في القاهرة من أجل الدفاع عن قضية بلادهما<sup>1</sup>.

بعد وصول الحبيب بورقيبة للقاهرة بتاريخ 26 أبريل 1945 صحبة السيد خليفة حوَّاص خفية، واجه عدة صعوبات كادت أن تنتهي بإرجاعه من حيث أتى، لولا البرقيات التي أرسلها إلى الأمين العام للجامعة العربية، وإلى شيخ الأزهر "الخضر حسين" وهو تونسي من منطقة الجريد، ليستطيع بعد شق الأنفس من دخول القاهرة حيث استقر في البداية بالإسكندرية ثم تحول للقاهرة بعد ذلك<sup>2</sup>.

لم ينتظر الحبيب بورقيبة كثيرا ليبدأ في بعث نشاطه السياسي، حيث فتح مكتب للحزب الحر الدستوري، وياشر اتصالاته للتعريف بالقضية التونسية، وبدأ بإصدار نشرة دورية باللغة العربية تغذي الصحف العربية في أقطار الشرق، بآخر تطورات القضية التونسية، وشرحها للرأي العام العربي، وأخرى باللغة الفرنسية<sup>3</sup>، وقد قام خلال هذه الفترة بزيارة فلسطين ولبنان وسوريا لبسط قضايا المغرب أمام الشعب العربي، وقد استقبل أحسن استقبال<sup>4</sup>.

كما قام بجولة للعديد من الدول الغربية على غرار جنيف في 16 أكتوبر 1946، والولايات المتحدة الأمريكية في 2 ديسمبر من نفس السنة وذلك على متن باخرة (ليبرتي شيب) فوصل إلى نيويورك بعد 17 يوما قضاها في البحر<sup>5</sup>، حيث التقى ببعض المسؤولين الأمريكيين وممثلي الدول الأعضاء في منظمة الأمم المتحدة وأنتهز

<sup>1</sup> عبد الجليل التميمي، أضواء جديدة حول شخصيات مغربية: الأمير عبد القادر وعبد الكريم الخطابي والحبيب بورقيبة وعلال الفاسي وآخرين، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2010، ص. 59.

<sup>2</sup> الصافي سعيد، المصدر السابق، ص. 137.

<sup>3</sup> نفسه، ص. 139.

<sup>4</sup> الرشيد أدريس، المرجع السابق، ص. 144، 151.

<sup>5</sup> جريدة الأخبار، العدد 12، المصدر السابق.

الفرصة ليلقي خطابا في حضرة الوفود العربية<sup>1</sup>. بتاريخ 10 ديسمبر 1946 بمقر الجمعية العامة<sup>2</sup>.

على أن الحدث الأبرز في هذه الفترة هو انعقاد مؤتمر لدول شمال إفريقيا بالقاهرة بين 15 و22 فيفري 1947، والذي أسفر عن تكوين مكتب المغرب العربي<sup>3</sup> وقد كان الزعيم الحبيب بورقيبة آنذاك في طريق العودة من جنيف للقاهرة بعد زيارة للولايات المتحدة الأمريكية<sup>4</sup>، فبعث للمؤتمرين برقية تأييد هذا نصها: "إن المغرب العربي (تونس والجزائر ومراكش) الذي يعيش تحت وطأة الاستعمار الغاشم يعرب لكم عن عميق امتنانه وله توطيد الأمل في تضامن إخوانه المشاركة وفي مؤتمر المغرب العربي، راجيا أن يتخذ المؤتمر القرارات الناجعة وخاصة فيما يتعلق بتعهد الدول العربية في دورتها المقبلة حيث الجو مساعد بصورة خاصة"<sup>5</sup>.

وبعد تأسيس لجنة تحرير المغرب العربي سنة 1948<sup>6</sup>. أسندت رئاستها إلى الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي وأمانتها للحبيب بورقيبة، الذي كلف في شهر

<sup>1</sup> انظر الملحق رقم 12، خطاب الحبيب بورقيبة أمام الوفود العربية بهيئة الأمم المتحدة 1946، ص. 405.

<sup>2</sup> مركز التوثيق الوطني، تاريخ الحركة الوطنية رقم الملف B-4-2.

<sup>3</sup> حل هذا المكتب محل الأحزاب المغاربية الموجودة في القاهرة، ويتمثل الهدف الأساسي من إنشائه، تنسيق عمل الحركات الوطنية في بلاد المغرب العربي وتوحيد الخطط لتنسيق العمل السياسي المشترك والموحد، واعتمد في عمله على النشاط الدعائي، عبر العديد من فروع في شتى أنحاء العالم، وقد نجح هذا المكتب في ترتيب عملية لجوء الأمير عيد الكريم الخطابي إلى القاهرة في 30 ماي 1947. أنظر: معمر العايب، التباين الأيديولوجي لقيادات مكتب ولجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة يرهن مشروع مستقبل وحدة المغرب، مجلة المصادر، العدد. 24، لسنة 2011، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، ص. 103.

<sup>4</sup> الصافي سعيد، المصدر السابق، ص. 137.

<sup>5</sup> الرشيد إدريس، المرجع السابق، ص. 15، 16.

<sup>6</sup> أسست خمسة أحزاب مغاربية لجنة تحرير المغرب العربي وهي: الحزب الحر الدستوري القديم الحزب الحر الدستوري الجديد، حزب الشعب الجزائري، حزب الوحدة المغربية، حزب الإصلاح الوطني المغربي، حزب الشورى والاستقلال، حزب الاستقلال وقد وضع قانونها الأساسي ومكتبها المؤقت في 9 ديسمبر 1947، وأعلن الخطابي=

مارس 1948 للقيام بجولة في مختلف العواصم العربية لطلب المساعدة والدعم والتأييد للجنة، وأقد أبدى المسؤولون العرب تعاطفهم ودعمهم لها ولنشاط الزعماء المغاربة بالقاهرة، حيث زار الحبيب بورقيبة سوريا واستقبل من طرف رئيسها "شكري القوتلي"<sup>1</sup>، ثم سافر إلى العراق وقابل الوصي على العرش، الذي أظهر له دعمه وتعاطفه مع قضيتهم التحررية<sup>2</sup>.

وقد عبر الملك عبد الله عن موقفه للزعيم الحبيب بورقيبة قائلاً: "إن الطريق وان كان وعراً، فإنه سيتبعه السهل إن شاء الله...". كما استقبله ملك السعودية عبد العزيز آل سعود وأعرب له دعمه المطلق وأنه لن "يقصر مع الجامعة العربية في ما فيه مصلحة الإخوان المغاربة"<sup>3</sup>. كما قدم له مبلغاً معتبراً من المال<sup>4</sup>.

أقام الحبيب بورقيبة في المشرق أربعة سنوات ونيفاً، ساهم خلالها في نشاط مكتب المغرب العربي ولجنة تحرير المغرب العربي، والتقى العديد من الشخصيات العربية والمغربية الفاعلة على غرار علال الفاسي ومصالي الحاج<sup>5</sup>. وشكيب أرسلان

---

=رسمياً عن تأسيسها يوم 5 جانفي 1948 ونشر ميثاقها في 6 جانفي في معظم الصحف المصرية. أنظر: أحمد بن عبود وجاك كاني، مؤتمر المغرب العربي 1947 وبداية مكتب المغرب العربي بالقاهرة، عملية ابن عبد الكريم، المجلة التاريخية المغربية، العدد. 25، 26 جوان 1986، ص. 7.

<sup>1</sup> محمد امزيان، محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف (1926-1963)، منشورات اختلاف، الرباط، المغرب، 2002، ص. 141، 142.

<sup>2</sup> الصافي سعيد، المصدر السابق، ص. 140.

<sup>3</sup> Samia El Machat *Les Chemins Vers L'Indépendance 1945-1956 Publications L'Harmattan, Paris, 1999, P. 21*.

<sup>4</sup> انفرد الحبيب بورقيبة بالتصرف في هذا المبلغ المالي المقدم من طرف الملك السعودي، معتبراً إياه هبة للقضية التونسية، مما اغضب الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، الذي رأى أن هذا الدعم قد تم باسم لجنة تحرير المغرب العربي، وهو ما عارضه بورقيبة جملة وتفصيلاً، مما أدى إلى اتساع هوة الخلاف بين الرجلين. أنظر: عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص. 58.

<sup>5</sup> مناضل جزائري، ولد في تلمسان في 16 ماي 1898، دخل العمل السياسي في باريس من خلال انضمامه إلى الحزب الشيوعي الفرنسي سنة 1922، ثم انضم إلى جمعية نجم شمال إفريقيا عام 1926، وفي عام 1927 انتخب رئيساً لها، أسس حزب الشعب في الجزائر سنة 1937، وعند اندلاع الحرب العالمية الثانية قامت فرنسا بحله=

و"الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي"، هذا الأخير نزل بالقاهرة بطلب وإحاح من القيادات المغاربية المتواجدة بالقاهرة انذاك، حيث سعوا لإقناعه بالقطيعة مع فرنسا وطلب اللجوء السياسي إلى مصر وبالتالي التعاون مع القيادات السياسية المغاربية الشابة والمقيمة في القاهرة في إطار فعاليات مكتب المغرب العربي، ومن أجل قيادة معركة التحرير<sup>1</sup>.

لكن التوافق بين الزعيمين لم يعمر طويلا فسرعان ما شب بينهما خلاف كبير أفرزته عدة عوامل، منها تعاطف هذا الأخير مع قيادات حزب الدستور القديم، وكذا توجيه أصابع الاتهام للحبيب بورقيبة، بسبب اتصالاته بالسفارة الفرنسية بالقاهرة، حيث اتهمه الأمير علنا بالانحراف والتواطؤ مع الفرنسيين ضد حركة التحرير المغاربية، كما أن التباعد الفكري والإيديولوجي بين بورقيبة والأمير كان عاملا آخر زاد من حدة الخلاف بينهما، وهوما عبر عنه بورقيبة من خلال رفضه لإستراتيجية الأمير في الكفاح حيث يذكر: "إنه يريد أن يكون حذرا جدا بهذا الخصوص مؤكدا أن الأمير متمسك بطرق كفاحه في الماضي، وهي الاستراتيجية العسكرية المباشرة، بينما تبنى بورقيبة ورفاقه أسلوب العمل السياسي و الدبلوماسي، ولغة الحوار وسياسة خذ وطالب..."<sup>2</sup>.

---

=وسجن مصالي الحاج، ليطلق سراحه سنة 1946 فأسس حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية، والتي تولى جناحها العسكري (المنظمة الخاصة) تفجير ثورة الفاتح من نوفمبر بالجزائر سنة 1954، والتي رفضها مصالي شكلا ومضمونا وناصبها العداء حتى الاستقلال، توفي سنة. أنظر: يوسف حميطوش، منابع الثقافة السياسية والخطاب الوطني عند كل من مصالي الحاج وفرحات عباس، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص. 48، 70.

<sup>1</sup> عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص. 59.

<sup>2</sup> Jean Rous, Op-Cit, P.29.



وتوسعت دائرة الخلاف لتشمل أطرافاً أخرى على غرار، الدكتور الحبيب ثامر<sup>1</sup> ومحي الدين القليبي، ويوسف الرويسي، الذين ثاروا ضد الحبيب بورقيبة، وقد وصلت هذه الخلافات إلى حد القطيعة، فيما بينهم. وفي نهاية المطاف تم فصله من الأمانة العامة للجنة، وعين علال الفاسي خلفاً له<sup>2</sup>.

وعندما يئس "بورقيبة" من إثارة اهتمام جامعة الدول العربية بالقضية التونسية، لا سيما بعدما أعلن أمينها العام "عبد الرحمان عزام" أن الجامعة لن تهتم بقضايا المغرب العربي إلا بعد فض المعضلة الفلسطينية والتي تحظى لديها بالأولوية المطلقة<sup>3</sup>، لذلك عقد العزم على العودة إلى تونس، ضارباً عرض الحائط كل المعوقات التي حالت دون عودته لتونس<sup>4</sup>. لأنّ عودته قد تسبب قلقاً لبعض المعارضين له في الحزب الدستوري الجديد، إضافة إلى معارضة السلطات الفرنسية لهذه العودة<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ولد سنة 1909 في مدينة تونس أين تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في المعهد الصادقي، وبعد تحصله على شهادة البكالوريا سافر إلى باريس حيث درس في كلية الطب، وبعد عودته أسس جريدة أفريقيا الفتاة، وكان يدعو إلى الكفاح المسلح فتم اعتقاله سنة 1941، وأطلق سراحه من طرف الجماهير المنتفضة في العام الموالي، فسافر إلى إيطاليا سنة 1943، ثم مصر عام 1946، فتم انتخابه لإدارة المكتب العربي عام 1947، توفي سنة 1949 في حادث تحطم الطائرة الباكستانية. أنظر: رضا ميموني، المرجع السابق، ص 41.

<sup>2</sup> الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص. 73، 74.

<sup>3</sup> لقد عبر بورقيبة أثناء زيارته للأردن سنة 1948، باعتباره أمين عام للجنة تحرير المغرب العربي عن تدمره من عدم توفر الدعم العربي لدول المغرب قائلًا: "عار عليكم أيها العرب أن تهملوا 25 مليون من إخوانكم في المغرب يسامون سوء العذاب... أية قضية عربية تلك التي تعنى بجزء من الوطن وتهمل الجزء الآخر وأي كيان دولي مستقل يستهدف العرب إذا كان جناحهم الأيسر على ما فيه من كنوز دفيئة وقواعد إستراتيجية خطيرة مهددة... " أنظر: جريدة الزهرة، 4 أبريل 1948.

<sup>4</sup> Habib Bourguiba, *Ma Vie, Mon Œuvre 1944-1951, Op-Cit, P. 30.*

<sup>5</sup> أنظر الملحق، رقم 14، مذكرة للسلطات الفرنسية بخصوص عودة بورقيبة من منفاه بالقاهرة 10 أكتوبر 1949، ص. 407.

## المبحث الثاني: النشاط السياسي لعلال الفاسي في الداخل والخارج

### أولاً: نشاطه السياسي بالداخل

سيتمّ في هذا المبحث إبراز الخطوط الكبرى في نضال الزعيم "علال الفاسي" انطلاقاً من ثلاثينيات القرن الماضي، وما شهدته من تغيرات محلية ودولية أثرت بشكل مباشر على نشاط الحركة الوطنية المغربية عموماً ونشاط "علال" بالخصوص، وكيف تصدّت له السلطات الاستعمارية الفرنسية؟

علال الفاسي من القيادات الوطنية المتميزة في المغرب، والذي لمع اسمه بما لا يقل عن نصف قرن من تاريخ المغرب، قام فيه بدور نضالي بارز في سبيل تحرير بلاده من رقة الاستعمار، من خلال محطات نضاله الطويلة وعلى مختلف المستويات السياسية، الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية والفكرية. هذا النضال لم يكن وليد الصدفة بل نما ونشأ وسط بيئة سياسية محلية صعبة، وظروف دولية مختلفة، صقلت شخصيته وحددت اتجاهاته السياسية والفكرية، وشكلت لديه اللبنة الأولى لنمو حسّه السياسي، وشعوره القومي التحرري.

سنحاول في هذا المبحث إبراز الخطوط الكبرى في نضال الزعيم "علال الفاسي" انطلاقاً من ثلاثينيات القرن الماضي، وما شهدته من تغيرات محلية ودولية أثرت بشكل مباشر على نشاط الحركة الوطنية المغربية عموماً ونشاط "علال" بالخصوص، وكيف تصدّت له السلطات الاستعمارية الفرنسية؟

### 1/ بداية النشاط السياسي لعلال الفاسي

دشن "علال" مساره النضالي في وقت مبكر من حياته -على غرار "بورقيبة"- وهو لم يتعد السادسة عشر من عمره، فقد تزعم سنة 1926 حركة الدفاع عن ماء فاس،

ومقاومة المحاولات الاستعمارية التي استهدفت نزع أراضي الفلاحين، كما تطوع بتوجيه من "كتلة العمل الوطني" لإلقاء دروس شعبية ذات بعد وطني "بجامعة القرويين" سنة 1932. وكان بذلك من الوجوه الثقافية والسياسية البارزة في التاريخ السياسي لبلاده.

إن الدارس لمراحل الكفاح التي عايشها أو شارك فيها الزعيم علال الفاسي ضد الهيمنة الأجنبية لبلاده، يجدها تختلف باختلاف مراحل الكفاح الوطني المغربي، متأثرا بالظروف السياسية والاجتماعية والحربية التي كانت تعيشها البلاد آنذاك، كما أن تكوينه الديني والثقافي، بعد سنوات من الدراسة "بجامعة القرويين" قد أسهم في تطوير حسه الوطني الثائر، ونضج وعيه السياسي، إضافة إلى التحولات التي شهدتها الحركة الوطنية المغربية عبر تاريخ المغرب السياسي، وقد قسم المؤلف عبد الحميد المريني هذه المراحل على النحو التالي:

- فترة الإرهاصات الأولى لنشوء الحركة الوطنية والدينية وتطورها، وتشمل السنوات الأولى من حياته إلى غاية صدور الظهير البربري سنة 1930.
- فترة العمل السياسي المنظم، وتمتد من 1930 إلى سنة 1937 (سنة نفي علال للغابون).
- فترة النفي إلى الغابون والتي تمتد من سنة 1937 إلى سنة 1946.
- فترة الهجرة إلى المشرق وتمتد من تاريخ عودته من المنفى إلى سنة 1956 تاريخ عودته للمغرب<sup>1</sup>.

يجمع الكثير من المؤرخين على أن البدايات الأولى لنشاط "علال الفاسي" في سماء النضال السياسي، ترتبط بإصدار "الظهير البربري" من طرف السلطات الاستعمارية الفرنسية في 14 ماي 1930، حيث تصدى لهذه السياسة وأسس مجلة

<sup>1</sup> عبد الحميد المريني، المصدر السابق، ص. 29. 30.

شهرية سرية اسمها "أم البنين"، فضح فيها هذه السياسة وبين أهدافها وخطورتها ونتائجها على المجتمع المغربي. كما قابلها بإلقاء الخطب والدروس في جامع القرويين، فبرز كخطيب بارع وسياسي محنك<sup>1</sup>.

و"علال" أيضا عمل على إبراز خطورة سياسة "الظهير البربري" على وحدة الشعب المغربي وبذلك دخل في مواجهة مباشرة مع المستعمر الفرنسي<sup>2</sup>، خاصة بعد تلك المظاهرات الضخمة والاحتجاجات المكثفة الراضة للظهير البربري، والتي قادها رفقة العديد من الشباب المغربي الذي توحدت كلمته في ظل العصبة المغربية<sup>3</sup> بقيادة "احمد بلا فريج"<sup>4</sup> و"علال الفاسي" منذ 1927<sup>5</sup>. ونورد هنا هذه الأبيات الشعرية لعلال الفاسي التي نادى من خلالها إلى الوحدة الوطنية ووحدة الشعب المغربي:

"صوت ينادي المغربي من مازغ ويعرب

يحدو الشباب المغربي للموت من دون الوطن

لا نرتضي بالتفرقة ولو علقنا المشنقة

<sup>1</sup> فؤاد بوعلي، المشروع الفكري لعلال الفاسي الوعي النقدي ومداخل الإصلاح، مجلة الثقافة والتراث، العدد، 68، جانفي 2010، منشورات قسم الدراسات والنشر والعلاقات الثقافية، دبي، الإمارات العربية المتحدة، 2010، ص. 64.

<sup>2</sup> محمود علي عامر، تاريخ المغرب العربي المعاصر، منشورات جامعة دمشق، سوريا، 2066، ص. 262.

<sup>3</sup> العصبة المغربية، في عام 1926 أسس "احمد بلا فريج" جمعية تحت اسم "أنصار الحق"، وظهر نشاط آخر في فاس بقيادة "علال الفاسي"، وفي أبريل 1927 التقى الاثنان ووجدوا نضالهم ضد المستعمر ثم تم دمج الحركتين في العصبة المغربية التي سينبثق منها حزب الاستقلال فيما بعد. أنظر: شوقي الجمل المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر، المكتب المصري للنشر، القاهرة، 2007، ص. 433.

<sup>4</sup> من مواليد 1908 بالرباط من عائلة محافظة، تلقى تعليمه بمسقط رأسه، وبعد حصوله على شهادة البكالوريا، انتقل إلى باريس أين حصل على شهادة الليسانس في التاريخ، كما ترأس مجلة المغرب بباريس الناطقة باللغة الفرنسية، من أعضاء حزب الاستقلال. أنظر: معمر العايب، مؤتمر طنجة المغاربي دراسة تحليلية تقديمية، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2010، ص. 38.

<sup>5</sup> شوقي عطا الله الجمل، وإبراهيم عبد الله عبد الرزاق، المرجع السابق، ص. 281.

ولو غدوت ممزقة أشلاؤنا فدى الوطن"<sup>1</sup>.

كما شارك أيضا في الوفد الذي صاغ بنود عريضة الاحتجاج على الظهير البربري سنة 1930 بفاس، التي قدمت إلى الملك المغربي بالرباط، لكن الإدارة الفرنسية ألقت القبض على أعضاء الوفد<sup>2</sup> بمجرد عودتهم إلى فاس، وقامت بنفي علال وسبعة من أصدقائه لمدينة تازة، والبقية إلى مناطق أخرى. وهو ما ولد رد فعل عنيف من طرف الشعب المغربي، فاضطر المقيم العام الفرنسي وأمام تزايد الضغط الجماهيري إلى الإفراج عن "علال" ورفقائه<sup>3</sup>.

بعد خروجه من السجن بدء في توعية الناس من خلال إلقاء الدروس والمحاضرات التي تتناول السيرة النبوية، ومقارنتها بما يحدث بالمغرب، فذاع صيته داخل المغرب، ولم يقتصر عند هذا الحد بل اختار مجموعة من الشباب المغربي المتحمس وأرسلهم إلى مختلف القرى والمداشر لنشر الوعي والأفكار الصحيحة وتفعيل الشعور الوطني، هذه الأعمال لم ترض المستعمر الذي اعتبرها مظاهرات سياسية قومية فتصدي لها ومنعها بكل السبل<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> حسن الوراكلي، المضمون الإسلامي في شعر علال الفاسي، مطبعة الرسالة، الرباط، المغرب، 1985، ص. 134.

<sup>2</sup> شمل الوفد: الحاج محمد بن عبد السلام لولو، علال الفاسي، محمد بن الحسن الوزاني، عبد العزيز بن إدريس، الهاشمي الفيلاي، وغيرهم من رجال الحركة الوطنية... أنظر: بوعياض الحسن، الحركة الوطنية والظهير البربري، دار الطباعة الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 1979، ص. 18. 19.

<sup>3</sup> علال الفاسي وآخرون، الإمام الادريسي مؤسس الدولة المغاربية، شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، 1988، ص. 109.

<sup>4</sup> محمد العلمي، المصدر السابق، ص. 54.

## 2/ دور علال في إنشاء كتلة العمل الوطني.

لقد كانت النواة الأولى لظهور أول تنظيم سياسي حزبي بالمغرب بتاريخ 23 أوت 1930 على يد مجموعة من الوطنيين<sup>1</sup>، لعل من أبرزهم: علال الفاسي، محمد بن الحسن الوزاني<sup>2</sup>، الحاج الحسن بوعياذ، عبد القادر التازي وغيرهم، حيث أسسوا تنظيم حزبي سري للكفاح الوطني بفاس، ومع مرور الوقت وفي ظل استمرار السلطات الفرنسية في نهج نفس السياسة العنصرية -الظهير البربري- انتظم هؤلاء الوطنيون في تنظيم سياسي لتنسيق وتوحيد جهود الحركة الوطنية المغربية<sup>3</sup>، أطلقوا عليه اسم "كتلة العمل الوطني" "lecomité d'action marocaine" منذ ماي 1934<sup>4</sup>.

لقد برز دور علال في هذا التنظيم منذ البداية، من خلال الدور الايجابي الذي قام به على مستوى الوسائل العملية للكتلة، حيث ساهم في البناء الهيكلي لها، وكذا على مستوى آليات عمل هذا التنظيم الحزبي السري، ويتجلى ذلك في مختلف الأنشطة النضالية التي قام بها أو شارك فيها<sup>5</sup> والتي يمكن إجمالها فيما يلي:

<sup>1</sup> محمد ظريف، الأحزاب السياسية المغربية، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، فيفري 1993، المغرب، ص. 23.

<sup>2</sup> ابن أحد الملاك الكبار بفاس، ومن أشرف زاوية "وزان" التحق بعد دراسته الثانوية بمعاهد فاس والرباط، بالمدرسة الحرة للعلوم السياسية بباريس وتخرج منها عام 1930، عين أمين عام لجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا 1929، سجن بمدينة تازة بسبب مشاركته في مظاهرات الظهير البربري. أنظر: احمد عبّيد، التماثل والاختلاف في حركات التحرر المغاربية (الجزائر، تونس، المغرب)، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص. 251.

<sup>3</sup> Palazzoli J., *La Mort Lente Du Mouvement National Au Maroc*, In : *Annuaire De L'Afrique Du Nord*, Année 1972, Vol. 11, Editions Du C.N.R.S, Paris, 1973, P. 234.

<sup>4</sup> لقد أورد لنا: عبد الحميد المرنيسي تاريخ تأسيس (CAM سنة 1932)، المصدر السابق، ص. 50. أما شارل أندري جوليان، فيطلق عليها اسم "العمل المغربي"، للمزيد ينظر: شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، المرجع السابق، ص. 175.

<sup>5</sup> أسيم القرقرى، المرجع السابق، ص. 58.

- تحرير العرائض المطالبة على غرار عريضة الاحتجاج على الظهير البربري يوم 24 أوت 1930، التي صاغ مطالبها بنفسه<sup>1</sup>.
- مساهمة علال منذ 1932 في إصدار الصحف، مثل جريدة الحياة التي كتب فيها العديد من المقالات، كما كتب في مجلة السلام وهي مجلة ثقافية شهرية ناطقة باللغة العربية تصدرها الكتلة.
- إلقاء دروس التوعية بجامعة القرويين، والتي كان لها الأثر البالغ في نشر المبادئ الصحيحة في القومية والسلفية، والحصول على تأييد الحركة الوطنية في الأوساط الشعبية<sup>2</sup>.
- كما دافع عن اللغة العربية باعتبارها أحد مقومات الأمة الأساسية ومميزاتها ويؤكد ذلك بقوله " اللغة العربية هي اللغة الوطنية والأداة الفعالة في التعبير عن الحضارة العربية وهي كفيلة بان تساير الركب وان تستعيد قوتها العلمية"<sup>3</sup>.
- نشاطه السياسي في شمال المغرب، حيث سافر لطنجة وتطوان سنة 1933 وارتجل علال كلمة لخص فيها هدف الحركة وهو تحرير البلاد والوصول بها إلى الاستقلال في شمال المغرب وجنوبه، مما اغضب الولاة الإسبان فمنعوه من الدخول لمنطقة حمايتهم بالمغرب، وفي طريق العودة علم بنية فرنسا لاعتقاله مما دفعه للهجرة إلى اسبانيا<sup>4</sup>.
- الرحلات إلى الخارج للدفاع عن القضية المغربية فأتثناء تواجده في اسبانيا تقدم الوفد المغربي بشكوى لرئاسة الوزراء الاسبانية بسبب منع علال من الدخول لمنطقة الحماية الاسبانية بالمغرب، ثم سافر إلى باريس حيث لبث سبعة أشهر قضاها في

<sup>1</sup> محمد ظريف، المرجع السابق، ص. 26، 27.

<sup>2</sup> علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص. 154. 155.

<sup>3</sup> علال الفاسي، علال الفاسي نهر من العلم الجاري والوطنية الخالدة، المرجع السابق، ص. 243.

<sup>4</sup> محمد السلوي أبو عزام، المصدر السابق، ص. 14.

العمل من أجل التعريف بالقضية المغربية رفقة احمد بلافريج<sup>1</sup>، ثم أذن له في النهاية بالعودة للمغرب واستئناف الدروس في القرويين<sup>2</sup>.

• شارك في تأطير المظاهرات الشعبية احتجاجا على السياسة التبشيرية الإدماجية ناهيك عن التجمعات في المساجد الكبرى<sup>3</sup>.

ومجمل القول أن "علال الفاسي" ساهم بدور فعال في نشاط كتلة العمل الوطني، وقام بإعمال أخرى فعالة مثل مقاطعة السلع والبضائع الأجنبية، ولعل هذا الكم الهائل من النضال الوطني الذي عرفته كتلة العمل الوطني في هذه المرحلة (1930-1934) هو الذي دفع عبد الكريم غلاب لاعتبار هذه المرحلة: "مرحلة مهمة في تاريخ الحركة الوطنية بل ويمكن أن تكون أخصب مرحلة مرت بها الحركة في تلك المرحلة، سواء من حيث العمل الايجابي الذي قامت به، أو من حيث تجند الشعب حولها... حيث برزت الحركة الوطنية كحركة شاملة"<sup>4</sup>. ولعل ما يؤكد صحة ذلك اتجاه الحركة الوطنية المغربية إلى التصعيد مع الإدارة الفرنسية من خلال خلق جو من التوتر والاصطدام في شكل مظاهرات عنيفة للفت أنظار فرنسا في الداخل والخارج إلى هذه الحركة التي اكتسحت الوطن المغربي.

أما العمل الثاني الذي قامت به الحركة، فقد تمثل في تقديم مذكرة إلى الملك وسلطات الحماية تحدد مطالب الحركة الوطنية في شهر نوفمبر من سنة، 1934 من

<sup>1</sup> مناضل سياسي ورجل دولة مغربي ولد عام 1908 بالرباط، أين تلقى تعليمه إلى غاية حصوله على شهادة البكالوريا، لينتقل بعدها إلى القاهرة ثم باريس لاتمام دراسته، كان من المؤسسين لحزب الاستقلال المغربي، بعد الاستقلال عين وزيرا للخارجية، توفي عام 1990. أنظر: عبد الكريم كريم، من تاريخ الحركة الوطنية "احمد بلافريج"، دار العلم، الرباط، (د.ت.ن)، ص. 283.

<sup>2</sup> علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص. 157.

<sup>3</sup> نفسه، ص. 195.

<sup>4</sup> عبد الكريم غلاب، المصدر السابق، ص. 103.



خلال تشكيل لجنة لصياغة هذه المطالب، وقد شارك الأستاذ "علال الفاسي" فيها حيث قدمت المطالب إلى الإقامة العامة<sup>1</sup>، وبذلك تكون الحركة الوطنية المغربية قد تطورت وتحولت من طور الاحتجاج السياسي إلى طور المطالبة بالإصلاحات الضرورية التي وعدت بها فرنسا في بنود عقد الحماية<sup>2</sup>.

فكان تقديم هذه المطالب للملك والدوائر الفرنسية في الرباط وباريس، عاملا لشد الانتباه إلى "كتلة العمل الوطني" وتصحيح الرؤية الفرنسية لهذه الكتلة، التي كانت تصفهم فرنسا بالعقم، لكونهم لا يملكون برنامج سياسي واضح، وتعتبرهم مجموعة شباب تجمعهم أحلام، وتمتلى عقولهم بالحدق السلبي للفرنسيين، فوضعوا بذلك حكومة الحماية والإدارة الاستعمارية الفرنسية أمام الأمر الواقع<sup>3</sup>.

إن إحساس الإدارة الفرنسية بأهمية هذه الحركة السياسية جعلها تهتم بدراسة المطالب للتعرف على وجهة نظر هذه الحركة، ولعل التصريح الذي تقدم به "مسيو جيراردان"، مستشار في الإقامة العامة آنذاك للأستاذ "علال الفاسي" حيث قال له: "مطالبكم تتضمن ثلاثة أقسام: قسم يمكن تنفيذه من الآن، وقسم يمكن تنفيذه ولكن بعد حين، أما القسم الثالث فلا يمكن تنفيذه لأننا لا نريد الجلاء من المغرب"<sup>4</sup>. وحتى تكبح الإدارة الفرنسية نشاط الكتلة لم تجد سوى توقيف جريدة "عمل الشعب" ومنع مجلة "المغرب" التي تصدر بباريس من الدخول إلى المغرب كذلك منع مجلة "السلام" وجريدة

<sup>1</sup> كان من أعضاء اللجنة التي درست موضوعات المطالب وحررتها الأستاذة: محمد اليزيدي، عمر بن عبد الجليل، علال الفاسي، محمد بن الحسن ألوزاني. أنظر: عبد الكريم غلاب، الحركة الوطنية بالمغرب، الجزء 1، المصدر السابق، ص. 113.

<sup>2</sup> علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، المصدر السابق ص. 195.

<sup>3</sup> بوعسرية بوشتي، "الانتقال من المقاومة المسلحة بالجبال إلى المقاومة السياسية بالمدن 1927-1934" ندوة المقاومة المغربية ضد الاستعمار 1904-1934، أعايير من 13-15 نوفمبر 1991، ط. 2، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، المغرب، 2008، ص. 230.

<sup>4</sup> علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، المصدر السابق ص. 195.

"الحياة" اللتان تصدران في الشمال من الدخول إلى أراضي الجنوب، وبالتالي فإن فرنسا قد عملت على مسايرة القوى الوطنية في البداية من خلال تكليفها للإقامة العامة في الرباط بدراسة المطالب، ومن جهة أخرى شددت على هذه الحركة، وذلك لإرضاء المستوطنين الفرنسيين الراضين والمعارضين لفكرة التفاوض مع الوطنيين المغاربة، وفي النهاية انتهى الأمر برفض فرنسي لهذا المشروع الإصلاحية الذي تقدمت به الكتلة، والتي لم تأس بل استمرت في نشاطها من خلال عقد مؤتمر وطني بالرباط في 25 أكتوبر 1936، وقد قوبلت هذه المطالب أيضا بالرفض من طرف المقيم العام الجديد الجنرال "توجيس" الذي خلف "بيروتون"<sup>1</sup>.

لقد حاول الوطنيون إقامة مهرجان وطني بالدار البيضاء في 14 نوفمبر 1936. لكن الإدارة الاستعمارية منعتهم من ذلك، فتحول المهرجان إلى مظاهرة احتجاجية وألهب ذلك حماس الوطنيين أمثال علال الفاسي، الذي قام بإلقاء خطابا حماسيا أمام جموع المتظاهرين، ندّد فيه بالسياسة الاستعمارية الفرنسية، فردت عليهم هذه الأخيرة بحملة اعتقال واسعة وكان علال من بين المعتقلين، ونتيجة لتصاعد المظاهرات سارع "توجيس" إلى إصدار أمر بإطلاق سراح المعتقلين وعلى رأسهم علال وذلك بمناسبة عيد الفطر<sup>2</sup>.

بعد هذه الحادثة عرفت الحركة الوطنية المغربية منعرجا هاما تمثل في عقد اجتماع بالرباط، تم خلاله انتخاب علال الفاسي رئيسا لكتلة العمل الوطني، ومحمد حسن الوزاني<sup>3</sup> أمينا عاما، واحمد مكوار أمين الصندوق من طرف اللجنة التنفيذية

<sup>1</sup> تمثل أول أعمالها في هذا المؤتمر، وضع مطالب مستعجلة للتذكير بالمطالب السابقة،

<sup>2</sup> عبد اللطيف حسني، من مذكرات بعض القادة المغاربة، مجلة وجهة نظر، العدد 62-2014، المغرب ص. 21.

<sup>3</sup> من مواليد مدينة فاس جانفي 1910 درس الكتاب القرآني بفاس ثم سجل بمدرسة اللطيين حيث تلقى تكويننا عصريا وتعلم اللغة الفرنسية، ثم تحول الى ثانوية مولاي إدريس بفاس ثم ليسي كورو بالرباط وقبل اتمام دراسته الثانوية سافر إلى باريس حيث تحصل على شهادة البكالوريا في ليسي شارلمان. انخرط سنة 1927 في المدرسة=

للكتلة، وبذلك أصبحت هذه الأخيرة حزبا سياسيا له فروع في مختلف الأقاليم. وأمام هذا التطورات سارعت الإدارة الفرنسية إلى حل الكتلة في 18 مارس 1937 وأصدرت أمر بغلق المركز العام للكتلة.

### 3/ ظهور الحزب الوطني بقيادة علال الفاسي.

في بداية سنة 1937 عرفت كتلة العمل الوطني تصدعا داخليا تجلى في الصراع على القيادة بين "علال الفاسي" و"محمد حسن الوزاني" وذلك منذ شهر فيفري 1937، وقد ساهمت عدة عوامل داخلية للحزب وأخرى خارجية في حدوث هذا الانشقاق بين جماعة "محمد حسن الوزاني" وجماعة "علال الفاسي"، لعل أبرزها الظروف الصعبة التي فرضتها الرقابة الفرنسية المشددة على الحريات في عهد المقيم العام الفرنسي "بيروتون" أو خلفه "نوجيس"<sup>1</sup>.

كما أن بروز النزعة الفردية للزعامة والقيادة لديهما قد زاد من حدة التوتر داخل الحركة، فلم يعد الحزب يتسع لثلاثين معا، وهو ما يفسر انشقاق "محمد حسن الوزاني" وتأسيسه لحزب جديد تحت اسم "الحركة القومية"<sup>2</sup>، وهذا الرأي يؤكدده شارل اندري

---

=الحررة للعلوم السياسية، انهي دراسته بباريس سنة 1930 ثم عاد للمغرب في نفس السنة ليساهم في نشاط الحركة الوطنية المغربية، وافته المنية سنة 1978. أنظر: جامع ببيضا، الخلاف بين علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني، مجلة البحث التاريخي، العدد. 3، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، 2005، ص. 80.

<sup>1</sup> يذكر روبيير جان لونكي، أن تشتت كتلة العمل الوطني، يعود سببها الرئيسي إلى الجنرال نوجيس، حيث ساهم بقسط وافر في الانقسام الحاصل سنة 1937، حيث يذكر بأن المقيم العام وعد بعض أعضاء الكتلة -الذين سيؤسسون الحزب الوطني فيما بعد - بأن يدرس معهم مخطط المطالب المغربية لسنة 1934 ان هم انفصلوا عن محمد حسن الوزاني. أنظر: محمد حسن الوزاني، حدثني والدي، المعركة من أجل الشورى والاستقلال 1946-1955، مؤسسة محمد حسن الوزاني، فاس، المغرب، 1990، ص. 13.

<sup>2</sup> محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة وجهاد، التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية، الجزء. 5، مؤسسة محمد حسن الوزاني، فاس، المغرب، 1990، ص. 120.

جوليان الذي يرجع الانشقاق إلى مصالح شخصية من جهة، ووجود فوارق في التفكير والتكوين الثقافي بين الرجلين من جهة أخرى<sup>1</sup>.

أما القادري فقد أورد روايتي كل من علال الفاسي ومحمد حسن الوزاني، فارتأ أن المسؤولية مشتركة بين الطرفين المتصارعين، ثم ختم بقوله: "والذي يتراءى أن الجو لم يكن صافيا بين الإخوة في فاس، ولعل ذلك راجع لأسباب متعددة: منها اختلاف الطبائع، واختلاف التكوين، ولربما اختلاف التوجهات، ولربما كانت هناك تشوفات والبشرية تطغى أحيانا على الإنسان مهما كان عظيما"<sup>2</sup>.

أما عبد الهادي بوطالب، فقد أورد بدوره أطروحتي الزعيمين وتفاذي، بالرغم من كونه من أتباع الوزاني، أن يحمل المسؤولية لأي من الطرفين فمصدر ذلك الخلاف الذي يعتبره "الحدث المنعطف"، يكمن في اعتقاده في مزاج وتكوين الرجلين<sup>3</sup>.

فعلال خريج جامعة القرويين، متشبع بالحضارة الإسلامية وبتعاليم الدين الإسلامي، وبمبادئ السلفية الحديثة، فهو رجل النهضة العربية الذي يغلب مصلحة الإسلام فوق كل اعتبار لذا ركز أغلبية مناصريه على ضرورة الموافقة للوصول إلى حكم دستوري، مع إلحاحهم على ضرورة ربطه بالنظام الملكي، مما يعزز شعبيته في أوساط العامة، وهو ما كان يفتقد إليه الوزاني<sup>4</sup>.

هذا الأخير خريج جامعة باريس المتشبع بالثقافة الغربية، وأنصاره يؤكدون على ضرورة استمرار المغرب الأقصى وارتباطه وانفتاحه على الحضارة الغربية، مما جعله

<sup>1</sup> شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، المرجع السابق، ص. 188.

<sup>2</sup> أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية من 1930 إلى 1940، الجزء 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1992، ص. 388.

<sup>3</sup> بوطالب عبد الهادي، ذكريات... شهادات... ووجوه، الجزء 1، منشورات دار الكتاب، اغادير، المغرب، (د. س. ن)، ص. 413.

<sup>4</sup> جامع بيضا، المرجع السابق، ص. 70.

ملما باللغة الفرنسية، وهي من خصال السياسي المعاصر، التي كان يفتقدها علال الفاسي<sup>1</sup>.

هذا التباين والاختلاف في الأفكار والمبادئ والتوجهات السياسية والأيدولوجية وحتى الثقافية، جعلت من الوزاني يؤسس "الحركة القومية" ذات التوجه العصري الديمقراطي، ويتخذ من جريدة "الدفاع" لسان حاله الناطقة باللغة العربية، متخذا برنامجا مطلبيا تحت اسم: ميثاق الحقوق القومية.

في حين قام علال وبعض رفاقه في الحزب وعلى رأسهم احمد بلافريج واحمد مكوار بتشكيل حزبا جديدا تحت اسم "الحزب الوطني"<sup>2</sup> وذلك بعد عقد مؤتمر سري بالرباط في 13 أكتوبر 1937، تم فيه إصدار ميثاق وطني<sup>3</sup>. سلمت نسخة منه إلى الإقامة العامة الفرنسية لدراسة مطالبهم فكان الرد بالرفض، ولهذا قام علال الفاسي بإثارة السخط الشعبي للضغط على الإدارة الفرنسية للاستجابة لمطالبهم، فوُقت أحداث مدينة مكناس 1937<sup>4</sup>.

وانتهت هذه الاحتجاجات بإصدار الإقامة العامة الفرنسية قرار بإلقاء القبض على اغلب القيادات الوطنية وعلى رأسهم علال الفاسي واحمد بلافريج واحمد مكوار وعمر عبد الجليل، ومحمد حسن الوزاني وغيرهم، كما تم حل الحزب الوطني والحركة القومية وبالتالي لم يمنع هذا الخلاف بين الرجلين سلطات الاحتلال أثناء حملة القمع المسلطة على الحركة الوطنية في خريف 1937، من اعتقالهما ثم نفيهما، ولم يفرج عنهما إلا

<sup>1</sup> جامع بيضا، المرجع السابق، ص. 70.

<sup>2</sup> محمد حسن الوزاني، المصدر السابق، ص. 13. 14.

<sup>3</sup> تضمن الميثاق: - العمل على إصلاح البلاد بشرط الاعتماد على الشريعة الإسلامية. - الاهتمام بالتربية الدينية والخلقية- التمسك بالنظام الملكي كأساس للوحدة الوطنية. أنظر: جرادات مهدي أنيس، الأحزاب والحركات السياسية في الوطن العربي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2006، ص. 293.

<sup>4</sup> شاكر محمود، التاريخ الإسلامي المعاصر، ط. 2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1996، ص. 371.

سنة 1946<sup>1</sup>. وقد حدثت احتجاجات واسعة عند اعتقال القادة، فأعلن إضرابا عاما في الأسواق وتجمعات في المساجد مما أسفر عن اعتقال قرابة الخمسة آلاف من المواطنين المغاربة وزج بهم في السجون والمحتشدات الصحراوية<sup>2</sup>.

وقد أوردت صحيفة Le Petit Marocain في عددها رقم: 6789 الصادر يوم الثلاثاء بتاريخ 26 أكتوبر 1937 خبر إعتقال قادة الحركة الوطنية المغربية والتبريرات التي قدمها المقيم العام الفرنسي بعد هذه حملة الاعتقالات التي طالت زعماء الحركة الوطنية المغربية وعلى رأسهم علال الفاسي ومحمد حسن الوزاني حيث قال: "إن أحداث الخميس قد قدمت للتو دليلا جديدا على أن حزب علال الفاسي، الذي أطلق عليه "الحزب الوطني"، كان مجرد إعادة تشكيل غير قانونية للجنة العمل المغربية التي تم حلها بموجب مرسوم وزاري بتاريخ 18 مارس 1937، بعد تنظيمها لمؤامرة حقيقية لتحرير السكان ضد السلطة الفرنسية والإخلال بالأمن العام للبلاد"<sup>3</sup>.

لقد نفي علال على غرار بقية زعماء الحركة الوطنية المغربية، وذلك بناء على قرار من المقيم العام الفرنسي نوجيس، إذ نقل إلى إفريقيا وتحديدا إلى مدينة مويلا جنوب الغابون عام 1937<sup>4</sup>، وبقي تحت الإقامة الجبرية لمدة أربع سنوات ومنع من الاتصال بالعالم الخارجي، وبأي وسيلة إعلامية أو إخبارية، كالكتب والجرائد والمجلات وغيرها، مع انه حق مكفول للسجناء<sup>5</sup> إلى غاية أكتوبر 1939 أين سمح له بقراءة الكتب-بموجب قرار من الإقامة العامة بالمغرب- باستثناء الجرائد لاسيما بعد اندلاع

<sup>1</sup> بوطالب عبد الهادي، المرجع السابق، ص. 414.

<sup>2</sup> محمد رحاي، من أعلام الحركة التحررية في المغرب العربي (علال الفاسي أنموذجا)، مجلة المستقبل العربي، العدد، 432، للسنة 37، فيفري 2015، لبنان، ص. 141.

<sup>3</sup> الأرشيف الوطني المغربي، علبة رقم 6، الملف رقم 49.

<sup>4</sup> أبو عمران الشيخ وآخرون، المرجع السابق، ص. 369.

<sup>5</sup> عبد القادر الادريسي، المرجع السابق، ص. 340.

الحرب العالمية الثانية 1939<sup>1</sup>. حيث كتبت جريدة Le Petit Marocain في نفس العدد السابق مقالا بعنوان: "علال الفاسي ينفى إلى الغابون بأمر من السلطان"، ثم ذكرت بأن الحكومة الفرنسية قامت بترحيل المحرض القومي علال الفاسي إلى الغابون، حيث ستم مراقبته عن كثب... فقد تم نقل علال الفاسي بالسيارة من مدينة فاس إلى قصر السوق، ليتم ترحيله على متن طائرة فرنسية تحت إشراف ومراقبة القائد "رو" Roux إلى مدينة "ليبريل" الغابونية مروراً بعدة عواصم إفريقية أخرى<sup>2</sup>.

لقد حملت السلطات الفرنسية بالمغرب الزعيم علال الفاسي مسؤولية الأحداث التي شهدتها المغرب في خريف 1937، وهو يؤكد التقرير الصادر عن الحكومة الفرنسية بباريس في 3 نوفمبر 1937 حيث جاء فيه: "لقد أظهرت التحقيقات في الإضطرابات الأخيرة التي أثرت على الوضع العام في المغرب أن المتسبب الرئيسي فيها هو علال الفاسي مسؤول الأعمال الحزبية لحزب "العمل الوطني" والذي لوحظ لفترة طويلة في هجماته على فرنسا، وعليه أصدر السلطان في نهاية أكتوبر الحكم بنفي علال الفاسي بناء على اقتراح اللواء "توغيس" وبعد الاتفاق مع وزير المستعمرات الفرنسي"<sup>3</sup>.

وقد حاول الضابط "ماسا" الذي أصبح مكلف بملازمة علال في المنفى منذ سنة 1940، إقناعه بضرورة تأييد الجنرال ديغول في خلافه مع حكومة فيشي، ف جاء رد علال كالأتي: "إن قضية الخلاف الحادث بين فيشي وديغول قضية فرنسية محض لا حق لي ولا لسائر المغاربة التدخل فيها، نعم فيما يتعلق بمقاومة الألمان يمكنني أن أؤكد انه ليس من المغاربة أحد يريد أن يصبح محكوما لألمانيا أو إيطاليا، وأما فيما

<sup>1</sup> محمد السلوي أبوعزام، المصدر السابق، ص. 22.

<sup>2</sup> الأرشيف الوطني المغربي، المصدر السابق.

<sup>3</sup> الأرشيف الوطني المغربي، تاريخ الحركة الوطنية المغربية، علبه رقم 2، الملف رقم 36.

يخص القضية المغربية، فانا كممثل للحزب الوطني اعتبرها قضيتي، وأنا مستعد للتعاون مع الجنرال ديغول إذا كان راغبا في أن يحقق أمانى الشعب المغربي"<sup>1</sup>.

وإن لم يكن موقفا صريحا لعلال لدعم كتلة الحلفاء في الحرب، فإنه تلميح على الوقوف إلى جانبهم في حربهم ضد الألمان، حيث أكد على ضرورة التعاون مع الجنرال ديغول، بشرط أن يحقق ذلك أمانى الشعب المغربي وهو الاستقلال، وهو موقف مماثل لموقف الزعيم الحبيب بورقيبة في تونس الذي أعلن هو الآخر صراحة وقوفه إلى جانب الحلفاء، مما ينبئ عن تقطن الزعيمين للخطر النازي على بلديهما وشعوب المنطقة، فأطماع هتلر التوسعية ليس لها حدود، ومصصلحة البلدين في اعتراف فرنسا بحق الشعبين في الاستقلال دون قيد أو شرط.

لقد دامت فترة نفي الزعيم علال الفاسي منذ سنة 1937 إلى غاية 26 مارس 1946 تاريخ دخوله إلى مدينة فاس، حيث استقبلته الجماهير المغربية المتشوقة لعودته للساحة السياسية والنضال السياسي، بفرحة عارمة، كما عاد في نفس الفترة محمد حسن الوزاني من إقامته الجبرية بالأطلس المتوسط<sup>2</sup>.

**4/ النشاط السياسي لعلال الفاسي بعد عودته من منفاه الإجماري (1946-1952)**

إن عودة علال الفاسي من منفاه الإجماري بالغابون كان فرصة سانحة للم شمل الحركة الوطنية المغربية وتوحيد كلمتها ضد العدو الفرنسي، الذي عمل في تلك الفترة على تمزيق وحدتها، وزرع البلبلة بين عناصرها، وتقتيل الآلاف من الشعب المغربي<sup>3</sup>، كما أن رجوعه كان لأجل تحقيق هدف أسمى، وهو نيل الحرية واسترداد السيادة

<sup>1</sup> أحمد عبيد، المرجع السابق، ص. 262.

<sup>2</sup> عبد الحميد المريني، المرجع السابق، ص. 82.

<sup>3</sup> علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص. 286.



الوطنية، التي مهد لها أعضاء الحزب من خلال تقديم وثيقة الاستقلال بتاريخ 11 جانفي 1944، جمعت معظم أطراف الحركة الوطنية، على غرار الحزب الوطني، والحركة القومية وشخصيات وطنية مستقلة<sup>1</sup>.

لقد عبر هؤلاء عن رغبتهم في إحداث نظام سياسي شوري<sup>2</sup>، حيث وجهوا نسخة من هذا البيان لكل من السلطان، والمقيم العام وممثلي الحلفاء<sup>3</sup>، موقع من طرف 58 شخصية من أعضاء الحزب الوطني السابق ووطنيين أحرار، ومن بينهم امرأة واحدة، ومنذ ذلك التاريخ أصبح الحزب الوطني يعرف بحزب الاستقلال<sup>4</sup>.

لقد بارك علال هذا البيان وصادق عليه بعد عودته من المنفى<sup>5</sup>. حيث قال يومها: "لقد أعطانا بيان 11 جانفي 1944 الإطار المتين الذي تكيفت داخله جميع مطالبنا ومجهوداتنا... والمنارة التي ستقودنا في أحلك الأيام إلى الغاية التي نسعى إليها دون خوف ولا تردد"<sup>6</sup>.

لقد كانت عودته للديار المغربية فرصة سانحة لتنسيق العمل الوطني بين الوطنيين المغاربة والقصر الملكي، وعلى رأسهم الملك محمد الخامس، الذي استدعى علال الفاسي واستقبله في اليوم الموالي من عودته للبلاد وأسر له عن نيته واستعداده

<sup>1</sup> هذه الوثيقة تمت صياغتها من طرف مجموعة من رجال الحركة الوطنية المغربية وهم أحمد بلافريج، عبد الله ابراهيم، محمد اليزيدي، عمر بن عبد الجليل. أنظر: *Mohamed El Alami, Op-Cit, P.84*

<sup>2</sup> مجموعة من الأساتذة، وثيقة 11 يناير 1944، *مجلة الذاكرة الوطنية*، العدد. 16، سنة 2010، تصدرها المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، 2010، ص. 22.

<sup>3</sup> عبد القادر الشاوي، *حزب الاستقلال (1944-1982)*، منشورات عيون المقالات، الدار البيضاء، المغرب، 1991، ص. 22.

<sup>4</sup> أحمد عبيد، المرجع السابق، ص. 262، 263.

<sup>5</sup> محمد السلوي أبو عزام، المصدر السابق، ص. 22.

<sup>6</sup> علال الفاسي، مواقف خالدة، ط. 2، منشورات مؤسسة علال الفاسي، الرباط، المغرب، 2014، ص. 85.

الكامل لمساعدة الوطنيين والتضحية في سبيل الوطن، كما حضر اجتماع المجلس الأعلى للحزب في مدينة الرباط، لمناقشة مقترحات المقيم العام "ايريك لابون"، حيث قرر علال معارضة هذه الإصلاحات وأيده قادة حزبه في ذلك<sup>1</sup>.

ومن أجل عرض المطالب المغربية على الحكومة الفرنسية سافر علال إلى فرنسا، حيث حظي باستقبال مشرف من قبل الجالية المغربية بباريس<sup>2</sup>، وقد حاول الاتصال ببعض المسؤولين الفرنسيين لمناقشة القضية المغربية لكنه لم يحظ بمقابلات رسمية<sup>3</sup>، ففهم علال أن الإدارة الفرنسية ترفض أي حوار يكون مضمونه استقلال المغرب، وترسخت هذه الفكرة لديه أكثر بعد إقدام فرنسا على تعيين الجنرال "جوان" وهو عسكري فرنسي، على رأس الإقامة العامة في المغرب مما أزعجه، ورأى في ذلك تحدياً لطموحات شعبه<sup>4</sup>. لذلك قرر إشراك المجتمع الدولي في القضية المغربية، ليتمكن من إيصال صوته إلى الرأي العام العالمي.

لقد وجه علال نشاطه الدعائي والإعلامي إلى الخارج، وإلى المشرق العربي وفرنسا والقارة الأمريكية بشمالها وجنوبها وآسيا والبلاد الإسكندنافية، وذلك من خلال خطبه وجولاته وعرائضه، ومن خلال نشاط مكاتب حزب الاستقلال في الخارج التي وجد فيها الزعيم الدعم والسند القوي لنشاطه، فكشف المؤامرات التي كان يحيكها العدو وأبرز واقع المطالب المغربية الرامية إلى استرجاع السيادة الوطنية<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> محمد امجدجار، علال الفاسي (1910-1974)، الجزء 2، أعلام الحركة الوطنية، المجلد الخامس، المصدر السابق، ص. 733.

<sup>2</sup> علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص. 342.

<sup>3</sup> محمد العلمي، المصدر السابق، ص. 342.

<sup>4</sup> علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، المصدر السابق نص. 382.

<sup>5</sup> محمد السلوي عزام، المصدر السابق، ص. 37.

فعلى سبيل المثال لا الحصر زار علال الفاسي البرازيل في شهر أكتوبر من سنة 1952، حيث حظي باستقبالا مشرفا من طرف السياسيين ورجال الحكومة البرازيلية والبرلمانيين، وأقيمت حفلة على شرفه، حضرها رئيس المجلس ونائبه قدم خلالها علال عرضا مفصلا حول القضية المغربية، كما وزع الكثير من الوثائق التي تشرح جوانب من قضية بلاده.

وفي اليوم الموالي استقبله رئيس مجلس الشيوخ ونائب رئيس الجمهورية وأعضاء الوفد البرازيلي في هيئة الأمم المتحدة، ولم يفوت علال الفرصة فتكلم عن العلاقة الثقافية التي تربط الشعبين، مؤكدا على ضرورة تقديم الدعم للقضية المغربية في هيئة الأمم المتحدة، ثم انتقل إلى الارغواي والأرجنتين ثم إلى الشيلي، ليعود في النهاية إلى نيويورك ليتابع أعمال هيئة الأمم المتحدة في نفس الشهر<sup>1</sup>، وكان هدفه الأسمى من هذه الزيارات تنوير الرأي العام الدولي، وإثارة الضمير الدولي من اجل استصدار قرار سياسي لصالح القضية المغربية داخل الجمعية العامة للأمم المتحدة<sup>2</sup>.

5/ التطورات العسكرية والسياسية بالمغرب ودور علال الفاسي فيها (1953-1955)

#### أ/ التطورات العسكرية:

شهدت الفترة التي تلت نفي السلطان محمد الخامس 20 أوت 1953، اضطرابات ومظاهرات، ومشادات مع قوات العدو في كل أنحاء الأراضي المغربية، وسرعان ما تحولت هذه الاضطرابات إلى أعمال مسلحة، قادها مجموعة من الوطنيين

<sup>1</sup> جريدة العلم المغربية، العدد 1926، 1 أكتوبر 1952.

<sup>2</sup> عبد الحميد المرنيسي، المصدر السابق، ص. 127.

المحليين، العسكريين الغيورين على بلادهم، وشملت الجبال والمدن والأرياف المغربية، مما أربك السلطة الاستعمارية الفرنسية.

في هذه الفترة كان علال الفاسي متواجد في القاهرة، فبادر إلى إعلان نداء القاهرة الشهير، مطالباً فيه السلطات الفرنسية بإعادة الملك المغربي إلى عرشه، كما طالب بضرورة تغيير أسلوب التعامل مع السلطات الفرنسية، من خلال انتهاج المقاومة المسلحة<sup>1</sup>، مع العلم أن علال كان من أوائل الزعماء المغاربة الذين طالبوا بضرورة اللجوء إلى العمل المسلح لطرد المستعمر من البلاد المغاربية، حيث كانت هذه الأفكار موضوع محادثات ومراسلات بينه وبين "الطيب بنونة" أخ "عبد السلام بنونة". ففي شهر افريل 1953 راسل هذا الأخير "علال" يخبره بأنه قد اتصل بقيادة الحركة الوطنية في الجنوب وأبلغهم برغبة زعيم الحزب بضرورة التعجيل بالكفاح المسلح وهو ما عبر عنه في كتابه نداء القاهرة قائلاً: "لنقوم بحركة كفاح حاسمة ضد الاستعمار، كل استعمار فوق كل أرض وتحت كل سماء"<sup>2</sup>.

كما قدم علال مجموعة من المقترحات لمقاومة الاستعمار، على غرار المقاطعة الاقتصادية، والتصدي لمرور أي سفينة أو طائرة فرنسية مقلّة للجنود أو الأسلحة عبر الأراضي الآسيوية أو الإفريقية، وقد عبر عن ذلك قائلاً: "أيها الإخوان إن الكثيرين يستعظمون هذه الاقتراحات التي أقولها هنا... لكن الواقع يدل أن في استطاعتنا أن ننفذها" ثم يضيف ما الذي سنخسره بعد أن عرفنا فرنسا في الاستعمار؟ أما أن كافحنا فنحصل على الأقل على شرف دفع العار، الذي يكتبه في جبيننا الاستسلام إلى الأبد"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> عبد الكريم غلاب، ملامح من شخصية علال الفاسي، المصدر السابق، ص. 204.

<sup>2</sup> علال الفاسي، نداء القاهرة، المصدر السابق، ص. 40.

<sup>3</sup> نفسه، ص. 45.

لقد تزامن هذا الطرح الثوري لعلال، مع ظهور حركة مقاومة مسلحة في كل بلدان المغرب العربي، وذلك بعدما وصلت العلاقات الفرنسية المغاربية إلى طريق مسدود بسبب تعنت المستعمر الفرنسي، ورفضه الاستجابة لمطالب الحركة الوطنية، فكانت بداية العمل المسلح في تونس سنة 1952 ثم المغرب 1953 ثم الجزائر سنة 1954<sup>1</sup>. عاملا مهما اجبر الإدارة الفرنسية على التخلي عن سياستها القمعية التعسفية بالمغرب والاتجاه نحو سياسة اللين والمهادنة وذلك من خلال فتح باب المفاوضات والمباحثات.

#### ب/ التطورات السياسية:

#### • المفاوضات الفرنسية المغربية:

أدى تطور الأوضاع الداخلية في المغرب وتونس والجزائر في الفترة الممتدة ما بين 1953-1955، إلى تغيير فرنسا لسياستها بالمغرب، حيث سارع المقيم العام الجديد "جلبر كرانفال"، إلى إعادة فتح الحوار مع قادة حزب الاستقلال، وأظهر نية عزل محمد بن عرفة وإعادة "محمد الخامس" إلى العرش لامتنصاص غضب الجماهير الشعبية، إلا أنه لاقى معارضة شديدة من طرف المستوطنين الفرنسيين فتم عزله، وعوضه المقيم "بوايه دولاتور"<sup>2</sup>.

وأمام تواصل الضغط الشعبي والحزبي، وتزايد العمليات العسكرية في مختلف أنحاء البلاد، أجبرت الحكومة الفرنسية على فتح مباحثات "اكس لبيان"<sup>3</sup> مع مختلف

<sup>1</sup> عميرة علية الصغير، اليوسفيون وتحرر المغرب العربي، المغاربية للطباعة والإشهار، تونس، 2007، ص. 183، 184.

<sup>2</sup> صلاح العقاد، المصدر السابق، ص. 382.

<sup>3</sup> اجتماع تشاوري عقد في مدينة اكس لبيان بين 22 و 27 أوت 1955، إقترحه رئيس الحكومة الفرنسية ادغارفور مع مختلف الاتجاهات السياسية والمدنية المغربية، حيث ضم 37 شخصية مغربية كانوا مختلفين ومتضارين في الآراء والاتجاهات، من بينهم المقرري والكلاوي وعبد الحي الكتاني وبعض القياد والبشوات والوطنيين غير المنتسبين=

اتجاهات الرأي العام المغربي وقادة الحركة الوطنية المغربية في شهر أوت 1955<sup>1</sup>، في غياب علال الفاسي رئيس الحزب الذي أعلن من القاهرة رفضه لهذه المباحثات<sup>2</sup>، وتم عقد اجتماع للجنة التنفيذية لحزب الاستقلال بمدير في نوفمبر 1955 لمناقشة الوضع السياسي في المغرب بعد إعلان الاستقلال<sup>3</sup>، كما عارض الاتفاقية الفرنسية التونسية من قبل، وقد تعمدت الإدارة الفرنسية استبعاد قادة الحركة الوطنية المغربية<sup>4</sup>، على غرار علال الفاسي ومحمد حسن الوزاني وأحمد بلافريج. وقد وصف عبد الكريم غلاب هذه المحادثات قائلًا: "يمكن أن نعتبر اجتماع اكس لبيان تمثيلية قام بها ادغارفور، فقد كانت بين يديه جميع عناصر المشكلة، ولم يكن في حاجة إلى أن يستمع لهذا العدد من المغاربة والفرنسيين..."<sup>5</sup>. وقد وضعت فرنسا خطة طريق نصت على:

- خلع محمد بن عرفة وتشكيل مجلس وصاية على العرش.
- تعيين مجلس وصاية حكومة اتحادية وطنية تضم ممثلي الحركات السياسية الرئيسية في المغرب<sup>6</sup>.

---

=لأحزاب ومنهم البكاي والفاطمي بن سليمان، مع غياب قادة الحركة الوطنية (علال الفاسي، محمد بن الحسن الوزاني، وأحمد بلافريج). أنظر: عبد الكريم غلاب، الحركة الوطنية بالمغرب... الجزء 2، المصدر السابق، ص. 698.

<sup>1</sup> محمد علي داهش، المرجع السابق، ص. 146.

<sup>2</sup> زكي مبارك، موقف محمد بن عبد الكريم الخطابي وعلال الفاسي من مباحثات اكس لبيان، مجلة أفكار وأفانق، العدد 2، 2011، جامعة الجزائر 2، ص. 196.

<sup>3</sup> أنظر الملحق رقم 19، محضر اجتماع اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال بخط علال الفاسي بمدير لدراسة الوضع السياسي في المغرب بعد إعلان الاستقلال، ص. 412.

<sup>4</sup> عبد الغني يعقوبي، الحركة الوطنية المغربية من الإصلاحات إلى المسلسل الديمقراطي، مجلة الحوار المتمدن، العدد 932، 21 أوت 1992، ص. 76.

<sup>5</sup> عبد الكريم غلاب، المصدر السابق، ص. 696.

<sup>6</sup> جلال يحيى، المغرب الكبير "الفترة المعاصرة وحركات التحرير والاستقلال"، الجزء 3، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، 1966، ص. 1165.

• إبلاغ السلطان محمد الخامس بمضمون هذه الخطة لمباركتها، والإعلان الرسمي عن موافقته، والتزامه المطلق بعدم ممارسة أي نشاط سياسي، والتنازل عن حقه في العرش، لكن الملك رفض التوقيع عليها إلا إذا استعاد حقه الشرعي في ولاية المغرب<sup>1</sup>. كما أن الهيئات السياسية المغربية الوطنية قد أكدت أن أي حل للقضية المغربية يجب أن يمر عن طريق ملكه الشرعي محمد الخامس، كما أكدوا أن ابن عرفة لا يمكن أن يبقى، وأكد حزب الإستقلال أن أية مفاوضات دون ملك المغرب باطلة<sup>2</sup>.

وبهذا الموقف وجدت الحكومة الفرنسية نفسها مجبرة على إعادة الملك محمد الخامس إلى عرشه وفتح باب المفاوضات معه، وهو ماتم فعلا حيث تم نقله من منفاه إلى باريس في 5 أكتوبر 1955 لإجراء المفاوضات حول الاستقلال<sup>3</sup>، وبدأت المفاوضات يوم 6 نوفمبر، وانتهت بإصدار تصريح "سان كلود" في نفس اليوم، والذي وافق عليه الملك محمد الخامس، فكان ذلك بداية الاعتراف الفرنسي باستقلال المغرب، لكن ذلك لم يتم إلا في 2 مارس 1956، مع معارضة علال الفاسي لهذا الاستقلال المشروط<sup>4</sup>.

#### • موقف علال الفاسي من المباحثات الفرنسية المغربية (اكس لبيان):

جاء موقف علال الفاسي معارضا لمباحثات "اكس لبيان" التي أجراها حزبه مع الحكومة الفرنسية، دون الأخذ برأيه أو مشاورته في الأمر، حيث شارك، السادة عبد الرحيم بوعبيد، المهدي بن بركة، محمد اليزيدي، عمر بن عبد الجليل، في هذه

<sup>1</sup> عبد الكريم الفيلاي، التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير، الجزء. 12، شركة ناس للطباعة، القاهرة، 2006، ص. 170.

<sup>2</sup> زكي مبارك، المرجع السابق، ص. 197.

<sup>3</sup> عبد الكريم غلاب، المصدر السابق، ص. 708.

<sup>4</sup> صلاح العقاد، المصدر السابق، ص. 385.

المباحثات باسم حزب الاستقلال، إضافة إلى بعض التيارات الأخرى، وحتى يتجنب هؤلاء معارضة زعيمهم، أوفدوا مجموعة من عناصر الحزب للقاهرة، لإقناع الفاسي بالعدول عن موقفه والكف عن أي تصريح يعيق سير هذه المباحثات<sup>1</sup>.

إلا أن علال الفاسي واصل رفضه لهذه المباحثات، خاصة وأن السلطات الاستعمارية قد استشارت فيها جماعة من الخونة "الكلاوي"<sup>2</sup> كما رفض حضور اجتماع اللجنة التنفيذية لحزب الإستقلال التي انعقدت في روما بعد المؤتمر<sup>3</sup>.

ومما دل على ذلك الرسالة التي وجهها مترجمنا إلى الجنرال "فالينو" مندوب اسبانيا السامي في المنطقة الخليفة بتاريخ 24 سبتمبر 1955 مما جاء فيها: "جنرالي العزيز... ولست أذيع سرا إذا قلت أنني شخصيا رفضت الانتقال لسويسرا كي أشارك في هذه المحادثات ولو من بعيد لأنني اعتقدت أن فرنسا لا ترمي من ورائها إلا إلى تغطية ما تقوم به من قمع شديد في "واد زم"، و"خنيفرة" وغيرهما من المراكز التي كانت محط أعمال الإبادة الفرنسية..<sup>4</sup>

هذه الرسالة تظهر موقف علال الفاسي من المباحثات سالفة الذكر، رغم أنه في البداية أظهر نوع من الازدواجية في موقفه، بسبب ضغط حزبه من جهة، والتزامه مع قادة الثورة الجزائرية والخطابي من جهة أخرى، خاصة وأن موعد بداية العمليات العسكرية لجيش تحرير المغرب ليس ببعيد.

<sup>1</sup> زكي مبارك، المرجع السابق، ص. 199.

<sup>2</sup> وهو الباشا التهامي الكلاوي من مواليد عام 1878 بالمغرب، زعيم قبيلة كلاوة بجبال الأطلس الكبير، انتقل من خدمة العرش العلوي والمخزن إلى ابرز المتمردين عليهما زمن الحماية الفرنسية، تحالف مع الفرنسيين ضد بني وطنه، توفي في 23 جانفي 1956. أنظر: أحمد متفكر، نظم القوافي في الباشا الكلاوي إبان ولائه للعرش العلوي، مطبعة الوراثة الوطنية، المغرب، 2007، ص. 20.

<sup>3</sup> عبد الكريم غلاب، المصدر السابق، ص. 704.

<sup>4</sup> زكي مبارك، المرجع السابق، ص. 196.



وعليه يمكن القول بأن علال أدرك بحنكته السياسية، وبعد نظره، أن المفاوضين المغاربة في "اكس لبيان" كان يمكن أن يحصلوا على مكاسب أكثر أهمية، خاصة وأن فرنسا في موقف لا تحسد عليه، فمن جهة الثورة الجزائرية تحقق في انتصارات كبيرة، ومن جهة ثانية، اشتداد المقاومة المغربية في الجبال، ومن جهة ثالثة لم يبق الكثير على بداية نشاط جيش تحرير المغرب والمقرر في 2 أكتوبر 1955.

ولعل ذلك ما قصده علال في المحاضرة التي ألقاها بمدينة الدار البيضاء في نوفمبر 1970 حيث قال: "ولو عرفوا ذلك لما اهتموا بموائد "ايكس لبيان" الصغيرة ومن حولها، ولتركوا الجهاز الاستعماري الفرنسي يلعب وحده مع من لا ينتظر أن يتحملوا مسؤولية المصير المغربي"<sup>1</sup>، كما أن معارضته لهذه المباحثات يعود إلى عدم اعتراف علال بالعناصر التي مثلت المغرب في هذه المباحثات، والتي اتهمها بالخيانة والتأمر على مستقبل بلاده، وعدم انتمائهم إلى أي غطاء سياسي أو تمثيل حزبي مغربي، ولم يتوقف علال عند معارضته لهذه المباحثات بل عارض أيضا اتفاقيات الاستقلال الموقعة سنة 1956، لكونها لم تعترف بالحدود الحقيقية للمغرب<sup>2</sup>.

#### • استقلال المغرب وعودة علال الفاسي من منفاه الاختياري:

اثرى عودة الملك محمد الخامس إلى وطنه وعرشه أعلن في خطاب يوم 18 نوفمبر 1955 (خطاب العرش) انتهاء عهد الحماية وبداية عهد الاستقلال والحرية، كما أعلن أيضا: "الاعتماد على معونة فرنسا لبناء عهد جديد"<sup>3</sup>، وفي 2 مارس 1956

<sup>1</sup> علال الفاسي، الديمقراطية وكفاح الشعب المغربي من أجلها، منشورات مؤسسة علال الفاسي، الرباط، المغرب، 1990، ص. 56.

<sup>2</sup> عبد الرحيم بن سلامة، المرجع السابق، ص. 174.

<sup>3</sup> عبد الكريم غلاب، المصدر السابق، ص. 767.

اعترفت فرنسا بالاستقلال التام للمغرب، ثم تلتها اسبانيا مع بقاء بعض المناطق المغربية تحت السيطرة الاسبانية على غرار "سبتة" و"مليلة".

في هذه الأثناء عاد علال الفاسي إلى المغرب، من القاهرة عبر جنيف نحو العاصمة مدريد، وصولاً إلى مدينة طنجة، أين استقبل استقبال المظفرين في كل المدن التي مر بها كالرباط، والدار البيضاء، وغيرهما من المدن المغربية.

وقد ألقى خطاباً معبراً بمدينة طنجة<sup>1</sup>، انتقد فيه اتفاقيات الاستقلال المغربية واعتبر هذا الاستقلال ناقصاً<sup>2</sup>. حيث قال: "الاستقلال المعلن عنه، ما يزال ناقصاً، وسيظل كذلك، مادامت في البلاد قطعة تحت الحماية أو النفوذ الأجنبي"<sup>3</sup>، ولأجل ذلك أسس علال الفاسي صحيفة "صحراء المغرب" للدفاع عن وحدة المغرب الترابية، وضرورة استرجاع أراضيه المغتصبة في الشمال والجنوب والشرق<sup>4</sup>، حسب رأيه، كما أسس لنفس الغرض مجلة "الأفاق الصحراوية" باللغة الفرنسية<sup>5</sup>. وهكذا استأنف علال نشاطه السياسي، فتولى الأمانة العامة لحزب الاستقلال، وانتخب رئيساً للمجلس الدستوري وشارك في وضع الأسس الأولى لدستور سنة 1962، وواصل معركة الجهاد الأكبر من أجل بناء صرح المغرب الجديد عالياً وتدعيم ركائز الديمقراطية<sup>6</sup>.

كان علال الفاسي من أول الداعين إلى بناء مغرب عربي موحد، وفي هذا الصدد دعا ثم ترأس أول مؤتمر لأحزاب المغرب العربي، الذي انعقد بطنجة في 27

<sup>1</sup> أنظر الملحق رقم 21، خطاب علال الفاسي بمدينة طنجة على إثر عودته من القاهرة سنة 1956، ص 414.

<sup>2</sup> علال الفاسي، معركة اليوم والغد، ط. 2، مطبعة الرسالة، الرباط المغرب، 1999، ص. 46، 47.

<sup>3</sup> حزب الاستقلال، علال الفاسي "الرمز الخالد في الفكر والوجدان"، ط. 2، مطبعة الرسالة، الرباط، المغرب، 2010، ص. 42.

<sup>4</sup> عبد الرحيم بن سلامة، المرجع السابق، ص. 174.

<sup>5</sup> علال الفاسي، رسائل تشهد على التاريخ، المصدر السابق، ص. 24.

<sup>6</sup> علال الفاسي، الأداء البرلماني 1963، 1965، مؤسسة علال الفاسي، الرباط، المغرب، 2010، ص. 8.

أفريل 1958، وحضره الحزب الحر الدستوري التونسي، وحزب الاستقلال المغربي وجبهة التحرير الوطني ممثلة عن الثورة الجزائرية، وكان هدفه استكمال تحرير دول المغرب العربي من السيطرة الاستعمارية، وإيجاد الطول المادية والدبلوماسية لدعم القضية الجزائرية وستحدثت عن ذلك لاحقاً.

ما يمكن قوله هنا أن علال الفاسي طيلة السنوات الثلاث الأولى للاستقلال كانت له مواقف توافقية، ولكن ابتداء 26 جانفي 1959، عرف حزبه أزمة داخلية خطيرة حينما انفصل عنه أعضاؤه، على إثر الأزمة الحزبية والحكومية، فدخل علال مع المنشقين في مواجهات حادة، وحتى مع الحكومة التي كانت قائمة آنذاك وهي حكومة ائتلافية، ضمت شخصيات دون صفة حزبية، وقد نجح في النهاية في لم شمل الحزب وحفظ مكانته وشعبيته<sup>1</sup>.

شغل علال منصب وزيراً للدولة وللشؤون الإسلامية بعد وفاة محمد الخامس فعمل من خلاله على تحقيق دستور للبلاد، وقد نجح في المهمة، حيث وضع بنفسه مشروع هذا القانون الذي صدر بمرسوم في جويلية 1961، كما كان له باع كبير في وضع دستور المغرب لسنة 1962، وقد استقال من الوزارة مع مجموعة من ممثلي حزبه في 1 جانفي 1963، وأصبح معارضاً للحكومة. وقد عبر علال الفاسي في مؤتمر الدار البيضاء يومي 12 و14 فيفري 1965: "إن الأزمة التي، أدت إلى إقالته من الحكومة كانت مصطنعة ولم يكن لها هدف سوى ترك الحرية الكاملة للمسؤولين

<sup>1</sup> محمد العربي المساري، علال الفاسي إزاء الشأن العام فيما بين 1959 و1974، سلسلة ندوات ومناظرات بعنوان السلطة العلمية والسلطة السياسية بالمغرب، العدد. 170، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، المغرب، 2012، ص. 346.

عن التعامل دون أي سيطرة مع الرأسماليين الأجانب الذين أرادوا أن يستثمروا في المغرب<sup>1</sup>.

إن مواقف علال في المغرب قبل الإستقلال وبعده في المجال السياسي الحزبي أو ضمن النشاط السياسي داخل الحكومة المغربية، قد زاد من مكانته بين الأوساط الشعبية المغربية، وكذلك داخل الحزب مما أدى إلى إعادة انتخابه رئيساً لحزب الاستقلال لسنوات 1960، 1962، 1965، 1967،

ثانياً: نشاطه السياسي بالخارج للتعريف بالقضية المغربية (1946-1956)

• النشاط الدعائي والإعلامي لعلال الفاسي بالقاهرة.

بعد عودة علال من المنفى الإجباري بالغابون سعا جاهدا لإعادة تنظيم صفوف الحركة الوطنية المغربية، وخاصة حزب الاستقلال، الذي عرف هذه التسمية الجديدة بعد إعلانه لوثيقة الاستقلال بتاريخ 11 جانفي 1944، والتي طالب فيها الحكومة الفرنسية بالاستقلال، وإلغاء نظام الحماية، مما جعل السلطات الفرنسية تشدد إجراءاتها على الشعب المغربي والحركة الوطنية المغربية، وعلى رأسها حزب الاستقلال وزعيمه علال الفاسي.

لقد بلغت هذه الإجراءات القمعية أبشع صورها أثناء مجازر 7 أبريل 1947 بالدار البيضاء -والتي رافقت زيارة الملك المغربي محمد الخامس إلى طنجة- مخلفة الآلاف من القتلى في صفوف المغاربة، مما ولد رد فعل مغربي شديد اللهجة سواء من طرف قادة الحركة الوطنية المغربية، أو على لسان الملك المغربي الذي حمل السلطات

<sup>1</sup> Mohamed El Alami, Op-Cit, P. 124.

الفرنسية مسؤولية هذه الحوادث في خطابه التاريخي الذي ألقاه بمدينة طنجة أمام حشود المغاربة الذين كانوا في استقباله<sup>1</sup>.

في هذه الأثناء تقرر قيام علال برحلة طويلة إلى الخارج امتدت عشرة أعوام بدأها بفرنسا وعديد الدول الأوروبية، ليحل في النهاية بالقاهرة في مهمة الدعاية للقضية المغربية ولفضح السياسة الفرنسية بالمغرب، وطلب الدعم المادي والمعنوي، والحماية من جامعة الدول العربية<sup>2</sup>. ويمكننا تقسيم رحلة علال إلى القاهرة إلى مرحلتين:

### المرحلة الأولى: من إقامته في القاهرة:

وصل علال إلى القاهرة يوم 25 ماي 1947 وكان في استقباله مدير مكتب المغرب العربي الحبيب تامر، حيث تزامن وصوله مع انعقاد ندوة صحفية لمكتب المغرب العربي، ألقى خلالها عبد الخالق الطريس تصريحاً حول السياسة الإسبانية في المنطقة الخلفية ثم رحب بقدوم علال إلى القاهرة<sup>3</sup>. وقد ذكر علال الفاسي في كتابه الحركات الاستقلالية حديثاً أجراه مع بعض الصحافيين خلال انعقاد هذه الندوة موضحاً سبب قدومه ومقدماً تقريراً حول الوضع في المغرب بعد سفر جلالة الملك إلى طنجة حيث يقول: "ارتجلت حديثاً تناولت فيه الظروف التي جعلتني اختار السفر إلى القاهرة، حيث طلبت من الصحافيين أن يندروا العالم العربي بان فرنسا قد اختارت أن تكون ذبلاً لأمريكا في سياستها الخارجية، وإنها في سبيل الاحتفاظ بمستعمراتها ستسمح لأمريكا بحقوق اقتصادية وعسكرية في إفريقيا وفي فرنسا نفسها"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> عبد الكريم غلاب، المصدر السابق، ص. 491.

<sup>2</sup> محمد السلوي أبو عزام، المصدر السابق، ص. 36.

<sup>3</sup> مؤمن العمري، شعار الوحدة ومضامينه في المغرب الغربي أثناء فترة الكفاح الوطني، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2010، ص. 187.

<sup>4</sup> علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص. 393.

لقد أقام علال الفاسي قرابة السنة في القاهرة قضاها في إلقاء المحاضرات في مختلف الأندية وكتابة المقالات والإدلاء بالأحاديث لمختلف الصحف والمشاركة المؤتمرات والمهرجانات الشعبية، كما التقى العديد من الشخصيات العربية والإسلامية وحتى الغربية المهمة والفاعلة في المجتمع الدولي والعربي، حيث اتصل بالجامعة العربية وبالوفود التي تزورها، كما شارك في العديد من اجتماعات مكتب المغرب العربي ولجنة تحرير المغرب العربي<sup>1</sup>، حيث بذل الزعيم علال الفاسي جهودا كبرى لإقناع الدول العربية الشقيقة، لمساعدة المغرب العربي في جهاده من أجل الاستقلال والحرية، كما عمل أيضا على إقناع جامعة الدول العربية لعرض قضية المغرب على هيئة الأمم المتحدة حيث دعمها بالوثائق والمستندات الهامة التي أعدها مكتب المغرب العربي في القاهرة<sup>2</sup>. ويمكن تلخيص مشواره النضالي في هذه المرحلة في النقاط التالية:

- العمل على إثبات الهوية، مع تأكيد الشخصية المغربية.
- العمل على نجاح التنسيق بين الحركات الوطنية في الأقطار الثلاثة (المغرب، الجزائر، تونس). وذلك لكسب الدعم الدولي للاعتراف بحق الشعوب المغاربية في تقرير مصيرها.
- السعي لتوحيد الجهود بين الدول العربية مشرقا ومغربا<sup>3</sup>.

وبعد النكسة العربية في حرب 1948 وما لحق بالأمة العربية من خزي وعار، ونظرا لعدم اهتمام جامعة الدول العربية بقضايا المغرب العربي عاد علال إلى بلاده

<sup>1</sup> عبد القادر الإدريسي، المصدر السابق، ص. 43.

<sup>2</sup> محمد السلوي أبو عزام، المصدر السابق، ص. 38.

<sup>3</sup> أمحمد مالكي، علال الفاسي وفكرة المغرب العربي، ندوة الرهانات الوطنية وتأثير المتغيرات الوطنية في المغرب العربي المعاصر 2001، منشورات عكاظ، الرباط، 2001، ص. 109.

واستقر طنجة سنة 1949 إلى غاية 1951، وذلك بعدما منع من الدخول إلى المغرب، فواصل نشاطه الوطني من هناك، فنظم العديد من الخلايا الوطنية، وساهم في فضح سياسة المقيم العام بالمغرب "جوان" وفي سنة 1950 نظم في طنجة أول مظاهرة افريقية أسيوية لمقاومة الاستعمار، ونظرا لتزايد نشاطه تعرض علال للمحاكمة مرتين، بتهمة الإخلال بالأمن العام وعندما أرادت السلطات محاكمته للمرة الثالثة فر وعاد إلى القاهرة<sup>1</sup>.

### المرحلة الثانية: من إقامته بالقاهرة:

عاد علال الفاسي إلى القاهرة في أوت 1951 ليوحد جهوده مع زعماء المغرب الغربي<sup>2</sup>، وقد كانت أبرز الأعمال التي قام بها خلال هذه المرحلة تتلخص في ثلاث نقاط:

1- دعوة الجامعة العربية لاتخاذ قرار بخصوص عرض القضية المغربية على الأمم المتحدة، حيث نجح في إقناع الدول العربية، برفع شكوى إلى الأمم المتحدة حول انتهاكات فرنسا لحقوق الإنسان في المغرب، وبالفعل فقد تم تسجيل القضية المغربية في جدول أعمال الأمم المتحدة من طرف الدول الغربية في أكتوبر 1951.

2- الرحلة التي قام بها سنة 1952 وزار خلالها اثني عشر دولة في أوروبا وأمريكا الشمالية والجنوبية، وقد كان هدفه، تحريك الضمير العالمي وتنويره، لصالح القضية المغربية.

3- تأسيس مكتب لفرع حزب الاستقلال بنيويورك، مما ساعد على تحضير ملف كامل بالوثائق والمستندات كان له دور في شرح القضية المغربية.

<sup>1</sup> عبد الحميد المريني، المصدر السابق، ص. 126.

<sup>2</sup> أحمد الريسوني، المرجع السابق، ص. 28.

وقد بادر في 20 أوت 1953 إلى توجيه "نداء القاهرة" من إذاعة صوت العرب المصرية، فور إبعاد الملك محمد الخامس<sup>1</sup>، طالب فيه فرنسا والمجتمع الدولي بضرورة إعادة الملك إلى عرشه بمراكش، ودعا إلى توحيد الصف لمقاومة الاستعمار الفرنسي<sup>2</sup>. كما أن علال كان أحد المشاركين في تنظيم جيش التحرير المغربي، وتزويده بالمقاومة الحضرية بالسلاح<sup>3</sup>، كل هذا وغيره كان له دور كبير في التسريع من وتيرة المقاومة من جهة وعودة محمد الخامس من منفاه من جهة ثانية ورضوخ فرنسا للمفاوضات من جهة ثالثة<sup>4</sup>.

كما ساهم علال الفاسي في سنة 1955 في أعمال مؤتمر الدول المناهضة للاستعمار بياندونغ، حيث ترأس وفد مغربي للتعريف بالقضية المغربية، فالتقى العديد من رؤساء الدول والحكومات خلال هذا المؤتمر، وتم انتخابه في أكتوبر 1955 أمينا عاما للجنة تحرير المغرب العربي خلفا لبورقيبة الذي كان محل اتهامات من طرف الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي<sup>5</sup>.

على أن أهم عمل قام به علال الفاسي حسب رأينا خلال هذه الفترة، تمثل في المساهمة في تأسيس جيش تحرير المغرب العربي سنة 1954، حيث توصل الطرفان الجزائري والمغربي من خلال عدة اجتماعات، على تبني العمل الموحدوي التحرري وذلك من خلال إنشاء جيش تحرير المغرب، والذي بدأ أولى عملياته العسكرية مع مطلع شهر اكتوبر 1955، وفي الرابع من نفس الشهر، ألقى علال الفاسي باعتباره

<sup>1</sup> محمد العلمي، المصدر السابق، ص. 218.

<sup>2</sup> علال الفاسي، نداء القاهرة، المصدر السابق، ص. 35.

<sup>3</sup> أحمد الريسوني، المرجع السابق، ص. 29.

<sup>4</sup> عبد القادر الشاوي، المصدر السابق، ص. 30.

<sup>5</sup> عبد الحليم مرجي، المرجع السابق، ص. 339.



أمينا عاما للجنة المغربية، بيانا أكد فيه على أن الهدف من هذه الوحدة هو تحقيق الاستقلال الوطني للأقطار المغربية<sup>1</sup>.

وفي الأخير يمكننا القول أن علال الفاسي خلال إقامته بالقاهرة قدم جهودا معتبرة لنصرة القضية المغربية، والتعريف بها على المستوى العربي والعالمى، كما بذل كل ما في وسعه لتوحيد النضال المغربي سياسيا أو عسكريا، وقد قيم مترجمنا نشاطه بالقاهرة قائلا: "ولقد كان عملي في القاهرة... فيها يشبه أوله آخره... فهو لا يخرج عن... الاتصال بالجامعة العربية والوفود التي ترد عليها، وتقديم المذكرات التي تقضي الحاجة لتقديمها والمشاركة في الأعمال التي ينظمها المكتب أو لجنة التحرير، وتنسيق الأعمال مع الحركات التحررية المغربية والمشرقية"<sup>2</sup>.

---

<sup>1</sup> علال الفاسي، نداء القاهرة، المصدر السابق، ص. 92.

<sup>2</sup> علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص. 393.

### المبحث الثالث: تقييم نشاط الزعيمين وإبراز أوجه الاختلاف والتشابه بينهما:

بعدما استعرضنا النشاط السياسي للزعيمين الحبيب بورقيبة بتونس وعلال الفاسي بالمغرب، خلال الفترة الممتدة ما بين (1930-1956) على المستويين الداخلي والخارجي، اتضح لنا العديد من نقاط التشابه والاختلاف في طرق ووسائل الكفاح لكليهما، فرغم أن الاستعمار واحد ونظامه متشابه في كلا البلدين، إلا أنه اعتمد على سياسة متباينة بين القطرين، بحسب طبيعة برامج كل حركة سياسية، وتوجهات زعمائها، الفكرية والإيديولوجية والدينية.

#### أولاً: تقييم مسار الزعيمين السياسي

##### 1/ الحبيب بورقيبة:

إن المتأمل لمسار بورقيبة السياسي منذ 1930 يجده حافلاً بالمواقف البطولية ويتضح ذلك من خلال الحملات الصحفية التي شنّها ضد المتجنسين التونسيين ونظام الحماية برمته، حيث انطلق في بداية حياته السياسية بالعمل الصحفي الحر، من خلال مقالاته النارية التي كان ينشرها باللغة الفرنسية، في جريدة "اللواء التونسي" ثم "صوت التونسي" إلى أن أسس جريدة "العمل التونسي"، حيث برز نضجه السياسي والاجتماعي وإدراكه الواقعي لطبيعة الاستعمار الفرنسي المهيمن على البلاد. الأمر الذي كون لديه مضامين النضال الوطني، فانطلقت أعماله الحزبية وأنشطته الصحفية لمحاربة الاستعمار الفرنسي، والتصدي للهجمات الاستعمارية ومقاومة السياسة الفرنسية<sup>1</sup>.

فخدم القضية التونسية أجلّ خدمة، بما كان ينشره من وثائق تكشف عن نوايا فرنسا الرامية لمحاولة فرنسة الشعب التونسي وإدماجه وسحق مقوماته الشخصية،

<sup>1</sup> للمزيد أنظر: الأطروحة، الفصل الأول، المبحث الأول، ص. 81، 82.

وضمه للمجموعة الفرنسية، كما قاوم فيها طغيان إدارة الحماية واستبدادها بالنفوذ، كما جعلها منبرا يلهب حماس الشباب الوطني، معتمدا على لهجته النارية.

لا شك أن إنشاء الحزب الدستوري الجديد سنة 1934 شكل منعرجا هاما في المسيرة النضالية للحبيب بورقيبة لمواجهة الاستعمار الفرنسي، مما جعله عرضة للسجن سواء بتونس أو فرنسا، إلا أنه لم يتخاذل أو يرضخ لقوة وغطرسة لفرنسا، بل واصل كفاحه بالداخل والخارج سواء بأوربا أو بالشرق حتى حقق هدفه الأسمى وهو الاستقلال التام لتونس.

ويمكننا مما سبق تقسيم مراحل النشاط السياسي لبورقيبة داخل تونس وخارجها إلى أربعة مراحل وهي على النحو التالي:

### المرحلة الأولى من 1930 إلى 1934:

وخلالها سعى بورقيبة إلى إثبات وجوده في الساحة السياسية التونسية سواء على المستوى الشعبي أو الحزبي، حيث سعى إلى فرض أفكاره وتوجهه السياسي، من خلال معاداته الصريحة للسياسة الاستعمارية، والدفاع عن حقوق الشعب التونسي، فنجح في التغلغل داخل الحزب الدستوري الحر، ولم يكتف بذلك بل أحدث شرح سياسي داخل هذا الحزب<sup>1</sup>.

### المرحلة الثانية من 1934 إلى 1939:

وهي مرحلة التجديد داخل صفوف الحركة الوطنية التونسية، حيث نجح بورقيبة في إبعاد خصومه أثناء مؤتمر قصر هلال وهم الدستوريون القدامى، وأنشأ جناح جديد اسمه الحزب الحر الدستوري الجديد، بأفكار وتوجهات جديدة وبوسائل كفاح تتماشى

<sup>1</sup> للمزيد أنظر: الأطروحة، الفصل الأول، المبحث الأول، ص. 135-137.

والسياسة الاستعمارية الجديدة خلال مرحلة الحكومة الشعبية بفرنسا<sup>1</sup>، لتنتهي هذه المرحلة بالنفي والإبعاد للحبيب بورقيبة ورفاقه في الحزب بعدما تبنا سياسة العنف والقوة ضد المستعمر الفرنسي الذي رفض مطالب بورقيبة ورفاقه خلال هذه الفترة وامتنع عن القيام بأي إصلاحات أو تنازلات لصالح الشعب التونسي<sup>2</sup>.

### المرحلة الثالثة من 1945 إلى 1949:

وخلالها جرب الحبيب بورقيبة الدبلوماسية في الخارج، انطلاقاً من القاهرة وفي اتجاه معظم أقطار العالم الفاعلة في الدفاع عن حق الشعوب الضعيفة في تقرير مصيرها، فلم يبخل بجهده ونضاله لتحقيق هذه الغاية النبيلة، كما رافع في الهيئات الدولية والإقليمية للتعريف بالقضية التونسية على غرار هيئة الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية، كما عمل على توحيد الجهود وتنسيق العمل الوحدوي مع زعماء وقادة دول المغرب العربي آنذاك.

### المرحلة الرابعة من 1949 إلى غاية إعلان الاستقلال التام لتونس سنة 1956:

وخلالها اعتمد الحبيب بورقيبة على أسلوبين للكفاح، أحدهما يعتمد على التفاوض والحلول السلمية والسياسية مع الإدارة الفرنسية لحل المسألة التونسية، والثاني يعتمد على القوة والعنف والوسائل العسكرية لتحقيق الاستقلال، وقد نجح في الأخير في إقناع المستعمر الفرنسي بعدالة القضية التونسية، وحق الشعب التونسي في الاستقلال، وذلك من خلال فتح باب المفاوضات، والتي توجت في النهاية بمنح التونسيين الاستقلال الذاتي في جوان 1955 ثم الاستقلال التام في مارس 1956 ليبدأ بعدها بورقيبة مرحلة جديدة من البناء السياسي للدولة التونسية الحديثة<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> Ahmed Kassab, *Histoire De La Tunisie L'epoque Conteemporaine, Op-Cit, P.409.*

<sup>2</sup> للمزيد أنظر: الهادي البكوش، الحبيب بورقيبة وأحداث 9 أبريل، المرجع السابق، ص. 60.

<sup>3</sup> للمزيد أنظر: الأطروحة، الفصل الثاني، ص. 171، 172.

## 2/ علال الفاسي:

إنّ المتتبع لمسيرة علال النضالية سيلاحظ أهمية الدور الذي لعبه في الحياة السياسية والفكرية في المجتمع المغربي، من خلال الأعمال التي قام بها والجهود التي بذلها دون ان يكل أو يمل، هذه الأعمال ساهمت بصورة كبيرة في بروز اسم علال الفاسي في الساحة السياسية المغربية، خاصة بعد تأسيسه رفقة مجموعة من الوطنيين المغاربة لـ " كتلة العمل الوطني " سنة 1934، حيث استطاع من خلالها أن يخرق ويستقطب معظم فئات الشعب المغربي، بل وصل إلى داخل الأوساط السياسية والثقافية الفرنسية، وولد تناقضات داخل المجتمع السياسي الفرنسي.

مما سبق يمكننا تمييز ثلاث مراحل بارزة لتجربة علال الفاسي السياسية، والتي ضمنها فكره الإصلاحية السياسي، انطلاقا من مبادئه وعقيدته الإسلامية الصحيحة وإيمانه القوي بعدالة القضية المغربية، وحق الشعب المغربي في استعادة سيادته، فلم يبخل بحياته لأجل خدمة بلاده وشعبه، والتصدي لأعداء وطنه.

### المرحلة الأولى وتمتد من (1934-1937)

وميزها تقديم علال لمطالب الشعب المغربي في نوفمبر سنة 1934 إلى سلطات الحماية والملك، والتي عرفت "بمذكرة الإصلاحات المغربية" ويصفها علال الفاسي: "بأنها اشتملت على هندسة سياسية في عرض مطالب الشعب المغربي"، مما سمح للحركة الوطنية المغربية للمطالبة ببرنامج إصلاحات مستعجلة سنة 1936، وأصبحت تمارس ضغطا متواصلا على الحكومة الفرنسية<sup>1</sup>، وتطورت الأحداث إلى مواجهات مع السلط الاستعمارية، قادها علال ورفاقه في الحزب، خاصة بعد تعيينه رئيسا لحزب

<sup>1</sup> Ahmed Kassab, *Histoire De La Tunisie L'epoque Contemporaine, Op-Cit, P.409.*

كتلة العمل الوطني، وتنتهي هذه المرحلة بنفي علال الفاسي إلى الغابون سنة 1937<sup>1</sup>.

### المرحلة الثانية فتد من أكتوبر 1937 إلى جوان 1946

أي منذ نفي علال للغابون إلى تاريخ عودته للمغرب، وفيها انحصر نشاطه حول المطالبة بحق السجين نتيجة المعاملة السيئة مما أدى إلى إصابته بمرض خطير ظلّ يعاني من ألامه مدة طويلة، على أن أبرز نشاط قام به خلال هذه المرحلة هو مراسلاته مع الجنرال ديغول أثناء الحرب العالمية الثانية، حول قضية مساعدة المغرب لحكومة فرنسا الحرة ضد حكومة فيشي بشرط منح الاستقلال للمغرب، حيث صرح قائلاً: "... هذا التعاون لا يمكن إلا بشرط واحد صريح، وهو أن يعلن الجنرال ديغول استقلال المغرب منذ الآن، ثم بعد التحرير يشكل السلطان حكومة وطنية..."<sup>2</sup>.

### المرحلة الثالثة وتمتد من سنة 1946 إلى 1956

أي منذ عودة علال من منفاه بالغابون إلى المغرب، ومباشرة لنشاطه السياسي من خلال الاعتراف بعريضة المطالبة بالاستقلال المعلنة بتاريخ 11 جانفي 1944، ثم مباركتها من خلال تسمية حزبه بـ "حزب الاستقلال" سنة 1946، لبدأ مرحلة جديدة من النشاط السياسي الدعائي في الخارج لخدمة قضية بلا، إلى غاية إعلان استقلال المغرب سنة 1956، أين عاد للمغرب للمساهمة في عملية بناء وتشديد الدولة المغربية العصرية.

<sup>1</sup> إدريس جنداري، المرجع السابق، ص. 74.

<sup>2</sup> علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص. 280.

بالإضافة إلى الجانب السياسي والنضالي في شخصية علال الفاسي، فإن هناك الجانب الفكري الذي ميزه بين نخبة الحركة الوطنية، وهو مرتبط بتكوينه الديني في جامعة القرويين.

ثانيا: أوجه الاختلاف والتشابه بينهما:

### 1/ أوجه الاختلاف:

بالرجوع إلى العديد من جوانب المسيرة النضالية للزعيمين، نجد أن هناك اختلافات كبيرة بين الرجلين ولو أنهما يشتركان بارتباطهما بالمغرب العربي الذي يشكل لحمة واحدة رغم كثرة عوامل لتفرقة التي افتعلها الاستعمار على مر العصور، ويمكننا حصر أوجه الاختلاف بينهما في النقاط الآتية:

- اختلاف الطرح السياسي للزعيمين، فالحبيب بورقيبة كان طرحه السياسي - من خلال برامج حزبه - طرحا إصلاحيا اعتدالي اندماجي وذلك لتمسكه بفكرة التعاون المشترك بين الدولتين (تونس، وفرنسا) والسعي لإقامة تعاون مع فرنسا، وتجلى ذلك في مطالبه المقدمة لحكومة الجبهة الشعبية الفرنسية سنة 1936، حيث دعا إلى فتح باب التعاون مع فرنسا وربط مصير الشعب التونسي سياسيا واقتصاديا بالدولة الفرنسية، ثم من خلال مشروع الاستقلال الذاتي سنة 1955، أما علال الفاسي فكان طرحه وطنيا استقلاليا، رافضا لأي تعاون مع فرنسا وهو ما يفسر رفضه لمباحثات "اكس لبيان" سنة 1955.<sup>1</sup>

- الاختلاف في وسائل وطرق الكفاح، فالزعيم علال الفاسي كان يريد تحقيق كل شيء دفعة واحدة، لذلك رفض فكرة السلطة المشتركة بين المغرب وفرنسا، وواصل الكفاح المسلح في إطار "جيش تحرير المغرب" حتى تاريخ إعلان

<sup>1</sup> إدريس جنداري، الفكر الإصلاحي في المغرب ورهان الإصلاح السياسي والاجتماعي "علال الفاسي نموذجا"، مجلة الأزمنة الحديثة، العدد. 6، 7، 2013، الرباط، المغرب، ص. 74.

استقلال المغرب التام سنة 1956، أما الحبيب بورقيبة فكان يعتمد على سياسة المراحل "سياسة خذ وطالب" لذلك قبل فكرة الاستقلال الذاتي سنة 1955.

- كما نجد الافتراق بين الرجلين يكمن في طبيعة المرجعيات الثقافية السياسية، فالزعيم الحبيب بورقيبة انطلق من البعد الحضاري الغربي الأوروبي، واعتبره مرجعية في تحقيق مطالب التونسيين، وفي تحقيق الذات الوطنية وتجلي ذلك واضحا في تصريحه خلال مؤتمر قصر هلال مارس 1934<sup>1</sup>، فوجد مرجعيته في المبادئ الغربية وفي الانتماء للتيار الإصلاحية، لذلك تميزت دعوته خلال الثلاثينات إلى تأسيس دولة تونسية مستقلة في ظل الوجود الفرنسي، ومنح جميع الامتيازات التي يتمتع بها الفرنسيين في تونس لكل فئات الشعب التونسي دون تمييز، كما أنه لا يرى مانعا من إمكانية التعايش بين التونسيين باعتبارهم مسلمين، والأقليات المسيحية واليهودية المتواجدة في تونس.

في حين الزعيم علال الفاسي ينطلق من البعد الحضاري العربي الإسلامي كأساس لتحقيق الذات الوطنية، ومن ثمة السعي قدما لتحقيق الاستقلال بناء على المرجعية الإسلامية. فقد ناضل علال الفاسي من أجل تحقيق الوحدة على واجهتين الواجهة الداخلية بتوحيد صفوف الشعب المغربي ولم شتاته، والواجهة الخارجية بتحقيق وحدة المغرب العربي والعالم الإسلامي<sup>2</sup>.

- كما تختلف نظرة الاثنین إلى معاهدات الحماية، فالحبيب بورقيبة وحزبه يعترف بمعاهدة الحماية، ولكنه يريد تطويرها ويعمل على جلب الرأي العام الفرنسي إلى جانبها، ويسعى إلى ربط الصلة برجالات فرنسا. أما علال الفاسي فإنه لا يعترف

<sup>1</sup> للمزيد أنظر: الأطروحة، الفصل الثاني، المبحث الأول، ص. 140، 141.

<sup>2</sup> للمزيد أنظر: الأطروحة، الفصل الرابع، المبحث الثاني، ص. 365.



أصلا بمعاهدة الحماية، بل ويعتبرها خرقا صارخا للقوانين الدولية ولحقوق الشعوب المستضعفة الطامحة للحرية والاستقلال.

## 2/ أوجه التشابه:

رغم وجود عدة نقاط تتافر واختلاف بين الزعيمين إلا أننا استطعنا تحديد جوانب هامة تشابها فيها الزعيمين نوجزها فيما يلي:

• رغم تبني الزعيمان للحلول السلمية طيلة نضالهما السياسي، إلا أنهما لجأ إلى الكفاح المسلح بعدما فشلت جميع المساعي السلمية لإقناع المستعمر الفرنسي، بعدالة القضية التونسية والمغربية، وحق الشعبين في الحرية والاستقلال، وهنا يتشابه الاثنان في اختيار النهج العسكري كحل لاستعادة السيادة الوطنية، فبورقية أعلن عن التمرد المسلح في مطلع سنة 1952، حيث عمل على تحريض الشعب التونسي خلال جولاته للعديد من المدن والقرى التونسية مستخدما خطبه الحماسية<sup>1</sup>، وعلال الفاسي سنة 1953 من خلال صيحته الشهيرة من القاهرة<sup>2</sup>.

• كل من الزعيمين غلب المصلحة الذاتية لبلادهم على حساب المصلحة المشتركة لبلدان المغرب العربي ونقصد هنا الجزائر، حيث رحبا الرجلين بالاستقلال الممنوح من طرف فرنسا لبلديهما دون الجزائر، وبذلك فقد تراجع الرجلين عن قرارات لجنة تحرير المغرب المنبثقة عن ميثاقها الصادر في شهر جانفي 1948، والذي اشترط استقلال الأقطار الثلاثة معا<sup>3</sup>.

• واجه الزعيمان سياسة فرنسا الرامية إلى طمس الهوية والشخصية الوطنية التونسية والمغربية في نفس الفترة تقريبا، وأن اختلفا الاثنان في الوسائل فالهدف واحد.

<sup>1</sup> للمزيد أنظر: الأطروحة، الفصل الثاني، المبحث الأول، ص. 167، 168.

<sup>2</sup> علال الفاسي، نداء القاهرة، المصدر السابق، ص. 38.

<sup>3</sup> للمزيد أنظر: الأطروحة، الفصل الثاني، المبحث الثالث، ص. 179، 180.

"فبورقية" تصدى لسياسة التجنيس في تونس وحاربها ودافع عن الهوية التونسية من خلال العمل الصحفي في مرحلة أولى، ثم من خلال حملات التوعية التي كان يقوم بها داخل التراب التونسي في مرحلة ثانية، كما عمل من خلال لقاءاته المباشرة بالجماهير الشعبية، إلى المطالبة بمنع دفن المتجنسين التونسيين في المقابر الإسلامية الخاصة بالتونسيين.

وبالنسبة لعلال فقد تصدى للحملات الموجهة ضد العنصرية التي انتهجتها فرنسا من خلال "الظهير البربري"، لتقسيم المجتمع المغربي وخلق حواجز بين البربر والعرب فنفطن لهذه السياسة وسعى إلى محاربتها والتصدي لها<sup>1</sup>.

• إن ظهور النشاط السياسي وتطور الحركة الوطنية في كل من تونس والمغرب قد ساهمت فيه جملة من التناقضات السياسية والاقتصادية والثقافية... التي فرضها التواجد الاستعماري بالمنطقة، مما أدى إلى بروز الوعي الوطني الرافض للسياسة الاستعمارية، فاستغل الزعيمان الحبيب بورقية وعلال الفاسي هذا الجو المشحون لبداية ممارسة نضالهما السياسي، بعدما توقفت المقاومات المسلحة في البلدين، وفتحت لغة الحوار من طرف الإدارة الفرنسية، وتهيأت الظروف لبداية عمل وطني سلمي، انتهج فيه الاثنان سياسة المهادنة تارة، وسياسة المواجهة تارة أخرى، ورغم الاختلاف في الأفكار والمناهج المتبعة من طرف الزعميين، إلا أن الأهداف جاءت موحدة ومتشابهة إلى حد بعيد، يجمعها مطلب واحد وهو الحرية والاستقلال.

• إن ظروف النشأة والتكوين الجامعي للرجلين وأوضاع بلديهما في كل المجالات خاصة السياسية منها وغيرها من الأحداث، قد حفرت أثرا عميقا في تكوين شخصية الرجلين وفكرهما وتوجهاتهما السياسية والإيديولوجية، مما ساعدهما في تنمية

<sup>1</sup> للمزيد أنظر: الأطروحة، الفصل الثاني، المبحث الأول، ص. 104.

قدراتهما الثقافية والفكرية، وألهما لاحتلال الصدارة في مجتمعاتهما، وبالتالي تولي القيادة السياسية وزعامة الحركة الوطنية في كلا البلدين. ولم يتوقف هذا النشاط عند استعادة الحرية والسيادة سنة 1956، بل استمر في مرحلة ما بعد الاستقلال بنفس العزيمة والقوة والمثابرة، متخذا أشكالا جديدة تكيفت مع الوضع السياسي الجديد للبلدين وطبيعة عمل كل زعيم في تلك المرحلة الجديدة<sup>1</sup>.

• كما أن "علال" قد بدأ نشاطه السياسي مبكرا من خلال تلك الحملات الموجهة ضد العنصرية التي انتهجتها فرنسا من خلال "الظهير البربري"، الذي سعت من خلاله إلى تقسيم المجتمع المغربي وخلق حواجز بين البربر والعرب، لكن "علال" تظن لهذه السياسة وسعى إلى محاربتها، والتصدي لها، على غرار "الحبيب بورقيبة" في تونس الذي واجه سياسة فرنسا الرامية إلى طمس الهوية والشخصية الوطنية التونسية في نفس الفترة تقريبا، وإن اختلفا الاثنان في الوسائل فالهدف واحد، حيث تصدى "بورقيبة" لسياسة التجنيس في تونس وحاربها ودافع عن الهوية التونسية من خلال العمل الصحفي، في مرحلة أولى، ثم من خلال حملات التوعية التي كان يقوم بها داخل التراب التونسي في مرحلة ثانية، حيث عمل من خلال لقاءاته المباشرة بال جماهير الشعبية، إلى المطالبة بمنع دفن المتجنسين التونسيين في المقابر الإسلامية الخاصة بالتونسيين، حسب ما تطرقنا إلى ذلك سابقا.

حيث أكد على ضرورة التعاون مع الجنرال ديغول، بشرط أن يحقق ذلك أمان الشعب المغربي وهو الاستقلال<sup>2</sup>، وهو موقف مماثل لموقف الزعيم الحبيب بورقيبة في تونس الذي أعلن هو الآخر صراحة وقوفه إلى جانب الحلفاء<sup>3</sup>، مما ينبئ عن تظن

<sup>1</sup> للمزيد أنظر: الأطروحة، الفصل الثاني، المبحث الأول، ص. 175، 176. والمبحث الثاني، ص. 179، 180.

<sup>2</sup> للمزيد أنظر: الأطروحة، الفصل الثاني، ص. 219.

<sup>3</sup> للمزيد أنظر: الأطروحة، الفصل الثاني، ص. 158.

الزعيمين للخطر النازي على بلديهما وشعوب المنطقة، فأطماع هتلر التوسعية ليس لها حدود، ومصالحة البلدين في اعتراف فرنسا بحق الشعبين في الاستقلال دون قيد أو شرط.

• يتشابه الزعيمين في تغيير منهج المقاومة من المطالبة بالإصلاحات إلى التشديد في المطالبة بالاستقلال، وذلك سنة 1936 أي بعد وصول الجبهة الشعبية إلى الحكم في فرنسا. ففي سنة 1937 وبعد رفض المطالب في كلتا الدولتين لجأ الزعيمين إلى سياسة المواجهة والقوة، مما انجر عنه القاء القبض ثم نفي الزعيمين وحل حزبيهما<sup>1</sup>.

• الصراع الثنائي سواء في المغرب أو في تونس مع كوادر الحزب القديمة، ففي تونس حدث انشقاق داخل الحزب العتيد في الحركة الوطنية التونسية، مما أدى إلى انشطاره إلى حزب دستوري قديم وآخر جديد، لكل اتجاهه ومطالبه وبرنامجه، أما المغرب فقد عرف هو الآخر تصدعا داخل أهم الأحزاب الوطنية المغربية ونقصد "كتلة العمل الوطني" مما أدى إلى انقسامه إلى "الحزب الوطني" و"الحركة القومية"، وبذلك تشابهت الأحداث السياسية المرتبطة بالزعيمين وفي نفس الفترة تقريبا.

---

<sup>1</sup> للمزيد. أنظر: الأطروحة، الفصل الثاني، المبحث الأول، ص. 155، 156، والمبحث الثاني، ص. 195.

**الفصل الثالث:  
التوجهات الفكرية  
والإيديولوجية للزعميين  
وأثرهما في بناء الدولة  
الحديثة**

المبحث الأول: فكر وتوجهات الحبيب بورقيبة

المبحث الثاني: التوجهات الفكرية والإيديولوجية لعلال

الفاسي

المبحث الثالث: دراسة مقارنة لتوجهاتهما الفكرية

والإيديولوجية

تحتفل الأمم بعظمتها وتقيم لهم الذكريات في مختلف المناسبات اعترافا بفضلهم، وتقديرا لمواهبهم، وتحفيزا لهم الأجيال الصاعدة على سلوك نهجهم، واقتفاء أثرهم، وتبني أفكارهم ومواقفهم. وتاريخ المغرب عبر العصور حافل بنماذج حية من هؤلاء العظماء، ونخص بالذكر هنا بعض زعماء الفترة المعاصرة في تاريخ مغربنا الكبير وعلى الخصوص في تونس والمغرب باعتبارهما محل دراستنا الحالية، حيث نجد في طليعة هؤلاء، الزعيمان الحبيب بورقيبة وعلال الفاسي وهما من أبرز الرموز الفكرية والسياسية في المغرب الحديث والعالم العربي.

وقد حاولت في هذا الفصل تسليط الضوء على التوجهات الفكرية والإيديولوجية للزعميين، من خلال تتبع مساهمتهما النضالي الحافل بالآراء والأفكار والاستراتيجيات الشاملة في كل المجالات والميادين، وكيف وظفا تلك الأفكار في الحياة السياسية والدينية، وفي مجال إقامة نظام سياسي جديد بعد تحقيق الاستقلال سنة 1956، حيث سعى كل منهما لاعتماد إستراتيجية جديدة، انطلاقا من قناعاته الشخصية وعقيدته السياسية والفكرية والدينية، والتي تشكلت بفعل التكوين الديني والثقافي لديهما، وذلك بعد سنوات من الدراسة الجامعية، ومن خلال الظروف المحيطة بهما سواء على المستوى الأسري، أو البيئي، مما أدى إلى نمو حسهما السياسي التحرري الوطني ونمو ملكتهما الفكرية، خاصة عند الزعيم علال الفاسي، مما ميزه بين نخب الحركة الوطنية المغاربية، فهو لم يكتف بالنضال بل تجاوز ذلك إلى مستوى التنظير.

أما الزعيم الحبيب بورقيبة فقد تجسد نبوغه الفكري في مقالاته الصحفية التي دافع فيها عن هوية تونس وشخصيتها العربي والإسلامية، فذاع صيته بما كان يكتبه من مقالات صحفية باللغة الفرنسية موجهة إلى المستعمر، الذي هيمن على بلاده في كل الميادين، وسلب خيرات وممتلكات شعبه.

المبحث الأول: فكر وتوجهات الحبيب بورقيبة

أولاً: أسس الفكر البورقيبي

يقول الحبيب بورقيبة عن نفسه في مداخلة ألقاها بواشنطن في 15 ماي 1968: "إنني رجل عملي وسياسي أفكر فقط في الطرق التي تسمح بادراك الهدف وليس فقط في الإعلان عن مبادئ عامة"<sup>1</sup>. فهذا التصريح يؤكد أن بورقيبة رجل سياسة ودولة وليس منظراً ولا مؤسساً لإيديولوجيات، على غرار الكثير من الرؤساء والزعماء في العالم، وعليه فإن البحث في فكره وتوجهاته يستند على الكم الهائل من الخطب التي ألقاها في مناسبات مختلفة، وكذا التصريحات الصحفية التي أدلى بها أو النصوص التي أمضاها، والتي عبر من خلالها على ضرورة إشراك الشعب التونسي لإنجاح مشروعه التحديثي، أو ما يطلق عليه في خطبه "تحديث المجتمع"<sup>2</sup>.

صحيح أن فكرة المشاركة هذه كانت منتشرة آنذاك، في فرنسا مما جعلنا نخمن أن الرئيس بورقيبة قد استلهما واستوحاها من هناك، وتمسك بها أكثر بعد استقلال تونس، حيث شرح في خطبه أهمية الاستقلال السياسي في حفظ كيان الدولة واستقرارها، لكنه يفقد الكثير من مميزاته إذا لم يصاحبه تحرر اقتصادي واجتماعي وثقافي، فانطلق بورقيبة في معركة جديدة أساسها تحديث المجتمع التونسي، معبراً عن ذلك بقوله: "إن هذا هو الجهاد الحقيقي في العصر الحديث"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الحبيب بورقيبة، خطب، الجزء. 25، كتابة الدولة للإعلام، تونس، 1979، ص. 122.

<sup>2</sup> الشاذلي القليبي، المرجع السابق، ص. 129، 130.

<sup>3</sup> أنظر: على سبيل المثال: الحبيب بورقيبة، خطب، 30 جوان 1964، الجزء. 17، المصدر السابق، ص. 259. وأنظر أيضاً: الحبيب بورقيبة، خطب، 9 أبريل 1968، الجزء. 25، المصدر السابق، ص. 45.

إن جل الكتابات المحايدة أو المدحية منها حول بورقيبة كشخص أو كرجل سياسة تشيد بالطابع الحدائي له<sup>1</sup>، وتبرز مدى تأثيره في تاريخ تونس ما بعد الاستقلال، وهذا راجع إلى ثقافة بورقيبة الغربية بدرجة أولى، وإلى النظريات المتداولة آنذاك، خاصة في الخمسينات والستينات في الأوساط الليبرالية التي تعتبر التخلف تأخر زمني، وإن مسار التقدم هو مسار الحضارة الغربية، وللحاق بمصاف الدول المتقدمة، وذلك لا يتأتى إلا بالسير على نفس النهج والمنوال لهذه الدول. وقد كان بورقيبة يشخص أسباب تخلف البلاد التونسية في السيطرة الاستعمارية وفساد الدولة وتقهقر الاقتصاد، وخاصة في تدهور البنية الثقافية والعقلية للسكان، والتي تتميز بالتخلف والجمود، حتى أنه يرجع أسباب الانحطاط والوقوع في قبضة الهيمنة الاستعمارية، إلى انتشار الأوهام وسيادة الجهل<sup>2</sup>، فبورقيبة كان يريد إنقاذ تونس وشعبها من التخلف، وذلك عن طريق التعاون مع الغرب صاحب التكنولوجيا والتطور والتقدم الحضاري<sup>3</sup>.

وفي هذا المجال يذكر الكاتب والمؤرخ الهادي التيمومي: "إن الدولة التونسية بادرت منذ الأيام الأولى للاستقلال بتطبيق برنامج اتسم بالكثير من الجرأة لتحديث الحياة الاجتماعية والثقافية... وقد قام هذا البرنامج التحديثي الواسع، على التوفيق بين متطلبات الحداثة الغربية وفهم معين للإسلام". ثم يوضح أثرها على الحياة العامة في تونس قائلاً: "حققت البلاد بفضل هذا البرنامج الذي يعتبر توأماً للفكر الإصلاحية

<sup>1</sup> إن مفهوم الحداثة يطلق على مرحلة تاريخية من نمو الدول الصناعية، وهو أيضاً مفهوم يستعمل للدلالة على المميزات المشتركة بين الدول الأكثر تقدماً في كل المجالات، فالحداثة تسعى لتحقيق النمو الاقتصادي والتقدم التقني والتحول المجتمعي وتحريره من قيود التقاليد البالية وإقامة ثقافة علمانية عقلانية. أنظر: محمد شقرون، مفهوم التحديث واستعماله في سوسيولوجيا المجتمعات النامية، مجلة الوحدة، العدد. 85، أكتوبر 1991، ص. 9، 10.

<sup>2</sup> عميرة عليّة الصغير، الحاكم بأمره بورقيبة الأول، المغاربية للطباعة وإشهار الكتب، تونس، 2011، ص. 131.

<sup>3</sup> الطاهر بلخوجة، المصدر السابق، ص. 13.



التونسي للقرن 19م قفزة كبيرة جعلتها تتبوأ في ظرف سنوات معدودة مكانة مرموقة في  
طليعة البلدان العربية والإسلامية والإفريقية<sup>1</sup>.

كما أن التخلف حسبه لا يمكن التخلص منه إلا بتغيير العقلية لان غياب العقل  
يؤدي إلى الانحطاط، فبورقية كما وصفه الكاتب عميرة علية الصغير بأنه: "كان  
عقلاني النزعة وضعي المنظور واثقا كل الثقة في العقل. والعلم ليس وحده أداة لفهم  
الواقع ... فلا شيء يقف في وجه العقل البشري"<sup>2</sup>. وهو ما أكدته بورقية في إحدى  
خطبه ببيروت في 10 مارس 1965 "بأن العقل مكسب من مكاسب الإنسان وأثر من  
أثار جهده الخلاق، فالفكر الإنساني بلا ريب، لم تبق دواليبه وعملياته الذهنية تجري  
بعد أرسطو وفلاسفة اليونان كما كان قبلهم، ولا بقي بعد الرسول صلى الله عليه وسلم،  
كما كان في ظلمات الجاهلية قبله"<sup>3</sup>.

فالحداثة في منظور بورقية تمر بإحياء العقل ونشره عبر التعليم<sup>4</sup>، لذلك أولى  
بورقية عناية كبيرة للتعليم في تونس بعد الاستقلال<sup>5</sup>، إضافة إلى النجاعة في التسيير  
والإدارة وخلق ثروة بالعلم والعمل، وعلى تفجير طاقة المجتمع عبر تحرير المرأة  
التونسية، وإحداث ثورة فكرية ثقافية عبر المدرسة<sup>6</sup>. وفي هذا الصدد يرى المؤرخ عبد  
الجليل التميمي "أن التعليم هو المحك الحقيقي للشخصية الفكرية البورقية<sup>7</sup>، وهذا

<sup>1</sup> الهادي التيمومي، تونس 1956-1987، ط. 2، دار محمد علي للنشر، تونس، 2008، ص. 36.

<sup>2</sup> عميرة علية الصغير، المرجع السابق، ص. 131.

<sup>3</sup> الحبيب بورقية، خطب، الجزء. 19، المصدر السابق، ص. 16.

<sup>4</sup> عميرة علية الصغير، المرجع السابق، ص. 132.

<sup>5</sup> الصحراوي قمعون، المرجع السابق، ص. 12.

<sup>6</sup> عبد الحميد الأرقش، بورقية يعود، منشورات نيرفانا، تونس، 2015، ص. 12.

<sup>7</sup> نسبة لبورقية، وهي سياسة تقوم على مبدأ خذ وطالب والمرحلية، والذي يطلب عليه اليوم بالواقعية والعقلانية، وقد  
وقد صاغ بورقية شروطها في مجال السياسة الداخلية المتعلقة بتطبيق البورقية والتي قال عنها شخصيا "إنها

خطة إنهاء الاستعمار تشترط شعبا موحدا ومنضبطا". أنظر: Dominique Mataillet, Op-Cit, P. 60.

التوجه أعطى لبورقوية صلاحيات اختراق المجتمع وتغييره من الأساس، فالتعليم عنده هو الثورة الحقيقية للفكر والسلوك... فبورقوية خصص ثلث ميزانيات الدولة للتعليم، أي لبناء الإنسان التونسي الجديد...<sup>1</sup>.

هذه السمات الرئيسية للفكر البورقوي المرتكز على العقلانية، والإعجاب بالحضارة الغربية، التي لا حضارة غيرها في نظره يمكنها أن توجه إصلاحاته الحديثة<sup>2</sup>.

### ثانيا: التوجه الايديولوجي البورقوي

على صعيد الخيارات الإيديولوجية طبق بورقوية عدة مناهج اقتصادية وسياسية ودينية منذ استقلال تونس سنة 1956، تركت أثارا متباينة على الحياة السياسية الداخلية والخارجية للبلاد، وعلى عامة المجتمع التونسي.

#### 1/ في الجانب الاقتصادي:

في الجانب الاقتصادي اعتمد بورقوية على عدة مناهج اقتصادية في الفترة الممتدة من 1956 إلى غاية 1987 بهدف تحسين أوضاع البلاد الاقتصادية والحاق بركب الدول المتطورة، وتتلخص أبرز ملامحها في مايلي:

#### أ/ السياسية الاقتصادية الليبرالية (1956-1961):

لقد اختار الرئيس بورقوية غداة الاستقلال النهج الليبرالي المرتبط بالمنظومة الرأسمالية العالمية، فقد هيأت الدولة التونسية للرأسماليين المحليين كل الظروف الملائمة حتى يتمكنوا من النهوض باقتصاد البلاد، من خلال تكفل الدولة بتوفير الإطار البنوي وشروط نمو رأس المال الخاص، كما عملت على الحد من التناقضات

<sup>1</sup> عبد الجليل التميمي، أضواء جديدة حول شخصيات مغاربية...، المرجع السابق، ص. 198.

<sup>2</sup> عبد الحميد الأرقش، المرجع السابق، ص. 12.

الاجتماعية الحادة، فالمجتمع التونسي بعد الاستقلال كانت غالبية تعيش الفقر والبطالة وتردي الأوضاع الصحية والثقافية وارتفاع النمو الديموغرافي السريع<sup>1</sup>، لذلك اتخذت الدولة التونسية الجديدة الإجراءات التالية:

- خصصت اعتمادات مالية كبيرة لتدعيم وانجاز البنى الأساسية التي لها علاقة بالخدمات الاجتماعية.
- التكفل بتقديم مساعدات عاجلة للسكان الأكثر فقرا<sup>2</sup>.
- اهتمام الدولة بالتعليم من خلال رصد ربع الميزانية لهذا القطاع.
- عملت الدولة على الحد من الواردات خاصة المتعلقة منها بالتجهيزات الأساسية وذلك في إطار تطبيق سياسة تقشفية.
- وفرت الدولة لملاك وسائل الإنتاج التونسيين والأجانب امتيازات جبائية بموجب قانون 4 جوان 1957 وقانون 10 فيفري 1958، وإعفاءات جمركية وقروض وتسهيلات أخرى<sup>3</sup>.

لقد راهن بورقيبة بعد الإستقلال على رأس المال الخاص وعلى حرية المبادرة لدفع عجلة الاقتصاد، معتبرا ذلك هو الطريق الأفضل والأقرب إلى تحقيق أهداف الدولة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وقد أكد بورقيبة كرئيس حكومة عن هذا التوجه في خطابه بتاريخ 21 جويلية 1956: "إن سياستنا تعتمد الاقتصاد الحر وعلينا أن نعطي رأس المال حرية التنقل، نحن نعلم إلى أين سيؤدي الاقتصاد المسير، والحكومة التي نسيرها ليست مستعدة أن تذهب ولن تذهب في هذا الإتجاه"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> الهادي التيمومي، المرجع السابق، ص. 65، 66.

<sup>2</sup> الصحراوي قمعون، المرجع السابق، ص. 24، 25.

<sup>3</sup> الهادي التيمومي، المرجع السابق، ص. 68، 69.

<sup>4</sup> عبد السلام القلال، المصدر السابق، ص. 283.

لكن هذه التجربة سرعان ما اثبت فشلها بسبب ضعف المنتج والدخل، وانتشار الفقر بين غالبية السكان، إضافة إلى تهريب رؤوس الأموال من طرف الجاليات الأوربية، كما أن الإصلاح الاقتصادي دعم نفوذ البرجوازية الكبيرة بواسطة مجموعة من الإجراءات، أدت إلى تكريس هيمنة الطبقة البرجوازية<sup>1</sup>.

#### ب/ السياسة الاقتصادية التعاضدية (1962-1969):

لقد إختار الرئيس بورقيبة سبيل الاشتراكية الدستورية<sup>2</sup>. والتخطيط كأداة لتنفيذها في خطابه الذي توجه به إلى المواطنين في مدينة صفاقس في 24 جوان 1961 حيث قال: "من بين الوسائل السريعة والضامنة لتحقيق أهدافنا إختارنا التخطيط، وإذا ماتحمس له الشعب، وعمل بمقتضاه عن طواعية، وإنضباط، سيحقق في ظرف عشر سنوات نهاية الخصاصة والحرمان أي الرفع من مستوى دخل الفرد التونسي سنويا إلى 50 دينار"<sup>3</sup>. كما ذكر الحزب في تقريره خلال مؤتمره المنعقد ببنزرت من 19 إلى 22 أكتوبر 1964: "إن حزينا مقتنع بأن بناء مجتمع جديد يضمن فيه كرامة وازدهار شعبنا لا يمكن تصوره إلا في نطاق الاشتراكية الدستورية التي هي حينئذ عقيدتنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> عبد السلام القلال، المصدر السابق، ص. 72، 73.

<sup>2</sup> "منهج سياسي اقتصادي واجتماعي فكري منبعث من صميم الواقع التونسي فالاشتراكية الدستورية ثورة قومية جماعية تشمل كافة الميادين... وهي كذلك ثورة ديمقراطية اجتماعية تهدف الى القضاء على مظاهر الاستغلال بأنواعها... فالاشتراكية الدستورية ترمي الى خلق امة وسط تقوم على تآخي المواطنين وتضامنهم". أنظر: المجلة التاريخية، العدد. 3، أبريل 2013، دورية تونسية مستقلة، ص. 29.

<sup>3</sup> عبد الحميد الأرقش، المرجع السابق، ص. 70.

<sup>4</sup> أحمد بن صالح، مسيرة الانطلاق 1961 - 1969، ترجمة: محمد قويعة، دار الجنوب للنشر، تونس، 2012، ص. 245.

إن تحول بورقيبة إلى النهج الاشتراكي<sup>1</sup> كان ضمن التوجه السائد عالميا في تلك المرحلة على غرار البلدان المستقلة حديثا<sup>2</sup>، وقد أثر هذا التوجه على الجانب السياسي أيضا، من خلال تغيير تسمية الحزب الدستوري الحاكم إلى الحزب الاشتراكي الدستوري في "مؤتمر المصير" المنعقد ببنزرت سنة 1964، فقد شكل هذا المؤتمر نقطة تحول في تطور النظام السياسي التونسي، حيث أقر انتصار التيار الاشتراكي على التيار الليبرالي، مما قلب موازين القوى داخل الحزب الدستوري الأمر الذي دفعه إلى تبني الخيار الاشتراكي كما ذكرنا سابقا<sup>3</sup>، حيث انطلقت تونس في تنفيذ سياسة اشتراكية دستورية تعاضدية<sup>4</sup>، تقوم على هيكل عمومي وهياكل خاصة، وتعتمد الدولة في عمليتها التنموية على سياسة التخطيط المركزي، حيث تتولى الإشراف على جميع المشاريع الفلاحية والصناعية على السواء، كما تشرف على عمليات الاستيراد والتصدي<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> وهو نظام يقوم على التخطيط المركزي، وإمساك الدولة بدواليب التخطيط والتنفيذ في مختلف المجالات، لقد بدأت الاشتراكية في تونس كحراك إجتماعي مع محمد علي الحامي في بداية العشرينات من القرن الماضي، وقد برزت الدعوة إلى الاشتراكية في مؤتمر الحزب الدستوري المنعقد بصفاقس في شهر أكتوبر 1955 ومؤتمر إتحاد الشغل خلال شهر سبتمبر 1956. أنظر: عبد السلام القلال، الحلم والمنعرج الخطأ، دار الجنوب، تونس، 2018، ص. 289.

<sup>2</sup> محمد كرو، الدولة الجديدة والإصلاح التونسي، مجلة الباحث، العدد. 19، سبتمبر - أكتوبر 1981، بيروت، ص. 81.

<sup>3</sup> Sadok Marzouk, *Les Lutttes Pour La Succession De Bourguiba 1959 – 1972*, Script Editions, Tunis, 2016, P. 31, 32.

<sup>4</sup> "أما التعاضد فهو كما عبر عنه المجلس الملي في مارس 1962 بأنه، "وسيلة هدفها تنظيم القطاع الزراعي والصيد البحري وتحسين إنتاجية العمل الفلاحي وإدخال الوسائل الفنية العصرية لضمان رواج المحاصيل والرفع من مستوى الإنسان" كما عرفه عبد السلام القلال بقوله: "التعاضدية هي مؤسسة اقتصادية واجتماعية تعتمد في تأسيسها ونشاطها على الحس التضامني والتعاون بين أفرادها، وتهدف إلى تنمية الإنتاج والتقبل من كلفته بالإعتماد على العمل الجماعي، حيث يعتبر الفرد شريكا في مقدرات المؤسسة لا أجبر، وله مسؤولية المالك في ملكه وقد نص القانون المؤرخ في 27 ماي 1963، إلى تعاضديات الإنتاج. أنظر: المجلة التاريخية، العدد 3، أبريل 2013، المرجع السابق، ص. 29. وأنظر أيضا: عبد السلام القلال، المصدر السابق، ص. 313.

<sup>5</sup> المجلة التاريخية، المرجع السابق، ص. 28.

أما عن تفاصيل هذه السياسة الاقتصادية الجديدة فقد تضمنتها وثيقة الأفاق العشرية (1962-1972) الصادرة سنة 1961 التي أطلق عليها تسميات عديدة مثل التعاقد أو الاشتراكية الدستورية أو التصميم. وقد تواصلت هذه التجربة من سنة 1962 إلى سنة 1969 وأشرف عليها آنذاك احمد بن صالح الذي كان يتولى وزارات التخطيط والفلاحة والمالية والاقتصاد<sup>1</sup>، ولكن هذه التجربة تعثرت نتيجة لعدة عوامل وأسباب أبرزها:

- قامت الحركة التعاقدية بتصفية ملكيات الفلاحين الصغار والتجار واستخدمت ضدهم أساليب القوة بهدف فرض التعاقدات الزراعية والتجارية في الريف، من خلال افتكاك الأملاك الفلاحية والمحلات التجارية من أصحابها وتجميع أصحابها في تعاونيات تعاقدية<sup>2</sup>.

- إلحاق الضرر بالفلاحين بسبب القيود المفروضة عليهم مثل: منع نقل البضائع من منطقة إلى أخرى إلا عن طريق التعاقدية المركزية أو الجهوية، مما قيد حرية تنقل الفلاحين.

- عملت هذه التجربة على إفقار الفلاحين الصغار والمتوسطين بفعل الإجراءات المتخذة، والتي خدمت مجموعات معينة من أصحاب الأراضي والملكيات الكبيرة.

<sup>1</sup> من مواليد 13 جانفي 1926 بالمكنين، نقابي سياسي تونسي شغل عدة مناصب سياسية وتقلد العديد من الحقائق الوزارية انتخب سنة 1954 أمينا عاما "للاتحاد العام التونسي للشغل" ثم عضو في المجلس التأسيسي 1956، عين وزيرا للصحة ثم الاقتصاد ثم التربية، اشتهر بالتجربة الاشتراكية التعاقدية، انقلب عليه بورقيبية في سبتمبر 1969، بعد فشل سياسية التعاقد، ألقى عليه القبض في مارس 1970، نجح في الفرار من السجن، المدني بتونس، يوم 4 فيفري 1973، وبقي في المنفى الى غاية صدور قانون العفو سنة 1988، حيث عاد الى تونس في نفس السنة، ثم غادرها ولم يرجع نهائيا إلى سنة 2000. أنظر: أحمد المستيري، المصدر السابق، ص. 199، 200. وأنظر أيضا: محمد مزالي، رسالة مفتوحة إلى بورقيبية، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، مصر، 1988، ص. 19. وأنظر أيضا: عبد السلام القلال، المصدر السابق، ص. 286. وأنظر أيضا: أحمد بن صالح، المصدر السابق، ص. 315، 316.

<sup>2</sup> الصحراوي قمعون، المرجع السابق، ص. 30.

-تحكم أصحاب الملكيات الكبيرة أو ما اصطلح على تسميتهم بـ: "البرجوازية الجديدة" في المشاريع الكبرى بالبلاد كالاستيراد والاستيراد والسياحة، كما أصبح لهم نفوذ سياسي في الدولة وظفوه لتسهيل تسيير مشاريعهم المختلفة<sup>1</sup>.

- أدت هذه التجربة إلى حدوث تصادم وصراع بين مختلف الطبقات داخل المجتمع التونسي.
- أدت إلى مشاكل اجتماعية مثل فقدان العديد من سكان المناطق الجنوبية الوسطى لأراضيهم.
- تفاقم مشكلة البطالة والنزوح الريفي نحو المدن وانتشار الأمراض.
- أصبحت تونس تعاني من تبعية غذائية للخارج<sup>2</sup>.

كل هذه العوامل جعلت من بورقيبة يضطر إلى إلغائها، وإنهاء مهام أحمد بن صالح بتاريخ 9 نوفمبر 1970، ثم حكم عليه بعشر سنوات سجنا بتهمة الخيانة العظمى<sup>3</sup>. بعدما تم اعتقاله رفقة عدد من المسؤولين السياسيين والإداريين<sup>4</sup>.

### ج/ السياسة الاقتصادية الليبرالية (1970-1980)

بعد فشل تجربة التعاقد وإبعاد أحمد بن صالح، عين بورقيبة الهادي نويرة على رأس الحكومة التونسية في 2 نوفمبر 1970، والذي شرع في تطبيق سياسة ليبرالية مناقضة للاشتراكية، تميزت بالانفتاح وتشجيع القطاع الخاص، لتعرف تونس بذلك مرحلة التحرر الاقتصادي وفتح الباب أمام المبادرات الخاصة في مجال الفلاحة والتجارة والصناعة. وقد أوجد هذا التوجه الجديد صيغة للتعايش بين القطاعين العام

<sup>1</sup> أحمد بن صالح، النمو الجهوي أساس التنمية القومية، كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، تونس، 1968، ص. 147.

<sup>2</sup> نفسه، ص. 152.

<sup>3</sup> الصحراوي قمعون، المرجع السابق، ص. 17.

<sup>4</sup> أحمد المستيري، المصدر السابق، ص. 207.

والخاص، وظهرت ملامح التوجه نحو الخصوصية، وهو ما يؤكد الهادي نويرة صاحب هذه التجربة في خطابه يوم 17 نوفمبر 1970 قائلاً: "من الضروري بناء اقتصاد يستجيب لقواعد المردودية وتحرير القطاع الخاص، في المجال الصناعي، من العوائق الإدارية... والتشجيع على بعث المؤسسات الصغرى والمتوسطة"<sup>1</sup>، وتواصلت هذه التجربة إلى غاية سنة 1980.

لكن هذه السياسة سرعان ما أدخلت البلاد في أزمة سياسية واقتصادية بسبب انعكاساتها السلبية، حيث أدت إلى توسيع دائرة الطبقة البرجوازية، فنتج عنها اختلالات كبيرة بين فئات المجتمع التونسي، والتجمعات السكانية عبر مختلف مناطق البلاد خاصة بين مدن الساحل والمدن الداخلية ومدن الجنوب<sup>2</sup>، أي انعدام التوازن الجهوي في توزيع مشاريع التنمية والثروة.

أدت هذه السياسة إلى غليان وتذمرفي الأوساط الشعبية التونسية، سرعان ما تحولت إلى مواجهات بين الجبهة الشعبية والحكومة، غذتها الصراعات السياسية على السلطة في تونس بسبب مرض الرئيس بورقيبة في تلك الفترة، وتدخل زوجته وسيلة بن عمار<sup>3</sup> في شؤون الحكم، وظهر تنافس كبير لخلافته<sup>4</sup>.

كل هذه الأزمات، أدت إلى إبعاد الهادي نويرة واستقدام محمد مزالي في أفريل 1980، وقد كان يشغل منصب وزير للتربية ضمن حكومة الهادي نويرة، وبقرار من

<sup>1</sup> Ben Slama Moncef, "Chronique Economique "in Annuaire de l'Afrique du Nord, 1970, Edition CNRS, Paris, 1971, P. 514.

<sup>2</sup> محمد عبد الباقي الهرماسي، المجتمع والدولة في المغرب العربي، ط. 2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1992، ص. 78.

<sup>3</sup> هي وسيلة بنت محمد بن عمار من مواليد تونس العاصمة سنة 1913م، تزوجت على بن الشاذلي، ثم بورقيبة بعد علاقة حب وغرام، كانت تدعى الماجدة وسيلة وكانت لها الكلمة العليا في تسيير شؤون الحكم خلال حكم بورقيبة إلى غاية طلاقها سنة 1986. أنظر: عادل بن يوسف، المرأة والسلطة في تونس خلال فترة الحكم البورقيبي وسيلة بورقيبة نموذجاً...، المرجع السابق، ص. 32-33.

<sup>4</sup> الصحراوي قمعون، المرجع السابق، ص. 19.



الحبيب بورقيبة تم السماح بالتعددية الحزبية، التي ظل يعارضها لأكثر من عشرين<sup>1</sup>. وبذلك يكون بورقيبة قد ساير موجة الاشتراكية السائدة في العالم الثالث في الستينات، وموجة الليبرالية في السبعينات، وأخيرا موجة الديمقراطية في الثمانينات، لتشهد تونس بعدها مرحلة تقهقر وتداعي سياسي واقتصادي واجتماعي، انتهت بإبعاد بورقيبة من طرف وزيره الأول زين العابدين بن علي في 7 نوفمبر 1987<sup>2</sup>.

إن هذا الطرح لمبادئ وأفكار الحبيب بورقيبة يجعلنا نطرح التساؤلات التالية: كيف وظف بورقيبة فكره وإيديولوجيته، في تحديد نوعية وطبيعة النظام السياسي الذي سيحكم تونس بعد الاستقلال؟ وماهي الأسس والمبادئ التي اعتمدها لبناء وإقامة دولة تونسية حديثة؟ وهل حافظ على هوية ومقومات الشعب التونسي خاصة في المجال الديني؟

## 2/ في المجال السياسي.

قبل الحديث عن النهج السياسي الذي اعتمده الحبيب بورقيبة لتسيير شؤون الدولة التونسية الحديثة، من الضروري إلقاء ولو نظرة موجزة عن موقف مترجمنا من العائلة الحسينية الحاكمة ومن الحكم الملكي في حد ذاته، لأن استمرار الملكية في تونس يتعارض والتوجهات السياسية والفكرية لبورقيبة الطامح في السلطة وفي إقامة دولة عصرية على النمط الغربي، لا وجود فيها لمنافس أو خصم ينازعه في السلطة والقيادة، باعتباره الزعيم ورجل الاستقلال والمجاهد الأكبر بلا منازع.

<sup>1</sup> علي الزيدي، بورقيبة بين نظام الحزب الواحد والتعددية (1979-1986)، نهاية حكم بورقيبة والقيادات السياسية العربية بين الصعود والانحدار، وارد في أشغال المؤتمر الدولي الخامس، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2005، ص. 160.

<sup>2</sup> الصحراوي قمعون، المرجع السابق، ص. 23.

فبورقبيية الذي استخدم سياسة المراحل والتدرج ضد الاستعمار الفرنسي قبل الاستقلال وأثناءه، قد وظف هذه الإستراتيجية أيضا مع خصومه ومنافسيه داخل الحزب وفي هرم السلطة، حيث عمد إلى سياسة الملاينة مع الباي محمد الأمين<sup>1</sup> منذ إعلان الاستقلال الداخلي بتاريخ 3 جوان 1955. فلم يصرح بعدائه للعائلة الحسينية الحاكمة، بل أظهر مسايرة وملاينة طوال الفترة الممتدة من 1955 إلى منتصف 1956، مركزا في نفس الوقت اهتمامه على تصفية المعارضة اليوسفية بدرجة أولى ثم التخلص من بعض القيود الفرنسية التي ارتبطت باتفاقيات الاستقلال الداخلي في مرحلة ثانية، وفي النهاية وجه كل جهوده لتصفية النظام الملكي وإعلان النظام الجمهوري<sup>2</sup>.

فبورقبيية كان يخفي كرها وحقدا، ويحمل ازدياء شديدا للعائلة الحسينية، كان يتحين الوقت المناسب للقضاء على الملكية<sup>3</sup>، فهو لم ينس يوما كيف استقبله "محمد الأمين باي" ببرود عند عودته إلى تونس بتاريخ 1 جوان 1955، والحفاوة التي استقبل بها خصمه صالح بن يوسف عند وصوله إلى تونس في 13 سبتمبر 1955<sup>4</sup>.

### فخلال المرحلة الأولى (مرحلة المسايرة والملاينة): عمد بورقبيية في خطبه إلى

ذكر فضائل ومحاسن الباي، وتبجيله بأبهى العبارات، على غرار: "جلالة الملك

<sup>1</sup> ولد سنة 1881 وهو آخر من حمل لقب الباي في تونس، نصبه الحلفاء بايا على تونس خلفا لابن عمه منصف باي واستمرت ولايته قرابة 14 سنة (1943-1957) وكان غير مقبول من طرف قادة الحركة الوطنية التونسية بسبب تعيينه من طرف سلطات الحماية. تعاقبت في عهده سبع حكومات اخرها حكومة الحبيب بورقبيية الذي قام بخلعه، واعلن عن قيام النظام الجمهوري في تونس والغي الملكية، وافته المنية سنة 1962. أنظر: أحمد القصاب، المرجع السابق، ص. 279، 280.

<sup>2</sup> في خلفيات إعلان الجمهورية: براديجم "المرحلة البورقبيية" مطبقا على الفترة جانفي 1956-جويلية 1957، مجلة روافد، العدد، 12. 2007. مجلة المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس، ص. 116، 117.

<sup>3</sup> Sophie Bessis, Op-Cit, P. 173.

<sup>4</sup> اندري بوتار، بورقبيية، المصدر السابق، ص. 174.

المعظم أدام الله له العز وطول البقاء" وعند مخاطبة ممثلي البايع الذين يحضرون التجمعات الحاشدة يقول: "السيد ممثل الحضرة العليا أبقاه الله ذخرا للبلاد"<sup>1</sup>. وغيرها من عبارات التبجيل، كما عمد أيضا إلى الإشادة بمواقفه البطولية كما فعل ذلك خلال خطاب ألقاه بقفصه في جانفي 1956 حيث قال: "أريد بهذه المناسبة أن شكر جلالة الملك الصالح محمد الأمين الذي من به الله سبحانه وتعالى على الأمة، فضحى وصمد وكافح واضطهد معنا..."<sup>2</sup> ثم واصل بورقيبة على نفس النهج، تظاهره بالاحترام والانضباط للبايع طيلة الأشهر الأولى للحكومة التي ترأسها بعد الاستقلال.

لقد وصلت سياسة الملاينة البورقيبية اتجاه الملك إلى حد تقبيل يد محمد الأمين بايع أثناء القيام بمراسيم تعيينه على رأس مجلس الوزراء بتاريخ 11 افريل 1956، وقد برر بورقيبة ذلك التصرف فيما بعد في إحدى خطبه قائلا: "وقد بقينا طيلة عام ونصف نتردد عليه -البايع- لا عن اقتناع بصلاحياته أو بصلاحيه النظام الملكي الذي نعيش في ظله، بل لان الأقدار شاءت أن يكون هو المجسم لنا موس الدولة"<sup>3</sup>، أما في الخفاء فقد كان بورقيبة ناقما عليه وعلى العائلة الحسينية وحكمه، وهو ما ذكره بورقيبة في أحد خطبه حيث يقول: "ذات يوم دخلت البهو الكبير بالقصر وكانت زوجة البايع جالسة فتوقفت عن السير وقلت لها ولمن معها: "عندما يدخل رئيس الحكومة على كل الموجودين الدخول لتحيته... مما أدى بالملكة إلى طلب العفو مني"<sup>4</sup>.

-المرحلة الثانية (إضعاف سلطة البايع): عمد بورقيبة على إفراغ المؤسسة

الملكية من صلاحياتها منذ الإعلان عن تأسيس المجلس التأسيسي وبداية جلساته

<sup>1</sup> فتحي لبيسر، المرجع السابق، ص. 91.

<sup>2</sup> الحبيب بورقيبة، خطب، الجزء 1، المصدر السابق، ص. 286.

<sup>3</sup> نفسه، الجزء 4، ص. 342.

<sup>4</sup> الحبيب بورقيبة، حياتي أراني جهادي، المحاضرة التاسعة، المصدر السابق، ص. 27.

بتاريخ 8 أبريل 1956 والخطاب الذي أكد فيه الحبيب بورقيبة قائلاً: "أنتم تجتمعون اليوم في هذا المجلس بإرادة الشعب وان تلك الإرادة مجسمة في جمعكم، واضحة جلية فالسيادة في تونس سيادة الشعب صاحبها الشرعي"<sup>1</sup>، ولعل خطاب بورقيبة في 17 أبريل 1956 يوضح أن مسألة تحية الباي هي مسألة وقت لا غير حيث قال: "إن العقلية الاستقلالية إنما هي اليوم، مثلما كانت بالأمس ثورة متواصلة على الأوضاع الموروثة المزرية بالكرامة، وهي غزو مستمر لمختلف مناطق السيادة"<sup>2</sup>.

ثم صرح في مناسبة أخرى بان أعضاء المجلس التأسيسي دورهم ينحصر في التعبير عن طموحات الشعب حيث قال: "بلسانكم يعبر الشعب عن إرادته"<sup>3</sup> ثم توالى النصوص والقرارات الصادرة عن السلطة الجديدة وكلها تصب في خانة تحجيم مكانة الباي وتقليص نفوذه، إلى غاية 15 جويلية 1957 تاريخ فرض الأمن التونسي الحراسة على القصر الملكي مانعا الدخول والخروج منه، ومراقبة الشرطة لكل الطرق المؤدية للقصر<sup>4</sup>، ثم إلغاء الملكية وإعلان قيام الجمهورية التونسية في 25 جويلية 1957 من طرف المجلس القومي التأسيسي بعد مشاورات شاقة، وقد كانت الإذاعة تقوم بتغطية وقائع المناقشات مباشرة<sup>5</sup>. ليعلن رئيس المجلس القومي التأسيسي جلولي فارس الحبيب بورقيبة رئيسا للجمهورية التونسية، ليتولى حكم البلاد بمقتضى دستور أتاح له تجميع كل السلط بين يديه<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> الرائد الرسمي التونسي، مناقشات المجلس القومي التأسيسي الجلسة الافتتاحية بتاريخ 8 أبريل 1956، ص. 3.

<sup>2</sup> فتحي ليسيير، المرجع السابق، ص. 97.

<sup>3</sup> الرائد الرسمي التونسي، مناقشات المجلس القومي التأسيسي الجلسة 14 أبريل 1956، ص. 19.

<sup>4</sup> فتحي ليسيير، المرجع السابق، ص. 102.

<sup>5</sup> سالم لبيض، بورقيبة واشكالية الهوية في تونس مقال منشور في كتاب السلطة وآليات الحكم في عصر الحبيب بورقيبة في تونس والبلاد العربية، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2003، ص. 35.

<sup>6</sup> حسن الممي، مفهوم الدولة بين خير الدين باشا، وبورقيبة، (د. د. ن)، تونس، (د. س. ن)، ص. 47.

بالعودة إلى مسألة طبيعة النظام السياسي الذي سيحكم البلاد من طرف قادة الحزب الدستوري، وعلى رأسهم الحبيب بورقيبة، خلال الفترة الممتدة ما بين (1955-1957)، لا نجد إشارات واضحة إلى نوعية الحكم الذي سيسود تونس الحديثة، باستثناء بعض الومضات الخاطفة، حيث اقتضت الإشارة: "إلى وجوب إرساء نظام ديمقراطي تكون فيه السلطة للشعب حيناً، وتفضيل الملكية الدستورية حيناً آخر"<sup>1</sup>. لقد كان بورقيبة يعتمد على الكاريزما السياسية التي حازها في الكفاح ضد المستعمر لفرض خياراته السياسية، التي كان يرى فيها للعامل السياسي الدور الكبير<sup>2</sup>.

فبورقيبة الذي استهل بداية حكمه بالدعوة إلى تكريس النظام الديمقراطي لأنه الحل الوحيد والأنسب لحماية الشعوب من الظلم والاستبداد، والضامن الوحيد لتحقيق السلام الداخلي والخارجي، وهو ما تضمنه خطابه بباردو في 20 مارس 1956، حيث قال: "إن الديمقراطية هي ركن من أركان السلام، وشرط لازم له، سواء فيما يتعلق بالسلام الداخلي، أو الخارجي للشعوب...". ثم أضاف "ويما أن الشعب التونسي يعتقد أن أساس الحياة هو الكرامة، والسير نحو الازدهار... لذا أراد أن يوفر شروطها، وأهم شروطها الحكم الديمقراطي الشعبي"<sup>3</sup>.

فالديمقراطية حسبه توفر الأمن والاستقرار للمواطن وتحفظ له حقوقه، وتنتشر السلم الداخلي.

لكن الأحداث التي عرفتها تونس في مطلع الستينات جعلت بورقيبة يغير رأيه في الطرح السابق، ويروج لفكرة مفادها، "أن الشعب التونسي غير مهيب ولا مؤهل لأن

<sup>1</sup> فتحي ليسير، المرجع السابق، ص. 113.

<sup>2</sup> الصحراوي قمعون، المرجع السابق، ص. 23.

<sup>3</sup> الحبيب بورقيبة، خطب، الجزء. 4، المصدر السابق، ص. 77، 78.

يعيش حياة الديمقراطية، لأنه يفتقد للوعي والنضج" حسب رأيه<sup>1</sup>، إذ يقول في أحد خطبه سنة 1959: "... فالنظام الديمقراطي لا ينجح إلا في الشعوب الناضجة، التي تستطيع تمييز الغث من السمين"<sup>2</sup>. وعليه فإن الشعب التونسي لم يصل حسب رأيه لمرحلة النضج السياسي، فلا يسمح له باختيار نظام حكمه ومن يحكمه، لان تسليمه مقاليد حكمه بنفسه يؤدي به إلى الهاوية وهو ما عبر عنه بورقيبة في قوله: "إنها طامة كبرى في إرخاء العنان لشعب متخلف ذهنيا ونفسيا وإطلاق يده في اختيار من يتولى أمره، وفي التصرف كما يشاء..."<sup>3</sup>.

فبورقيبة لم يرفض الديمقراطية مطلقا بل وضع لها شروطا ترجي تطبيقها إلى فترة زمنية غير محددة، فهو مع ديمقراطية يكون دور الشعب مقتصرًا على انتخاب الأشخاص الذين يختارهم الحزب<sup>4</sup>، وكأن الشعب التونسي طفل قاصر لم يبلغ سن الرشد بعد، لذا وجب مرافقته حتى ينضج ويستطيع حكم نفسه واختيار مصيره.

إذا فالديمقراطية في رأي بورقيبة سلاح خطير لا يسمح باستخدامه، إلا من طرف ذوي الخبرة والكفاءة، لذلك تم تأجيلها إلى غير موعد محدد بحجة الوحدة المحتومة، ضد المستعمر أولاً، ثم ضد التخلف وللقضاء على مخلفات الاستعمار ثانياً<sup>5</sup>، وبذلك أعطى لنفسه مبررات التسلط والاستبداد، فدور الرئيس -حسبه- لا يقتصر فقط على تلبية حاجات بلاده، بل في اتخاذ القرارات في الوقت الذي يراه مناسباً دون العودة

<sup>1</sup> Dominique Mataillet, *Op-Cit*, P.59.

<sup>2</sup> الحبيب بورقيبة، خطب، الجزء. 9، المصدر السابق، ص. 279.

<sup>3</sup> خطاب بورقيبة، 26 أبريل 1966.

<sup>4</sup> عميرة عليّة الصغير، هل نجح بورقيبة في مشروعه التحديثي، أعمال المؤتمر العالمي الأول المنعقد بتاريخ 1-3 ديسمبر 1999 حول: الحبيب بورقيبة وإنشاء الدولة الوطنية، قراءات علمية للبورقيبية، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2000، ص. 107.

<sup>5</sup> نورة البورصالي، بورقيبة والمسألة الديمقراطية 1956-1963، ترجمة: محمد عبد الكافي، ط. 3، دار نقوش عربية، تونس، 2016، ص. 21.

لشعبه، ولعل ذلك يبرر ما قام به سنة 1961، عندما قام بإخلاء قاعدة بنزرت، وكذا تأميم الأراضي سنة 1964<sup>1</sup>.

إن رفض بورقيبة لفكرة الديمقراطية، بناء على الاحتمالات الواهية التي قدمها يبرر رغبته الشديدة في تبني نظام استبدادي، والاستئثار بالسلطة والحكم وبناء دولة حسب مواصفات وأهداف معينة، لذلك حرك إعلامه الرسمي للإشادة بمناقبه وبتاريخه النضالي ووطنيته، فجعل من نفسه أسطورة لا مثيل لها، وفي المقابل غيب وهمش رجالات تونس وقادة الحركة الوطنية التونسية، ورفقاء الكفاح، الذين رفعوا معه راية الكفاح وقاوموا الاستعمار وعانوا من ويلاته وظلمه، والذين كانوا معه أو كانوا في مستواه وساهموا هم أيضا في تحرير بلادهم، ثم قام بضم عناصر جديدة لم تكن معه على نفس الخط<sup>2</sup>.

كما اعتبر الحزب الواحد هو الإطار الأنسب والأمثل لتسيير شؤون البلاد والعباد، وجرت حملات إعلامية تبرز مزايا الحزب الواحد وعدم حاجة البلاد إلى تنظيمات حزبية أخرى، وقد قال بورقيبة في هذا الصدد: "إن الواقع والظروف الحالية جعلت قيام حزب آخر أمر غير معقول..."<sup>3</sup>، وبذلك أصبح الحزب الحر الدستوري يحتكر السلطة، وتداخلت هياكله مع أجهزة الدولة، فصودرت الحريات، وفرض واقع جديد على البلاد، تميز بالبعد الكلي عن قيم الحداثة التي طالما تغنى بها في خطبه

<sup>1</sup> Dominique Mataillet, *Op-Cit*, P. 59.

<sup>2</sup> البشير بن سلامة، استجلاء الأسس الفكرية في بناء الدولة الحديثة التونسية ودور بورقيبة، أعمال المؤتمر العالمي الأول المنعقد بتاريخ 3/1 ديسمبر 1999، حول: الحبيب بورقيبة وإنشاء الدولة الوطنية قراءات علمية للبورقيبية، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي، زغوان، تونس، 2000، ص. 22.

<sup>3</sup> الحبيب بورقيبة، خطب، الجزء. 15، المصدر السابق، ص. 300.

وعن مبادئ الجمهورية التي كان يفتخر بتشبيدها في تونس ما بعد الاستقلال، على أنقاض الحكم الملكي للأسرة الحسينية<sup>1</sup>.

وحتى يكرس بورقيبة فكره في سيطرة الحزب الواحد على النظام السياسي التونسي، استغل فرصة محاكمة المتآمرين في المحاولة الانقلابية الفاشلة<sup>2</sup> ومحاولة اغتياله في ديسمبر 1962<sup>3</sup>، ليوّجه الضربة القاضية لخصومه حيث اتهم الأطراف السابقة الذكر بتدبير تلك المؤامرة، فقام بإصدار قرارات بحظر الحزب الشيوعي التونسي واعتقال قادته سنة 1964، وبذلك أصبح الحزب الحر الدستوري، الحزب الوحيد في البلاد دون منازع، هذا النظام عكس سياسة وفكرا استبداديين لا يقبلان الحوار ولا النقاش، لذلك كان بورقيبة حريصا طيلة فترة حكمه على توفير توافق بين فكره وإيديولوجيته إلى حد كبير، مع المنظمات الوطنية والأجهزة التي كانت تدور في فلك حزبه<sup>4</sup>.

بعدها نجح بورقيبة في الهيمنة على الحزب الدستوري، استغله في الهيمنة على المنظمات القومية، وعلى جميع مؤسسات الدولة، وتحويلها إلى أداة طيعة تكرس

<sup>1</sup> الطاهر بن يوسف، المرجع السابق، ص. 47.

<sup>2</sup> وتسمى أيضا بالمؤامرة الفاشلة، وقد اختلفت فيها الروايات لدى الكتاب والمؤلفين حيث ذكر البعض بأنها محاولة قام بها مجموعة من المتمردين للاطاحة بنظام حكم بورقيبة سنة 1962 بسبب تدهور الأوضاع الداخلية لتونس المستقلة، نتيجة سوء تصرف بورقيبة في تسيير شؤون الدولة واستبداده في اتخاذ القرارات، مما جعل مجموعة من القادة التونسيين المدنيين إلى التخطيط للقيام بهذه العملية إنطلاقا من مدينة قفصة، ومن هؤلاء عبد العزيز العكري، والرحموني، والزموري، والازهر الشرايطي، ثم التحقت بهم مجموعة كبيرة من الضباط وتحول التمرد إلى إنقلاب عسكري، لكن العملية أجهضت في المهد، بعدما وشا أحد العسكريين برتبة عريف إلى الباهي الأدم، فتم القبض على الجميع وحوكموا محاكمة صورية، وتم إصدار أحكام بالإعدام في حق مخططي هذه العملية، بينما تم إيداع البقية السجن. أنظر: سالم الحداد، خفايا المحاولة الانقلابية لسنة 1962، المجلة التاريخية المغاربية، العدد. 110، جانفي 2003، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، ص. 394، 395، 396.

<sup>3</sup> نفسه، ص. 393.

<sup>4</sup> الصافي سعيد، المصدر السابق، ص. 284.



حكما فرديا. وكانت البداية مع "الاتحاد العام للفلاحة التونسية" المنحاز إلى صالح بن يوسف، وذلك بانتهاج نفس الأسلوب الذي انتهجه سنة 1934، مع الحزب الدستوري القديم في مؤتمر قصر هلال<sup>1</sup>. حيث شجع بورقيبة سنة 1956 بعض الأعضاء من صغار الفلاحين، أمثال الصادق خلف الله، ومحمد قاسم، على الانشقاق بالاعتماد على فلاحي الساحل وتكوين منظمة جديدة، تحت اسم "الاتحاد القومي للفلاحين التونسيين"، وتمت محاصرة "الاتحاد العام للفلاحة التونسية"، ثم حل وزج بمناضليه في السجون<sup>2</sup>.

ثم دخل بورقيبة في مواجهة مع حليف أمس "الاتحاد العام التونسي للشغل" قدم "الحبيب عاشور" للقيام بانشقاق في أكتوبر 1956 لإضعاف أحمد بن صالح، وتأسيسه "للاتحاد التونسي للشغل" وبعد شهرين شجع أحمد التليلي على إبعاد أحمد بن صالح من الأمانة العامة للاتحاد وخلافته في هذه المنظمة بتاريخ 19 ديسمبر 1956، مستغلا سفر هذا الأخير إلى المغرب<sup>3</sup>، ثم رجوع "الحبيب عاشور" إلى "الاتحاد العام التونسي للشغل" في سبتمبر 1957، وكان هدف بورقيبة إبعاد أحمد بن صالح المعارض لأفكاره ومشروعه السياسي<sup>4</sup>، الهادف إلى التحول التدريجي نحو الحكم الفردي وحتى يضمن ولاءه المطلق اسند إليه حقيبة وزارية، وبذلك حوله من خصم إلى تابع له<sup>5</sup>.

إضافة إلى "الاتحاد العام لطلبة تونس" وخاصة الزيتونيين منهم حيث ساد الوفاق والتعاون والعلاقات مع الديوان السياسي مدة من الزمن ثم بدأ يدب بينهما الخلاف والذي سرعان ما تسييس وأدخلا الطرفين في دوامة الصراع. إضافة إلى "الاتحاد القومي

<sup>1</sup> للمزيد أنظر: الأطروحة، الفصل الثاني، المبحث الأول، ص. 141، 142.

<sup>2</sup> عبد الجليل بوقرة، المرجع السابق، ص. 63.

<sup>3</sup> Sadok Marzouk, Op-Cit, P. 33.

<sup>4</sup> الهادي التيمومي، المرجع السابق، ص. 70.

<sup>5</sup> عبد الجليل بوقرة، هل بورقيبة مستبد...، المرجع السابق، ص. 63.

النسائي التونسي " بقيادة راضية حداد<sup>1</sup>، حيث تمكن بورقيبة من إبعاد هذه القوى ولو مؤقتا. كما نجح في فرض نهجه السياسي والعلمي في الدولة التونسية متحديا الجميع في الداخل والخارج من خلال استمرار حكمه للبلاد التونسية لأكثر من ثلاثة عقود بمنطق الفكر الواحد، والزعيم الأوحده، والحزب الواحد<sup>2</sup>.

لقد خلفت هذه السياسية الاستبدادية التي انتهجها بورقيبة رد فعل عنيف من طرف الجماهير التونسية التي تعرضت للظلم، فانتشرت في الداخل حركات التمرد والغليان السياسي، الرفضة لحكم بورقيبة ومشروعه السياسي فعلى الصعيد الاقتصادي أدت تجاربه المختلفة، ونظامه الاقتصادي الموجه والتبعية المالية، إلى ضعف الاقتصاد الوطني، وحدثت انعكاسات اجتماعية سلبية للغاية على قسم كبير من التونسيين، حيث ظلت قدرتهم الشرائية منخفضة جدا، وزادت معدلات البطالة وضعف الاستقرار، مما أدى إلى انفجار أحداثا مأساوية كادت أن تززع أركان الدولة التونسية. على غرار كارثة تجربة التعاوض في عام 1964، وأحداث 26 جانفي 1978<sup>3</sup> وأحداث

<sup>1</sup> أول من تولت رئاسة الاتحاد القومي النسائي التونسي سنة 1958، وأول نائبة في مجلس الأمة سنة 1959، بعد انسياقها وراء تيار أحمد المستيري المعارض لتوجهات بورقيبة، رفعت عنها الحصانة البرلمانية في ديسمبر 1973، وتم فصلها من الحزب الاشتراكي الدستوري في مارس 1974، حيث وجدت نفسها ملاحقة قضائيا سنة 1974 بتهمة "تحويل أموال خاصة والثراء غير المشروع". أنظر: المجلة التاريخية، المرجع السابق، ص. 38.

<sup>2</sup> الطاهر بن يوسف، المرجع السابق، ص. 48.

<sup>3</sup> وتسمى بالأزمة النقابية (الخميس الأسود)، بدأت أحداثها يوم 24 جانفي 1978 بإضراب في القطاع الفلاحي، وامتدت إلى قطاع الصناعة وقطاع البناء، بتنظيم من الأمين العام للاتحاد العام التونسي للشغل الحبيب عاشور والذي حدد في خطابه تاريخ 26 جانفي 1978 موعدا لإضراب وطني شامل في البلاد انطلاقا من ساحة محمد علي بالعاصمة، وحدثت مظاهرات كبرى في صباح اليوم المشهود، ولكنها في المساء تحولت إلى أعمال شغب، حيث هاجم المتظاهرون المحلات التجارية، وتم نهب محتوياتها، وقد استعملوا العصي والقضبان الحديدية والحجارة، واستمرت أعمال الشغب لعدة أيام، وتصدت قوات الامن التونسية بكل قوة لهذه الأعمال مستخدمة القنابل المسيلة للدموع، كما تم إيقاف الكثير ممن شاركوا في هذه المظاهرة، وسقط العديد من القتلى والجرحى في صفوف العمال، كما زج بالمئات في السجون، وأعلنت السلطة قانون حالة الطوارئ، وفي المقابل اعتبرتها السلطة فاشلة لأنها لم=

قصة الدموية في سنة 1980<sup>1</sup>، وختاماً أحداث 4 جانفي 1984<sup>2</sup>. والاضطرابات الاجتماعية التي كادت أن تزعزع أركان الدولة التونسية<sup>3</sup>.

أما في الخارج فبلغ الرفض لسياسة وتوجهات بورقيبة وأفكاره المتطرفة أشده، في العالم العربي لاسيما في القاهرة من طرف الجناح الناصري، الذي كان يدعوا إلى "القومية العربية" ويدعوا إلى "أمة واحدة من الخليج إلى المحيط"، ويوجه انتقادات لاذعة لأفكار وسياسة بورقيبة البرغماتية، التي تركز على الذاتية التونسية وفكرة الأمة التونسية، وترفض المحاولات الوحدوية لجمال عبد الناصر الذي بدوره يرفض انسياق بورقيبة وراء أفكار الحداثة الغربية، وبهزج الحضارة الأوربية<sup>4</sup>.

إن الحبيب بورقيبة إلى جانب كونه شخصية بارزة في التاريخ السياسي والإجتماعي والثقافي لتونس المعاصرة، يعد أيضا شخصية مثيرة للجدل. فهو الرجل السياسي خلال الإصلاحات الكبرى، وهو أيضا الشخصية المستبدة التي ترفض أي

=تلق استجابة واسعة في شريحة العمال. أنظر: محمد الصياح، الفاعل والشاهد، حاوره المولدي الأحمر، سراس للنشر، تونس، 2012، ص. 154، 155.

<sup>1</sup> حدثت ما بين 26 و 27 جانفي 1980 قام بها مجموعة من الأشخاص حوالي 60 مسلحا هاجموا مركز الشرطة والحرس والتكننين بالمدينة وتم الاستيلاء عليهم مؤقتا، كما تم تحريض الأهالي للإطاحة بنظام بورقيبة، لكن عدم استجابة سكان مدينة قفصة للمتمردين، وضعف التنسيق بين قيادات هذه المجموعات أدى الى فشلهم والقضاء عليهم. أنظر: نور الدين العلوي، عملية قفصة 1980، شهادة الكفاءة في البحث كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 1990، ص. 36.

<sup>2</sup> وتسمى بانقفاضة الخبز، وهي عبارة عن حركة احتجاجية شملت مختلف مناطق البلاد التونسية، نتيجة للقرار الذي اتخذته الحكومة التونسية، والمتمثل في رفع الدعم على العجين ومشتقاته ومن ذلك الخبز، مما تسبب في زيادة ثمنه، فخرجت مظاهرات في جنوب البلاد في 27 ديسمبر 1983، ثم انتشرت في مختلف مناطق البلاد لتصبح أكثر خطورة وانتشارا يوم 4 جانفي سنة 1984. أنظر: نور الدين العلوي، المرجع السابق، ص. 154. وأنظر أيضا المنجي الكعلي، المصدر السابق، ص. 157. وأنظر أيضا: محمد الصياح، المصدر السابق، ص. 228، 229.

<sup>3</sup> CHouikha(L) Et Gobe (E), Histoire de La Tunisie Depuis L'Indépendance, La Découverte, Paris, 2015, P. 110.

<sup>4</sup> المجلة التاريخية، العدد 1، افريل 2011، ص. 32.

شكل من أشكال المعارضة، ولم تسمح إلا بالقليل من الحريات<sup>1</sup>. لقد اعتمد بورقيبة على مبدأ الحكم الفردي في تسيير النظام السياسي للبلاد، من خلال تسخير الدستور التونسي لفرض الشرعية لنظام حكمه<sup>2</sup>، حيث أرسى دعائمه وجند من أجله كل القوى الفاعلة طوعاً أو كرهاً. كما مثل الحزب الحاكم القوة الوحيدة المسيطرة على الفضاء السياسي والإيديولوجي، فقد بنى أسس دولة جديدة يقوم نسقها التنظيمي على أحادية الحزب الحاكم وشرعية القيادة السياسية ومركزية العمل السياسي<sup>3</sup>. وبذلك لم يترك أي مجال للآخرين لمنافسته.

فبورقيبة صاحب النظرة الإستراتيجية الثاقبة على حد تعبير احد معاونيه، كان حريصاً على عدم الإفصاح عن توجهاته في البداية<sup>4</sup>، وهو ما يؤكد الكاتب الصحراوي قمعون: "بأن بورقيبة لم يعلن صراحة توجهه السياسي والاقتصادي حيث كان يتراوح بين الاشتراكية والليبرالية وبين القومية العربية المحتشمة والوطنية القطرية التونسية، دون أن يغفل في مراقبة القوى المحافظة، وفي مقدمتها الإسلاميين والزيتونيين، وهي القوى المعادية لمشروعه الإصلاحية الاجتماعي والفكري، الذي جسّمه بإصدار مجلة الأحوال الشخصية<sup>5</sup>، وذلك أربعة أشهر بعد الاستقلال<sup>6</sup>".

<sup>1</sup> Andrieu Kora et Ferchichi Wahid, *Histoire Et Mémoire Collective En Tunisie: des Notions Contrastées*, 1<sup>ère</sup> Edition ·Kadem, Tunis, 2006, p. 23.

<sup>2</sup> كما فعل مجلس الأمة في 18 مارس 1975 عندما اقر بمبدأ انتخاب بورقيبة رئيساً مدى الحياة. أنظر: محمد مزالي، المصدر السابق، ص. 20.

<sup>3</sup> وناس المنصف، الدين والدولة في تونس 1956-1987، مجلة المستقبل العربي، المجلد 12، العدد 131، 31 جانفي 1990، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ص. 468.

<sup>4</sup> محمد الصياح، المصدر السابق، ص. 12.

<sup>5</sup> عبارة عن نص تشريعي يحتوي على 170 فصلاً نظمت واجبات الأزواج، وأوضحت النسب والإرث، وقد أنجزها مجموعة من رجال القانون أمثال: احمد المستيري، ومحمد بن سلامة، وكان صدوره يوم 13 أوت 1956، ثم دخل حيز التنفيذ بداية من أول جانفي 1957. أنظر: محمد كرو، المرجع السابق، ص. 78.

<sup>6</sup> الصحراوي قمعون، المرجع السابق، ص. 13.

لقد اتسمت تونس كغيرها من الدول العربية، على اختلاف أنظمتها الدستورية وتوجهاتها الإيديولوجية بجملة ثابتة من السمات أضفت على حياتها السياسية نسقا خاصا، ولعل من أبرزها:

• أن الرئيس كان يحتل مكانا فريدا، وهو ما سعى إليه بورقيبة عندما جعل "تونس بورقيبة"، ولعل ما يدل على صحة ذلك هو ترديده في مناسبات عديدة قوله الشهير "النظام هو أنا" مع الإصرار على رفض الفصل بين أجهزة الدولة والحزب، وبين أجهزة الدولة وشخصية الرئيس<sup>1</sup>، ولعل ابرز مثال على ذلك أنه إلى أواخر السبعينات كانت تتاط بأجهزة الحزب الحاكم مهمة تحديد الخيارات والتفكير في المسائل الثقافية، وعادة ما يحصل اندماج كلي بين الحزب والدولة بإعتبار الاثنين يمثلهما بورقيبة<sup>2</sup>.

• منح صلاحيات واسعة لمنصب الرئيس بموجب دستور 1959، والذي كرس معالم الحكم الفردي، فكان بذلك نظاما جمهوريا رئاسيا لا برلمانيا كما هو الحال في فرنسا<sup>3</sup>، كما رفع السقف الزمني لولاية الحكم التي حددت بثلاث ولايات، علما أن مدة الولاية كانت 5 سنوات<sup>4</sup>. قبل أن يجعلها بورقيبة مدى الحياة بموجب دستور 1975<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> محمد عبد الباقي الهرماسي، المرجع السابق، ص. 31.

<sup>2</sup> وناس المنصف، المرجع السابق، ص. 468.

<sup>3</sup> عادل بن يوسف، تأملات حول حكومة بورقيبة الأولى وأبرز إنجازاتها 1956-1957: "قراءات علمية للبورقيبية"، أعمال المؤتمر العالمي الأول، والثاني، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، 2000، 2001، ص. 51.

<sup>4</sup> محمد عبد الباقي الهرماسي، المرجع السابق، ص. 31.

<sup>5</sup> Andrieu Kora et Ferchichi Wahid, Op-Cit, P. 25.

• قدرة بورقيبة على خلق مركز وحيد للسلطة السياسية ومحافظة على ذلك رغم التحديات المستمرة التي تعرض لها طيلة مسيرته السياسية، حيث نجح في فض جميع المراكز السياسية الأخرى التي حاولت فرض هيمنتها وقوتها على مركزه الذي بقي وحيدا بلا منازع<sup>1</sup>. كما ظل محتفظا بسيطرته على مقاليد السلطة، فلم يسمح بالتعددية إلا مع مطلع الثمانينات، عندما أصبحت ضرورة ملحة تفرضها الرهانات الداخلية والخارجية.

### 3/ المجال الديني

لعل أكثر الأنظمة العربية إثارة للجدل حول مسألة الدين والسياسة (الدولة، الدين، العلمانية)، هو النظام التونسي برئاسة الحبيب بورقيبة، والذي حكم تونس لمدة ثلاثة عقود طويلة، عرفت خلالها مسألة الدين والسياسة من جهة ومسألة المحافظة والتحديث من جهة أخرى، تجاذبا قويا لا لغاية سوى الهيمنة والسطيرة وبسط النفوذ على الدولة وعلى المجتمع التونسي قاطبة<sup>2</sup>.

فالمتتبع لمسيرة الحبيب بورقيبة أثناء توليه رئاسة الدولة التونسية المستقلة سيلاحظ الدور الفعال للسلطة السياسية التونسية في تكييف وتحيين الفكر الإسلامي والإصلاح الديني، مع متطلبات تلك المرحلة حتى اتهم بالعلمانية، فالمعروف أن ثقافة بورقيبة غربية فرنسية، وله أيضا معرفة واسعة بالثقافة العربية والإسلامية، التي كان من روادها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وخير الدين باشا والكواكبي وطه حسين

<sup>1</sup> اسعد عبد الرحمن، الإنماء السياسي دراسة مقارنة بين تونس ومصر، مجلة الباحث، العدد. 19، سبتمبر أكتوبر، بيروت 1981، ص. 53.

<sup>2</sup> المنصف الصالحي، التجربة العلمانية في تونس من الاستقلال (1956) إلى الثورة (2011)، مجلة المغرب العربي ثقل الموايرث ونداء المستقبل، 31 أكتوبر 2013، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ص. 275.

وغيرهم، فهذه الحركة الفكرية، قد أصابت سهما خاصا في ثقافة بورقيبة<sup>1</sup> الذي يقول: "الحركة الفكرية قد انبثقت في أقطار إسلامية كبيرة قبل أن توجد في تونس، وكان من السهل السير على خطى تفكيرهم، والاستتارة بهدي ما وصلوا إليه من الكشف عن أسباب تفهقر المسلمين"<sup>2</sup>.

إن تأثر بورقيبة بالقيم الإصلاحية واهتمامه، بالعديد من المذاهب والنظريات والتي كثيرا ما أقتبس منها مفاهيم ومبادئ سياسية، كما أن تعمقه في تفاصيل حركة الإصلاح في تونس، ومظاهر اليقظة في العالم العربي والإسلامي، لم يمنعه من إبداء تأثيره بآراء وأفكار شخصيات غربية مناهضة للعالم الإسلامي، على غرار مصطفى كمال أتاتورك الذي قال فيه بورقيبة أنه: "من الشخصيات التي كان لها أكبر التأثير في نفسي"<sup>3</sup>.

إن شدة إعجاب بورقيبة بأتاتورك لم تقتصر على جانب واحد، بل شملت عدة نواحي من أبرزها، النجاحات العسكرية، وتفوقه في الصراعات السياسية الخارجية إضافة إلى نضالاته الداخلية لتغيير الشعب التركي، وتخليصه من الجهل والركود والشعوذة<sup>4</sup>. وقد إعترف بورقيبة في أكثر من موضع بنجاح أتاتورك في كسب تلك المعركة الداخلية على غرار المحاضرة التي ألقاها، يوم 2 نوفمبر 1973، حيث بين فيها دور أتاتورك في التغيير الكبير الذي أحدث هزة عنيفة في كيان الأمة التركية،

<sup>1</sup> أمال موسى، المرجع السابق، ص. 44.

<sup>2</sup> الحبيب بورقيبة، خطب، الجزء. 14، المصدر السابق، ص. 247.

<sup>3</sup> أمال موسى، المرجع السابق، ص. 46.

<sup>4</sup> لطفي حجي، بورقيبة والإسلام الزعامة والإمامة، ط. 2، دار الجنوب، تونس، 2013، ص. 37.

وحول اليأس إلى ثورة وانتصر على الجمود الذي يعيشه المجتمع التركي، أي على التخلف الذهني والأخلاقي والسياسي<sup>1</sup>.

فبورقيبة وهوبيرز خصال أتاتورك، كأنه يعيد قراءة ذاته من خلال عرض القواسم المشتركة بينهما، هذه الخصال والمزايا استفاد منها بورقيبة أثناء إرساء دعائم الدولة التونسية الحديثة بعد الإستقلال<sup>2</sup>، مما جعل الكثير من معارضيه بل وحتى ممن تأثروا بمشروعه، اعتباره ناسخاً لتجربة كمال أتاتورك، بل اعتبروه أتاتورك العالم العربي، وذلك عند الحديث عن الإصلاح في الدول الإسلامية، فمشروع بورقيبة مطابق عندهم لمشروع أتاتورك، فكلاهما كان له موقف صارم من الدين، وتأثر كبير بالغرب. فبورقيبة حسب هذا الرأي، قد عمل على بناء دولته، وإقامة سياسته على العلمانية معتبراً أن الدين الإسلامي حجر عثرة أمام الحداثة والديمقراطية<sup>3</sup>.

فبورقيبة لم يخف في أكثر من مناسبة إعجابه بأتاتورك، مما جعله يعلن أنه من الشخصيات التي كان لها أكبر التأثير في نفسه في أول عهده بالسياسة إلى درجة قوله في إحدى خطبه: "أنه لما أدرك سن الرجولة، كان يحمل في نفسه فكرة مثالية عن البطولة، وكان مصطفى كمال هو الذي يجسم تلك الفكرة"<sup>4</sup>، لكن هذا الإعجاب لم يكن مطلقاً، وهو ما نستشفه من قول بورقيبة: "فكرت ملياً في التجربة الكمالية، هي فيها الغث والسمين، وفي الإمكان بلوغ ما بلغته من النتائج بل تجاوزها بطرق أقل قساوة، يحسب فيها لروح الشعب حساب أوسع وأرحب"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> الحبيب بورقيبة، حياتي، رأيي، جهادي، المصدر السابق، ص. 57.

<sup>2</sup> لطفي حجي، المرجع السابق، ص. 39.

<sup>3</sup> نفسه، ص. 36.

<sup>4</sup> الحبيب بورقيبة، المصدر السابق، ص. 57.

<sup>5</sup> البشير بن سلامة، المرجع السابق، ص. 30.



كما أن بورقيبة كثيرا ما وجه نقدا صارما لأتاتورك وحاسبه على أخطائه التاريخية، كما فعل ذلك خلال زيارته لأنقره، من خلال الخطاب الذي ألقاه وانتقد فيه إلغاء أتاتورك للخلافة الإسلامية، واعتبر هذا الفعل بمثابة "الكارثة التي نزلت على المسلمين"<sup>1</sup>.

وهناك من المؤلفين من يرى أن بورقيبة: "لم يكن علمانيا بمعنى الإيمان بحرية العمل وحياد الدولة إزاء العقائد وسلطة الشعب في أن يكون السيد الذي يصنع القانون". لأن العلمانية بمفهومها الحقيقي تكون منقوصة بالنسبة إلى الذين اعتقدوا تحت تأثير الإيديولوجيات السائدة، إن العلمانية لا بد أن تكون استئصاليه لجميع المظاهر الدينية، فبورقيبة ورغم مواقفه المستفزة لمشاعر المسلمين<sup>2</sup>، لم يفكر في فصل الدين عن الدولة وفق توجه لائكي جذري على غرار أتاتورك، بقدر ما سعى بكل جهده إلى إحتواء الفاعلين في المجال الديني وتسخيرهم لاضفاء الشرعية على مشروعه ونظامه، وإقناع المواطنين بمبادرته في تجديد الهياكل الاجتماعية والاقتصادية للبلاد فحسب<sup>3</sup>، وهو مانستشفه من هذا القول: "كانت سياسة الدولة تستهدف التحكم في المبادرة الدينية أكثر من التحكم في الدين بحد ذاته"<sup>4</sup>. فبورقيبة لم يدع ولو مرة واحدة إلى قطع العلاقة مع الدين الإسلامي، بل سعى إلى تقديم رؤية مختلفة توافق تفكيره وتخدم مصالحه<sup>5</sup>.

فإذا كان أتاتورك معاديا للدين مستندا إلى القوة العسكرية، فإن بورقيبة المتمكن من السلطة، لم يكن بمقدوره مهاجمة هذا الامتداد الديني المتغلغل في أعماق المجتمع

<sup>1</sup> أمال موسى، المرجع السابق، ص. 46.

<sup>2</sup> أمال موسى، المرجع السابق، ص. 25.

<sup>3</sup> المنصف الصالحي، المرجع السابق، ص. 283.

<sup>4</sup> Mohamed Tozi, "Islam Et Etat Au Maghreb, "Monde Arabe Maghreb-Machrek (Paris), 1989, P. 123.

<sup>5</sup> أمال موسى، المرجع السابق، ص. 25.

التونسي، من دون مخاطرة التعرض لأزمة مشروعية حكمه، لذلك إستعمل سياسة المناورة وجس النبض ومعرفة ردود فعل الشعب التونسي حتى لا تهتز أركان حكمه فكان يتراجع أمام المسائل التي تشكل خطرا حقيقيا على مشروعه التحديثي، من ذلك مناورة الدعوة إلى إفطار رمضان - سنتطرق لها لاحقا- لدواع إقتصادية باءت بالفشل رغم الآثار التي تركتها على المجتمع التونسي إلى يومنا هذا،" لقد استهدف التحديث في عهد بورقيبة إعادة تشكيل شخصية التونسي وإعادة بناء مرجعياته من خلال تبني درجات من العلمنة والحدثة في التعامل مع الدين"<sup>1</sup>.

كان بورقيبة بحكم تجربته وخبرته وثقافته السياسة، التي اكتسبها من خلال كفاحه وقيادته للحركة الوطنية التونسية، يدرك تماما أن طريق الإصلاحات الدينية التي يريد إجرائها في تونس، ستكون محفوفة بالمخاطر والعقبات من طرف الفقهاء ورجال الدين، بل وحتى من طرف المجتمع التونسي في حد ذاته، آخذا العبرة من معاناة خير الدين باشا عندما أراد إدخال آرائه الإصلاحية<sup>2</sup> سواء في تونس أو في تركيا<sup>3</sup>. لذلك هيا الحبيب بورقيبة الأرضية والأجواء، من خلال إلغاء مؤسسة مشيخة الإسلام المالكي والحنفي<sup>4</sup>، وإلحاقها بالقضاء العدلي، ثم عوضها بمنصب مفتي الجمهورية، وحتى هذه المؤسسة أفرغها من محتواها، وجعل المفتي مستشارا لرئيس الدولة، يرجع له عند

<sup>1</sup> المنصف الصالحي، المرجع السابق، ص. 288.

<sup>2</sup> اعترضت خير الدين التونسي معارضة شديدة لمشروعه الإصلاحي، من طرف أمير البلاد الباي، حيث قلص من سلطانه وحد من نفوذه، كما عانى من معارضة رجال الدين الطامعين في خيرات البلاد ووجد معارضة من طرف وزرائه الغارقين في نهب أموال الشعب، إضافة الى مؤامرات الدول الأوربية لإجهاض مشروعه الإصلاحي، هذه الدول الطامعة الى الإجهاز على الدولة العثمانية. أنظر: حسن الممي، المصدر السابق، ص. 13.

<sup>3</sup> نفسه، ص. 33.

<sup>4</sup> وهي المحاكم الشرعية المالكية والحنفية بتونس، تطبق المذهب المالكي والمذهب الحنفي في مجال الأحوال الشخصية على المسلمين التونسيين، والمذهب المالكي هو المذهب السائد في البلاد، بينما لم يكن للمذهب الحنفي إلا إتباع قليلون رغم أنه المذهب الرسمي لنظام البايات الحسينيين. أنظر: الهادي التيمومي، المرجع السابق، ص.

الحاجة، كما قام بإلغاء التعليم الزيتوني، والحق مدرسيه بكلية الشريعة وأصول الدين، التي أستاذتها مع غيرها من المؤسسات بدلا عن ذلك<sup>1</sup>.

ولما استكمل تهيئة الأرضية وتعبيد الطريق أمامه، أظهر صرامته في تجسيد أرائه وتطبيق قراراته الإصلاحية الواجبة التنفيذ والتي نصت على:

- إصدار قانون الأحوال الشخصية يوم 13 أوت 1956 والذي تضمن تحرير المرأة ومساواتها بالرجل في الحقوق، كما منع تعدد الزوجات منعا مطلقا، ومعاقبة مخالفه بـ: (الخطية والسجن)، وألغى الزواج والطلاق العرفي، وجعل الطلاق حقا للطرفين بشرط أن يكون عن طريق المحكمة المدنية<sup>2</sup>. وفي هذا الصدد صرح بورقيبة قائلا في 13 أوت 1956: "وبمراجعتكم للتاريخ لا بد أن تتفطنوا إلى أنني بمجرد تسلمي لمقاليد الحكم، بادرت بإصدار مجلة الأحوال الشخصية، بالرغم من أن شهر أوت يميل فيه الناس إلى الراحة والتمتع بالشواطئ... وبالرغم مما لا يقيناها آنذاك من تعنكت من لدن بعض مشايخ العلم، عند مناقشتنا للعديد من فصول المجلة، وقعنا القانون المتعلق بإصدارها"<sup>3</sup>.

- أصدرت الحكومة قرار بإلغاء الوقف العام بتاريخ 31 ماي 1956، ثم منعت الوقف الخاص بموجب قانون 18 جويلية 1957، مما أدى إلى تفتيت القاعدة الاقتصادية للهياكل التقليدية<sup>4</sup>.

- إلغاء المحاكم الشرعية وتحويل سلطاتها إلى محاكم مدنية.

<sup>1</sup> الحسين بن عيسى، المرجع السابق، ص. 292، 293.

<sup>2</sup> شكري المبخوت، تاريخ التكفير في تونس، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، 2018، ص. 243.

<sup>3</sup> الحبيب بورقيبة، خطب، الجزء. 27، المصدر السابق، ص. 217.

<sup>4</sup> أمال موسى، المرجع السابق، ص. 82.

- الرقابة الحكومية المباشرة على جامع الزيتونة ومؤسساته التعليمية، كما فكّك النظام التعليمي الديني الزيتوني وإدماجه في النظام التعليمي العام الخاضع لرقابة الدولة<sup>1</sup>.
- حل مجلس الطائفة اليهودية وتعيين الحاخام الأكبر بمرسوم حكومي.

وقد تم ذلك في الفترة ما بين نهاية العام 1956 وبداية العام 1957<sup>2</sup>.

وحتى يبرّر بورقيبة إصلاحاته الدينية وموقفه من الدين الإسلامي قال: "إننا نعتبر الدين قوة تدفع الناس إلى تحسين حالتهم، وتوسيع أفاق معارفهم، وتعزيز وسائل عملهم، وذلك تحت سلطان العقل الذي يهدي إلى الحقيقة، ويهدي من الضمير الأخلاقي الذي يقود إلى السعادة". ثم يضيف قائلاً: "علينا إذا أن نطهر العقلية الدينية من الأدران التي علقت بها وتسربت إليها في قرون الانحطاط كي نعيد إليها حيويتها، أي قدرتها على ملائمة العصر..."<sup>3</sup>.

إنّ دعوة بورقيبة إلى عصرنة الدين الإسلامي وفقاً لما تقتضيه الحياة العصرية يعتبر مظهراً من مظاهر العلمنة، من خلال التخلي عن القيم والتعاليم البالية - حسب رأيه - الموجودة في الدين الإسلامي<sup>4</sup>، وهو ما يفسر إباحته للربا، وقضية الإرث، فقد جاء في المادة 143 الفقرة 2 على أولوية إعادة الملك إلى مالكة الشرعي، وهذا المحتوى يعارض علناً ما نص عليه القرآن الكريم، كما جاء في قانون الأحوال

<sup>1</sup> Mohamed Cherif El Hedi, «Réformes Et Islam Chez Bourguiba», *In Annuaire De L'Afrique Du Nord*, Tome XXXIII, 1994, Cnrs Éditions, P.62.

<sup>2</sup> أسعد عبد الرحمان، الإنماء السياسي في التجريبتين الناصرية البورقيبية، مجلة الباحث، العدد. 18، بيروت، جويلية-أوت، 1981، ص. 57.

<sup>3</sup> أندري بوتار، المصدر السابق، ص. 190.

<sup>4</sup> أمال موسى، المرجع السابق، ص. 105.

الشخصية الجديد تنظيم الزواج كتحديد المهر، وحق المرأة في عقد قرانها بنفسها دون الحاجة لولي شرعي، وإجازة التامين ومسألة تحديد النسل وغيرها من المسائل والأمور التي أعاد صياغتها وفقا لقناعاته الفكرية وتكوينه السياسي، ولعل أخطرها على الإطلاق دعوته الشهيرة للإفطار في شهر رمضان أي عدم صوم رمضان، والتي شكلت أحد ابرز مظاهر العلمنة في خطاب بورقيبة السياسي، والأكثر جرأة، وأهم البراهين على تبني بورقيبة للعقلانية<sup>1</sup>.

لقد تناول بورقيبة هذه المسألة في العديد من خطبه، على غرار خطاب 18 فيفري 1960، وخطاب 17 مارس 1960، بينما كان الخطاب الذي ألقاه في مدينة القيروان بمناسبة إحياء ذكرى المولد النبوي الشريف 5 فيفري 1960، أكثر جرأة واستفزازا لمشاعر المسلمين، إذ تعدد اختيار مناسبة دينية لطرح هذه الفكرة، مبررا ذلك بتسخير الجهد للخروج من دائرة التخلف، وهو ما عبرت عنه الكاتبة والصحفية أمال موسى بقولها "وكانه قصد بذلك القيام بصدمة دينية في مناسبة دينية"<sup>2</sup>.

وقد اخترت مقتطفات من خطاب لبورقيبة يدعو فيه الشعب التونسي إلى الإفطار في شهر رمضان وعدم الصوم مدعما موقفه بمجموعة من الدعائم والحجج العقلية حيث يقول: "... ونحن اليوم على أبواب رمضان لا يفصلنا عنه إلا ثلاثة أسابيع، ومسألة صوم رمضان درستها طويلا، ومن واجبي أن ابسطها بكل صراحة بحضور مفتي الديار التونسية... إن الله جعل الدين يسرا لا عسرا، وقد خفف على عباده جميع الفروض التي تشق عليهم، وينالهم التعب في أدائها، والصيام اشق هذه الفروض على

<sup>1</sup> بارعة النقشدي، المشاركة السياسية للمرأة في الأردن، وبعض الدول العربية، دار الفأس، الأردن، 2001، ص.

.78

<sup>2</sup> أمال موسى، المرجع السابق، ص. 107.

النفس... فالله سبحانه وتعالى أعفى المسافر من الصوم، نظرا لما كان يلاقيه من بعض الأتعاب، فكيف لا يعفيه عندما يتعلق الأمر بشغله الذي لا عيش له بدونه...<sup>1</sup>.  
خلال شتاء عام 1960، ألقى بورقيبة ثلاث خطب حول مسألة صيام شهر رمضان في 5 و18 و26 فيفري، للدعوة إلى "الجهاد من أجل تحقيق التنمية". حيث طلب أثناء القائه الخطاب الأول من مفتي تونس عبد العزيز جعيط، الذي كان حاضرا إلى جانب إدارات الدولة، وممثلي المنظمات الوطنية، أن يأذن للعامل بعدم الصوم في رمضان. كان بورقيبة يريد إحداث صدمة نفسية في الرأي العام التونسي، وإيصال خطابه إلى كل التونسيين. ولكن المفتي رفض إصدار الفتوى، ورضي بعزله من منصبه.<sup>2</sup>

إن مآخذ الإسلاميين في العالم على بورقيبة كثيرة، من ذلك ما عدده "الشيخ كمال الخطيب"<sup>3</sup> في مقال بعنوان "ماذا تقول غدا للحبيب يا حبيب" حيث سرد أبرز التجاوزات التي قام بها بورقيبة في حق الدين الإسلامي:

- إغلاق جامع الزيتونة وجامعته عام 1961.
- إلغاء فريضة الصيام.
- بدل أحكام الله بمنع تعدد الزوجات، وإقرار مساواة المرأة بالرجل في الطلاق والميراث.
- ادعى أن القرآن احتوى على خرافات مثل قصة أهل الكهف وعصا موسى.
- أصدر مرسوما يمنع الموظفين الحكوميين، من أداء الصلاة خلال وقت الدوام.

<sup>1</sup> الحبيب بورقيبة، خطب، ج.10، المصدر السابق، ص. 44، 45.

<sup>2</sup> Faouzia Charfi – Ramadan, "La Fatwa De Bourguiba", In Revue *Leaders*, (Site Internet): [Http://WWW.Leaders.Com.Tn/Article/27047-Faouzia-Charfi-Ramadan-La-Fatwa-De-Bourguiba.Visit%C3%A9%20Le%2013/06/2018](http://WWW.Leaders.Com.Tn/Article/27047-Faouzia-Charfi-Ramadan-La-Fatwa-De-Bourguiba.Visit%C3%A9%20Le%2013/06/2018).

<sup>3</sup> إمام مسجد عمر بن الخطاب، في فلسطين، وهو قيادي سياسي وصاحب مؤلفات، ومصالح اجتماعي ومن القيادات البارزة للتيار الإسلامي في الداخل الفلسطيني. أنظر: شكري المبخوت، المرجع السابق، ص. 23.

- أقر الإجهاض.
- طعن في الرسول واعتبره ناقلا في القران للخرافات والأساطير السائدة في عصره<sup>1</sup>.

كما يذكر مؤلف تونسي في هذا الصدد: "إن الدين من وجهة نظر علم الاجتماع هو مبدأ فعالية بالأساس، لكن بورقبية أظهره خاليا من الفاعلية، وغير قادر بشعائره الدينية كالصوم والحج، وقيمه التي تتادي بالقناعة، مما ينم بأن تلك المجموعة المنظمة من الشعائر والعقائد في نظره، هي ضد مصلحة الدولة الوطنية الحديثة، القائمة على عقل لا يعترف بأي منطقة حرام، والتي لا تكترث إلا بقوانين المصلحة والفاعلية والجدوى والمنفعة"<sup>2</sup>.

إن الحبيب بورقبية لم يكتف بعلمنة الدين والمجتمع التونسي، بل ذهب إلى أبعد من ذلك من خلال سعيه إلى توسيع نطاق العلمنة، وضمان نجاحها وانتشارها داخل المجتمع التونسي، كما عمل على عقلنه الدين والتعامل مع شعائره من زاوية مادية، حيث صور لنا شهر رمضان نقصا في العمل، وتزايدا في استهلاك البيض واللحوم، وإهدارا لصحة الأبدان، التي تمثل رأس مال البشر في معركته ضد التخلف.

في خطاب له القاه يوم 19 أفريل 1964، انتقد فيه عيد الأضحى، وانتقد الاستمرار في شعائر الأضحية، وذبح الكباش، على اعتبار أن "تلك الممارسات ليست جيدة سواء للصحة أو لميزان المدفوعات"<sup>3</sup>. كما انتقد في أحد خطاباته شعيرة الحج إلى البقاع المقدسة، لأنها تسبب برأيه نزيفا للعملة الصعبة. ودعا كل راغب في أداء

<sup>1</sup> شكري المبخوت، المرجع السابق، ص. 230، 231.

<sup>2</sup> آمال موسى، المرجع السابق، ص. 115.

<sup>3</sup> الحبيب بورقبية، خطب، الجزء. 17، المصدر السابق، ص. 165.

فريضة الحج بـ: "القيام بواجب محمود من خلال تقديم هبة مساوية لتكاليف الحج إلى جمعيات النهوض الاجتماعي أو استثمارها في المؤسسات الصناعية لبلده"<sup>1</sup>.  
وصفوة القول أن من أسباب تجني بورقبيية على الشريعة الإسلامية، ورفع شعار الإصلاح الديني، هو طبيعة تنشئته الأسرية والاجتماعية، وتكوينه الثقافي في المدرسة الفرنكو-عربية، حيث خضع بورقبيية أثناء دراسته الحقوق والعلوم السياسية في باريس بعد الحرب العالمية الأولى، لتأثير الفلاسفة اللاتكيين للجمهورية الفرنسية الثالثة<sup>2</sup> كما أن الثورة الفرنسية وما تبعها من تطور في الفكر والفلسفة والعلم في أوروبا عامة، الحلقة الأساس في تكوين بورقبيية الثقافي، أما الشق العربي والإسلامي، فقد تمثل في حركة الإصلاح التي شهدتها العالم العربي والإسلامي عامة، وقد كان له نصيب في تكوين بورقبيية الثقافي<sup>3</sup>.

كما أن انتماؤه الجغرافي لمنطقة الساحل التي كثيرا ما وقعت نخبها وبورجوازياتها للتأثيرات القادمة من الضفة الشمالية للبحر المتوسط، كما حدث لأحمد باي وخير الدين باشا، وبالتالي لم يشذ بورقبيية عن هذه القاعدة. لقد تقادى بورقبيية طيلة سنوات النضال من أجل الاستقلال، مهاجمة المسائل والقضايا الاجتماعية ذات الصلة بالدين باستثناء مهاجمته الطرقية بشراسة. حيث عارض في عام 1929، الأوساط اليسارية التي وقفت ضد ارتداء المرأة الحجاب<sup>4</sup>.

ولعل الهدف من عدم إثارة العدا للعلماء وخاصة الزيتونيين منهم، وضمان كولايتهم ودعمهم، وتأجيل ذلك لمرحلة الحسم باعتباره صاحب سياسة المراحل

<sup>1</sup> المصدر نفسه.

<sup>2</sup> Cherif Mohamed El-Hedi, Op-Cit, P. 59.

<sup>3</sup> أمال موسى، المرجع السابق، ص. 41.

<sup>4</sup> Cherif Mohamed El-Hedi, Op-Cit, P. 60.



ومستخدما تكتيكاته السياسية، التي بناها على فكرة ضرورة استخدام المشاعر الدينية للجماهير الشعبية من أجل تعزيز مكانته بين الأوساط الشعبية، والإسراع في حشد تعبئتهم خلال فترة كفاحه ضد النظام الاستعماري. كما كان وسيلة لعدم منح فرصة لخصومه من المنافسين التقليديين، بانتقاده والسماح لهم بتصدر الساحة السياسية. وهذا ما يفسّر لنا تطعيم خطبه باقتباس الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. الأكثر انتشاراً بين الناس<sup>1</sup>.

كما أصبغ بورقيبة المصطلحات السياسية الحديثة في خطاباته بصبغة دينية، لدغدغة مشاعر التونسيين، وإسماعهم ما تعودوا عليه من مصطلحات في ثقافتهم الدينية، حيث استخدم مصطلح "الأمة" بدلا من "القوم"، و"الجهاد" بدلا من "الكفاح" أو "المقاومة"، وتحدث عن "التضحيات" بدلا من "النضال". وقد دلّ ذلك على ازدواجية ثقافته<sup>2</sup>. لكنّه مالبث أن غير موقفه لما تولى حكم تونس، إذ تهجّم على العلماء والفقهاء ورجال الدين وخاصة الزيتونيين منهم<sup>3</sup>.

#### 4/ في مجال بناء الدولة الوطنية الحديثة

<sup>1</sup> Y. Ben Achour, " L'islam Et Le Développement Politique En Tunisie", Mém. De Des En Sciences Politiques (Inédit), Paris, 1974, P. 102-103.

<sup>2</sup> M. H. Cherif «L'organisation Des Masses Populaires Par Le Néo-Destour En 1937 Et En 1938" In: Mouvements Nationaux D'indépendance Et Classes Populaires En Occident Et En Orient Aux Xix Siècles,T.L, Paris, 1971, P. 271.

<sup>3</sup> يفسر بعض المؤرخين تهجم بورقيبة، على علماء ومشايخ الزيتونة، بموقفهم أثناء مرحلة الصراع بينه وبين صالح بن يوسف، المساند لهذا الأخير، مما جعل بورقيبة يسلبهم جميع صلاحياتهم ويفرغ المؤسسة الدينية من جميع مهامها المختلفة، ويقوم بمهاجمتهم، وتجريدتهم من وظائفهم، وهو ما حصل أيضا مع طلبة جامعة الزيتونة لنفس الموقف المساند لتوجهات صالح بن يوسف. أنظر: محمد ضيف الله، مواقف الطلبة التونسيين من الصراع اليوسفي البورقيبي، (جويلية 1954-جويلية 1956)، المجلة التاريخية المغاربية، العدد. 127، بتاريخ فيفري 2007، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2007، ص. 27، 28، 29. وأنظر أيضا: أمال موسى، المرجع السابق، ص. 167، 168.

منذ إستقلال تونس عام 1956 وتولي الحبيب بورقيبة رئاسة الحكومة في البداية ثم رئاسة الجمهورية حتى تاريخ إزاحته عن السلطة سنة 1987، حدثت تغيرات جمة مست أجهزة الدولة ومختلف فئات المجتمع، وكان بورقيبة محوره الرئيسي سواء كزعيم للحزب الحر الدستوري، أو كحاكم للبلاد دون منافس، ويمكننا وصف هذه التغيرات بالحادثة. فقد كانت فترة بداية الاستقلال بتونس مرحلة تنافس على السلطة، تحولت شيئاً فشيئاً إلى حلبة صراع بين تيارين متباينين فكرياً وعقائدياً وسياسياً، حيث سعى التيار الأول بزعامه صالح بن يوسف إلى إقامة دولة وطنية أساسها الحفاظ على العروبة والإسلام، وبالتالي الحفاظ على مقومات وثوابت الأمة التونسية في إطارها العربي القومي والإسلامي، بينما سعى التيار الثاني بزعامه الحبيب بورقيبة إلى إقامة دولة وطنية لها مقومات الدولة العصرية، تقضي على أسباب الانحطاط الفكري، والسياسي والتخلف الحضاري، مما تسبّب في استعمار البلاد في فترة سابقة، متأثرين بالنظم السياسية الغربية<sup>1</sup>.

إلا أنّ الشعارات القومية والإسلامية التي أطلقها الشق اليوسفي، المتأثر بالفكر القومي العربي السائد آنذاك في المشرق، أو بالفكر الإسلامي السلفي، الذي مثله الإخوان المسلمون في مصر، سرعان ما تهاوى أمام الشق البورقيبي، وانفتح الطريق أمام بورقيبة للسيطرة والاستيلاء على الساحة السياسية دون منازع<sup>2</sup>.

لقد آمن بورقيبة أن العمل السياسي هو السبيل الوحيد، المضمون لتحقيق طموحاته في السلطة والحكم، فنقطة البداية كما رأينا عند بورقيبة كانت في انتظامه في الحزب الدستوري القديم، والتي نجح في تحويلها لصالحه في مؤتمر قصر هلال 2 مارس 1934، محطة الانفصال عن الحزب القديم وتأسيس الحزب الجديد- ثم

<sup>1</sup> سلوى الشرفي، الإسلاميون والديمقراطية، منشورات علامات، تونس، (د. س. ن)، ص، 62.

<sup>2</sup> الصحراوي قمعون، المرجع السابق، ص، 12.

استخدم الشرعية ذاتها في مؤتمر صفاقس سنة 1955، لإبعاد منافسه في السلطة والحزب "صالح بن يوسف"، وفي مرحلة ثالثة اعتمد على قوة الحزب في التغلب على الاتحاد العام التونسي للشغل، حليف الأمس والشريك في معركة الحرية<sup>1</sup>.

بعث الزعيم الحبيب بورقيبة دولة تونسية جديدة مستقلة، لم تكن لها بعد إعلان الاستقلال يوم 20 مارس 1956 كل مقومات الدولة، إذ تنقصها الصلاحيات الأساسية لدولة عصرية مستقلة. وقد قدم بورقيبة وصفا عن الدولة التونسية الجديدة قائلا: "قد غابت وذابت"<sup>2</sup>، ويقصد بذلك أنّ مفهوم الدولة بالمعنى العصري لم يكن موجودا لا قبل الحماية في عهد الحفصيين ولا بعدها. لذلك شن معارك جديدة لاستكمال الاستقلال الوطني، انطلاقا من توسيع صلاحيات تونس في ميدان الدفاع، وتضييقه أمام القوات الفرنسية التي فرض عليها حصارا قيد حريتها وحرية جيشها، وحتى يستطيع إنجاز مشروعه البورقيبي في تونس، وتجسيد فكره وإيديولوجيته من أجل إقامة دولة تونسية عصرية حديثة، اعتمد على مجموعة من الأفكار والمبادئ كأساس لفرض هبة الدولة حسب منظوره<sup>3</sup>.

كما اعتمد بورقيبة أيضا على الحزب الدستوري الجديد في عملية الاستيلاء على الدولة التونسية، وفي تطويرها وتوسيع أجهزتها، وفي إقامة النظام الجمهوري التونسي وفقا لقواعد المركزية السياسية، فأصبح حزبه الوحيد دون منافس في الساحة السياسية التونسية، وبذلك حقق بورقيبة طموحه في الوصول إلى السلطة، ومن حوله الحزب

<sup>1</sup> سالم لبيض، ملاحظات حول علاقة الدولة بالأحزاب السياسية في تونس أثناء الفترة البورقيبية، أعمال المؤتمر العالمي الأول المنعقد بتاريخ 1-3 ديسمبر 1999 حول: الحبيب بورقيبة وإنشاء الدولة الوطنية: قراءات علمية للبورقيبية، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس 2000، ص. 180.

<sup>2</sup> الحبيب بورقيبة، بين تونس وفرنسا، المصدر السابق، ص. 168.

<sup>3</sup> الهادي البكوش، الحبيب بورقيبة وأحداث 9 أفريل: تجذير لقيم التضحية الوطنية وتأطير للجماهير، مجلة دراسات دولية، العدد. 103، فيفري 2007، منشورات جمعية الدراسات الدولية، تونس، ص. 46.

وأجهزة الدولة، فقد رأى بورقيبة بأن المرحلة الأولى من الإستقلال تبدو الحاجة ملحة لبناء دولة عصرية وتوعية الجماهير وتكوين الطاقات الفنية أكثر من الحاجة إلى حريات وتعددية حزبية، والتي رأى فيها أنها تفتت الوحدة الوطنية لأنها تؤدي إلى تضارب المصالح وصراع الطبقات بين أبناء تونس<sup>1</sup>. هذه إحدى أفكار بورقيبة لبناء نظام سياسي وفق فكره ومنهجه البورقيبي الذي استمر معه حتى سنة 1987<sup>2</sup>.

فحرص على تحديث المجتمع التونسي وبناء دولة عصرية على نموذج غربي، حيث سعى إلى تطبيق الحداثة الغربية، سعياً منه إلى التغيير السريع لتونس وتمتين علاقتها بفرنسا<sup>3</sup>، وقد نجح في تحقيق هذا الهدف إلى حد كبير، حيث شكل أحد الثوابت الهامة في حياته، فألغى الملكية وأعلن النظام الجمهوري من مجلس تأسيسي منتخب من السكان مارس 1956، ثم صدر دستور للبلاد في شهر جوان سنة 1959<sup>4</sup>، والذي أقر بسيادة الشعب وفصل السلط والنظام الرئاسي إذ قال: "نحن نوجه أنفسنا صوب دستور يضمن حد أدنى من السلطات لرئيس الدولة ولهذا السبب نحن نفضل الذهاب باتجاه النظام الأمريكي، ولكن دستورنا لن يكون نسخة من الدستور الأمريكي"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> صلاح العقاد، البورقيبية ومستقبل تونس، مجلة السياسة الدولية، العدد. 27، السنة الثامنة، جانفي 1972، القاهرة، ص. 126.

<sup>2</sup> الصحراوي قمعون، المرجع السابق، ص. 54.

<sup>3</sup> حمة التهامي، المجتمع التونسي دراسة اقتصادية واجتماعية، صامد للنشر والتوزيع، تونس، 1989، ص. 60.

<sup>4</sup> لقد سن هذا الدستور في بابه الاول مجموعة من الحريات السياسية والخاصة والإقتصادية والإجتماعية، هذه الحريات من شأنها أن تضع النظام الناشئ في صنف الدول الحديثة، وأبرز هذه الحريات هي: حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر الدينية، حرمة الذات البشرية، المساواة أمام القانون، حرية الفكر، حرية التعبير والصحافة والنشر والإجتماع وتأسيس الجمعيات، والحق النقابي، وحرمة السكن وسرية المراسلة... أنظر: عميرة عليّة الصغير، المرجع السابق، ص. 105.

<sup>5</sup> نفسه، ص. 105.

لقد تميزت فترة البناء الوطني التي تلت نهاية الحماية الفرنسية، ببروز رغبة قوية لدى النخبة السياسية التونسية لإعادة بناء المجتمع، وتشديد دولة ذات سيادة وشرعية شعبية، ولقد أولت الدولة الحديثة أهمية كبرى لبناء علاقات اجتماعية جديدة، وتوفير الهياكل الأساسية، التي تمكن الشعب التونسي من أن يصبح فاعلا في بلاده. إن قيادة الحركة الوطنية التونسية بزعامة الحبيب بورقيبة ذو التكوين الصادقي المزدوج (عربي- فرنسي)، كانت جادة في عملية البناء الوطني التي تطلبت القيام بإصلاحات كبرى انطلاقا من أهداف الحركة الوطنية ومستلزمات العصر، وقد طغت على كل هذه المحاولات التحديثية رؤية تغريبية، ستكون المنطلق الإيديولوجي للدولة التونسية الجديدة<sup>1</sup>.

لقد كان في فترة اعتقاله يطالع ما كتب حول موضوع الدولة والسلطة، انطلاقا من فلسفة الفرنسي مونتيسكيو، وصولا إلى فكر كمال أتاتورك، وكان يرفض الاستسلام للقضاء والقدر، ويريد إنقاذ تونس وشعبها من التخلف، وذلك عن طريق التعاون مع الغرب صاحب الحداثة والتكنولوجيا. فبتاريخ 8 أبريل 1956 ذكر بورقيبة في خطابه أمام المجلس التأسيسي، دور الغرب في التقدم الحضاري قائلا: "لا يفوتنا أننا عرب وأننا متأصلون ومرتسخون في الحضارة العربية الإسلامية، ومع ذلك لا يمكننا أن نغفل بأننا نعيش في النصف الثاني من القرن العشرين، وأننا حريصون على المشاركة في مسيرة الحضارة كي نواكب عصرنا"<sup>2</sup>.

والتساؤل الذي يتبادر إلى أذهاننا ماهي الخلفية الحضارية التي انطلق منها الرئيس بورقيبة في عملية تحديث الدولة الوطنية المستقلة؟ وهل أخذ بالاعتبار ما تم انجازه من إصلاحات جوهرية بتونس في المراحل السابقة، أي في عهد البايات

<sup>1</sup> البشير بن سلامة، المرجع السابق، ص. 32.

<sup>2</sup> الطاهر بلخوجة، المصدر السابق، ص. 13، 14.

التونسيين منذ منتصف القرن التاسع عشر على غرار الوزير الأكبر خير الدين التونسي؟

تؤكد عديد الشهادات السياسية لبعض الفاعلين والمسؤولين التونسيين، الذين خبروا فكر بورقيبة وعاشوه عن قرب أمثال: طيبه عمر الشاذلي، ووزيره محمد المصمودي وحمد المستيري... وغيرهم، تأثر بورقيبة بالفكر الحدائي الغربي، وسعيه إلى إقامة دولة تونسية على النمط الغربي ونورد هنا شهادة مصطفى الفيلاي، حيث يذكر: "أن الرئيس بورقيبة كان يرى ويؤمن بأنّ بناء الدولة التونسية، يجب وضعه في مفهوم خاص، ومحدد للحدائفة، فهو مقتنع بالحدائفة قناعة مطلقة، وهو ما يستوجب مؤسسات جديدة وأمور جديدة وطرقا جديدة في سبيل بناء الدولة، حتى لا تكون تواصلًا وامتدادًا زمنيًا، لموروثات عهود البايات التونسيين في المراحل السابقة..."<sup>1</sup>.

فمفهوم الحدائفة عنده يقوم على: "القطيعة مع الماضي والارتداد عن التراث، ذلك أن العصر الجديد هو عصر البناء والتشييد وليس عصر التواصل مع الماضي وليس امتدادًا وتحويرًا للموروث لما كان من قبل... وان دستور البلاد مثلًا والذي تم تبنيه، قد أسس على القطيعة مع الماضي وان رجال الدين الذين اعتبرهم الرئيس بورقيبة، ممن خانوا القضايا الوطنية، وان التعليم الزيتوني كان محل ريبه وشك، وهذا نتيجة الارتياب في القائمين عليه، وكان هذا التعليم رجعيًا لا يضمن للمجتمع أي تقدم، وان اللغة العربية ليست لغة علم..."<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> عبد الجليل التميمي، المجتمع المدني التونسي قبيل الاستقلال وتداعيات السلطة البورقيبية 1946-1962، المجلة التاريخية المغاربية، العدد. 109، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، 2003، ص. 58.

<sup>2</sup> عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص. 62.

حيث يؤكد بورقيبة في كثير من خطبه على أن من واجبات الدولة حتى تضمن لنفسها الاستقرار والاستمرارية، وتهيئ الأجواء لإنجاح مشروعها، أن تتصدى بقوة لكل مظاهر الفوضى التي يكون سببها الرئيسي التنافس على الحكم، وتضع ضوابط لمفهوم الانضباط لقوة وسلطة الدولة، ولعل أهم جوانب الانضباط هو القبول بسيادة الدولة على الشعب بكافة طبقاته، والعمل على تحقيق الحد الأدنى من الطاعة والانسجام لأهداف الدولة، وذلك لحفظ الكيان الاجتماعي من الزوال تحت وطأة صراع المصالح وتجاذب الأطراف<sup>1</sup>.

ثم يؤكد نفس الطرح في خطاب آخر حيث يقول: "... وأول الواجبات هو أن يعتبر أنه لإنجاح للدولة، مع بقاء بعض العناصر المخربة تعبت فسادا، فنقتل وتنهب، وهذا يتطلب من الشعب علاوة على ما يتطلبه من الحكومة، أن يقف بالمرصاد للفئة الضالة ويضرب على أيدي العابثين، لأن أول مظهر لشخصية الدولة هو هيبتها واحترامها، وحرصها على استتباب الأمن... لأن الأمن هو أول مبرر لوجود الدولة، حتى يطمئن كل فرد على حياته..."<sup>2</sup>.

إن هذه السياسة الصارمة التي انتهجها الرئيس الحبيب بورقيبة لمحاربة خصومه، وكأساس لإقامة الدولة التونسية الحديثة، مستمدة أساسا من مسيرته النضالية التي أثبتت مدى فعاليته ونجاعته، وأحققته دون غيره من القيادات والزعامات التونسية لبناء الدولة الوطنية بعد الاستقلال<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> اعتمد بورقيبة مجموعة من الإجراءات لفرض سيادته ومواجهة منافسيه في السلطة نذكر منها: تصفية معارضيه عن طريق الجهاز البوليسي الإرهابي لحزب الدستور الجديد من خلال الاغتيالات السياسية والاعتقالات دون محاكمة أو بتفريق التهم الباطلة، أنظر: عثمان العدل، الخواجة بورقيبة، المرجع السابق، ص. 50.

<sup>2</sup> الحبيب بورقيبة، خطب، الجزء 2، المصدر السابق، ص. 50.

<sup>3</sup> عبد الجليل التميمي، المجتمع المدني التونسي قبيل الاستقلال، المرجع السابق، ص. 63.

إن نجاح بورقيبة في إقامة هذا النظام السياسي لم يكن دون خوض معارك متعددة مع قوى سياسية مختلفة، والتي يمكن إجمالها ضمن دائرتين: المعارك مع القوى السياسية من خارج الحزب وهذا الصراع يعود إلى فترة ما قبل الاستقلال، والثانية مع التيارات السياسية من داخل الحزب، وهم بقايا اليوسفية وحلفائها في الأوساط الإسلامية من جهة، ومع الشيوعيين وحلفائهم من قوى يسارية وقومية من جهة أخرى<sup>1</sup>.

هناك نقطة أخرى يعتبرها بورقيبة عاملا مهما في إقامة أركان الدولة التونسية الحديثة وهي الحماية الفرنسية، حيث يعترف لها بالدور البارز والهام في نشر الحضارة داخل المجتمع التونسي، سواء من الناحية المادية، أي من خلال مخلفاتها وهيكلها والتي مازالت تحمل طابع الحضارة الغربية في تونس إلى يومنا هذا، أو من خلال الجانب الثقافي والمعرفي بصفة عامة، ويؤكد هذا الطرح في الخطاب الذي ألقاه في 18 جانفي 1963 حيث قال: "وهكذا كدنا نرجع إلى تلك النزاعات القديمة، إذ كانت العشائر تنتشر الفوضى، وتشق عصى الطاعة في وجه الباي، وتتهب وتعبث في الأرض فسادا"<sup>2</sup>، ويضيف في نفس الخطاب: "أن فرنسا دخلت هذه البلاد عندما وجدت بها أناس متأخرين، وبغض النظر عن الصراع والكفاح كانت نتيجة وجود الفرنسيين بهذا البلد، تفتح الأدمغة وظهور رجال قادرين على تسيير تونس في طريق التقدم والرقي، بعد أن خرجت منه فرنسا واختفى منه الحكم الفرنسي..."<sup>3</sup>.

فالملاحظ من خلال هذه الخطابات الاعتراف الضمني لبورقيبة بدور الحماية في فرض عدة تحولات في السلوك الثقافي والسياسي للتونسيين. فبناء مجتمع جديد هو هدف الحبيب بورقيبة، حيث أقدم على ذلك بكل حزم وشجاعة، متناسيا انتماء هذا

<sup>1</sup> نورة البورصالي، المرجع السابق، ص. 194، 195.

<sup>2</sup> الحبيب بورقيبة، خطب، الجزء. 15، المصدر السابق، ص. 29.

<sup>3</sup> نفسه، ص. 59.



المجتمع إلى أمة إسلامية عربية، عانت قرونا من الفقر والتخلف، جراء السياسة الاستعمارية التي فرضتها فرنسا وحلفائها على الشعوب المستضعفة في ربوع العالم العربي، الذي عرف ماضيه البعيد صفحات لامعة من الحضارة والمجد.

كما اعتبر الحبيب بورقيبة أن سكان الأرياف عقبة أمام تقدم الأمة، فهم أكثر تمسكا بالماضي من بقية التونسيين، أي أنهم الأكثر ترددا في الانسجام مع تصور الدولة للمجتمع الجديد، وسيؤدي ذلك إلى محاولة تغيير جذري لنمط الحياة التقليدي القبلي، حيث ستعمل الدولة البورقيبية على تغيير حالتهم المدنية، من خلال إجبارهم على اكتساب ألقاب جديدة، مما يعني بصيغة أخرى القضاء على الإحساس بالانتماء إلى العائلة الموسعة، ويتأكد ذلك من خلال الإصرار على تغيير طبيعة السكن، وإقرار المسكن الفردي كبديل حضاري عن المسكن الجماعي<sup>1</sup>.

بل ويذهب إلى أبعد من ذلك، حين يطالب الفرد التونسي بالتخلي عن حرته لفائدة دولته، وذلك كلما دعت الحاجة إلى ذلك، فالسيادة الوطنية ليست إلا خطوة أولى في سبيل تطور الفرد التونسي، فمن الضروري على الفرد أن يؤمن ويقتنع بالرابطة الوطنية، والتي لا يمكنه بلوغها تحت السيطرة الاستعمارية، فشرط الحرية ضروري للفرد، حتى يتحول إلى مواطن عصري<sup>2</sup>.

وفي الأخير يمكننا القول أن بورقيبة غالى كثيرا في سياسة العلمنة لتأسيس الدولة الحديثة بحسب وجهة نظره، ولعل إصداره لعدة مراسيم تحدد سياسة العلمنة، أربعة أشهر فقط بعد تعيينه على رأس الحكومة التونسية، لأكبر دليل على سياسة المقاطعة مع كل ما هو عربي وإسلامي، وتأكيد تبعيته لفرنسا سياسيا وثقافيا، إذ يشير في هذا

<sup>1</sup> عدنان المنصر، دولة بورقيبة "فصول في الإيديولوجيا والممارسة (1956-1970)، مطبعة التسفير الفني، صفاقس، تونس، 2004، ص. 20، 21.

<sup>2</sup> نفسه، ص. 23.

الصدد قائلا: "ما يربطنا بالعرب ليس إلا من قبيل الذكريات التاريخية، وأن من مصلحة تونس أن ترتبط بالغرب وفرنسا بصورة أخص...، وأن مرسيليا أقرب لنا من بغداد أو دمشق أو القاهرة..."<sup>1</sup>.

أيضا يجب أن تختتم هذا العنصر بالقول أن علاقات القوة في تونس بين بورقيبية وممثلي الإسلام تغيرت لصالح هؤلاء الأخيرين، نتيجة الأزمة العامة للنظام في عام 1969، إثر فشل الحركة التعاونية، والعودة إلى النظام الليبرالي تدريجيا، ومرض الرئيس في عام 1970. وقد تجلى ذلك في تراجع بورقيبية في مجال الإصلاح العصري، وبروز أولى مظاهر التيار الإسلامي التونسي.

وصفوة القول أن بورقيبية ظل بالنسبة لغالبية المؤرخين التونسيين، وفي الذاكرة الوطنية التونسية شخصية رئيسية في تاريخ تونس المعاصر. ويبدو أنه ميز كل الفترة الممتدة من عام 1927 إلى عام 1987، وحتى التي بعدها. فهو في نظر الكثيرين الشخصية الأساسية للكفاح الوطني ضد الاستعمار الفرنسي، وزعيم الإصلاحات الاجتماعية الكبرى التي عرفتها تونس. وبالتالي فإن تراثه له تداعيات عميقة<sup>2</sup>.

فعلى صعيد الإصلاح السياسي، يعد بورقيبية المحرّض على إلغاء نظام البايات في تونس، وإقامة النظام الجمهوري بعد استقلال البلاد. كما أنه وحد القضاء في ظل نظام مدني، وألغى المحاكم الدينية.

وعلى الصعيد الاجتماعي، سعى إلى تحرير المرأة التونسية من خلال إصدار قانون الأحوال الشخصية، الذي أحدث تغييرا جذريا في المجتمع. كما انه جعل من التربية المحرك الحقيقي للتغيير الاجتماعي، من خلال جعل التعليم العام إجباري

<sup>1</sup> محمد عبد الباقي الهرماسي، المرجع السابق، ص. 31.

<sup>2</sup> Andrieu Kora et Ferchichi Wahid, *Op-Cit*, P. 23.

ومجاني، وإنشاء المدارس في كل أقاليم الجمهورية. أما على الصعيد الاقتصادي، فقد سعى إلى تزويد تونس بنموذج اقتصادي خاص، وذلك بعد أن جرب العديد من الخيارات، بما في ذلك تأمين الأراضي الزراعية وفقا لنموذج تعاوني، أو إنشاء مؤسسات اقتصادية وطنية أو تعاونية، أو حتى الانفتاح وتبني نظام ليبرالي مراقب<sup>1</sup>.

وبالرغم من كل تلك الانجازات المهمة للرئيس بورقيبة، إلا أن تداعياتها كانت خطيرة وسلبية على التونسيين. ففي الجانب السياسي أقام بورقيبة نظامًا استبداديًا أبعد بموجبه جميع أشكال المعارضة، سواء كانت يسارية، ليبرالية، وطنية عربية أو إسلامية<sup>2</sup>، وكذا الأصوات المتباينة داخل نظامه، وقضى على كل معارضييه. كما منع إنشاء الأحزاب السياسية، وفرض رقابة شديدة على المنظمات الوطنية، وحكم تونس مدى الحياة، بموافقة الحزب خلال مؤتمر المنستير 1964، ومصادقة البرلمان، وتشريع الدستور الذي أعاد صياغته في 18 مارس 1975<sup>3</sup>.

في نهاية هذا المبحث نخلص إلى أن انتهاج بورقيبة لسياسة التحديث والعلمنة راجع إلى مجموعة من الظروف التاريخية، والأفكار السياسية الجذرية التي ساهمت مجتمعة في إقامة الدولة التونسية الحديثة بذلك الشكل العلماني التغريبي. والتي كان منها:

- السياق الذي تم فيه نيل تونس استقلالها، حيث الصراع بين نظرة بورقيبة المعتدلة القائمة على مبدأ خذ وطالب، ونزعة اليوسفيين الراديكالية الداعية إلى افتكاك الاستقلال بقوة السلاح.

<sup>1</sup> Andrieu Kora et Ferchichi Wahid, Op-Cit , p. 24.

<sup>2</sup> محمد عبد الباقي الهرماسي، المرجع السابق، ص. 31.

<sup>3</sup> Andrieu Kora et Ferchichi Wahid, Op-Cit , p. 25.

- انتشار حركات التحرر المناوئة للاستعمار وللغرب بصفة عامة، في العالم وفي بلدان المغرب العربي.
- النزعة الناصرية القومية في دعم الثورة الجزائرية، والتأثير على النخب المعربة في بلاد المغرب العربي.
- عودة صالح بن يوسف الأمين العام للحزب الدستوري الجديد، من ملجئه في مصر إلى تونس في عام 1955، متأثراً بأفكار باندونغ التحررية، والنزعة القومية العربية. حيث ندد بالاتفاقيات التي وقعها بورقيبة مع فرنسا، وبالنزعة الغربية لبورقيبة، التي تشكل برأيه خطراً على الإسلام والوحدة العربية<sup>1</sup>.
- اعتماد بورقيبة في فرض أفكاره وتطبيق سياسته على الشباب، والانتلجنسيا<sup>2</sup> العصرية التونسية، وقوة المركزية النقابية.
- دعم القوى الغربية له بفضل علاقاته مع الساسة الفرنسيين والأنجلو سكسونيين، ومواقفه المعتدلة إزاء فرنسا.

<sup>1</sup> خطاب صالح بن يوسف في الزيتونة في 7 ديسمبر 1955، ورد في كتاب منصف الشابي، صالح بن يوسف، (د.د.ن)، تونس، 1990، ص. 151.

<sup>2</sup> ونعني بها انصهار مجموعتين مختلفتين ثقافياً في فئة واحدة، على غرار تضامن مجموعة الشباب التونسي المثقفين ثقافة زيتونية والمثقفين ثقافة فرنسية ولعل احسن مثال على ذلك في تاريخ الحركة الوطنية التونسي انضمام عبد العزيز الثعالبي المثقف ثقافة زيتونية للعمل مع علي باش حامبة في حركة تونس الفتاة. أنظر: الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص. 40.

المبحث الثاني: التوجهات الفكرية والإيديولوجية لعلال الفاسي

أولاً: توجهاته الفكرية

إن نضال علال الفاسي لم يقتصر على الجانب السياسي أو التأطيري للجماهير فقط، ولم يتلخص في حدود تفعيل مبادئ الحركة الوطنية وقيمها، بل تعداه إلى أشكال متباينة من النضال الفكري المجتمعي على أساس أن النضال الفكري بمختلف أشكاله الإبداعية هو غذاء للروح وتنوير للعقل، ووسيلة للتحرر سواء تعلق الأمر بالفرد أو الجماعة، فالتفكير الاجتماعي عند علال الفاسي شرط أساسي لتخطي الأمور الفردية ومطلب للاهتمام بالآخرين حيث يقول: "لا يمكن لأمة ما أن تنهض من وهدة السقوط التي وقعت فيها إلا إذا تدرت على أن تفكر اجتماعياً، وتعودت على أن لا ترى في مسائل الأفراد أو الطبقات الأخرى شؤوناً بعيدة عنها أو غير عائدة إليها"<sup>1</sup>.

لقد كان علال الفاسي، يسعى إلى ترسيخ القضايا السياسية والاجتماعية مع الأخذ بعين الاعتبار تجارب الأمم والشعوب الأخرى، ولعل ذلك يعود إلى طبيعة ثقافته الدينية التي لم تكن سلفية نصية -التي اعتمدها التيار الوهابي-، بل كانت ثقافة أصولية<sup>2</sup> تعتمد التفكير والممارسة على مقاصد الشريعة الإسلامية، وذلك من خلال تحكيم العقل والإيمان بروح الدين الإسلامي العقلاني التقدمي.

حيث استطاع علال أن يحول السلفية في بلاده من قراءة نصية جامدة للنص الديني، إلى قراءة متفتحة وتمييزة بقدر كبير من الروح التقدمية، فأضحت هذه الروح متشعبة بقيم الدين الإسلامي والوطنية الخالصة، وطبيعي أن تصبح السلفية متحالفة

<sup>1</sup> عبد الحي بنيس، الأداء البرلماني للزعيم علال الفاسي، منشورات مؤسسة علال الفاسي، الرباط، المغرب، 2010، ص. 8.

<sup>2</sup> المنهج الأصولي أساسه أن كل دليل شرعي مبني على مقدمتين إحداهما نظرية تثبت بالنظر والاستدلال والأخرى نقلية تثبت بالنقل عن الشارع نقلاً صحيحاً. أنظر: عبد القادر الإدريسي، المصدر السابق، ص. 32.

مع الحركة الإستقلالية في البلاد، وأن يعتبر الوطنيون المخلصون العمل لتطهير التقاليد الإسلامية من الخرافات، خير سبيل لتجديد معالم الحياة الإسلامية في الوطن<sup>1</sup>. حاول علال إيجاد السبل والطرق الكفيلة لإخراج المجتمع المغربي من دائرة التخلف التي أدخله فيها الاستعمار عبر مراحلها الطويلة، من خلال سياسة التجهيل التي اعتمدها بهدف طمس هوية الشعوب التي كانت تخضع لسيطرته، والعمل على اللحاق بركب التطور الحضاري للمجتمعات الأوربية<sup>2</sup>، ومن هذا المنطلق فكر علال وناضل في إنجاح المسألة الاجتماعية في المغرب، ويعني ذلك بناء المجتمع والدولة معا، والذي يعتمد بالضرورة على التضامن والتآزر والتكافل بين أفراد المجتمع والتخلي عن الأنانية ويقول في هذا الشأن: "متى يأتي ذلك اليوم الذي نأخذ فيه بأنفسنا على التفكير في غيرنا؟ ومتى نصبح قادرين على الإحساس بالألم الذي يحز في كبد من سوانا"<sup>3</sup>؟

كان علال الفاسي زعيما إصلاحيا سلفيا، وزعيما سياسيا واستقلاليا في نفس الوقت، مما ميزه بين نخبة الحركة الوطنية المغربية، فهو لم يكتف بالنضال بل تجاوز ذلك إلى مستوى التنظير، وقد ارتبط مساره الفكري بالتيار السلفي، وذلك نتيجة لتداخل عاملين أساسيين هما:

العامل الأول: ذاتي، يرتبط بتكوينه الديني والفقهي في جامعة القرويين، التي تخرج منها ثم درس فيها، فساهم في تحقيق الإشعاع الفكري بالمغرب على غرار الأزهر بمصر والزيتونة بتونس.

<sup>1</sup> علال الفاسي، حديث المغرب في المشرق، المصدر السابق، ص. 34.

<sup>2</sup> إدريس جنديري، المرجع السابق، ص. 76، 77.

<sup>3</sup> نفسه، ص. 74، 75.

العامل الثاني: موضوعي، يرتبط بالفعالية الكبيرة التي عرفها التيار السلفي في المشرق، على يد نخبة من العلماء أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وعلي عبد الرزاق... وغيرهم، فتسربت أفكار هذه الحركة إلى المغرب وتغلغت في أوساط النخبة الدينية بشكل خاص<sup>1</sup>.

وكننتيجة مباشرة لتداخل العاملين معا، فقد ارتبط اسم علال الفاسي بالتيار السلفي في المغرب وهذا ما كانت تعبر عنه كتاباته الفكرية المتشعبة بروح الثقافة الإسلامية وكذلك تعبر عنه مواقفه الوطنية التي ساهمت إلى حد كبير في إفشال المشاريع الاستعمارية الهادفة إلى مسخ المجتمع المغربي.

ولكن يجب علينا أن نفرق بين السلفية التي انتهجها علال والسلفية المتعلقة بالمذهب الوهابي، فسلفية علال كانت مقاصدية النزعة، مما يعني الإيمان بالعقل والاجتهاد في قراءة النص، كما أنها كانت متفتحة على التطور الفكري والعلمي الحديث، وهي ما يعبر عنه بالسلفية الجديدة، حيث سعى إلى محاولة تحقيق توازن فكري بين متطلبات المحافظة على الهوية الحضارية العربية الإسلامية للمغرب، وبين متطلبات الانفتاح على الروح العلمية والفكرية الجديدة، التي أسست لها الحداثة الغربية<sup>2</sup>، فسلفيته لم تمنعه من أن يفتح فكره على كل ما أبدع الفكر الإنساني عبر مختلف مراحل التاريخ من أمور الفكر والعلم والسياسية والاقتصاد، ويصفها علال بقوله: "كانت سلفيتنا تمردا على الاستعمار، الذي هاجمنا في عقر دارنا، واحتقر مقدساتنا، بل وأراد أن يطعمها ليجعل منها غذاء صالحا يتقوى به علينا"<sup>3</sup> أي أن

<sup>1</sup> علال الفاسي، حديث المغرب في المشرق، المصدر السابق، ص. 33.

<sup>2</sup> علال الفاسي، منهج الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص. 14.

<sup>3</sup> نفسه، ص. 14.

سلفيته كانت ترفض باسم الإسلام أي تدخل أجنبي استعماري في شؤون المسلمين من الحكم السياسي والإداري وحتى السيطرة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية.

لقد كان علال مفكرا مستنير البصيرة، وطنيا متنور العقل، يعتز بانتمائه إلى السلفية المغربية الداعية إلى التحرر من قيود الخرافة والشعوذة، والتي ازدهرت في المغرب ما بين (1926-1930) وبرز كإمتداد نظري لأبي شعيب الدكالي ولمحمد بن العربي العلوي، ومن ثم رأى بضرورة الإصلاح الديني، لأهميته في إعداد الشروط المناسبة للنضال السياسي<sup>1</sup>.

وكان أصوليا في فكره ودراساته الفقهية، واقعيا في عصر تراجع فيه الفكر الواقعي، وطغى الفكر المثالي أو الفكر الإيديولوجي الشمولي الغارق في الخيال، والبعيد عن الواقع المعيش، وقد شكل كتابه "النقد الذاتي" نقطة تحول في تاريخ الفكر العربي الإسلامي في أواخر الأربعينيات وبداية الخمسينيات من القرن الماضي، حيث أظهر فيه علال براعة في تحليل الواقع المغربي وحتى العربي والإسلامي، من خلال التعمق في فهم واقع المجتمع المغربي، وإدراك مكنوناته ومكوناته والوقوف على المشكلات التي تفرض عليه، والتي تعرقل نموه وتطوره الطبيعي<sup>2</sup>.

جمع الأستاذ علال الفاسي في شخصيته بين المفكر والمناضل، فهو سلفي النزوع على المستوى الفكري، كما انه وطني ومصالح على المستوى السياسي والنضالي، ولعل من العوامل التي ساعدت على بلورة وصقل شخصيته، انتماؤه لمرحلتين مختلفتين من تاريخ المغرب الحديث:

<sup>1</sup> أسيم القرقرى، المرجع السابق، ص. 18.

<sup>2</sup> عبد القادر الإدريسي، المصدر السابق، ص. 32.



الأولى سبقت الاستقلال وفيها تصدى للسياسة الاستعمارية والثانية بعد استرجاع السيادة حيث سعى من خلالها إلى ترسيخ التحديث السياسي والاجتماعي في المغرب المستقل حديثاً<sup>1</sup>، من خلال السهر على تقدم ورقي بلاده، لتتمكن من اللحاق بمصاف الدول الكبرى معتمداً على مبدئين أساسيين وهما:

1- المبدأ الديني أو السلفي وقد تعرضنا له من قبل، حيث يعتبر علال أن سر تقدم أي دولة أو أمة لا يكون إلا بالرجوع والاعتماد على تعاليم الدين الإسلامي الصحيحة باعتباره المنهج القويم والصالح لكل زمان ومكان، كما أنه يعتبر الوحدة الإسلامية شيء أساسي لمواجهة المستعمرين وخصوم الإسلام<sup>2</sup>، لذلك كان ينادي بضرورة عقد مؤتمر إسلامي يجتمع فيه رؤساء المسلمين، وأهل الرأي فيهم، لدراسة أحوال وأوضاع المسلمين ويؤسسوا لمناهج جديدة يكوم عمادها الإسلام، هدفها تحقيق العدالة الاجتماعية في البلاد الإسلامية<sup>3</sup>.

2- مبدأ الحرية حيث اقترن فكره وعمله وحياته بالحرية، فكان يراها إنسانية الإنسان وهي حق للجميع فلا يحق لأحد أن يوزعها كما يشاء ومتى أراد، وكان يراها في التعبير والتفكير والقول والعمل، لذلك كان يرفض القيود التي تحد من حرية الإنسان سواء عن طريق الدكتاتورية أو عن طريق القوانين المقيدة لذلك<sup>4</sup>، كما كانت معاركه الأولى لصالح حرية الصحافة وضمان حريتها، ودفاعه المستميت عن كرامة المواطن إزاء تعسف السلطة<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> عبد الكريم غلاب، المصدر السابق، ص. 129.

<sup>2</sup> نفسه، ص. 96، 97.

<sup>3</sup> علال الفاسي، دائماً مع الشعب، ط. 2، منشورات مؤسسة علال الفاسي، الرباط، المغرب، 2017، ص. 59.

<sup>4</sup> محمد بلشير الحسني، قطوف دانية من فكر علال الفاسي، منشورات السلسلة الجديدة، سلسلة ثقافية تصدر عن جريدة "العلم"، المغرب، 1991، ص. 13.

<sup>5</sup> حزب الاستقلال، علال الفاسي، المصدر السابق، ص. 147.

كما جعل من حرية بلاده وبقية البلاد العربية، وتحرير مواطنيه هدفه الأول وجعل من حرية الفكر الإنساني هدفه الثاني، ولذلك كان يناضل على الخطين معا: نضالا عمليا، لتحقيق حرية الإنسان وحرية الوطن ونضالا فكريا، لتحقيق معنى الحرية في أبعادها الأساسية، أي في الفكر الإنساني عموما، وفي الفكر العربي على الخصوص<sup>1</sup>، حيث أوضح احمد قديميري أستاذ في القانون العام، مكانة الحرية في فكر علال قائلًا: "الحرية تحتل مكانة متميزة في البناء الفكري لعلال الفاسي، وتشكل المحور الأساسي في جميع أنشطته في مختلف الميادين الفكرية والدينية والاجتماعية والسياسية، على ضوء جوهرها كانت تتحد كل علاقاته وارتباطاته بالحياة وكانت المعيار الذي تفسر به قضايا الديمقراطية باعتبارها جوهر الممارسة لتلك الحريات جميعها"<sup>2</sup>.

كما يتميز فكر علال بالشمولية وخاصة في المسائل المتعلقة بالتنظيم الاجتماعي والاقتصادي، وقد التزم "النقد الذاتي" بهذا المنهج شكلا وموضوعا، فجاء بنظريات في التنظيم الاقتصادي والاجتماعي، كانت المصدر الأساسي الذي اعتمدت عليه جميع مؤتمرات حزبه بعد الاستقلال، والتي ساهمت في وضع منهج التعادلية<sup>3</sup>، فكانت الأفكار التي تضمنتها منهاجا وإيديولوجية حقيقية، دافع عنها علال وحزبه بشراسة،

<sup>1</sup> علال الفاسي، الحرية، ط. 2، منشورات مؤسسة علال الفاسي، الرباط، المغرب، 2013، ص. 3.

<sup>2</sup> احمد قديميري، الفكر الديمقراطي عند علال الفاسي، 20 جويلية 2017، *12 m. hespress. com* جانفي 2020، 22. 45.

<sup>3</sup> هو الاسم الذي اختاره حزب الاستقلال لفلسفته الاقتصادية والاجتماعية، وقد دخل هذا المصطلح القاموس السياسي المغربي بعد وثيقة 11 جانفي 1963، وقد تضمنت التعادلية عدة نقاط أبرزها: تحرير الاقتصاد وتخطيطه، العمل على القيام بإصلاحات في شتى الميادين بما فيها التاميمات، تكييف التعليم مع التنمية الاقتصادية: وبناء اقتصاد إسلامي مع الاجتهاد في إيجاد صيغة مناسبة له، كما عرفها أيضا بأنها: "نظرية اقتصادية تهدف الى تحقيق الاستفادة الكلية من خيارات وموارد البلاد بطريقة عقلانية وحكيمة". أنظر: محمد السلوي أبو عزام، المصدر السابق، ص. 94، 95.

وقدموا من خلالها نموذجا مغربيا في التفكير وأعطوا حلولا محلية لمشاكل التحرر والتخلف<sup>1</sup>.

وبالعودة إلى مميزات الفكر الشمولي لعلال، إختارنا بعض هذه الفقرات من كتابه النقد الذاتي التي توضح ذلك: "لابد لتحقيق روح التضامن بين أفراد الأمة وطبقاتها من تربية التفكير الشامل الذي يعانق كل الموضوعات التي تتوقف عليها نهضة الأمة..." ويقول أيضا: "إن التفكير الشمولي هو أن نستحضر أثناء اهتمامنا بعمل ما جميع أجزاء البلاد وعناصر الأمة. أنه أن ننظر إلى وطننا ككل لا يقبل التصور إلا كاملا، وإلى النفع كخير لا يمكن تحقيقه إلا شاملا" ثم يقول في موضع آخر: "إذا كان اهتمامنا يجب أن يشمل جميع الجهات والأفراد الذين هم محط عنايتنا، فيجب أن لا نذهل عن شمول آخر أثناء تفكيرنا فيما يجب أن نقوم به لصالح بلادنا"<sup>2</sup>.

ثم يوضح أهمية التفكير الشمولي في تحقيق التطور والازدهار في المجتمعات العربية فيقول: "إن الإحاطة في التفكير تستلزم منا جهدا جبارا مادامت تعني عدم إغفال أي جانب من جوانب الإنهاض ولا عامل من عوامل التطوير، وإن واجبنا أن نعرف أنفسنا ونتعاون على دراسة أحوالنا كي نستطيع القيام بهذه المهمة العظيمة التي لا بد منها لضمان مستقبل الحرية والاستقلال المنشودين في المغرب"<sup>3</sup>.

في الأخير نخلص إلى أن الطابع الذي يميز فكر علال هو الاجتهاد، ومن الواضح أن الاجتهاد يتعارض مع السلفية والتي تعني التمسك بأفكار الماضي والالتزام بما قاله السلف الصالح والابتعاد عن أي فكر جديد، ففكر علال يتعارض مع كل هذه الأمور فهو فكر مجتهد مجدد متطور، لا تقليد فيه ولا تبعية ولا جمود، فعلال كان

<sup>1</sup> محمد السلوي أبو عزام، المصدر السابق، ص. 95.

<sup>2</sup> علال الفاسي، النقد الذاتي، المطبعة العالمية، القاهرة، 1952، ص. 16.

<sup>3</sup> نفسه، ص. 20.

يفكر في مشاكل أمته بعقل متفتح على المصلحة لا على النصوص والتقليد للأولين  
فمصلحة المجتمع وحاجته كانت تدفعه إلى الابتكار والتجديد دون معارضة النص  
القرآني.

### ثانيا: توجهاته الإيديولوجية

#### 1/ في الجانب الاقتصادي:

لم يجد حرجا في دراسة الفكر الماركسي مثلا بل إنه اعتبره من التراث الإنساني  
ويحمل بين طياته أهدافا اقتصادية واجتماعية نبيلة، فلم يرفضه لأنه فكر ملحد، ولكنه  
كان يرفض الجانب الملحد منه ويرفض الجانب الذي يتعارض مع الحرية وكرامة  
الإنسان أو ما يتعارض مع المصلحة العامة، وفي نفس الوقت يعطي البديل مستندا  
على الأصول الإسلامية المتحررة من كل جمود أو تقليد<sup>1</sup>، لذلك نجد علال يصوغ  
نظرية اقتصادية تعبر عن توجهه الإيديولوجي المخالف للنهج الماركسي الاشتراكي  
والنهج الليبرالي، حيث استطاع بلورة نظريات اجتماعية واقتصادية ذات إشكاليات  
متعددة مقترحا بأن: "حل المشكلة الاقتصادية يجب أن يكون شاملا لكل النواحي  
الأخلاقية والروحية والاجتماعية والمادية" مؤكدا على أن الحل يكمن في الفكر  
الاقتصادي في الإسلام حيث يرى بأن: "النظام الاقتصادي المستمد من روح الإسلام  
أصلح وأوفق لتحقيق العدالة الاجتماعية وإزالة الفوارق الاجتماعية بين الطبقات"<sup>2</sup>.

لقد إختار رئيس حزب الاستقلال إسم التعادلية للتعبير عن فلسفته الاقتصادية  
والاجتماعية، والتي أصبحت فيما بعد المصدر والمنبع الأساسي لجميع مؤتمرات

<sup>1</sup> عبد الكريم غلاب، المصدر السابق، ص. 129، 130.

<sup>2</sup> علال الفاسي، في المذاهب الاقتصادية، ط.2، منشورات مؤسسة علال الفاسي، الرباط، المغرب، 2005،  
ص60.

الحزب التي عقدت بعد استقلال المغرب، والتي نظرت للتعدالية، ووضعت لها مجموعة من الأسس لعل أبرزها:

- تحرير الاقتصاد وتخطيطه.
- القيام بالإصلاحات الاقتصادية وعلى رأسها تأمين جميع ثروات البلاد.
- بناء اقتصاد إسلامي مع الاجتهاد في إيجاد صيغة مناسبة له.
- تكيف التعليم مع التنمية الاقتصادية<sup>1</sup>.

إن لفظ التعدالية مثله مثل الرأسمالية أو الاشتراكية أو الشيوعية يعبر عن المضمون "الاقتصادي والاجتماعي والسياسي" داخل نسيج الدولة، ويسعى إلى تحقيق ثلاثة أهداف رئيسية وهي، التحرر الاقتصادي، والخروج بالبلاد من التخلف، وتحقيق العدالة الاجتماعية. وقد بين علل الفرق بينها وبين الاشتراكية قائلا: "... فرارا من التهافت الواقع على كلمة الإشتراكية بمعانيها المتناقضة المليئة بالأوصاف الليبرالية، اخترنا أن نستعمل نحن في مذهبنا الاقتصادي كلمة التعدالية، مستمدين أسسها من تعاليم الشريعة الإسلامية وأصولها دون إغفال، للاستفادة من تجارب الأمم في ميادين الاقتصاد والإجتمع"<sup>2</sup>.

بعد عرضنا لأبرز التوجهات الفكرية والإيديولوجية لعلل الفاسي خلال مساره النضالي الطويل، نجد أنفسنا أمام إشكالية جديدة وهي مدى تأثير الفكر العلامي في الحياة السياسية والدينية للمغرب، في ظل التحولات التي شهدتها المغرب المستقل خلال مرحلة الحكم الملكي؟ وهل نجح علل وتياره السياسي في إخضاع الملك لسلطتهم واختياراتهم السياسية والاقتصادية؟ أم حدث العكس؟

<sup>1</sup> محمد السلوي أبو عزام، المصدر السابق، ص. 93، 95.

<sup>2</sup> علل الفاسي، المصدر السابق، ص 60.

2/ في المجال السياسي:

إن اقتناع علال الفاسي بأهمية الفكر السياسي في الحياة العامة للمجتمعات جعله لا يدخر جهدا في سبيل وضع منهج سياسي يتماشى والظروف العامة للمغرب المستقل حديثا، ففي كتابه النقد الذاتي تكلم عن مختلف النظريات المرتبطة بالسلطة وسعيها لتنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وتنظيم الحياة السياسية حتى تتمكن الدولة من توفير الأمن والسلم وكل ضروريات العيش لشعبها، ثم استنتج في النهاية أن الغاية والأساس الأخلاقي للسلطة هو تحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة بين جميع أفراد الشعب، هذا الأخير سيصبح بمرور الوقت يتمتع بحق مراقبة السلطة وأعمالها<sup>1</sup>.

حيث يرى أن تنظيم الحياة السياسية في المجتمع الديمقراطي لا يكمن تصوره إلا في مناخ يضمن الحريات الفردية والجماعية والتعددية الحزبية، التي تعكس بكيفية طبيعية وغير مصطنعة تعدد المذاهب والاتجاهات الفكرية والسياسية، وقال في هذا الصدد بان "النظام الاستبدادي يقوم على فكرة الحزب الواحد... الذي يلعب الدور الرسمي للدولة... ومن الطبيعي أن لا نقبل هذا النظام الذي يؤدي إلى تكديس السلطة في يد فئة واحدة"<sup>2</sup>.

ثم ينطلق علال الفاسي من أطروحة "موريس دوفرليه" ليؤكد على أن بناء التوزيع (توزيع السلط) يجب أن يتأسس على نسبة النفوذ الحزبي في البلاد، لأنّ ازدهار الأحزاب السياسية، غير تغييرا عميقا شكل العلاقات التي كانت بين المنظمات الحكومية وما لها من وسائل العمل المتبادل، ويضيف مترجمنا اعتمادا على نفس الأطروحة: "لقد أصبح حزب الأغلبية الرابطة الأقوى بين السلطة التنفيذية وبين

<sup>1</sup> علال الفاسي، المصدر السابق، ص. 146.

<sup>2</sup> حزب الاستقلال، علال الفاسي الرمز الخالد في الفكر والوجدان، المصدر السابق، ص. 11.

البرلمان، وأصبح للمنظمات السياسية بصفة عامة نفوذ عميق على إختيار أهل الحل والعقد، كما يظهر من تحليل الأنظمة الديمقراطية<sup>1</sup>.

إن الأستاذ علال الفاسي كما يبدو، واع بشكل كبير بدور الأحزاب السياسية في قيادة أي تحول ديمقراطي، ولعل ذلك نابع من تجربته القيادية الحزبية الطويلة لحزب الاستقلال، التي أظهرت ارتباطه بالفكر الليبرالي الحديث، الذي يؤمن بالحرية والتعددية، وقد توج مجهوده في هذا المجال بصدور دستور سنة 1962 الذي قرر منع نظام الحزب الواحد.

أن المراحل الأولى كانت مخالفة للتصور الذي رسمه علال الفاسي لإقامة نظام سياسي ديمقراطي بالمغرب، حيث يشير في كتابه "الديمقراطية وكفاح الشعب المغربي من أجلها" إلى بعض العوامل التي وقفت عائقا أمام تحقيق الديمقراطية<sup>2</sup> إثر إعلان استقلال المغرب، منها المكيدة التي نصبها الاستعمار ليمثلي حزبه الذين شاركوا في مباحثات "اكس لبيان"، مع أطراف أخرى اختارتها السلطات الفرنسية من عملائها فنتج عن ذلك المشاركة في الحكومة التفاوضية- "لموائد اكس لبيان"- كما سماها علال في الوقت الذي كان فيه قادة الحزب في الخارج.

وبخبرنا علال عن موقفه من هذه المحادثات "رغم إلحاحي بعدم الدخول في الحكومة إلا إذا كانت منسجمة ومن الحزب الذي كافح في سبيل الاستقلال وعودة

<sup>1</sup> حزب الاستقلال، علال الفاسي الرمز الخالد في الفكر والوجدان، المصدر السابق، ص. 144.

<sup>2</sup> يعرف علال الفاسي الديمقراطية بأنها: "المجال الذي يتساوى فيه الأفراد والجماعات، ولا يفرق بينهم إلا الخصائص الكامنة والمجهود المتفوق" ويضيف "بأن الديمقراطية مستمدة من تقاليدنا وواقعنا وتأثرنا بالغرب والشرق، وهي أملنا في المستقبل، ومرمى كفاحنا في الحاضر، نعتقد أنها خير ما يصله الإنسان فوق الأرض وإنها عنوان رقي المجتمع الذي يتخذها نظاما وطاعة له". أنظر: علال الفاسي، معركة اليوم والغد، المصدر السابق، ص. 77،

الملك"<sup>1</sup>، ويضيف انه "لو ثبت الحزب في هذا الموقف لقبل منه ذلك قطعا ولسهل عليه أن يكون أول عمله إعلان قانون مؤقت وانتخاب مجلس وطني، وكان سيحصل على الأغلبية... وبعد ذلك تتبثق الحكومة الشعبية في مفاوضات مع الحكومة الاستعمارية وتنظم البلاد على أسس ديمقراطية".

وقد حاول تدارك هذه الأخطاء السياسية التي وقع فيها سلفه في الحزب من خلال توفير الشروط الأساسية الممكنة لبناء الديمقراطية، حيث قام باستصدار العهد الملكي المؤرخ في 8 ماي 1958، والذي أوضح فيه محمد الخامس عزمه على إقرار نظام ملكي دستوري، حتى يمكن تحقيق ديمقراطية صحيحة، وما لبث علال أن نجح في استصدار قانون للحريات العامة في 15 نوفمبر 1958.<sup>2</sup>

ويشترط علال المرونة في تطبيق النظام السياسي باعتباره قابل للتطور والتبدل في ظل المتغيرات التي تشهدها الحياة العامة، فالهدف في النهاية من تطبيق هذا النظام هو إسعاد المجتمعات وتوفير الأمن وكافة متطلبات الحياة، والسير بها نحو سبل التقدم ومنع بعضها من استغلال البعض<sup>3</sup>. وفي تصور علال فإن ذلك لا يتحقق إلا في ظل مجتمع إسلامي أساس نظامه الشورى، ولكنه لا يمانع أيضا من تطبيق الأنظمة الديمقراطية الحديثة التي لا تخالف أساس الشورى في الإسلام ومادامت لا تتعارض مع إرادة الشعب، ولا تميز طائفة أو مجموعة عن أخرى<sup>4</sup>.

فالجوهر الأصيل للديمقراطية في الإسلام باعتباره ديناً إنسانياً يفسره علال الفاسي من خلال تحديد معنى الديمقراطية بأنها: "هي المصالحة بين الجميع" فهو

<sup>1</sup> علال الفاسي، الديمقراطية وكفاح الشعب المغربي من أجلها، المصدر السابق، ص. 77، 78.

<sup>2</sup> نفسه، ص. 48.

<sup>3</sup> علال الفاسي، النقد الذاتي، المصدر السابق، ص. 148.

<sup>4</sup> عبد الكريم غلاب، المصدر السابق، ص. 136.



يؤمن بأن أفضل ما في الديمقراطية المساواة فلا طبقية معها، ولا تمايز، ولكنها معركة سلام، وهي قبل كل شيء تربية للنفس، وتتضح قواعد هذا الوعي السياسي لعلال في هذا الاتجاه من خلال المساواة في الحقوق والواجبات التي نادى بها الإسلام والتي أساسها الشورى<sup>1</sup>.

فهدف لعلال في النهاية بعد استقرارنا لمضامين فكره السياسي، هو وضع نظرية سياسية كفيلة بتحقيق الأمن والاستقرار والحرية للبلاد، بشرط ألا تتعارض مع مبادئ الدين الإسلامي، ولا حرية الشعوب وكرامتهم. وقد لخص لعلال ذلك في قوله: "لقد اختار المغرب الديمقراطية كطريقة للحكم، لأن ذلك لا يتفق مع عقيدته الإسلامية التي تحترم الإنسان وتفرض كرامته وتأمّر بالعدل والإحسان، وما يتفق كذلك مع تقاليدته التي طبعت الأنظمة القبلية وعلاقة الرؤساء بالشعب ولأن المدرسة الأولى التي تنقف فيها في فجر نهضته هي المدرسة السلفية"<sup>2</sup>.

كما أكد لعلال أن المطالبة بالديمقراطية يجب أن تنبثق من الإسلام، معتبرا أن الفكر الإغريقي، وهو مستند الحداثيين في الغرب: "إنما كان يؤسس لديمقراطية مفصلة على نظام طبقي، في دركه الأسفل يوجد العبيد". ثم يقول "أنه من الصواب اعتبار الفكر الإغريقي مرحلة متخلفة، أتى بعدها الإسلام ليؤسس الديمقراطية، بأن جعل الإنسان هو هدفها، وذلك بإعلانه المساواة بين البشر"<sup>3</sup>، وخلال مؤتمر حزبه سنة 1960 أكد بوضوح أن الوسيلة الوحيدة لبناء الدولة الديمقراطية العصرية هي تحقيق

<sup>1</sup> لعلال الفاسي، دائما مع الشعب، المصدر السابق، ص. 63، 64.

<sup>2</sup> حسن حافظي علوي، السلطة العلمية والسلطة السياسية بالمغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2012، ص. 347.

<sup>3</sup> حسن حافظي علوي، المرجع السابق، ص. 349.

الديمقراطية النيابية في ظل ملكية دستورية حيث تعرض في كتابه معركة اليوم والغد إلى ذلك بالشرح والتفصيل<sup>1</sup>.

### 3/ في المجال الديني:

باعتبار علال الفاسي رجل دين وعالم مسلم فقد كان الدين الإسلامي أساس كل بناء أو إصلاح، ففي نظره نهضة الدول وقيام المجتمعات وتطورها وازدهارها يبقى ناقصا إذا لم يرتكز على المنهج الديني الصحيح، لذلك تصدى علال للأفكار التي انتشرت في تلك الفترة والتي كانت تنادي بالحدثة وإبعاد الدين عن الدولة، لأجل تحقيق الرقي باعتبار الدين يقف عائقا في طريق أي تقدم، ولكثرة الموانع والحواجز التي يضعها في طريق الازدهار والحضارة<sup>2</sup>.

فجاء رده لاذعا في كتابه النقد الذاتي لدعاة الحدثة والعلمانيين، حيث قال: "وأنه لمن خطل الرأي أن نعتقد بان الغرب قد تقدم بسبب هذا التجرد، فان الذين بذلوا الجهود الجبارة ليقظة أوروبا وأمريكا لم يكونوا بعيدين عن الله ولا متجردين من مثاليته، وإذا كان قد وجد من كبار الكتاب أو الفلاسفة من لم يستطع الإيمان، فان تأثير هؤلاء في مئات الذين عملوا لرقى الغرب معدوم"<sup>3</sup> وهو بذلك يرفض رفضا قاطعا فكرة فصل الدين عن الدولة، "لأن هذه الفكرة الخاطئة كان منشأها التاريخي باطل وغير صحيح". على حسب تعبير الكاتب احمد الريسوني<sup>4</sup>.

ويذهب في شرح هذه الفكرة إلى أبعد من ذلك حيث يقول: "بأن فكرة فصل الدين عن الدولة هدفها خلق دولة داخل دولة"، مستدلا بما كتبه "طارديو" في كتابه "العاهل

<sup>1</sup> علال الفاسي، معركة اليوم والغد، المصدر السابق، ص. 51، 52.

<sup>2</sup> عبد الكريم غلاب، المصدر السابق، ص. 135.

<sup>3</sup> علال الفاسي، النقد الذاتي، المصدر السابق، ص. 100.

<sup>4</sup> أحمد الريسوني، المرجع السابق، ص. 211.

المأسور" إن منشأها التاريخي لم يكن إلا رد فعل بعض الرهبان الألمان لمقاومة الاضطهاد الحكومي للمسيحية في ألمانيا "ونزيد نمحن بأن مصدرها الأساسي هو هذه الفكرة الأساسية التي قالها الإنجيل: "يجب أن يبقى ما لله وما لقيصر لقيصر، وإذا فالذين يزعمون أنها ثورة على المسيحية إنما يدعون باطلا، لأنها أصل من أصول المسيحية، واعتقد أن المسيح لم يقبلها أولا إلا للتحرر من تدخل القياصرة الرومانيين الذين لم يكونوا تمسحوا بعد"<sup>1</sup>. ثم يرد على هؤلاء بقوله: "فصل السلطات، ومشاركة الشعب في تدبير مصالح الدولة والانتخاب، والمساواة في الحقوق والواجبات... الخ كلها مبادئ ليست جديدة بالنسبة للمسلمين، بل هي عقائد جاء بها القرآن وأكدتها السنة"<sup>2</sup>.

لقد أوضح عبد الكريم غلاب موقف علال من الدين قائلا: "الدين عنده عقيدة وعمل ونظام سياسي واقتصادي واجتماعي، العقيدة واضحة، ولكنها يجب أن تتحرر من رواسب عهد التخلف ومن كل ما الصقه الجامدون والمتخلفون فكريا بالعقيدة الإسلامية<sup>3</sup>، وتلك معركته الأولى من أجل السلفية هذه الأخيرة كان لها دور هام في مقاومة الطرق الصوفية الموالية للاستعمار، ومحاربة ممارسة الشعوذة وغيرها من الآفات الاجتماعية، وضد كل العابثين بالإسلام"<sup>4</sup>.

لقد كان علال مقتنع أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان، لأنه لم يهمل الجانب التنظيمي للمجتمع، فهو يعارض فكرة أن يحارب الإسلام باسم التقدمية أو العلمانية أو باسم أي ديانة أو مذهب آخر، فالإسلام عنده يحمي حرية الفرد وحرية المجتمع في

<sup>1</sup> علال الفاسي، النقد الذاتي، المصدر السابق، ص. 104.

<sup>2</sup> علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص. 232.

<sup>3</sup> عبد الكريم غلاب، المصدر السابق، ص. 135.

<sup>4</sup> سعيد بنسعيد العلوي، الوطنية والتحديثية في المغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1997، ص.

التفكير والتعبير والعمل، ويحمي حرية المرأة كما يحمي حرية الرجل، والإسلام يمنع الظلم، سواء ظلم الدولة والسلطة أو ظلم الأفراد والمجتمع، هذه معالم الطريق التي رسمها علال المفكر في فهم الإسلام ورغبته في بناء مجتمع إسلامي، وفي المقابل نجده لا يرفض أي أسلوب للتحديث، فظهور أفكار جديدة سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية ممكنة، بشرط ألا تتعارض مع تعاليم الإسلام، فباب الاجتهاد عنده والمصالح المرسلة تتسع لتنظيم كل المجتمع الإسلامي الحديث<sup>1</sup>.

حيث يعتبر الأستاذ علال الفاسي أن المصدر الأساسي للتشريع في الدولة الإسلامية هو الشريعة باعتبارها حسب رأيه: "إلهية الأساس ليست بوضعية كبقية القوانين البشرية القديمة أو المعاصرة" ثم يستدرك رأيه بقوله هذا: "إن الشارع وضع لنا أسس لإشراك المسلمين في التشريع عن طريق الاجتهاد"<sup>2</sup> أي أن الشريعة الإسلامية لا تعارض الطابع الوضعي للقوانين، ولعل ذلك من أبرز مميزات سلفية علال عن غيره، حيث نجح في تحويل السلفية من قراءة جامدة للنصوص الدينية، إلى قراءة متفتحة ومتميزة بقدر كبير بالروح التقدمية، هذه الروح متشعبة بتعاليم الدين الإسلامي والوطنية الخالصة<sup>3</sup>.

وحتى يبرهن على صحة ما ذهب إليه انطلق من التجربة المغربية ليوضح المسار الذي قطعه التشريع في المغرب فيذهب إلى أنه: "كانت استحسنات فقهية مبنية على الاجتهاد في السياسة الشرعية من طرف السلطان سيدي أحمد بن عبد

<sup>1</sup> عبد الكريم غلاب، المصدر السابق ص. 137.

<sup>2</sup> علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، ط. 5، دار الغرب الإسلامي، (د.د.ن)، 1991، ص. 61.

<sup>3</sup> إدريس جنداري، المرجع السابق، ص. 74.

الله، ثم ظهرت حركة وطنية دستورية في أيام السلطان عبد العزيز، وضعت مشروع دستور وقانون مدني<sup>1</sup>.

فهو يعتبر أن هذا التطور في التشريع الإسلامي الذي انطلق "بالاستحسان الفقهي وصولاً إلى الدستور والقانون المدني" أمر طبيعي جاء نتيجة الاحتكاك مع ثقافة الغرب، مما أدى إلى انتشار موجة من التشريعات المستمدة من قوانين الغرب في البلاد الإسلامية<sup>2</sup>.

إن انتماء علال الفاسي إلى التيار السلفي لم يمنعه من الاطلاع على التجارب السياسية الحديثة، وينهل منها لبناء تصور فكري حديث هدفه الاسمي القضاء على التخلف الذي يسود الأمة العربية عموماً والمغربية على وجه الخصوص. هذه معالم الطريق التي رسمها علال المفكر في فهم الإسلام ورغبته في بناء مجتمع إسلامي يكون أساسه العدالة الاجتماعية.

#### 4/ في مجال بناء الدولة

آمن علال الفاسي أن إقامة الدولة المغربية الحديثة يجب أن يكون من خلال التمسك بالنظام الملكي -العرش-<sup>3</sup> إذ يؤكد بان المغرب لم يعرف عبر التاريخ سوى النظام الملكي، ولأنه رمزا لوحدة المغرب أرضاً وشعباً وفي هذا الصدد يقول: "لم يعرف المغرب مدة أربعة عشر قرناً شكلاً للحكم غير الملكية، فالعرش بقي رمز وحدته ودليل ماضيه، والذي سيكون في المستقبل عامل التوازن الاجتماعي فيه"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> علال الفاسي، المصدر السابق، ص. 61.

<sup>2</sup> نفسه، 63.

<sup>3</sup> محمد سريج، موقف المملكة المغربية الرسمي والشعبي من الثورة الجزائرية 1954-1962، الذاكرة التاريخية المشتركة المغربية-الجزائرية، ج. 1، المرجع السابق، ص. 521.

<sup>4</sup> نفسه، ص. 232.

ثم يضيف: "على أن نقاليدنا الموروثة، تجعل الملك مسؤولاً أمام الأمة، ومقيدا بمقتضيات البيعة، التي تستند على قواعد الشريعة الإسلامية، وأخلاق الإسلام، ومبدأ الشورى"<sup>1</sup>.

فإذا كان علال قد جعل من الحكم الملكي أساس إقامة الدولة في المغرب الحديث، فإنه من جهة أخرى قيده بشروط حتى يبعد شبهة الحكم المطلق الفردي عن الملك، وذلك من خلال تقييده بالقانون المقدس للبلاد، واحترام الدستور، ومشاركة أمور الدولة مع أهل الحل والعقد، ومشاورة وزرائه في اتخاذ القرارات المصيرية للشعب، فبالنسبة له: "إن الحق الذي يعطيه الإسلام للخليفة أو ولي الأمر، ينتقل مع الاختصاصات المعطاة للمجالس النيابية وللحكومات التي تشارك المجلس أو رئيس الدولة في السلطة التشريعية". ثم يوضح رأيه بالاستناد إلى النص القرآني، الذي يؤكد صفة الاستشارة ومبادلة النظر<sup>2</sup> في قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 38/ الشورى]، وكذا الأمر الصادر من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [سورة آل عمران/ الآية 159]

مما يؤكد لنا أن هذه الصفة ليست بالشيء الجديد على الإسلام، وبالتالي يلتقي التشريع الإسلامي مع التشريع الوضعي في طريقة تطوره، مع احتفاظ كل مصدر بخصوصية مصادره المباشرة لإقامة العدل بين أفراد الشعب داخل الدولة.

ورغم موقف علال الفاسي المساند للملك، واعتبار حكمه السبيل الأفضل لإقامة الدولة الحديثة في المغرب، إلا أن بعض الأوساط حاولت زرع بذور الفتنة بينه وبين الملك محمد الخامس، فيذكر علال أن الصحف الفرنسية كتبت متسائلة: "هل أن علال

<sup>1</sup> علال الفاسي، منهج الاستقلالية منهج الاستقلالية، ط. 3، منشورات مؤسسة علال الفاسي، الرباط، المغرب، 2017، ص. 81.

<sup>2</sup> علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، المصدر السابق، ص. 61.

يسير في ركاب الملك، أم انه سيفعل مثل صالح بن يوسف ويريد أن يحتفظ بالمشركين  
للأغراض خاصة"<sup>1</sup>؟

حيث يذكر علال بان الملك أصبح همه الوحيد هو تجريد المقاومين من السلاح  
وإدخال جيش التحرير إلى ثكناته" ويضيف قائلاً: "لقد أصبح الملك يشكك في  
إخلاصنا نحن رجال الحزب ورجال المقاومة"<sup>2</sup>. وهو ما أثر على المسار السياسي  
للحزب وخلق مجموعة مناوئة له تغلغت داخل أجهزة الدولة وعملت على توسيع الهوة  
بين علال والملك، هذا الأخير الذي جرد مناضلي حزب الاستقلال من معظم وظائف  
الدولة الحساسة<sup>3</sup>، ولم تتحسن هذه العلاقة إلا في نهاية الستينات عندما كلف الملك  
محمد الخامس علال بإنشاء مجلس تأسيسي وسنتطرق لذلك لاحقاً.

النقطة الثانية التي اعتبرها الزعيم علال الفاسي أساساً لبناء الدولة المغربية  
الحديثة، هي الاستقلال الحقيقي للبلاد والتحرر من كل مخلفات الاستعمار، وذلك لا  
يتم حسبه إلا بجلاء الوجود الأجنبي عن كل أجزاء البلاد، وهو ما يتطلب مواصلة  
الجهد من أجل ضمان الاستقلال السياسي، والثقافي، والاجتماعي، والاقتصادي<sup>4</sup>. كما  
عرف عنه إيمانه بان حصول الجزء الأكبر من البلاد على الاستقلال السياسي، ما هو  
إلا خطوة نحو بناء الدولة المغربية الحديثة، وأنه من الضروري تحرير باقي أطراف  
المملكة، التي ما تزال خاضعة للنفوذ الأجنبي.

كما أخذ على عاتقه جهد معركة بناء المغرب المستقل على أسس الديمقراطية  
وفي هذا الصدد يقول: "إذا كانت الأجيال السالفة قد علمت جمهورنا وحتى مفكرينا

<sup>1</sup> علال الفاسي، الديمقراطية وكفاح الشعب المغربي من أجلها، المصدر السابق، ص. 59.

<sup>2</sup> نفسه، ص. 60.

<sup>3</sup> نفسه، ص. 62.

<sup>4</sup> علال الفاسي، منهج الاستقلالية، المصدر السابق، ص. 83.

عدم المبالاة بكثير من أمور الأمة، فإن واجبنا أن ننبه الشعب إلى ضرورة العدول عن هذه العادة الفاسدة، ونعمل على بعث الوجدان السياسي، حتى تعود الأمة إلى الاهتمام بشؤونها، ومراقبة أعمال حاكميها، في إطار من التضامن بين الملك، والحكومة، والشعب، لحماية التراث الروحي والمادي لهذا الشعب المجيد<sup>1</sup>.

فعلا ل يجعل من الانسجام بين الشعب والملك الضمان الوحيد لتحقيق الأهداف المسطرة والتي يأتي في مقدمتها إقامة دولة مغربية حديثة على أسس عصرية.

أما النقطة الثالثة التي ارتكز حولها الفكر السياسي للزعيم علال في سبيل إقامة صرح الدولة المغربية الحديثة في مطلع الستينات، فهي سعيه لاستصدار دستور للبلاد كي يحدد أسس النظام الديمقراطي في المغرب ويقول في هذا الصدد: "أنه ليس من المعقول أن يظل المغرب بعيدا عن حق الرقابة والتشريع الشعبين في وقت يريد فيه أن يخطط اقتصاده ويواصل بناء استقلاله على أسس متينة من الإرادة الشعبية"<sup>2</sup>، وفي موضع آخر قال "إنه حان الوقت لقيام حكومة دستورية وضمان رقابة الشعب على السلطة التنفيذية"<sup>3</sup>.

لكن مطالب علال الفاسي تم إرجاؤها من طرف وزير الداخلية المغربي، بحجة أن الديمقراطية تبدأ من القاعدة، أي من الانتخابات البلدية، حيث يذكر علال: "إن الوزير بدأ بجس النبض في المدن القرى ولما تبين أن الانتخابات ستؤدي إلى نجاح الحزب مائة في المائة، أرجئت الانتخابات بدعوى استشارة فنيين يستقدمون من فرنسا وهكذا اكتسبت الإدارة الوقت... حتى تولدت نزاعات داخل الحزب نفسه" ثم

<sup>1</sup> حزب الاستقلال، علال الفاسي الرمز الخالد...، المصدر السابق، ص. 146، 147.

<sup>2</sup> علال الفاسي، معركة اليوم والغد، المصدر السابق، ص. 53.

<sup>3</sup> علال الفاسي، منهج الاستقلالية، المصدر السابق، ص. 52.



يضيف "ولما طال أمر الانتخابات البلدية طالبنا بإصدار الدستور مع قبولنا الدخول في مجلس استشاري يكون مرحلة أولى لتحقيق الحياة النيابية"<sup>1</sup>.

وعلى إثر ذلك تم استدعاء علال الفاسي من طرف الملك محمد الخامس، عندما أسس المجلس التأسيسي لوضع الدستور فانتخب علال رئيسا للمجلس سنة 1960، لكنه لم ينجح لأسباب سياسية<sup>2</sup>، ولما وصل الحسن الثاني للملك عرض عليه وزارة الدولة قبلها، وعمل على وضع دستور الدولة المغربية سنة 1962، فكان ذلك فرصة لعلال حتى يجسد مشروعه السياسي على أرض الواقع، خاصة بعد مشاركته في الحكومة المغربية<sup>3</sup>. فعمل على إقامة نظام سياسي ديمقراطي حسب منظوره، إلا أنه استقال من الوزارة مع ممثلي حزبه في 01 جانفي 1963، لأنه عارض توجهات الحكومة الاقتصادية ودخل المعارضة. وقد أنتخب في نفس السنة في مجلس النواب، وكانت له إسهامات كبيرة في جميع التشريعات التي أصدرها المجلس<sup>4</sup>.

لقد كان هم علال الفاسي إقامة دستور للبلاد يحترم حرية وحقوق المغاربة ويكرس الديمقراطية داخل هياكل وأجهزة الدولة، وذلك لا يتم إلا بالاستفتاء الشعبي كما هو الحال في الكثير من البلدان الديمقراطية، وفي هذا الخصوص يقول علال: "الرغبة في إعطاء الشعب حقه في الرقابة، والاقتراع تستدعي تنظيما عاما للشعب، ... وتنظيما للهيئات النيابية، التي تمثله، مثلما تقتضي تنظيما حكوميا، قائما على الأسس الديمقراطية الصحيحة. ونحن لا نريد أن نتعرض هنا، لمختلف أنواع الأنظمة

<sup>1</sup> علال الفاسي، معركة اليوم والغد، المصدر السابق، ص. 48.

<sup>2</sup> عبد الكريم غلاب، المصدر السابق، ص. 205، 206.

<sup>3</sup> عبد الكريم غلاب، التطور الدستوري والنيابي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1992، ص. 188.

<sup>4</sup> عثمان أشقرا، علال الفاسي الوطنية، منشورات اتصالات سيو، المغرب، 2006، ص. 70.

السياسية،...ولا أن نحاول فرض نوع من أشكال الدساتير على الأمة المغربية، لأن ذلك... لا بد أن يقع بعد الاستقلال، من مجمع شعبي منتخب<sup>1</sup>.

حيث طرح ضرورة وضع نظرية تتعلق بخلق برنامج مفصل للنظام السياسي والاقتصادي الذي يجب أن يكون عليه المغرب بعد الاستقلال... ويرى بهذا الخصوص بأنه يجب أن يكتب المختصون على دراسة جميع النواحي السياسية والإدارية والثقافية والمالية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، لتنظيم الدولة والشعب ويجب أن نسير فيه على نظام الاختصاص الكامل للجانب. ويضيف بأن شعورنا بمواطن الضعف في النظام القائم ببلادنا يفرض علينا أن ندرس الأنظمة العالمية ونقيس عليها حاجتنا الخاصة، ونكون مذهباً في أدق معانيه وبأكثر تفاصيله فنحصل بذلك على إيمان من الشعب بنفسه ونظامه وحكومته في عهد الاستقلال، ولا نرغمه بعد ما بذله من جهود للتححرر على استئناف جهاد آخر للبحث عن طريق يصل به لنظام إداري واجتماعي<sup>2</sup>.

والنقطة الرابعة تتمثل في ضمان حرية الأفراد وذلك بإلزام الجميع باحترام القانوني حيث يجعلها علال أحد أسس ومبررات نشوء الدولة المغربية الحديثة، كما يحدد أنواع هذه الحريات في حرية الفكر إذ لا يمكن إلزام فرد أو جماعة برأي معين<sup>3</sup>.

وهناك الحرية السياسية كحرية العمل في الميدان العام والمشاركة في تدبير شؤون البلاد، كالإدارة والأمن ووضع النظم والقوانين وغيرها من الأمور التي تتعلق بالحريات السياسية للأفراد، وفي هذا الصدد يقول علال: "إن كل نظام للحكم قد يأتي بإصلاحات

<sup>1</sup> علال الفاسي، النقد الذاتي، المصدر السابق، ص. 138، 139.

<sup>2</sup> علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص. 521، 522.

<sup>3</sup> علال الفاسي، الحرية، المصدر السابق، ص. 66.

ومنافع، لكن الحرية السياسية لا تتحقق إلا في الحكم الديمقراطي أي النظام الذي يحكم فيه الشعب نفسه بنفسه...<sup>1</sup>.

فعال الفاسي كان يؤكد دوما على أن أساس قيام دولة حديثة بالمغرب يجب أن يقوم على أسس ديمقراطية بشرط أن تحترم حرية الأفراد وكرامتهم وتحفظ حقوقهم، وكل ذلك لا يتأتى إلا بانتهاج أسس إسلامية صحيحة.

<sup>1</sup> أحمد بابانا العلوي، المرجع السابق، ص. 66.

### المبحث الثالث: دراسة مقارنة لتوجهاتهما الفكرية والإيديولوجية

من خلال دراستي للتوجهات الفكرية والإيديولوجية للزعيمين الحبيب بورقيبة وعلال الفاسي، وبعد تحليل وتمحيص لفكر الرجلين اللذان كرّسا حياتهما من أجل الدفاع عن استقلال بلديهما من التسلط الاستعماري، ثم مواصلة مسيرة البناء والتشييد بعد الاستقلال كل حسب مكانته السياسية في الدولة. لاحظت وجود عدة نقاط التقاء وإختلاف في توجهات الزعيمين الفكرية والإيديولوجية والخيارات التي تبناها كل واحد منهما خاصة في المجال السياسي والاقتصادي، والذي يهمننا هنا هو إستنتاج عناصر التماثل والتنافر بين الشخصيتين في المجال الفكري والسياسي والديني، من خلال تصورات كل زعيم لمستقبل شعبه ودولته بعد استقلالها في ظل الوضع الداخلي المستجد في كل دولة، وكذا الظرف الدولي الذي رافق حركة الاستقلال.

#### أولاً: أوجه التشابه.

- نجد أن كلاهما حاول إيجاد السبل والطرق الكفيلة لإخراج مجتمعه من دائرة التخلف التي أوجدها الاستعمار أثناء احتلاله للشعوب الضعيفة في كل أنحاء العالم وفي دول المغرب على الخصوص، وذلك من خلال سياسة التجهيل التي اعتمدها بهدف القضاء على هوية مجتمعات الدولتين الخاضعتين لسيطرته، والعمل على اللحاق بركب التطور الحضاري للمجتمعات الأوربية، وانطلاقاً من هذا المبدأ فكرا الزعيمين وناضلاً في سبيل إنجاح المسألة الاجتماعية في المغرب وتونس، حتى يتمكنوا من بناء مجتمعات راقية ودول متقدمة في الوقت نفسه.

- كلاهما لم يجد حرجاً في دراسة الفكر الأوربي باعتباره من التراث الإنساني ويحمل بين طياته أهدافاً اقتصادية واجتماعية نبيلة، على غرار الفكر الماركسي والليبرالي، ولو أن هناك إختلاف بينهما في طريقة التعامل مع هذه الإيديولوجيات

الغربية، فإذا كان بورقيبة قد طبق هذه الأفكار بحذافيرها دونما تعديل أو تهذيب لما يوافق مبادئ المجتمع التونسي<sup>1</sup>، فإنّ علال الفاسي قد عمل على إنتاج قيم اقتصادية واجتماعية جديدة خارج السياق الغربي الملحد والمتشعب بالأفكار العلمانية، والمستمدة من روح الإسلام<sup>2</sup>.

- الاثنان قد عملا على تبني الثقافة والممارسة السياسية المكتسبة والتي تأتي الديمقراطية في مقدمتها، حيث حاولا نقلها إلى المجتمع المغربي الذي هو مجتمع تقليدي عربي إسلامي، مما أدى إلى حدوث عدة أزمات سياسية واقتصادية كادت في العديد من المرات أن تعصف باستقلال واستقرار أمنهما الداخلي. فمن الصعب نقل القيم الثقافية والحضارية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية لمجتمع ما، ومحاولة تطبيقها على مجتمع آخر مختلف عن الأول، فهذا يشكل تحد ومجازفة، ولعل الأوضاع المختلفة التي يعيشها الشعبين الشقيقين التونسي والمغربي إلى يومنا هذا أكبر دليل على ذلك.

- وتلتقي الشخصيتان في تمجيد دور العقل باعتباره أساس كل تقدم، فغيابه يؤدي إلى الانحطاط والتخلف فكلاهما يعتمد على العقل في فكره ونهجه، لكن بورقيبة كان إيمانه بالعقل مطلق حيث يجعله مصدر كل تقدم، ويمنحه الثقة المطلقة في تصورات، حتى انه أقدم على تحريف بعض مبادئ الدين الإسلامي اعتمادا على تصويره العقلي كما حدث مع صوم رمضان<sup>3</sup>، في حين أن علال يعتمد على العقل

<sup>1</sup> للمزيد أنظر: الطاهر بلخوجة، المصدر السابق، ص. 13.

<sup>2</sup> للمزيد أنظر: علال الفاسي، النقد الذاتي، المصدر السابق، ص. 207.

<sup>3</sup> للمزيد أنظر: الحبيب بورقيبة، الخطب، الجزء. 19، المصدر السابق، ص. 16.

بالموازاة مع أحكام الشرع ومبادئه فكل ما يتعارض مع الدين الإسلامي لا يعتد به فباب الاجتهاد عنده والمصالح المرسلّة تتسع لتنظيم كل المجتمع الإسلامي الحديث<sup>1</sup>.

- كما يركز الاثنان على ضرورة تعليم المجتمعات المغربية، من خلال توفير المرافق وتشجيع كل أفراد الشعب على التعلم، ومحاربة الجهل والأمية، لاقتناعهما بأهمية التعليم فهو أساس كل تقدم، والسبيل الأنجع للحاق بركب الدول المتقدمة، فالتعليم عند بورقيبة هو الثورة الحقيقية للفكر والسلوك الإنساني ولعل تخصيصه لثلث ميزانية الدولة للتعليم أكبر دليل على ذلك.

- هناك نقطة أخرى شكلت مجالاً لالتقاء فكر الزعميين وهي المرأة، فالمعلوم للجميع أن بورقيبة قد جعل من أهم ركائز سياسته في مجال إقامة الدولة الحديثة الاهتمام بالمرأة التونسية، فأعطاه من الحقوق والمكاسب والحرية، ما جعلها تنافس الرجل بل وتتفوق عليه في العديد من مجالات الحياة، حيث أقدم على سن مجموعة من القوانين عرفت بمجلة الأحوال الشخصية، التي تمنح امتيازات واسعة ومطلقة للمرأة التونسية، متأثراً بالفكر الغربي الحداثي الذي يساوي المرأة بالرجل في كل الميادين.

أما علال الفاسي فإنه يهتم بالمرأة ويعترف لها بحقوقها التي كفلها الشرع، بل ويجعلها شريك الرجل في أمور الدنيا، حيث لا يرى مانعاً من أن تشترك المرأة مع المسلمين في المشورة والاجتهاد وانتخاب الرؤساء حيث يقول: "ليس في الإسلام ما يمنع من اعتبار المرأة مشاركة في الشورى، ولا من مشاورتها والعمل برأيها إن أصابت...<sup>2</sup> كما أنه لا يمانع أن تتولى المرأة المناصب الإدارية والسياسية وغيرها، مثلها مثل الرجل إذا كانت مؤهلة لهذه المناصب.

<sup>1</sup> للمزيد أنظر: عبد الكريم غلاب، المصدر السابق ص. 137.

<sup>2</sup> للمزيد أنظر: احمد الريسوني، المرجع السابق، ص. 75، 76.

- يتفق الاثنان أيضا في قضية تعدد الزوجات، لكن مع الاختلاف في طريقة كالطرح والمعالجة، فبورقبيبة اصدر قرارا يمنع تعدد الزوجات في أوت 1956 والصادر في مجلة الأحوال الشخصية، بل وذهب إلى ابعد من ذلك حيث توعد كل مخالف لهذا القانون بالسجن والغرامة المالية، أما علال الفاسي فقد ظل يدافع عن رأيه هذا أي منع تعدد الزوجات، في كل مناسبة وحكومتها.

- وهناك نقطة أخرى مهمة اشترك فيها الزعيمين تمثلت في رفض استمرار التواجد الاستعماري بعد الاستقلال، وضرورة تعديل الحدود الموروثة عن الاستعمار، وان اختلفا الاثنان في طريقة الطرح إلا أن الهدف كان واحد، وذلك بالتصفية الفورية لبقايا الاستعمار وتوحيد البلاد واستعادة السيادة على كامل التراب الوطني للدولتين، حيث امن الزعيمان بأن حصول الجزء الأكبر من البلاد على الاستقلال السياسي، ما هو إلا خطوة نحو بناء دولة مستقلة حديثة، وأنه من الضروري تحرير باقي الأراضي التي ما تزال خاضعة للنفوذ الأجنبي.

- وفي هذا الصدد اعتمد بورقبيبة على سياسية التضييق على القوات الفرنسية المتواجدة بالتراب التونسي وذلك باتخاذ مجموعة من الإجراءات المختلفة في مرحلة أولى<sup>1</sup>، ثم قام بإعلان الحرب على فرنسا سنة 1961 لإجلاء قواتها عن بنزرت في مرحلة لاحقة<sup>2</sup>، وهو مانستشفه من مقتطفات خطابه الذي ألقاه يوم 17 جويلية 1961 " ... أنه لا أمل في توقيف المعركة وتأجيلها مهما تكن التكاليف إلى أن يتم الجلاء بالفعل...<sup>3</sup>."

<sup>1</sup> للمزيد أنظر: الهادي البكوش، المرجع السابق، ص. 46.

<sup>2</sup> للمزيد أنظر: محمد علي الفارصي، معركة بنزرت "بين التاريخ والذاكرة جويلية 1961"، الجزء 1، مجمع الأطرش للكتاب المختص، تونس، 2018، ص. 56، 57.

<sup>3</sup> للمزيد أنظر: الحبيب بورقبيبة، خطب، الجزء 18، المصدر السابق، ص. 163.

- في المقابل كان علال الفاسي ينادي بضرورة استعادة المناطق التي لا تزال تحت سيطرة الأسيان وتعديل الحدود مع الجزائر، حيث كان يرى أن الاستقلال يبقى ناقصا مادامت بعض أراضي المغرب تحت السيطرة الأجنبية<sup>1</sup>، ولعل ذلك ما جعله يؤسس جيش الزوكيت في الجنوب بهدف استعادة المناطق المغربية في الجنوب والشرق المغربي أي من الجزائر، كما سنوضح ذلك لاحقا، وقد صرح في هذا الصدد قائلا: "... إن إعلاني للمطالبة باسترجاع مناطق المغرب ووحدة ترابه اعتبر لدى الكثيرين تجاوزا لما يجب أن يقع..."<sup>2</sup>.

### ثانيا: أوجه الاختلاف

- بالرجوع إلى طبيعة المرجعيات الثقافية والسياسية وحتى الدينية للزعميين نجد افتراقا كبيرا بينهما، فالزعيم الحبيب بورقيبة انطلق من البعد الحضاري الغربي الأوربي كأساس ومرجعية لتحقيق الرقي والتقدم الحضاري ومواكبة الحضارة الغربية في نهضتها، والعمل في نفس الوقت على التخلص من التخلف والجمود الذي يعيشه المجتمع التونسي، محافظا على مبادئه اللاتينية ومتفتحا على العالم الخارجي، واضعا نصب عينيه مبادئ فلسفة الأنوار. أما الزعيم علال الفاسي فقد انطلق من البعد الحضاري العربي الإسلامي كأساس ومرجعية لتحقيق النهضة المغربية في إطارها العربي الإسلامي، ولكنه لا يرى مانعا من الاحتكاك بالحضارة الغربية، وأخذ ما يتوافق ويتلاءم مع عقيدتنا ومجتمعاتنا العربية والإسلامية من عادات وتقاليد وغيرها، في كل الميادين وخاصة في الجانبين السياسي والاقتصادي<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> للمزيد أنظر: علال الفاسي، منهج الاستقلالية، المصدر السابق، ص. 83.

<sup>2</sup> للمزيد أنظر: علال الفاسي، كي لا ننسى، (د. د. ن)، الرباط، المغرب، 1958، ص. أ.

<sup>3</sup> للمزيد أنظر: إدريس جنداري، المرجع السابق، ص. 75.



- إختلف الزعيمان في طبيعة الخيارات الاقتصادية المنتهجة في البلدين، حيث اختار كل واحد منهما نهجا مغايرا للآخر، فبورقيبة اعتمد على الإيديولوجية الليبرالية تارة ثم الاشتراكية تارة أخرى دون أن يحقق القفزة الاقتصادية المنشودة لبلاده، حيث أثبتت كلا التجربتين فشلها الذريع ولو بدرجة اقل بالنسبة للتجربة الليبرالية، أما علال الفاسي فقد اختار اسم التعادلية للتعبير عن فلسفته الاقتصادية والاجتماعية، وهي عبارة عن خلاصة جهاد ونضال وتظير في كل ميادين الحياة، ليخلص في النهاية إلى مجموعة من النظريات في التنظيم الاقتصادي والاجتماعي، هدفها الأساسي تحقيق الرقي الاقتصادي والقضاء على الجمود والتخلف وتحقيق أسس المبادئ وهو العدالة الاجتماعية، باعتباره الهدف المنشود لكل الإيديولوجيات رغم اختلاف الطرق والمناهج والسبل على غرار الرأسمالية والاشتراكية<sup>1</sup>.

- لكن تعادلية علال جعلت من التنظيم الاقتصادي الإسلامي أساس كل بناء أو تقدم اقتصادي، وهنا يبرز أيضا مدى تأثير التكوين الغربي والإسلامي للزعميين، في تبني كل منهما للتيار الاقتصادي الذي يراه مناسبا لتحقيق الرقي الاقتصادي، والقضاء على التخلف.

- كما أن هناك اختلاف في الطرح السياسي للرجلين، فبورقيبة الذي طالما تغنى بالديمقراطية كنظام سياسي ناجح لتحقيق الأمن والاستقرار والسعادة للشعب التونسي، سرعان ما حاد عن هذا المبدأ وأصبح يطالب بصلاحيات مطلقة في الحكم، معتبرا أن الديمقراطية سلاح خطير على حد تعبيره، فعمل على تكريس مبدأ الحزب الواحد، من خلال منع التعددية الحزبية وإلغاء الحريات وتكميم الأفواه، وتعطيل الصحافة الوطنية المعارضة، لينجح في النهاية في إقامة حكم فردي استبدادي.

<sup>1</sup> للمزيد أنظر: محمد السلوي أبو عزام، المصدر السابق، ص. 93، 95.

- في المقابل نادى علال الفاسي بتطبيق أحدث الأنظمة الديمقراطية التي لا تخالف أساس الشورى في الإسلام، مادامت لا تتعارض مع إرادة الشعب، ولا تميز طائفة أو مجموعة عن أخرى<sup>1</sup>. كما طالب بالتعددية الحزبية لأنها أساس نجاح الحياة السياسية، فالعامل المشترك بين الديمقراطية والإسلام يكمن في العدل والمساواة، فالإسلام دين إنساني كما يفسره علال الفاسي، أما مزايا الديمقراطية فهي حسب رأيه: "بان أفضل ما في الديمقراطية المساواة فلا طبقية معها، ولا تمايز"<sup>2</sup>، كما أن علال قد رفض فكرة الحكم المطلق وطالب بضرورة مسائلة الشعب للحاكم أو الملك، وضرورة مشاوره هذا الأخير لوزرائه في أمور وشؤون الحكم والدولة.

- في الجانب الديني غلب بورقيبة العقل على الدين، وأعطاه سلطة مطلقة في التشريع وإصدار الأحكام، كما تعامل مع شعائر الدين من زاوية مادية، على غرار الصوم والحج والزكاة... وغيرهم، أضف إلى ذلك مطالبته بفصل الدين عن الدولة باعتباره يشكل عائقاً أمام تقدم وتنطور الدولة، ويحد من مجارات الغرب في نهضتهم، ولعل ذلك ما يبرر تلك الفتاوى التي أصدرها في خطبه، والتي لم يقرها العلماء بل وذهبوا إلى حد تكفيره ومطالبته بالتوبة.

أما علال الفاسي فقد تعامل مع الدين كنظام صالح لكل زمان ومكان، ولم يبلغ دور العقل ولكن اشترط ألا تتعارض أفكاره مع تعاليم الدين الإسلامي، فباب الاجتهاد عنده مفتوح لإشراك العلماء المسلمين في التشريع<sup>3</sup>، أي أن الشريعة الإسلامية لا

<sup>1</sup> للمزيد أنظر: عبد الكريم غلاب، ملامح من شخصية علال، المصدر السابق، ص. 136.

<sup>2</sup> للمزيد أنظر: علال الفاسي، الديمقراطية وكفاح الشعب المغربي من أجلها، المصدر السابق، ص. 68.

<sup>3</sup> للمزيد أنظر: علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، ص. 61.

تعارض الطابع الوضعي للقوانين، ولعل ذلك من أبرز مميزات سلفية علال عن غيره، كما كان يرفض رفضا قاطعا فكرة فصل الدين عن الدولة<sup>1</sup>.

- كما يختلف الاثنان في تصورهما للدولة الحديثة، فالزعيم الحبيب بورقيبة ذي الطرح العلماني الممثل للنخبة الفرانكفونية، قد عمل على بناء الدولة الحديثة خارج الأطر الدينية، وبعيدا عن تأثير العروبة، ومن خلال القطيعة مع الماضي، وفي المقابل تمتين العلاقة مع الغرب<sup>2</sup>، معتمدا على آراء وأفكار أتاتورك، وشعارات الليبراليين والشيوعيين في تلك الفترة<sup>3</sup>. أما الزعيم علال الفاسي ذي الطرح الوطني العربي الإسلامي، فقد فهم الظاهرة الاستعمارية بعيدا عن الدوافع الاقتصادية وبغير معزل عن استمرار الحرب الصليبية، لذلك أعطى للدولة مفهوما سياسيا دينيا في بعده العربي الإسلامي، في حين تبني بورقيبة بعدا علمانيا.

- كما نجد أن هناك اختلافا في تصورهما للحدث، فالزعيم الحبيب بورقيبة يرى الحدث في تقبل الأفكار الجديدة في بعدها العقلاني - لاسيما وأنا نزعتة العقلانية قد طغت على تصوراته وأرائه الفكرية - بشكل يضع حدا للأفكار التقليدية، وهو بذلك يلتقي مع أفكار يورغن ابرماس الذي اقتنع بأن العقلانية هي مفيدة للمجتمع لكونها ستسمح بإعادة الإنتاج المادي للمجتمع<sup>4</sup>. أما الزعيم علال الفاسي فيرى الحدث في إحياء الماضي المتطور، أي في تجديد الفكر والرجوع إلى التركة التاريخية العربية الإسلامية، خاصة في المجال الديني، وبذلك نستطيع مواجهة تحديات الحدث.

<sup>1</sup> للمزيد أنظر: أحمد الريسوني، المرجع السابق، ص. 211.

<sup>2</sup> للمزيد أنظر: الطاهر بلخوجة، المصدر السابق، ص. 13، 14.

<sup>3</sup> Regadi: Lotfi Hajii, Bourguiba et L'islam, Sud Editions-Tunis, 2011, P. 88.

<sup>4</sup> للمزيد أنظر: عميرة علية الصغير، المرجع السابق، ص. 131.

- والملاحظ إن كلاهما لا يرفض الحداثة كفكرة لتطوير المجتمع المغربي وإنما لكل تصوره في طريقة تبنيتها وتجسيدها، فبورقوية العقلاني البرغماتي لا يضع للحداثة ضوابط أو حدود مادامت تحقق أهدافها المادية المرجوة، بينما علال يضع لها حواجز وضوابط دينية، تحترم حريات المجتمعات العربية الإسلامية وتصون عاداتها وتقاليدها. لذلك كانت السمات الرئيسية للفكر البورقوي مناقضة لفكر علال الفاسي، فالأول ركز على العقلانية بشكل مطلق، وانساق وراء بريق الحضارة الغربية، بينما الثاني جعل العقل في المرتبة الثانية بعد الدين، ومن مبادئ الحضارة العربية الإسلامية منطلقاً لكل أفكاره وتصوراتِهِ.

- كما يختلف الاثنان في تصورهما لنظام الحكم الذي سيسود بعد الاستقلال، فبورقوية سعا منذ الوهلة الأولى للاستقلال إلى تجريد الأسرة الحسينية الحاكمة من كل صلاحياتها تدريجياً، ثم عزلها في النهاية وأطاح بنظامها الملكي بطريقة مهينة ومخزية، معلناً عن تأسيس الجمهورية التونسية سنة 1957، وهو ما يؤكد طموحات بورقوية في السلطة وفي تولي قيادة البلاد التونسية منذ أمد طويل.

- أما علال الفاسي فلم يظهر أي نية للإطاحة بالملك المغربي، بل دافع عنه عندما نفته السلطات الفرنسية سنة 1953، وبعد الاستقلال كان من المؤيدين لاستمرار الملكية باعتباره خليفة المسلمين، ولكنه دعا إلى أن تكون ملكية دستورية، قائمة على أسس ديمقراطية سعياً منه لإقامة العدل والمساواة بين كافة طبقات الشعب المغربي، وكذا للحد من السلطة المطلقة للملك<sup>1</sup>. فعلال دافع لأجل إقامة نظام سياسي في المغرب يقوم على الملكية الدستورية، حيث أصر على ضرورة إعطاء العرش وصاحبه القيمة الحقيقية التي يقتضيها العهد الجديد، واعتبار الملك الحارس الأمين لسير

<sup>1</sup> للمزيد أنظر: أسيم القرقرى، المرجع السابق، ص. 130.

السلطة وأعمالها، ودعا إلى حتمية الاستفادة من تجارب الذين سبقوا المغرب في هذا المنحى والاتجاه، كالانجليز مثلا<sup>1</sup>.

- والملاحظ أيضا أن الحبيب بورقيبة بعد الاستقلال قد اعتمد على حزبه في عملية الاستيلاء على السلطة، حيث خاض العديد من المعارك مع خصومه معتمدا على تزكية ودعم حزبه الدستوري الحر، من خلال دعم مختلف أجهزته وهياكله. بينما علال الفاسي استغل حزبه في سبيل تطوير وتوسيع أجهزة الدولة وفي إقامة نظام جمهوري، ودعم النظام الحاكم للاستمرار في السلطة.

وفي الأخير يمكننا القول انه رغم نقاط التشابه بين الزعيمين في الفكر والسياسية إلا أن مجالات الاختلاف بينهما كانت أكثر، نظرا للمرجعية الثقافية والدينية والفكرية المتباينة والمختلفة بينهما، فالزعيم الحبيب بورقيبة قد بنا توجهه الفكري والإيديولوجي بالاعتماد على النمط الغربي الذي اعتبره أساس كل تقدم ورفي، وفي المقابل رفض كل التوجه العربي أو الإسلامي، ودعا إلى القطيعة مع الماضي لبناء الحاضر وفقا لمتطلبات الحياة العصرية الغربية، هذه الميزة أصبحت السمة البارزة في تاريخ الدولة التونسية الحديثة وتواصلت معها إلى يومنا هذا.

- أما الزعيم علال الفاسي فمرجعياته الثقافية والدينية والفكرية كانت إسلامية عربية بحتة، فهدفه الأول كان باستمرار بناء مجتمع مغربي جديد متحضر من دون قطع الصلة بالماضي السحيق المتطور. كما أن تصوره الفكري كان هدفه الأسمى القضاء على التخلف الذي يسود الأمة العربية عموما والمغربية على وجه الخصوص، وذلك من خلال الاعتماد على مبادئ الدين الإسلامي الصحيح، ومحاولة مواكبة التقدم

<sup>1</sup> للمزيد أنظر: أسيم القرقرى، المرجع السابق، ص. 130.

الحضاري للعالم الغربي دون التأثير ببريقه وزخرفه والذوبان في حضارته، وذلك لا يكون إلا بالمحافظة على الهوية الوطنية والانتماء الحضاري العربي الإسلامي.

# الفصل الرابع: دور الزعيمان في حركة التحرر المغاربية

المبحث الأول: دور الحبيب بورقيبة في حركات التحرر  
المغاربية

المبحث الثاني: دور علال الفاسي في حركات التحرر  
المغاربية

المبحث الثالث: تقييم دور الزعيمين وإبراز أوجه التشابه  
والاختلاف بينهما

أظهر الحبيب بورقيبة وعلال الفاسي مواقف هامة وبارزة في قضايا التحرر المغاربية، حيث حظيت هذه القضايا بعناية كبيرة من طرف الزعيمين، باعتبارهما جزءا من هذه البلدان التي تشكل وحدة طبيعية ودينية ولغوية، ويقطنها شعب واحد وأن فرقته الحدود والحواجز الاستعمارية، لذلك لم يدخرا أي جهد من أجل الدفاع عن شعوب هذه الأمة والمطالبة باستقلالها، سواء تونس أو المغرب أو الجزائر.

وقمنا في هذا الفصل بتوضيح الدور البارز للزعيمين في عملية تحرير البلدان المغاربية مع التركيز على الوسائل والطرق المعتمدة من قبل الزعيمين في الدفاع عن حرية هذه البلدان، عن طريق الدعم الداخلي في المجالين السياسي والعسكري، أو الدعم الخارجي في المجال الدبلوماسي من خلال التعريف بقضية هذه البلدان لدى الرأي العام العربي والإسلامي خاصة، والعالمية عامة، وأيضا لدى الهيئات الإقليمية والدولية، من أجل زعزعة أركان الاستعمار وفضح سياسته أمام شعوب العالم المناصرة للشعوب المستضعفة والمستعمرة الطامحة إلى التخلص من الهيمنة الاستعمارية واستعادة سيادتها وحريتها وتقرير مصيرها.

وفي الختام قمنا بتقييم نشاط الزعيمين كل على حدة، ثم أجرى مقارنة لدور وموقف كليهما من هذه القضايا.



## المبحث الأول: : دور الحبيب بورقيبة في حركات التحرر المغاربية

لم يدخر الحبيب بورقيبة أي جهد في سبيل الدفاع عن استقلال الشعوب المغاربية، وحقهم في استرجاع حريتهم وسيادتهم، على غرار الجزائر والمغرب، وسنكتفي هنا بعرض موقفه من القضية الجزائرية نظرا للعلاقة الوطيدة بينها وبين استقلال تونس من جهة، إضافة إلى عوامل أخرى سنفصل فيها أثناء الدراسة، أما بالنسبة للمغرب فإن الكتابات التاريخية عن دور بورقيبة في الحركة التحررية بالمغرب قليلة، خاصة إذا علمنا أنه كان بالمنفى بفرنسا منذ سنة 1952 إلى بداية سنة 1955 وقبل هذا التاريخ كان نشاط المغاربة موحد في القاهرة- مكتب المغرب العربي- عقب نهاية الحرب العالمية الثانية.

## أولاً: الحبيب بورقيبة والقضية المغربية:

لقد تجلت بعض مظاهر تضامن الوطنيين التونسيين مع إخوانهم ضحايا القمع الاستعماري بالمغرب في نوفمبر 1937، وذلك عقب حملات الإعتقال التي قامت بها السلطات الفرنسية ضد (علال الفاسسي، وحسن الوزاني، ومكوار واليزيدي وعبد الجليل وغيرهم)، وماتلا ذلك من أحكام بالسجن أو النفي، لذلك قرر المؤتمر الثاني للحزب الحر الدستوري الجديد، الذي إنعقد في نوفمبر سنة 1937 الدخول في إضراب تضامني ليوم 20 نوفمبر 1937. حيث أظهر الحبيب بورقيبة ورفاقه في الحزب إستياء من تصرف الإدارة الفرنسية إتجاه زعماء الحركة الوطنية في المغرب<sup>1</sup>.

كما أظهر الديوان السياسي للحزب الدستوري الجديد مرة أخرى تضامنه مع القضية المغربية، من خلال الإضراب التضامني الذي نظم يوم السبت 10 مارس 1951، حيث وجه نداءا ندد فيه بسياسة الضغط المسلطة على الشعب المغربي والسلطان محمد الخامس، كما أعلن رفضه لسلسلة التوقيفات التي طالت الوطنيين

<sup>1</sup> عميرة علية الصغير، اليوسفيون وتحرر المغرب العربي، المرجع السابق، ص. 182، 183.

المنخرطين في حزب الإستقلال، ومما جاء في هذا البيان مايلي: "إن الديوان السياسي المتمسك بمبدأ مقاومة الإستبداد مهما كان مصدره، والحريص على روابط الأخوة التي لا تنفصم بين شعوب المغرب العربي، يرفع احتجاجه الصارم على هذه المحاولة الجديدة التي ترمي إلى خنق الامة المراكشية، معلنا سخطه على الأساليب التي أستعملت لهاته الغاية... وهو يرفض بصورة خاصة التدابير الجائرة من إيقافات وانتقامات جماعية مسلطة على أعضاء حزب الإستقلال وأنصاره ويعلن تضامنه الوثيق معهم، ويوجه الديوان السياسي نداء للشعب التونسي ليعلن تضامنه الفعال مع الشعب المراكشي باضراب قومي يدوم يوم كامل (السبت 10 مارس 1951)"<sup>1</sup>.

هذه بعض الصور التضامنية التي أظهرها الحبيب بورقيبة من خلال حزبه الدستوري الجديد، إتجاه القضية المغربية.

### ثانيا: الحبيب بورقيبة والقضية الجزائرية

#### 1/ موقف الحبيب بورقيبة قبل اندلاع الثورة الجزائرية:

لقد أظهرت تونس تعاوننا وتضامنا فعالا ومتواصلا مع حركة التحرر بالجزائر، حيث أبدا بورقيبة مواقف مشرفة من القضية الجزائرية، من خلال تقديم النصح لزعماء الحركة الوطنية الجزائرية قبل وأثناء الثورة. ففي رسالة بتاريخ 29 جويلية 1946<sup>2</sup> وجهها لفرحات عباس<sup>3</sup> طالبه فيها بالالتحام بمصالي الحاج وبحزب الشعب الجزائري

<sup>1</sup> عميرة علية الصغير، المرجع السابق، ص. 190.

<sup>2</sup> أنظر الملحق رقم 13، رسالة بورقيبة الى عباس فرحات 29 جويلية 1946، ص. 406.

<sup>3</sup> مناضل وسياسي جزائري، ولد سنة 1899 بسطيف، إشتهر بالدعوة الى الإدماج مع فرنسا قبل الحرب العالمية الثانية، صاحب بيان فيفري 1943، مؤسس حزب الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري 1946، انخرط في الثورة الجزائرية سنة 1956، ترأس أول حكومة جزائرية مؤقتة سنة 1958-1961، شارك في المفاوضات مع فرنسا فكان مفاوضا بارعا، ترأس المجلس التأسيسي سنة 1962، عارض بن بلة بعد الإستقلال فسجن إلى غاية 1965، توفي سنة 1985. أنظر: سعيد جلاوي، الثورة الجزائرية من خلال مجلة الفكر 1955 - 1962، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر، 2009، ص. 28. وأنظر أيضا: يوسف حميطوش، المرجع السابق، ص. 106، 140.

لأن في ذلك نجاة الشعب الجزائري، وإن يبتعد عن وهم الاتحاد الفرنسي لأن ذلك مناورة من المناورات الاستعمارية ليس إلا<sup>1</sup>. كما دعا في رسالة إلى مصالي الحاج بتاريخ 22 جانفي 1959 قال له بأن: "التاريخ يحفظ أنه كان أب الوطنية الجزائرية وعبر له عن أسفه بأن يتم تجمع الجزائريين وتوحدتهم من أجل استقلالهم دون مصالي الحاج وربما ضده"<sup>2</sup>.

هذا الموقف الداعم للقضية الجزائرية، استمر معه حتى بعد استقلال تونس حيث يذكر عبد السلام القلال<sup>3</sup> أنه وجه سؤال للحبيب بورقيبة أثناء تواجده بباريس في فيفري 1955 قائلا له: "إن الإخوان الجزائريين يعتبرون أننا خذلناهم وتركناهم وحدهم في مواجهة جيش الإستعمار"، فرد بورقيبة بغضب شديد قائلا: "هم لا يفقهون السياسة، قل لهم إن تونس ستكون إلى جانبهم وستكون القاعدة الخلفية للمقاومة ومنها تمر المساعدات، قل لهم إن تونس ستكون إلى جانبهم وستكون القاعدة الخلفية للمقاومة ومنها تمر المساعدات وكذلك السلاح، ولن نتركهم وحدهم، والعبرة ليست بعدد المقاومين بل بصمودهم"<sup>4</sup>.

ثم صرح في أحد خطبه بتاريخ 22 مارس 1956 "لا أنام قرير العين مادام دم إخواننا الجزائريين يسيل"<sup>5</sup>. كما صرح في الحوار الذي نشرته جريدة العمل التونسية في

<sup>1</sup> مركز التوثيق القومي، قسم تونس، رقم الملف، A-3-37.

<sup>2</sup> عبد الحميد الأرقش، المرجع السابق، ص. 70.

<sup>3</sup> هو الاستاذ الحقوقي عبد السلام القلال من مواليد 1932 بصفاقس، بتونس تلقى تعليمه الثانوي بالمعهد الصادقي، والعالى بباريس حيث التحق بمعهد الحقوق بجامعة السوربون، ليحصل على الإجازة في الحقوق سنة 1960، مارس السياسة منذ شبابه، وكان من المناضلين في الحركة الطلابية وضمن المؤسسين للاتحاد العام لطلبة تونس، حيث استمر نشاطه فيه إلى غاية 1959، شغل عدة وظائف في الدولة أبرزها والي ولاية الكاف من سنة 1964 إلى شهر سبتمبر سنة 1969 ثم والي لولاية القصرين إلى غاية سنة 1970، ثم توجه إلى حياة المواطنة فاشتغل في سلك المحاماة. أنظر: عبد السلام القلال، المصدر السابق، ص. 23-47.

<sup>4</sup> عبد السلام القلال، المصدر السابق، ص. 49، 50.

<sup>5</sup> عمر الشاذلي، المصدر السابق، ص. 122.

16 أبريل 1956 حول أهمية استقلال تونس والمغرب بالنسبة للجزائر فرد قائلاً: "إنه وبدون استقلال الجزائر سيظل استقلال المغرب وتونس مجرد خدعة، وإن مستقبل شمال إفريقيا المزدهر يقوم على إتحاد دول المغرب العربي الثلاث"<sup>1</sup>.

من خلال هذه التصريحات نلاحظ اعتراف بورقيبة بأهمية استقلال الجزائر ويعبر ضمناً عن نيته في الدفاع عن القضية الجزائرية منذ الوهلة الأولى لاستقلال تونس، ويغض النظر على خفايا هذا الدعم المقدم لجبهة التحرير، والعقبات التي واجهته في كثير من الأحيان، فان بورقيبة قد جند مختلف الهيئات العسكرية والسياسية والاجتماعية الرسمية التونسية لصالح الجزائريين وثورتهم<sup>2</sup>، ومن أهم مظاهر هذا الدعم:

## 2/ دور الحبيب بورقيبة خلال الثورة الجزائرية:

### أ/ التسهيلات المقدمة لتمير السلاح:

واجهت الثورة الجزائرية منذ اندلاعها أكبر عقبة وهي مشكلة التمويل والتسليح، فأضحى الشغل الشاغل لقادة الجبهة هو كيفية الحصول على هذا الدعم حتى تستمر الثورة وتحقق هدفها المنشود، لذلك سعت قيادة جبهة التحرير الوطني منذ الوهلة الأولى لاستقلال تونس، إلى تمتين العلاقة مع الحكومة التونسية الجديدة<sup>3</sup>، والتي ترأسها في تلك الفترة الحبيب بورقيبة بعد استبعاد حكومة الطاهر بن عمار<sup>4</sup>. فقامت لجنة السلاح بتنظيم لقاء بتاريخ 27 أبريل 1956 ضم بعض قادة الثورة بالخارج وهم: محمد

<sup>1</sup> عبد الله مقلاتي، المرجع السابق، ص. 364.

<sup>2</sup> Meynier Gilbert. *Hadhri Mohieddine, L'urss Et Le Maghreb. De La Révolution D'octobre À L'indépendance De l'Algérie, 1917- 1962. In: Vingtième Siècle, Revue D'histoire, N°11, Juillet-Septembre 1986. Nouveaux Enjeux D'une Décennie : Fascismes, Antifascismes, 1935-1945, P. 147.*

<sup>3</sup> عبد القادر لعربي، تونس وعلاقتها مع بلدان المغرب العربي 1947-1980، رسالة دكتوراه كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة 9 أبريل 1999، تونس، ص. 151.

<sup>4</sup> المجلة التاريخية، العدد. 3، افريل 2013، ص. 12.

خيضر والدكتور الأمين دباغين وفرحات عباس وأحمد توفيق المدني وأحمد فرنسيس... وغيرهم وتم الاتفاق على مايلي:

- إقامة علاقات متينة مع الحكومة التونسية الجديدة التي يرأسها الحبيب بورقيبة من أجل تسهيل عمليات تمرير السلاح لفائدة الثورة الجزائرية عبر الأراضي التونسية.
- توكل مهمة استئجار سفينة من أمير التركية لنقل الأسلحة السورية إلى لجنة السلاح.
- التدخل لدى رئيس الحكومة الليبية مصطفى بن حليم، لتسخير بعض المطارات الليبية بالجنوب لتهرب السلاح نحو الجزائر<sup>1</sup>.

وقد كلف "محمد ليجاوي" للاتصال بالحبيب بورقيبة وجس نبضه حول مدى استعداداه لتقديم الدعم والعون للثورة الجزائرية، حيث استقبله بورقيبة بحفاوة كبيرة، واستجاب للمطالب المقدمة من طرف ممثل الجبهة، وأظهر تضامنه الفعلي مع الشعب الجزائري في كفاحه ضد الاستعمار الفرنسي، وقد تصدرت قضية التسليح قائمة المطالب<sup>2</sup>، وفي ذلك يقول محمد ليجاوي: "اتصلت ببورقيبة... فاستقبلني بحفاوة ومن أجل الحصول منه على المساندة الصريحة للثورة الجزائرية قدمت له عشرين مطالبا... استجاب لها الرئيس التونسي دون استثناء وبصدق حقيقي"<sup>3</sup>.

بعد هذا اللقاء تكلفت جهود جبهة التحرير الوطني بالنجاح، من خلال التوقيع على بعض الاتفاقيات مع الحبيب بورقيبة فيما يخص قضية الحصول على السلاح<sup>4</sup>،

<sup>1</sup> حفظ الله بو بكر، التموين والتسليح إبان ثورة التحرير الجزائرية 1954-1962، دار العلم والمعرفة، الجزائر، 2013، ص. 205.

<sup>2</sup> سعيد جلاوي، النظام البورقيبي وقضايا المغرب الغربي 1956-1987، المرجع السابق، ص. 200.

<sup>3</sup> Mohammed Lbjaoui, *Vérité sur La Révolution Algérienne*, Ed, Gallimard, Paris, 1970, P. 106.

<sup>4</sup> أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، الجزء. 3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1988، ص 149.

نذكر منها لقاء الأمين دباغين واحمد توفيق المدني مع ممثلين عن الحكومة التونسية وهما الطيب سليم والصادق مقدم في 1ماي 1956 حول إمكانية مرور السلاح من ليبيا عبر الأراضي التونسية نحو الحدود الجزائرية<sup>1</sup>، وتوج هذا اللقاء بتوقيع اتفاق سمي بـ "اتفاق مسلم" نسبة إلى الأحرف الأولى من أسماء الشخصيات الثلاثة الحاضرة في هذا والمذكورة سابقا بتاريخ 28 جانفي 1957، وقد صادق الحبيب بورقيبة على النص النهائي لهذا الاتفاق وأبرز ما جاء فيه:

- تتعهد الحكومة التونسية بالسهر على إيصال الأسلحة الجزائرية من الحدود التونسية إلى الحدود الجزائرية لأشخاص تحددهم وتعينهم جبهة التحرير الوطني.
- تتكفل لجنة مشتركة من عناصر جبهة التحرير الوطني وممثلين عن الديوان السياسي التونسي بنقل وحراسة هذه الأسلحة.
- تتعهد هذه الهيئة بعدم تسريب السلاح والذخيرة الجزائرية إلى التراب التونسي<sup>2</sup>.
- جميع معاملات نقل الأسلحة لا تتم إلا بواسطة المفوضين من الجبهة والديوان السياسي.
- تتشكل لجنة فنية من الطرفين (عضو يعينه الديوان السياسي، وعضو يعينه جبهة التحرير الوطني)، مهمتها العمل على تنفيذ بنود هذا الإتفاق<sup>3</sup>.
- تبدأ اللجنة أعمالها حال مصادقة الرئيس بورقيبة<sup>4</sup>.

والملاحظ من خلال الاتفاق أن بورقيبة قد كسب ثقة قادة جبهة التحرير الوطني من خلال تسهيل عملية نقل الأسلحة، وضمان وصولها بأمان إلى الثورة الجزائرية وبالتالي ضمن عدم تعاملهم مع الجناح اليوسفي المعادي للنظام البورقيبي، ومن جهة

<sup>1</sup> حفظ الله بو بكر، المرجع السابق، ص. 206.

<sup>2</sup> أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص. 152.

<sup>3</sup> عبد الله مقلاتي، العلاقات الجزائرية المغاربية إبان الثورة التحريرية 1954-1962، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، 2007، ص. 206.

<sup>4</sup> أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص. 278.

أخرى فرض سلطته على تحرك العناصر الجزائرية المتواجدة بالتراب التونسي، وبذلك وضع حداً لتنقلاتهم داخل تونس<sup>1</sup>. مع العلم أن الحكومة التونسية لم تزود الثورة بالأسلحة، لالتزامها بموقفها المعلن بأنّ السلاح لن يتسرب منه شيء للجزائريين، وهو ما أكدته التقارير الفرنسية التي أثبتت عدم العثور على أي قطعة سلاح تونسية لدى الجزائريين<sup>2</sup>.

كما أن بورقيبة من خلال هذا الاتفاق قد مكن هذه اللجنة من وضع أسس التعامل بين الطرفين، وهو ما يؤكد تقرير البعثة الجزائرية في تونس، الذي أظهر سبل الدعم والتسهيلات المقدمة في مجال حرية تنقل عناصر جيش التحرير وتسهيل تنقل الأشخاص والعنادر، ومعالجة الجرحى، وتأطير دعم الجالية الجزائرية مالياً وسياسياً وإدارياً، وحرية عبور الأسلحة كما أن هناك مخازن منتشرة في كامل البلاد التونسية<sup>3</sup>، وقد كلف بورقيبة لمتابعة ملف التنسيق مع جبهة التحرير الوطني قياديين في الحزب الحر الدستوري الجديد وهما "أحمد التليلي" و"الطيب المهيري" و"عبد الله فرحات" حيث كلفوا بتأمين تسريب السلاح القادم من طرابلس ومصر عبر تونس لوححدات جيش التحرير داخل تونس أو في الجزائر<sup>4</sup>.

ونورد هنا شهادة الفرنسيين أنفسهم حول مساندة بورقيبة للثورة الجزائرية، حيث يقول الجنرال سالان (*Salan*) في مذكراته: "لو لم تكن للثورة الجزائرية إمكانية التسليح والتدريب في تونس لانهارت، إن بورقيبة لا يكتف بمساندتها بل يشجعها ويدفعها"<sup>5</sup>. ونجد في قول الجنرال سالان الكثير من الحقيقة عن دور تونس وبورقيبة في دعم

<sup>1</sup> Mohammed Harbi, *Le F. L. N, Mirages et réalités, Les Editions, J. A/S. T. D, 1985, P. 210, 211.*

<sup>2</sup> الحبيب بورقيبة، خطب، الجزء 5، المصدر السابق، ص. 244، 245.

<sup>3</sup> أنظر إلى تقرير بعثة الحكومة الجزائرية المؤقتة حول "العلاقات الجزائرية التونسية" في:

Mohammed Harbi Et Gilbert Meynier, *LE F. L. N, Documente et Histoire 1954/1962, Ed, La Casbah, P. 860.*

<sup>4</sup> عميرة علية الصغير، المرجع السابق، ص. 243.

<sup>5</sup> نفسه، ص. 242.

الثورة الجزائرية، وفي عملية تمرير السلاح للثورة، على غرار ما ذكرنا سابقا، وما سيأتي الحديث عنه لاحقا. حيث تشير بعض التقارير أن جمعية تالة كانت تنقل الأسلحة عبر شاحنات الحرس الوطني إلى الثوار الجزائريين<sup>1</sup>.

ولم يكن الرئيس الحبيب بورقيبة يمانع مرور شحنات الأسلحة القادمة من الصين والاتحاد السوفياتي باتجاه الجزائر عبر الأراضي التونسية، حيث قال في 7 أكتوبر 1960 بهذا الصدد: "إن الأسلحة ترد إلى الجزائريين من الصين أو من الاتحاد السوفياتي وإنما لا نستطيع أمام ضمائرنا أن نمنع مرورها من ترابنا... وقد أصبحنا نعتقد أن فرنسا عاجزة عن إنهاء الحرب الجزائرية وعن فض المشكل الجزائري"<sup>2</sup>.

لقد فتحت الحكومة التونسية الباب على مصرعيه أمام قوافل السلاح المتجهة للتراب الجزائري، فأصبحت المراكز الحدودية على طول الشريط الحدودي الشرقي تمتلك مخزونا كبيرا من الأسلحة والذخيرة، وقدمت كل التسهيلات الممكنة وجميع المستلزمات التي يحتاجها جيش التحرير من أسلحة وعتاد وتجهيزات، وكانت المساعدات تقدم دون عراقيل أو صعوبات، كما منحت حكومة بورقيبة إلى جيش التحرير الوطني خمس شاحنات عسكرية كهدايا<sup>3</sup>، وأصبح جيش التحرير بتونس يمتلك 25 شاحنة لنقل الأسلحة، وقد نقلت هذه الشاحنات ما بين سنوات 1960 و1962 ما يزيد عن 1300 طن من السلاح والذخائر إلى المراكز الحدودية<sup>4</sup> وتفيد العديد من التقارير إلى قوافل الأسلحة المتجهة إلى الفرق الجزائرية القريبة من الحدود، فعلى سبيل

<sup>1</sup> أرشيف المعهد الأعلى لتاريخ تونس المعاصر، البكرة رقم، S، 504، التقرير 657، بتاريخ 5 مارس 1957 ص. 591.

<sup>2</sup> الحبيب بورقيبة، خطب، الجزء. 11، المصدر السابق، ص. 154.

<sup>3</sup> حفظ الله بو بكر، المرجع السابق، ص. 200.

<sup>4</sup> نفسه، ص. 227.



المثال سجل بتاريخ 2 مارس 1957 وصول قافلة مكونة من 10 جمال إلى الريف محملة بالأسلحة قادمة من بن قردان<sup>1</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن عمليات الإمداد بالسلح عرفت تطورا محكما مع منتصف شهر ماي من سنة 1957، إذ أصبح معدل مرور قوافل السلاح يوميا تقريبا، لاسيما بعد نقص المراقبة الفرنسية في الموانئ التونسية، إضافة إلى التنسيق المحكم بين ممثل جبهة التحرير الوطني في تونس وممثلي بورقيبة وعلى رأسهم "أحمد التليلي" أمين الحزب الدستوري التونسي، حيث سخر بورقيبة شاحنات الحرس التونسي لنقل شحنات الأسلحة العابرة للحدود التونسية نحو مراكز التخزين في القواعد الحدودية<sup>2</sup>.

وعلى الرغم من تدفق كميات كبيرة من السلاح الموجه للثورة الجزائرية عبر الأراضي التونسية فقد حدثت مشاكل وهزات عنيفة منذ صيف 1958، مثل أزمة ايجلي والكاف، حيث عرفت عمليات تمرير الأسلحة رقابة مشددة وتم تعطيلها في كثير من المرات، كما صودرت أيضا كميات معتبرة منها خلال نفس الفترة، بسبب توتر وتأزم العلاقات بين ممثلي الجبهة والرئيس بورقيبة، ولم تعرف تحسنا حقيقيا إلا في بداية سنة 1960 حيث عادت قوافل السلاح للمرور عبر الأراضي التونسية<sup>3</sup>، ثم توجت بتوقيع اتفاقية بين ممثلي الحكومة الجزائرية المؤقتة والحكومة التونسية، في ديسمبر 1960 والمتعلقة بإعفاء سلع وتجهيزات جيش التحرير الوطني من الضرائب والرسوم الجمركية<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> أرشيف المعهد الأعلى لتاريخ تونس المعاصر، البكرة رقم، S، 504، التقرير 887، بتاريخ 26 مارس 1957 ص. 365.

<sup>2</sup> حفظ الله بوبكر، المرجع السابق، ص. 200.

<sup>3</sup> مراد صديقي، الثورة الجزائرية عمليات التسليح السرية، ترجمة: أحمد الخطيب، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2010، ص. 55.

<sup>4</sup> روبيير ميرل، مذكرات أحمد بن بلة، كما أملاها على روبيير ميرل، ترجمة: العفيف الأخضر، ط. 3، دار الآداب، بيروت، لبنان، 1983، ص. 100.

ب/ الدعم العسكري:

لم يقتصر دعم الحكومة التونسية للثورة الجزائرية في مجال التسليح فقط، بل عرف تسهيلات معتبرة في الجانب العسكري نوجزها فيما يلي:

- وضع بعض ثكنات الحرس الوطني التونسي ومكاتب بعض الفدراليات التونسية تحت قيادة جبهة التحرير الوطني مثل "تكنة المقطر" "بسوق الأربعاء".
- تسخير بعض المواني والمطارات التونسية لخدمة الثورة الجزائرية كميناء تونس وسوسة ومطار تونس العاصمة.
- تزويد السلطات التونسية للوحدات العسكرية الجزائرية بالأسلحة والعمل على إيوائها عند الضرورة.
- تقديم كل التسهيلات الممكنة لشحنات الأسلحة القادمة من المشرق العربي والموجهة إلى الثورة الجزائرية<sup>1</sup>.
- سمحت بإنشاء مراكز للتدريب والتمركز على طول الحدود وفي المناطق الداخلية ومنها باجة والذي افتتح سنة 1956، وتم تحويله إلى مركز لرعاية المسنين والمرضى والمرهقين من جنود جيش التحرير<sup>2</sup>، الذين بلغ عددهم حوالي 20000 جندي يقيمون على الأراضي التونسية<sup>3</sup>. إضافة إلى مركز قرن حلفاية بأحواز الكاف وجبل الزيتون، ووادي مليز وشامتو، شرق غار الدمان ومركز وادي ملاق على بعد أربعة كلم من مدينة الكاف<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> أرشيف المعهد الأعلى لتاريخ تونس المعاصر، البكرة رقم، S، 371، التقرير 766، بتاريخ 9 ماي 1957، ص. 122.

<sup>2</sup> أرشيف المعهد الأعلى لتاريخ تونس المعاصر، البكرة رقم، S، 371، التقرير 786، بتاريخ 9 ماي 1958، ص. 8.

<sup>3</sup> حفظ الله بويكر، المرجع السابق، ص. 200.

<sup>4</sup> أرشيف المعهد الأعلى لتاريخ تونس المعاصر، المصدر السابق، ص. 8.

• كما سمح النظام البورقيبي لقادة الثورة بإقامة مدارس للتدريب وتكوين الضباط، ومراكز للراحة والعلاج.

• أما في مجال الدعم اللوجستيكي فقد وفرت الحكومة التونسية منذ مجيء بورقيبة للسلطة مصادر التموين وضمان النقل والإقامة والتسليح، حيث تحدثت العديد من التقارير عن وجود مراكز للمجاهدين في معظم المدن التونسية منها مركزان بالكاف وتاجروين<sup>1</sup>. وهو ما أكده محمد ليجاوي في قوله: "إن المغرب وتونس المستقلتين أصبحتا ليس فقط ملجأً آمناً بل كذلك قاعدة لوجستكية لكفاح جبهة التحرير"<sup>2</sup>.

### ج/ الوساطة التونسية والدعم والدبلوماسية للقضية الجزائرية:

في إطار تضامنها مع الثورة الجزائرية قامت الحكومة التونسية بالسعي لإيجاد حل للقضية الجزائرية سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي أو باعتماد أسلوب الوساطة في كثير من الأحيان بين الطرف الفرنسي والجزائري. ولأن الحديث في هذا المجال يطول سنكتفي بالتطرق إلى المساعي السياسية والدبلوماسية المبذولة من طرف الحكومة التونسية خلال الثورة، على مستوى الهيئات الدولية أو الإقليمية، أو على مستوى الدولي من خلال زيارته ولقاءاته المتعددة، إضافة إلى مساعي الوساطة التي بذلها الحبيب بورقيبة في سبيل تسوية القضية الجزائرية، مع التطرق إلى بعض الأزمات التي أثرت على الدعم البورقيبي المقدم للثورة الجزائرية.

### • بورقيبة وتفعيل المؤتمرات المغاربية لحل القضية الجزائرية

لقد كان التضامن الشعبي والحكومي المغربي والتونسي مع الثورة الجزائرية عاملاً مهماً في تزايد الضغط الفرنسي من جهة، وتزايد الاعتداءات المتكررة على أراضي

<sup>1</sup> أرشيف المعهد الأعلى لتاريخ تونس المعاصر، البكرة رقم، S، 503، التقرير 140، بتاريخ 25 جانفي 1958، ص. 311.

<sup>2</sup> محمد ليجاوي، حقائق عن الثورة الجزائرية، دار الفكر الحر، باريس، 1971، ص. 134.

الدولتين من جهة أخرى وذلك منذ مطلع سنة 1958<sup>1</sup>. حيث تعرضت ساقية سيدي يوسف إلى الاعتداء والقصف من طرف القوات الفرنسية في 8 فيفري 1958، مخلفة حصيلة ثقيلة من الأرواح بلغت 130 قتيل و 401 جريح جزائريون وتونسيون<sup>2</sup> فاختلقت دماء الجزائريين بدماء الشعب التونسي، فكانت هذه الحادثة عاملا مهما في تعزيز الشعور بوحدة المصير عند المغاربة، وضرورة التفكير في مشروع يوحدتهم<sup>3</sup>، من خلال الدعوة إلى عقد قمة مغاربية، فباركها بورقية ودعمها، ومنح الضوء الأخضر للوفد التونسي المشارك في هذه القمة بقيادة الباهي لدغم، لتقديم الدعم المطلق للثورة الجزائرية، وتعزيز سبل التضامن المغاربي.

✓ **مؤتمر طنجة:** لقد تجسدت آمال المغاربة الوحدوية في انعقاد مؤتمر طنجة سنة 1958 بالمغرب، فكان بحق محاولة جادة لبلورة معاني الاستقلال والتحرر والكفاح المشترك ولتوحيد الطاقات النضالية في هذه الرقعة من الوطن العربي<sup>4</sup>، وذلك بحضور وفود الأحزاب المغاربية الثلاث<sup>5</sup>: حزب الاستقلال المغربي والحزب الدستوري التونسي الجديد وجبهة التحرير الوطني الجزائري في "قصر مارشال"<sup>6</sup>.

فكان المؤتمر حدثا مدويا وحاسما للشعوب المغاربية، إذ بعث فيهم روح التضامن والتلاحم من جديد. ففكرة عقد المؤتمر لم تكن وليدة عام 1958، إنما كانت فكرة

<sup>1</sup> فيرنز روف، المرجع السابق، ص. 191.

<sup>2</sup> Hédi Baccouche, *En Toute Franchise* Sud Editions, Tunis, 2018, P. 163.

<sup>3</sup> Hédi Baccouche, *L'Agression Françaises Contre Sakiet Sidi-Youssef Les Faits Et Les Suites*, Ed, 2008, Tunis, P. 34,35.

<sup>4</sup> المجاهد، العدد. 1191، بتاريخ 3 جوان 1983، ص. 16، 19.

<sup>5</sup> حضر المؤتمر عن تونس: الباهي لدغم، الطيب المهيري، عبد الله فرحات، عبد المجيد شاكرا، أحمد التليلي، علي البلهوان.

وعن الجزائر: فرحات عباس، عبد الحميد مهري، عبد الحفيظ بوصوف، أحمد فرنسيس، أحمد بومنجل، رشيد قايد. وعن المغرب: علال الفاسي، أحمد بلافريج، عبد الرحيم بوعبيد، المهدي بن بركة، بوبكر القادري، محجوب بن صديق، والفقبة البصيري. أنظر: معمر العايب، مؤتمر طنجة...، المرجع السابق، ص. 127.

<sup>6</sup> المجاهد، العدد. 1191، بتاريخ 3 جوان 1983، ص. 19.

راودت الزعيمين الحبيب بورقيبة ومحمد الخامس منذ قمة تونس في أكتوبر 1956 التي أعقبت القرصنة الفرنسية لطائرة الوفد الخارجي الجزائري،، حيث سعى الزعيمان مجددا لإحياء الفكرة خلال الاجتماع الثنائي الذي جمعهما في الرباط في 20 نوفمبر 1957، للتشاور وإيجاد حل للقضية الجزائرية<sup>1</sup>، مما جعل قادة حزب الاستقلال يتبنون الفكرة ويسعون إلى تجسيدها على أرض الواقع، من خلال تكثيف الاتصالات مع قادة الحزب الدستوري التونسي الجديد، لتتوج بعد عقد عدة اجتماعات بين الطرفين من 19 إلى 22 مارس، إلى عقد مؤتمر بمدينة طنجة المغربية.

وخرج هذا المؤتمر بقرارات هامة لصالح القضية الجزائرية، حيث أعلن حق السيادة والاستقلال التام للجزائر، وهو الشرط الوحيد لحل النزاع الفرنسي الجزائري<sup>2</sup>، كما اقر مساندة الأحزاب السياسية المغاربية وتأييدها الكامل للشعب الجزائري، الذي يكافح من أجل استقلاله<sup>3</sup>. وقد تقرر أن يلتقي ممثلو الأحزاب الثلاث في مدينة المهديّة بتونس في شهر جوان 1958 وذلك لتنفيذ قرارات مؤتمر طنجة<sup>4</sup>. (وسنتطرق لاحقا بالشرح والتفصيل لأحداث وقرارات وأبعاد هذا المؤتمر).

✓ **مؤتمر المهديّة:** انعقد الاجتماع في مدينة المهديّة بتونس من 17 إلى 20 جوان 1958، وحضره ممثلون عن حكومتي تونس والمغرب وأعضاء القيادة الجزائرية، تقرر من خلاله القيام بحملة دبلوماسية تونسية مغربية، الغرض منها إيجاد حل سلمي للقضية الجزائرية، كما تقرر أيضا رفض عروض ديغول الإدماجية في الجزائر،

<sup>1</sup> معمر العايب، المرجع السابق، ص. 125.

<sup>2</sup> رضا ميموني، المرجع السابق، ص. 105.

<sup>3</sup> عبد الله مقلاتي، العلاقات الجزائرية المغاربية إبان الثورة الجزائرية، الجزء 2، دار بوسعادة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص. 217.

<sup>4</sup> نبيل أحمد بلاسي، الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1990، ص. 198.

وطالب وفد جبهة التحرير الوطني تنفيذ مقررات طنجة<sup>1</sup>. وقد تناول المؤتمر النقاط التالية:

- دراسة مسألة إقامة الهيئات التي نص عليها مؤتمر طنجة (الأمانة الدائمة، المجلس الاستشاري).

- تأكيد ما جاء في مؤتمر طنجة ومنها: مساعدة الجزائر، جلاء قوات الاحتلال من بلدان المغرب العربي، إدانة سياسة ديغول، توحيد المواقف في الأمم المتحدة.

- اعتبار استقلال الجزائر هو الحل الوحيد للنزاع الفرنسي الجزائري.

- دراسة قضية إنشاء حكومة جزائرية<sup>2</sup>.

وأسندت رئاسة الندوة إلى فرحات عباس، وقد تقرر أن تكون جلساتها سرية وأن لا تصاغ القرارات في محاضر الجلسات، والاكتفاء فقط ببعض الملاحظات. وقد أظهرت الحكومتان المغربية والتونسية تنصلا من توصيات ومقترحات مؤتمر طنجة فيما يخص الدعم المالي للثورة الجزائرية، حيث تبين للوفد الجزائري أن الحكومتين التونسية والمغربية لم تأخذا المسألة بجدية، وما يقومان به فقط هو العمل على استعطاف الهيئات الدولية من أجل إغاثة اللاجئين الجزائريين<sup>3</sup>. كما طالبتا من الوفد الجزائري التريث في تكوين حكومة جزائرية في المنفى لان الظرف غير موات.

وقد تعددت التأويلات حول نتائج هذا اللقاء فهناك من رأى أن المغرب وتونس قد حادتا عن طموحات وأمال مؤتمر طنجة، بينما أكد البعض الآخر على أهمية هذه الندوة، وأنها قد حققت نصرا للقضية الجزائرية، إذ مكنت مسؤوليها من تبليغ رسالتهم

<sup>1</sup> فيرنز روف، المرجع السابق، ص. 202.

<sup>2</sup> جريدة العمل، العدد. 889، بتاريخ 2 سبتمبر 1958.

<sup>3</sup> عبد الله مقالتي، المرجع السابق، ص. 226.

للمغاربة خاصة والعرب عامة<sup>1</sup>، إلا أنّ الأحداث التي أعقبت هذه القمة قد كشفت فشل هذه الندوة في تحقيق طموحات جبهة التحرير الوطني والشعوب المغاربية، لاسيما بعد الكشف عن توقيع بورقبيبة لاتفاقية اقتصادية مع فرنسا<sup>2</sup>.

كما أظهرت أيضا عدم تحمس بورقبيبة لفكرة إنشاء حكومة جزائرية مؤقتة، إلا انه سارع إلى الاعتراف بها عند تأسيسها في 19 سبتمبر 1958 ومكنها من مقر في تونس<sup>3</sup>. وقد علل بورقبيبة اعترافه بها قائلا: "أخذا مني للنوايا السائدة في الشرق الأوسط بعين الاعتبار، لم يكن من المستحسن ترك الجزائر لا يعترف بها إلا في بلدان المعسكر الشرقي. الاعتراف يبقى على الفرص ويترك الباب مفتوحا أمام الغرب لإيجاد الحل"<sup>4</sup>.

ما يفهم من اعتراف بورقبيبة بالحكومة الجزائرية المؤقتة بأنه رسالة مشفرة إلى فرنسا ومن ورائها العالم الغربي، حتى لا يقطع العلاقة بديغول وقد دخلت مرحلة المفاوضات بينهما لجلاء القوات الفرنسية عن التراب التونسي مرحلة متقدمة، ويبقى على استمرار دعم الغرب، بتصديه لمطامع الشرق في المنطقة، وقبل كل هذا حتى لا تتأخر تونس عن ركب الدول العربية المعترفة بحكومة الجزائر، وحتى يكسبها إلى صفه، ويحدث القطيعة بينها وبين نظام جمال عبد الناصر.

#### • مساعي تونس الدبلوماسية لنصرة القضية الجزائرية:

لقد حرص الرئيس بورقبيبة بعد توليه السلطة في تونس على تعزيز مكانتها الدولية والرفع من رصيدها في المجتمع الدولي، خاصة بين الدول الغربية والإفريقية وحتى

<sup>1</sup> بشير سعدوني، الثورة الجزائرية في الخطاب العربي، الجزء 2، دار مداني للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص. 100.

<sup>2</sup> الباجي قايد السبسي، المصدر السابق، ص. 314.

<sup>3</sup> عمر الشاذلي، المصدر السابق، ص. 126.

<sup>4</sup> فيرنز روف، المرجع السابق، ص. 206.

الأسبوية، ثم سعى إلى توظيف هذا الرصيد لكسب الدعم الخارجي لصالح القضية الجزائرية، خاصة في المحافل الدولية والهيئات العالمية والإقليمية، وقد بذلت الدبلوماسية التونسية جهود معتبرة في هذا المجال، رغم العراقيل والمشاكل التي اعترضتها سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي<sup>1</sup>.

منذ الوهلة الأولى لانضمام تونس لهيئة الأمم المتحدة في 12 نوفمبر 1956 سعت جاهدة للدفاع عن القضية الجزائرية والعمل للتعريف بها وتدويلها، وإقناع الدول الأعضاء في الهيئة بعدالتها وشرعيتها، فالرئيس التونسي الحبيب بورقيبة لم يدخر أي جهد للدفاع عنها في مختلف منابر الهيئة أو على المستوى الأوربي أو الافرو أسويي أو الأمريكي. كما لعبت البعثة الدبلوماسية التونسية دورا مهما داخل أروقة هيئة الأمم المتحدة، للتأثير على موقفها وقراراتها بشأن تصفية بقايا الاستعمار الأوربي في العالم الثالث عموما، وشمال إفريقيا والجزائر على وجه الخصوص، من خلال كسب حلفاء يعترفون بعدالة المشكل الجزائري، وحقه في تقرير مصيره<sup>2</sup>.

ولكنه أيضا دافع عن علاقة تونس بفرنسا واعترف بفضلها في التصويت لصالح تونس في هيئة الأمم المتحدة حيث صرح علنا: "رأينا من المناسب أن نعترف بالحق فقد وافقت فرنسا على قبولنا في هيئة الأمم المتحدة الذي وقع بالإجماع وساعدتنا على الوصول إلى ما نحن فيه من سيادة واستقلال" ويضيف: "... نحن لا نريد أن نخرج من نطاق التعاون مع فرنسا". وهذا حال الدول حديثة الاستقلال، فالجزائر حتى اليوم مرتبطة بفرنسا اقتصاديا وثقافيا وسياسيا<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> حبيب حسن اللولب، التونسيون والثورة الجزائرية، الجزء 1، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص. 460.

<sup>2</sup> جريدة الصباح، 7 فيفري 1957.

<sup>3</sup> محمد علي القارصي، المرجع السابق، ص. 37، 38.



فالحبيب بورقيبة لم يفوت فرصة عرض القضية الجزائرية في دورة الأمم المتحدة المنعقدة من 12 نوفمبر 1956 إلى 8 مارس 1957، ليلقي خطابا مطولا انتقدا فيه الصمت الدولي ضد الجرائم الفرنسية في حق الشعب الجزائري الأعزل، حيث قال: "نحن نشاهد اليوم حربا طاحنة تدور رحاها في الجزائر ضد شعب أبي لا ذنب له سوى تعلق إرادته بالتخلص من السيطرة الأجنبية، وتشدها أمم العالم الحر منذ ما يزيد عن سنتين في غير اكرثات، وهي مجزرة فظيعة تبيد كل يوم شبابا من الجزائر"<sup>1</sup>.

ثم قدم مقترحا يتكون من ثلاث نقاط لعلاج القضية الجزائرية: "والحل الذي ننشده يمكن أن يتم بمراحل، كأن يتحقق أولا وقف القتال وثانيا إرسال قوة بوليس دولي وثالثا إرسال لجنة وساطة مؤلفة من ثلاث أو أربع شخصيات تسعى للبحث عن شروط وقف القتال... تحت ضمان الأمم المتحدة"<sup>2</sup>. فخطة بورقيبة من وراء ذلك كانت تهدف إلى تحميل هيئة الأمم المتحدة مسؤولية ما يحدث في الجزائر من انتهاكات لحقوق الإنسان، باعتبارها راعي السلام في العالم، وفي نفس الوقت دفعها إلى تدويل القضية الجزائرية، وإخراجها من دائرة الصراع الثنائي، مقترحا حلولا سلمية لحل المشكل الجزائري برعاية أممية ودولية.

ثم قام المنجي سليم يوم 6 فيفري من نفس السنة بمساعي حثيثة لدى وفد الكتلة الإفريقية والآسيوية لتقديم لائحة مشتركة موجهة إلى اللجنة السياسية التابعة للأمم المتحدة<sup>3</sup> هذا نصها: "تلفت نظركم إلى الحالة المضطربة وإلى الكفاح الجاري في الجزائر والذي سبب آلاما بشرية عديدة تعكر التالف بين الأمم، ولهذا نطالبكم بالاعتراف بحق الجزائر في تقرير مصيرها بنفسها طبقا لمبادئ وميثاق الأمم المتحدة"

<sup>1</sup> جريدة الصباح، 23 نوفمبر 1956.

<sup>2</sup> نفسه.

<sup>3</sup> حبيب حسن اللولب، المرجع السابق، ص. 449.

ثم أضاف قائلاً: "إن الجزائر لم تكن فرنسية في يوم من الأيام"<sup>1</sup> ضاربا عرض الحائط ادعاءات فرنسا القائلة بان الجزائر جزء لا يتجزأ من أراضيها.

ولم تتوقف المساعي الدبلوماسية التونسية في هيئة الأمم المتحدة عند هذا الحد، بل تواصلت خلال جميع دوراتها إلى غاية إعلان استقلال الجزائر، مقدمة أمثلة في التضامن والتآخي والدعم للقضية الجزائرية، مما دفع بوفد الحكومة المؤقتة إلى إرسال برقية امتنان من نيويورك إلى الرئيس الحبيب بورقيبة جاء فيها: "يطيب لنا أن نعبر لفخامتكم باسم وفدنا وباسمنا الخاص عن عظيم ارتياحنا للبيان الهام الذي ألقاه أخونا "المنجي سليم" بالجمعية العامة للأمم المتحدة، وإننا نعتبر خطابه القيم حول المشكل الجزائري مساهمة ذات أهمية كبرى لفائدة نجاح القضية الجزائرية والمغرب العربي، وتفضلوا يا فخامة الرئيس بقبول احتراماتنا الفائقة من كريم بلقاسم واحمد فرنسيس"<sup>2</sup>.

للتواصل جهوده الدبلوماسية سواء من خلال مشاركته المباشرة في اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة أو من خلال نشاط البعثة التونسية، الممثلة لدولته، حيث كللت هذه الجهود، إضافة إلى جهود جبهة التحرير الوطني والدول الصديقة للثورة بنجاحات باهرة، يأتي في مقدمتها تدويل القضية الجزائرية ثم رفعها إلى مجلس الأمن محققة بذلك نصرا دبلوماسيا كبير. وذلك بعد تشكيل الكتلة لجنة لمتابعة القضية الجزائرية برئاسة تونس، هذه الأخيرة أعدت تقريرا ووجهت مذكرة إلى الأمين العام للأمم المتحدة يوم 26 فيفري 1958 وضحت فيه الآثار السلبية التي ترتبت عن إنشاء منطقة محرمة على طول الحدود التونسية الجزائرية وطرد وتشريد الأهالي الجزائريين من أراضيهم<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> جريدة الصباح، 7 فيفري 1957.

<sup>2</sup> جريدة الصباح، 27 نوفمبر 1959.

<sup>3</sup> عمر الشاذلي، المصدر السابق، ص. 124.

إن إدراك بورقيبة لحقيقة مهمة وهي إن استقلال تونس يبقى ناقصا مادامت الحرب في الجزائر لا تزال مستمرة تحصد الآلاف من أرواح التونسيين والجزائريين على السواء جعلته يسخر كل إمكانياته لكسب المعركة<sup>1</sup>، فهو يحسن دائما استغلال الفرص لصالح دولته، كما حدث ذلك بعد قصف فرنسا لساقية سيدي يوسف في 8 فيفري 1958<sup>2</sup>، حيث تمكن من جعل هذا الحدث يتصدر الإعلام والسياسة الدولية ولا أدل على ذلك من رد فعل "فoster دلاس" في 11 فيفري 1958 حيث صرح قائلاً: "إن هذا الحدث يؤكد بطريقة قطعية أنه من الصعب التفريق بين المشكلة الجزائرية ومشكلتي تونس والمغرب"<sup>3</sup>.

حيث وظف بورقيبة هذا الحدث لصالح القضية الجزائرية عند استقباله يوم 25 فيفري 1958، للجنة الوساطة الأمريكية البريطانية<sup>4</sup>، فطالب بانسحاب الجيوش الفرنسية من كامل التراب التونسي، وحل القضية الجزائرية التي اعتبرها مصدر كل الحوادث، ورفض بورقيبة المقترح الفرنسي بنشر قوات دولية لمراقبة الحدود مع الجزائر حيث اشترطت جبهة التحرير الوطني أن يكون الاستقلال شرطاً أساسياً في اللقاء<sup>5</sup>، حيث رد بقوله: "أنت تعلم أن الجزائر ستستقل وقد شعر الفرنسيون أنفسهم بذلك ... تريدني أن اعرض للخطر مستقبل العلاقات التونسية الجزائرية، وأن أعرض للخطر

<sup>1</sup> فيرنر روف، المرجع السابق، ص. 232، 233.

<sup>2</sup> Hédi Baccouche, *L'Agression Française Contre Sakiet Sidi-Youssef*, Op-Cit, P. 7.

<sup>3</sup> عمر الشاذلي، المصدر السابق، ص. 124.

<sup>4</sup> بعد قصف ساقية يوسف التونسية، وبعد إعلان بورقيبة حجز الجيش الفرنسي في تكاناته وهدد برفع شكوى إلى مجلس الأمن، تدخلت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا بمساعي دبلوماسية، في 15 فيفري 1958 لاقى ترحاباً من الحكومة التونسية والفرنسية، حيث تم إرسال لجنة مشتركة مثلها عن الجانب الأمريكي، روبرت مورفي Robert Murphy المستشار الدبلوماسي بوزارة الخارجية الأمريكية، وهارولد بلي Harold Belley مساعد وزير الخارجية البريطانية، المكلف بشؤون الشرق الأوسط. أنظر: عمر الشاذلي، المصدر السابق، ص. 125.

<sup>5</sup> حبيب حسن اللولب، المرجع السابق، ص. 157.

العلاقات المغاربية فيما بينها، قصد الحصول على ما لتونس المستقلة فيه حق: الجلاء عن ترابها. هذا ما لا أفعله، لا أطعن جبهة التحرير الجزائرية في الظهر"<sup>1</sup>.

لقد حاول بورقيبة استغلال وصول الجنرال ديغول إلى السلطة بفرنسا، لإقناعه بضرورة فتح باب المفاوضات مع جبهة التحرير الوطني، وذلك خلال مباحثات جلاء القوات الفرنسية عن الأراضي التونسية. كما عمل أيضا على إقناع قادة الثورة لقبول مبدأ التنازل والتدرج في المفاوضات وإتباع خطى التجربة التونسية<sup>2</sup>، ففي تصريح لمبعوث جريدة: فرانس سوار" يوم 20 فيفري 1959 قال: "بأنه يسمح لفرنسا باتخاذ بنزرت قاعدة جوية وبحرية فرنسية بتونس على شرط أن تشترع فرنسا في فتح مفاوضات حول الجزائر"<sup>3</sup>، مما يظهر مدى دعم بورقيبة للقضية الجزائرية لدرجة تخليه عن بنزرت لفرنسا إذا تم حل حرب الجزائر سلميا. وقد منحهم مهلة 4 أشهر لقبول الاقتراح. وهو نفس المقترح الذي أعلنه في خطاب بمدينة مكنين في 17 فيفري 1959<sup>4</sup>. ومن دون الولوج إلى نية بورقيبة من هذا المقترح فإنه يظهر معاني التضامن والإخاء بين البلدين.

وقد علق السيد محمد المصمودي لصحيفة "لوموند" على اقتراح الرئيس بورقيبة: "بأنه كان يرمي إلى بعث روح جديدة في المشكل الجزائري الذي مازال دائما في مأزق، ويرمي كذلك إلى تجسيم ما صرح به الرئيس بورقيبة المرات العديدة، أن تونس مستعدة للتنازل عن جزء من سيادتها لفائدة تشجيع تسوية القضية الجزائرية"<sup>5</sup>. هذا التصريح يؤكد صحة ما توقعناه من الدعم المتواصل البورقبي للقضية الجزائرية، وذلك بشهادة البعثة السياسية لجبهة التحرير الوطني بالأمم المتحدة.

<sup>1</sup> عمر الشاذلي، المصدر السابق، ص. 124.

<sup>2</sup> الحبيب بورقيبة، خطب، الجزء. 2، 12 جانفي 1956، ص. 317.

<sup>3</sup> جريدة الصباح، العدد. 2030، بتاريخ 21 فيفري 1959.

<sup>4</sup> الحبيب بورقيبة، خطب، الجزء. 9، 17 فيفري، 1959، ص. 188.

<sup>5</sup> جريدة الصباح، العدد. 2030، بتاريخ 21 فيفري 1959.

وفي خطوة أخرى لاستمرار المساعي الدبلوماسية استقبل الرئيس الحبيب بورقيبة رئيس حكومة السويد في شهر ديسمبر سنة 1960، حيث أوردت جريدة العمل مضمون المحادثات الثنائية التي أجراها الطرفين التونسي والسويدي حول الوضع في شمال إفريقيا، والسياسة الفرنسية المنتهجة في المنطقة، ومدى خطورة الوضع الأمني بفعل استمرار الحرب في الجزائر على الشعب الجزائري أو التونسي، خاصة بعد المجازر التي ارتكبتها الجيش الفرنسي في حق الشعب الجزائري الأعزل خلال مظاهرات 11 ديسمبر 1960، حيث طلب منه بورقيبة ضرورة التدخل لدى الحكومة الفرنسية للتعجيل بفتح مفاوضات جدية مع الطرف الجزائري لإنهاء التوتر في المنطقة<sup>1</sup>.

أما بالنسبة لمواقفه على المستوى الإقليمي فقد سعى بورقيبة إلى حشد التأييد الإفريقي لدعم استقلال الجزائر، من خلال عقد المؤتمر الثاني للشعوب الإفريقية بتونس في الفترة الممتدة ما بين 25 إلى 30 جانفي 1960، حيث تعرف من خلاله الأفارقة على حقيقة وأبعاد الثورة الجزائرية، وصادقوا على لائحة خاصة بالجزائر تضمنت جملة من التوصيات أهمها:

- على الحكومات الإفريقية المستقلة التي لم تعترف بعد بالحكومة المؤقتة الجزائرية الاعتراف بها.
- الإلحاح على سحب عشرات الآلاف من جنود إفريقيا السوداء الذين تحتفظ بهم فرنسا ضمن جيشها.
- إنشاء فرقة من المتطوعين الأفارقة للمشاركة في حرب استقلال الجزائر.

<sup>1</sup> جريدة العمل، عدد. 1607، بتاريخ 20 ديسمبر 1960.

- يتوجه أعضاء المؤتمر بدعوة إلى الأمم المتحدة للاعتراف باستقلال الجزائر<sup>1</sup>.  
وقد ألقى الرئيس بورقيبة خطابا أكد فيه على خطورة استمرار التواجد الاستعماري في شمال إفريقيا حيث قال: "وقلت لهم انه يجب عليكم أن تفكروا لا في مصلحة الجزائر، وإنما في مصلحة دولكم، وهي تقتضي أن تقفوا موقفا مشرفا من حرب الجزائر، التي تمتعض منها البشرية قاطبة... وإلا فان دولكم هذه ستضمحل وتتلاشى وتصبح أضحوكة في نظر العالم"<sup>2</sup>.

إن إحياء الرئيس بورقيبة ودعمه للقضية الجزائرية في الفترة التي تلت استقلال تونس في 20 مارس 1956 أقلق الحكومة الفرنسية، فعمدت إلى انتهاج سياسة التهديد بقطع الإعانة عن بلاده بسبب هذا الدعم، وهو ما عبر عنه بورقيبة في الخطاب الذي ألقاه يوم 4 أبريل 1957 عن حساسية علاقات تونس بالجزائر وفرنسا حيث قال: "إننا متضامنون على الدوام مع الشعب الجزائري، ولا نقبل خذلانه في صراعه هذا من أجل الحياة أو الموت، لا من أجل قرض ولا من أجل مصلحة أخرى... وقد كنت قلت إن كان الفرنسيون أصدقاءنا، فإنّ الجزائريين هم إخواننا وأتمنى أن لا أرغم على الاختيار. لقد صرحت ودون التباس أن لا شيء يجعلنا نتخلى عن إخواننا الجزائريين..."<sup>3</sup> فهذا الموقف البطولي يسجله التاريخ الوطني للرئيس التونسي.

وبالفعل فقد نفذت فرنسا تهديدها سنة 1957 بسبب استمرار تونس في تقديم الدعم للثورة الجزائرية<sup>4</sup>، إذ ما لبثت العلاقات أن ساءت بين الدولتين على اثر تسرب ذخيرة من السلاح قادمة من سوريا ومصر عبر تونس موجهة للثوار الجزائريين وكذا

<sup>1</sup> عبد الله مقلاتي وتواتي دحمان، البعد الإفريقي للثورة الجزائرية ودور الجزائريين في تحرير إفريقيا، دار الشروق للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص. 68.

<sup>2</sup> الحبيب بورقيبة، خطب، الجزء. 11، 7 أكتوبر 1960، ص. 151.

<sup>3</sup> Samia El Mechat, *Les Etats-Unis et la Tunisie de L'Ambiguïté à L'Entente*, Paris, L'Harmattan, 1996, P. 111.

<sup>4</sup> محمد علي القارصي، المرجع السابق، ص. 43.

اكتشاف الجيش الفرنسي لعدة شحنات أسلحة مهربة عبر الأراضي التونسية نحو الحدود الجزائرية، فأعلنت فرنسا احتجاجها على سياسة الحكومة التونسية، وردت بإعلانها الامتناع عن تقديم المعونة المالية لتونس، والذي كان يسدد منذ سنة 1955، كما رفضت تزويدها بالأسلحة<sup>1</sup>، مما دفع ببورقيبة إلى طلب الدعم من الولايات المتحدة الأمريكية، وقد لقي طلبه الموافقة من طرف الرئيس الأمريكي أيزنهاور، الذي تعهد رفقة وزيره للخارجية جون "فoster دلاس" بتقديم الإعانة المالية والغذائية وتزويده بالسلح على دفعتين انطلاقا من سبتمبر 1957<sup>2</sup>. لكن هذه المعونة قدمت بالتنسيق مع فرنسا التي عملت على تقليصها، وتطبيق "صيغة إسعافات المجاعة" لتسليم القمح لتونس<sup>3</sup>.

بالمقابل نجد الحبيب بورقيبة كثيرا ما انحاز لصالح الحكومة الفرنسية والأمثلة كثيرة في هذا المجال، وسنأتي على ذكرها في مواضعها المناسبة أثناء تعرضنا للمواقف السلبية له اتجاه الثورة الجزائرية، هذه السياسية الوسطية البرغماتية كثيرا ما تسببت في توتر العلاقات بينه وبين قادة الثورة من جهة، وفرنسا من جهة أخرى في كثير من المرات، حيث عرفت علاقاته نوعا من التشنج والارتخاء مع الطرفين، بسبب التطورات التي كانت تشهدها الثورة الجزائرية، مما وضع تونس في موقف حرج بين السلطة الفرنسية من جهة وقادة الثورة من جهة ثانية. لكن هذه التطورات لم تأثر إلا نسبيا على علاقات بورقيبة مع قادة الثورة الجزائرية حيث ميزها الاحترام والتعاون وتقديم كل التسهيلات المادية والمعنوية في الداخل والخارج.

<sup>1</sup> عمر الشاذلي، المصدر السابق، ص. 123.

<sup>2</sup> Abis Sebastien, *L'affaire De Bizerte*, Sud Editions, Tunis, 2004, P. 67, 68.

<sup>3</sup> Samia El Mechat, *Op-Cit*, P. 111.

## • مساعي الوساطة التونسية:

تعددت أوجه الدعم البورقيبي للقضية الجزائرية، منذ وصوله إلى السلطة في تونس عام 1956، فلم يقتصر دعمه على المجال العسكري والسياسي والاجتماعي، بل تعداه إلى مجال الوساطة الدبلوماسية وهو ما قصده بورقيبة في هذا التصريح: "وقد بذلنا ما في وسعنا من الجهد لكي نسهل على الطرفين قبول الحل الذي يقضي على الخلاف بينهما ويضع حدا لهذه المجازر"<sup>1</sup>، ثم يضيف: "... وما زلنا على اعتقادنا هذا بأن حرب الجزائر مهما طالت فمالها الانتهاء. وينبغي أن تنتهي في أسرع الآجال وهذه المشكلة يمكن أن تنفض على أساس التفاوض الذي يكفل رعاية مصالح معقولة لفرنسا ويحقق أمانى الشعب الجزائري في العزة والسيادة والاستقلال"<sup>2</sup>.

ويقصد هنا أن مساعي الوساطة التي بذلها لتقريب وجهات النظر بين قادة الثورة الجزائرية والحكومة الفرنسية، تكمن في إرضاء الطرفين من خلال، استقلال الجزائر وتحقيق بعض المكاسب لفرنسا، وهو أمر منطقي إذا ما عدنا إلى مضمون اتفاقيات إيبيان 1962.

لقد حاول الحبيب بورقيبة لعب دور الوسيط الدبلوماسي بين قادة الثورة الجزائرية والسلطات الفرنسية لوقف القتال وإيجاد حل توافقي يخدم مصالح الطرفين. وتجلت أولى محاولاته في هذا الشأن، في اللقاء الذي جمعه بالرئيس الأمريكي إيزنهاور سنة 1956 بواشنطن، حيث طرح بورقيبة إلى جانب قضايا بلاده الأساسية، قضية الجزائر وسعى لإيجاد تسوية سلمية توافقية ترضي جميع الأطراف<sup>3</sup> وفي ختام لقائه بالرئيس الأمريكي صرح قائلاً: "الشيء الذي يمكنني التصريح به هو إن الرئيس الأمريكي

<sup>1</sup> الحبيب بورقيبة، خطب، الجزء. 4، المصدر السابق، ص. 164.

<sup>2</sup> نفسه، ص. 164.

<sup>3</sup> Abis Sebastien, Op-Cit, P. 67, 68.



متفهم لرغبة الشعب الجزائري ولطموحه وهو يعرف بدقة القضية الجزائرية نفسها وان المسألة ليست بسيطة وانه توجد نواحي متشابهة مع بعضها مثل جالية فرنسا، ومسألة كرامة فرنسا ومسألة شعب<sup>1</sup>.

ثم يضيف بورقيبة في بقية خطابه "إلى أن الحل الأرجح الذي تم تداوله بينه وبين الرئيس الأمريكي وكلفه بالسعي إلى تحقيقه كوسيط بين الطرفين الجزائري والفرنسي هو حل الاستقلال الداخلي مقابل إيقاف الحرب"<sup>2</sup> ولكن حسب ما صرح به بورقيبة أمام رئاسة الحكومة التونسية بتاريخ 14 ديسمبر 1956 فإنه رفض اقتراح إيزنهاور وقال له: "لا يمكن الوصول إلى توقيف القتال دون الاعتراف بحق الشعب الجزائري في السيادة والاستقلال"<sup>3</sup>. وهو ما أكدته الباحثة سامية المشاط بأن بورقيبة أكد أمام إيزنهاور على مبدأ الاستقلال وأضاف أن يكون ذلك حسب جدولة زمنية<sup>4</sup> لكن هذه الوساطة فشلت بسبب تعنت الموقف الفرنسي، ورفضها الاعتراف بالوساطة في المشكل الجزائري.

✓ **قمة تونس:** لقد اعتمدت وساطة بورقيبة لحل النزاع الجزائري الفرنسي في البداية على الحركات الوطنية في المغرب العربي، وذلك من خلال التنسيق الثنائي مع حكومة الرباط<sup>5</sup>، حيث سعى إلى عقد مائدة مستديرة تجمع طرفي النزاع، إضافة إلى تونس والمغرب في ندوة وساطة دولية بتاريخ 23 أكتوبر 1956 بتونس<sup>6</sup>. ووجهت

<sup>1</sup> محمد علي القارصي، المرجع السابق، ص. 46.

<sup>2</sup> Abis Sebastien, Op-Cit, P. 67, 68.

<sup>3</sup> محمد علي القارصي، المرجع السابق، ص. 47.

<sup>4</sup> Samia El Mechat, Op- Cit, P. 111.

<sup>5</sup> فيرنز روف، المرجع السابق، ص. 317.

<sup>6</sup> أحمد سعيود، تدويل القضية الجزائرية، مجلة المصادر، العدد. 15، السداسي الأول 2007، مجلة يصدرها المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الكرامة للطباعة والنشر والتوزيع والاتصال، الجزائر، ص. 128.

دعوة رسمية لوفد جبهة التحرير الوطني بالخارج للحضور إلى الرباط، بهدف التشاور بخصوص الندوة المزمع عقدها في تونس<sup>1</sup>.

ومن أجل تجسيد مقررات هذه الندوة على أرض الواقع سافر بعدها بورقيبة إلى المغرب لينسق المواقف مع الملك محمد الخامس، سعياً منه لإيجاد حل سلمي للقضية الجزائرية، وبعد المشاورات التي أجراها الطرفان بالرباط صرح بورقيبة قائلاً: "سنعمل خلال هذه المرحلة على وضع أسس صحيحة لوحدة شمال إفريقيا وتدعيمها بتقريب ساعة الخلاص وتحرير شقيقتنا الجزائر"<sup>2</sup>، وأستبشر أعضاء الوفد الخارجي الجزائري خيراً بهذه المبادرة ولبوا الدعوة -رغم تحذيرات الرئيس المصري جمال عبد الناصر-<sup>3</sup>، معتبرينها فرصة لإعادة طرح فكرة وحدة الكفاح التحرري في المغرب العربي، وتوثيق الروابط الأخوية بين المغاربة، والحصول على الدعم المادي والمعنوي للثورة الجزائرية<sup>4</sup>.

الجزائرية<sup>4</sup>.

لكن مساعي بورقيبة وآمال قادة الثورة فشلت بسبب القرصنة الجوية التي قامت بها فرنسا للطائرة المقلدة للوفد الجزائري<sup>5</sup>، الذي كان حينها في زيارة رسمية إلى الملك

<sup>1</sup> محمد علي القارصي، المرجع السابق، ص. 43.

<sup>2</sup> حبيب حسن اللولب، المرجع السابق، ص. 446.

<sup>3</sup> بعد تلقي أعضاء الوفد الخارجي هذه الدعوة، عقد أحمد بن بلة لقاء مع الرئيس المصري جمال عبد الناصر، ليطالعه عن فحوى الندوة، والتي أبدى الجانب المصري تخوفاً كبيراً بشأنها خاصة بعد المعلومات التي وصلت إلى عبد الناصر عن الخلافات بين الداخل والخارج في الجزائر، لذلك لم يبد ارتياحاً لهذه الندوة خشية تدبير مؤامرة في الخفاء بين بورقيبة والحكومة الفرنسية وعملائها في المغرب. وطلب منه عقد الندوة في مكان بعيد عن تونس والمغرب. أنظر: فتحي الديب، عبد الناصر والثورة الجزائرية، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1984، ص. 165، 266.

<sup>4</sup> عبد الله مقلاتي، مؤتمر تونس المغاربي واختطاف زعماء الثورة الجزائرية 23 مارس 1956، مجلة المصادر، العدد. 16، السداسي الثاني، 2007، ص. 181، 183.

<sup>5</sup> أعضاء الوفد الجزائري المختطفون هم: أحمد بن بلة، حسين آيت أحمد، محمد خيضر، محمد بوضياف، مصطفى الأشرف، وكانت الطائرة المختطفة تحمل 20 شخص، منهم الزعماء السياسيين وبعض الصحفيين

محمد الخامس، للتباحث معه حول جملة من المطالب والمسائل وعلى رأسها الانتقال إلى تونس لعقد لقاء ثلاثي، وقد اشترطت جبهة التحرير الوطني أن يكون الاستقلال شرطا أساسيا في اللقاء. ولأجل ذلك استقل قادة الوفد الجزائري الطائرة المتجهة إلى تونس، بتاريخ 22 أكتوبر للمشاركة في قمة تونس التي دعا إليها بورقيبة<sup>1</sup>، فتصدت طائرة عسكرية فرنسية لطائرة الوفد الجزائري وأجبرتها على الهبوط في مطار الجزائر العاصمة، وتم إيداع أعضاء الوفد الجزائري السجن<sup>2</sup> ليتم استنطاقهم بمركز الشرطة بالابيار بالعاصمة<sup>3</sup>.

إن عملية "الاختطاف" كما سماها بورقيبة قد أثارت حفيظته، فرد بقوة منددا بهذه الجريمة ومحملا فرنسا مسؤولية عرقلة عملية السلام في شمال إفريقيا، مؤكدا على استمرار مساعيه لتحقيق وحدة المغرب العربي، موضحا بان هذه الجريمة قد أحدثت هوة بينه وبين الحكومة الفرنسية، وزادت من خطورة المشكل الجزائري، ثم قام باستدعاء سفيره في باريس، وطلب منه تبليغ السلطات الفرنسية بضرورة إطلاق سراح المعتقلين<sup>4</sup>.

وأصر على إتمام أشغال هذه القمة المغاربية مع محمد الخامس رغم غياب قادة الثورة، وصرح في ختامها قائلا: "إن الندوة التي يراد لها الفشل قد تمت رغم ذلك، وهذه المكيدة زادت في تمتين الوحدة بين شعوب المغرب العربي الكبير"<sup>5</sup> كما اظهر تفاؤلا

الفرنسيين والمغاربية، وكان من المفروض نقلهم من الرباط إلى تونس. أنظر: أحمد بن بلة، "شاهد على العصر"، الجزء 6، قناة الجزيرة، قطر، 2012/05/14.

<sup>1</sup> Abdelhamid Zouzou, *Les Références Historique de L'état Algérien Institutions Et Chartes*, Ed, Houma, Alger, 2005, P. 30.

<sup>2</sup> عامر رخيلى، الثورة الجزائرية والمغرب العربي، مجلة المصادر، العدد 01، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954، الجزائر، 1999، ص. 153.

<sup>3</sup> رويبر ميرل، المصدر السابق، ص. 123.

<sup>4</sup> أنظر: جريدة المقاومة الجزائرية، العدد 02، 15 نوفمبر 1956، ص. 12.

<sup>5</sup> حبيب حسن اللولب، المرجع السابق، ص. 177.

كبيراً في نفس الخطاب حيث أكد بأن عملية الاختطاف ستعود بالفائدة على المفاوضات الجزائرية مع الفرنسيين، لأنهم سيرغمون على إيجاد حلول مرضية للطرفين، وستكون الفرصة سانحة للتفاوض مع القادة المختطفين مثلما فعلوا معه ومع السلطان مع الخامس<sup>1</sup>.

لقد صدق جمال عبد الناصر في تحذيره لبن بلة ورفاقه قبل سفرهم إلى الرباط، من غموض هذه الندوة وخطورتها، ومن الأهداف الخفية لبورقوية ومحمد الخامس من ورائها، ولكن لم يثبت بالبرهان تورط بورقوية ولا محمد الخامس في عملية الاختطاف والقرصنة، رغم أن الكثير من المؤرخين والباحثين والمتتبعين للشأن المغربي والجزائري، يوجهون أصابع الاتهام لكليهما، ويقدمون العديد من الحجج والبراهين التي تدينهما.

لكن في المقابل نجد دفاع بورقوية ومحمد الخامس مقنعا بعض الشيء لدحض هذه التهم وتفنيدها، وتوريط السلطات الفرنسية وتحميلها كل المسؤولية في عملية الاختطاف والقرصنة، ولعل ما يشفع لهما هو ردة الفعل العنيفة التي قاما بها الزعيمين اتجاه فرنسا. ومساعي الوساطة الحميدة، ودورهما الكبير في خدمة ودعم القضية الجزائرية في المحافل الدولية وعلى المستوى المحلي. لكن ليس موضوعنا هنا لعرض الأدلة حول إدانتهم من عدمها، بل هدفنا توضيح دور الوساطة التونسية لخدمة القضية الجزائرية محليا ودوليا.

✓ لقاء الرباط: لم تتقطع وساطة ومساعي الرئيس بورقوية لحل المشكل الجزائري حيث اتجه هذه المرة نحو ليبيا في مسعى مغربي آخر، تجسد من خلال لقائه برئيس مجلس الوزراء الليبي مصطفى بن حليم في مطلع سنة 1957، حيث تدارسا خطورة الوضع في الجزائر وانعكاساته السلبية على الاستقرار في كامل أنحاء

<sup>1</sup> عبد الله مقلاتي، العلاقات الجزائرية المغربية الجزء. 1...، المرجع السابق، ص. 437.

المغرب العربي، وتشاورا في سبل الوساطة الممكنة عربيا ودوليا لحل المشكل الجزائري الفرنسي، وأصدرت جريدة الصباح تصريحاً مشتركاً لهما أوضحاً فيه الحلّ الناجح لحل المشكلة الجزائرية وتعهدا بضرورة مواصلة تقديم الدعم اللامشروط للقضية الجزائرية<sup>1</sup>. لكن هذا المسعى لم يكتب له النجاح، بسبب التقارب الليبي الناصري، ورفض عبد الناصر أي مبادرة يكون بورقيبة صاحبها بسبب الخلاف والتنافر بينهما.

لم يثن هذا الفشل مساعي الرئيس الحبيب بورقيبة إلى عقد اجتماع ثلاثي بالمغرب سنة 1957، يضم كل من تونس وجبهة التحرير الوطني والمغرب، يتم خلاله صياغة مقترحات أكثر مرونة من شأنها أن تكسب القضية الجزائرية أصدقاء من دون أي إساءة لفرنسا، لكن الملك محمد الخامس لم يكن متحمساً لهذا اللقاء، لإدراكه بأهداف بورقيبة الخفية من هذه الوساطة، وهي خدمة مصالحه مع فرنسا فعمد محمد الخامس إلى التباحث مع ممثلي جبهة التحرير ومع بورقيبة كل على حدة<sup>2</sup>، وبذلك برزت نية التنافس الحاصل بين الحكومتين التونسية والمغربية في عرض وساطتها.

وحل بورقيبة بالرباط يوم 20 نوفمبر 1957 وانتهى اللقاء بإصدار بيان ثنائي<sup>3</sup>، عرضاً فيه الزعيمين معا مساعي الوساطة بين جبهة التحرير الوطني وفرنسا، كما أكدوا فيه على ضرورة إيجاد تسوية سلمية للقضية الجزائرية، وطالبا من هيئة الأمم التدخل لحل المشكل الجزائري الفرنسي سلمياً، وعملاً على حشد الدعم الخارجي خاصة الإفريقي لدعم القضية الجزائرية. وكللت هذه المبادرة بالقبول لدى هيئة الأمم المتحدة

<sup>1</sup> جريدة الصباح، العدد. 1552، بتاريخ 8 جانفي 1957

<sup>2</sup> فيرنز روف، المرجع السابق، ص. 187.

<sup>3</sup> لقد تحاشى الزعيمان استعمال كلمة استقلال، واستخدما عبارة: إجراء مفاوضات من شأنها تجسيد سيادة الشعب الجزائري. وقد رفضت جبهة التحرير الوطني الصيغة التي جاء بها البيان المغربي التونسي، ونشرت بيانا آخر أوضحت فيه، إن أي مفاوضات مع فرنسا لا تعترف مسبقاً باستقلال الجزائر فهي مرفوضة. أنظر: فيرنز روف، المرجع السابق، ص. 187.

حيث صوتت الجمعية العامة للأمم المتحدة بالإجماع يوم 10 ديسمبر على قرارا في هذا الاتجاه، ولكن التعتت الفرنسي حال دون إتمام هذا المسعى<sup>1</sup>.

لقد جعل بورقيبة من الثورة الجزائرية قضيته الأساسية، وتجلى ذلك بوضوح خلال زيارة الرئيس الأمريكي إيزنهاور لتونس في ديسمبر 1959، ليشعره بضرورة إيجاد حل فوري للقضية الجزائرية، لأن استمرارها حسبه قد يدفع بكل بلاد المغرب إلى الاتجاه نحو المعسكر الشرقي، خاصة إذا بقي الغرب مساندا لفرنسا في سياستها بالمنطقة، حيث عرض وساطته لحل النزاع بين الطرفين.

بعد فشل وساطة بورقيبة الخاصة بالمغرب العربي نتيجة لتطور الخلاف بينه وبين محمد الخامس، اتجه بورقيبة إلى وساطة العالم الغربي وفرنسا نفسها رغم أن نقاط الخلاف بينه وبين حكومة باريس قد صعبت من أي أعمال وساطة قد تقوم بها تونس في القضية الجزائرية، ومع ذلك فان بورقيبة لم ييأس خاصة في ظل التهديد الكبير الذي يخشاه بورقيبة من حكومة القاهرة<sup>2</sup>.

فقام بجولة قادته إلى كندا ثم الولايات المتحدة الأمريكية، أجرى مباحثات مع الرئيس الكندي شككت القضية الجزائرية أحد جوانبها الأساسية، استغلها بورقيبة في كسب الدعم الدبلوماسي الكندي والأمريكي، وطلب منهما التوسط للضغط على فرنسا للإسراع في إنهاء الحرب بالجزائر. محذرا من تزايد التغلغل الشيوعي السوفياتي في المنطقة، بسبب تزايد الدعم المقدم للثورة الجزائرية من طرف الصين والسوفييات في مجال التسليح، حيث بلغت نسب استخدام جيش التحرير الجزائري للأسلحة السوفياتية ما يقارب 40% حسب تصريح بورقيبة<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> عمر الشاذلي، المصدر السابق، ص. 123، 124.

<sup>2</sup> فيرنز روف، المرجع السابق، ص. 318.

<sup>3</sup> نفسه، ص 320.

ويضيف بورقيبة في نفس التصريح بأن: "إصرار فرنسا على القضاء على الثورة الجزائرية والتغني بالحل العسكري... واستعداد فرنسا وعزمها الراسخ على أن تعمل في سبيل أهدافها كل شيء... يمثل خطرا حقيقيا على مستقبل العلاقات، ليس فقط بين فرنسا والدول الإفريقية الحديثة العهد بالاستقلال، أو التي في طريقها إليه، وإنما بين هذه الأخيرة والعالم الحر"<sup>1</sup>.

وهنا نتساءل حول نية بورقيبة من وراء هذا التصريح هل أراد به تخويف الولايات المتحدة الأمريكية ومن ورائها العالم الغربي، من خطورة استمرار حرب الجزائر على مصالحهم بالمنطقة نتيجة تزايد الدعم الشيوعي للثورة الجزائرية؟ أو أن هدفه خدمة الثورة الجزائرية، من خلال ضغط الولايات المتحدة الأمريكية على فرنسا للإسراع في تسوية النزاع الجزائري خوفا على مصالحها. ليظهر أمامهم في صورة حامي مصالح الغرب بالمنطقة، وبالتالي ينال ثقتهم ورضاهم ودعمهم؟ أو كلاهما معا.

وبالفعل فقد خدمت الظروف بورقيبة بالنسبة للطرف الجزائري، حيث تغيرت اللهجة الأمريكية اتجاه فرنسا مما جعل هذه الأخيرة تهدد بالانسحاب من الحلف الأطلسي<sup>2</sup>، ولعل تطور موقف الرئيس الأمريكي جون كيندي اتجاه الثورة فيما بعد نتيجة لذلك أو ساهم بقسط وافر في الأمر.

ولعل ما يؤكد صحة ما ذهبنا إليه تصريح فوستر دلاس: "إن الولايات المتحدة الأمريكية أصبحت تعتبر القضية الجزائرية مسألة عالمية... ورغم تحالفها مع فرنسا إلا أنه لا يمكنها غض الطرف عن الوضعية الصعبة التي تعيشها الجزائر"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الحبيب بورقيبة، خطب، الجزء. 9، بتاريخ 23 جويلية 1959، ص. 36.

<sup>2</sup> أحمد المستيري، المصدر السابق، ص. 118.

<sup>3</sup> مجلة أول نوفمبر، العدد. 155، 156، سنة 1997، ص. 30.

✓ قمة رامبواي: هناك مبادرة أخرى قام بها الحبيب بورقيبة بتاريخ 27 فيفري 1961 حيث اجتمع بديغول في قمة رامبواي بفرنسا، وقد حامت الكثير من الشكوك حول أهدافها ودوافعها الحقيقية، فبورقيبة والصحافة التونسية يؤكدان أن هدف هذا اللقاء هو الوساطة بين فرنسا وجبهة التحرير، حيث أوردت جريدة العلم التونسية قبيل انعقاد هذه القمة الثنائية تصريحاً للرئيس الحبيب بورقيبة لإذاعة باريس قال فيه: "أملي أن تسفر محادثاتي مع الجنرال ديغول عن تحديد المقابلة الفرنسية والحكومة الجزائرية وانتهاء الحرب"<sup>1</sup>.

في حين أفادت مصادر أخرى قبل انعقاد اللقاء أن مشكلة الحدود مع الجزائر وقضية بنزرت هما المحور الرئيسي لهذه القمة، ومع أن جبهة التحرير كانت ترفض أي عملية وساطة لبورقيبة بخصوص القضية الجزائرية لتخوفها من تقديمه لتنازلات لفرنسا كمقابل لوساطته وهو المعروف بسياسة التنازلات، أو المساومة على استقلال الجزائر، ومن جهة أخرى فرنسا ترفض أي وساطة في المشكل الجزائري.

ومجمل القول بأن وساطة بورقيبة لحل القضية الجزائرية واجهت عدة صعوبات وعراقيل أثرت سلباً على مدى فعاليتها يمكننا إبرازها في النقاط التالية:

- تزايد نقاط الخلاف بين الحكومة التونسية والحكومة الفرنسية، بسبب استمرار الدعم التونسي للثورة الجزائرية، مما اضعف الموقف التونسي في أي أعمال وساطة تخص النزاع الجزائري الفرنسي.

- عدم اقتناع قادة جبهة التحرير بسياسة بورقيبة المرحلية في التفاوض، وهو ما شكل نقطة تباعد وخلاف بين أفكاره ومبادئ الجبهة في قبول مبدأ المفاوضات مع فرنسا. بل إنها لا تريد الدخول في مفاوضات إلا إذا اعترفت فرنسا مسبقاً بحق الجزائر في الاستقلال التام. وهو ما قصده بورقيبة في خطابه هذا: "نحن مع المراحل

<sup>1</sup> جريدة الصباح، العدد. 37، بتاريخ 2 الأحد 6 فيفري 1961.



الدبلوماسية، الاختيار الأقل ضررا ... وعضو مجابهتها من الأمام، نحن نفضل اجتنابها لتذليل الصعوبات وترك الوقت يفعل فعله، ... لكن لا أحد من الخصمين كان مستعد للعمل بهذه الوسائل<sup>1</sup>.

- سعي بورقيبة إلى تحقيق مصالح تونسية بعيدة المدى من وساطته في النزاع الجزائري الفرنسي، مما ادخله في مشاكل مع الحكومة الجزائرية المؤقتة التي كانت تشك في نوايا بورقيبة خاصة بعد لقاء رامبواي 27 فيفري 1961.
- تعنت الموقف الفرنسي الرفض لأي وساطة أو مساومة تجبرها على إنهاء تواجدها بالجزائر.

- مقترحات بورقيبة الغربية أحيانا والتي كثيرا ما كانت تثير الريبة والشك، على غرار اقتراحه على الحكومة المؤقتة الجزائرية في خطابه بتاريخ 3 سبتمبر 1960 "لربط مصير الجزائر بتونس" أي خلق اندماج بين الحكومتين، ما دامت فرنسا عاجزة عن إيجاد تسوية للقضية الجزائرية، وقد اختلفت الآراء في تحديد قصد ونية بورقيبة من هذه المبادرة. لذلك رفضها الطرف الجزائري والفرنسي<sup>2</sup>.

- مساعي بورقيبة للوساطة في النزاع الجزائري كان ينقصها سلطة التفويض من جبهة التحرير الوطني حتى يتفاوض باسمها انطلاقا من تونس، أو تبني جبهة التحرير الوطني لأسلوب وسياسة بورقيبة في المفاوضات، وهذا أمر مستبعد بالنظر إلى المنطلقات السياسية والقناعات الثورية لقادة الثورة المستمدة من موثيق.

ومع ذلك فنحن لا ننكر الدور والجهود والمسااعي التي بذلها الحبيب بورقيبة لحل النزاع الجزائري الفرنسي، سواء تضامنا مع الشعب الجزائري في حربه ضد الاستعمار

<sup>1</sup> الحبيب بورقيبة، خطب، الجزء. 9، 17 أكتوبر 1959، ص. 254.

<sup>2</sup> أنظر: الحبيب بورقيبة، خطب، الجزء. 10، 3 سبتمبر 1960، المصدر السابق، ص. 168.

أو لقناعته بحجم المخاطر المترتبة عن استمرار الثورة الجزائرية على استقرار النظام التونسي ووضعه الداخلي، أو كلاهما معا.

ونختم برأي الكاتب الصافي سعيد الذي قال حول دعم بورقيبة للثورة الجزائرية: "بأن بورقيبة ساند الثورة الجزائرية إلى حد بدا فيه وكأنه يريد أن يصبح زعيم الشعبين. وسواء كان يناور أو كان مرغما على فعل ذلك أو كان صادقا في نواياه، فإن التاريخ سجل له فضلا خاصا به داخل كتاب الثورة الجزائرية... فلو أنه لم يفعل ذلك لخان مبادئه التحررية واتهم بالأنانية وبقصر النظر لأن تحرير الجزائر لا يمكن أن يكون إلا في صالح استقلال تونس على مدى بعيد. هذا من ناحية الصدق، أما من ناحية المناورة فقد كان مضطرا أن يجعل من نفسه حلقة الوصل بين المتشددين وبين المعتدلين داخل الثورة، وكذلك حلقة وصل بين الثورة وباريس، ولأن بلاده كانت تقع بين كمامشة جيش التحرير والجيش الفرنسي، فإنه أخيرا كان مرغما على أن يناور دون أن يشعر بارتكاب أي ذنب"<sup>1</sup>.

### ثالثا: تآزم العلاقات بين الحبيب بورقيبة والحكومة الجزائرية المؤقتة:

لقد كان لتزايد نشاط الثورة الجزائرية في تونس خاصة في مجال تهريب السلاح وظهور فكرة التضامن المغاربي في مؤتمر طنجة 1958 وما خلفه من صدى إعلامي واسع، أثره البالغ على السياسة الفرنسية في دول المغرب عموما، والجزائر خصوصا لذلك سارعت القيادة الفرنسية الجديدة بقيادة الجنرال ديغول<sup>2</sup>، إلى اتخاذ تدابير جديدة وفقا للتطورات الحاصلة في المنطقة من أجل ضرب التضامن المغاربي، حتى تتمكن

<sup>1</sup> الصافي سعيد، المصدر السابق، ص. 248.

<sup>2</sup> ولد في مدينة ليل الفرنسية سنة 1890، تخرج من المدرسة العسكرية بسان سير عام 1912، ترأس حكومة فرنسا الحرة في لندن، أصبح أول رئيس للجمهورية الفرنسية الخامسة في عام 1958، واجه الثورة الجزائرية باستراتيجية سياسية وعسكرية لكنه في النهاية اضطر للاعتراف باستقلال الجزائر، توفي سنة 1970. أنظر: جمعة بن زروال، الحركات الجزائرية المضادة للثورة التحريرية 1954-1962، اطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والاسلامية، قسم التاريخ والاثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2012، ص. 40.

من عزل الثورة الجزائرية عن الدعم المقدم من الشعوب المغاربية، ومن ثم القضاء عليها، ومن جهة أخرى خدمة مصالحها الحيوية بالمنطقة. وهو ما أدى إلى حدوث عدة مشاكل أثرت سلباً على العلاقات التونسية مع الثورة الجزائرية. ولأن الحديث يطول في هذا الموضوع فقد ارتأيت أن اقتصر على أزمة ايجلي جوان 1958، وأزمة الكاف نوفمبر 1958، كمثالين عن توتر العلاقات بين الجانبين التونسي والجزائري أثناء الثورة الجزائرية.

### أ/ أزمة ايجلي:

قبل انعقاد مؤتمر تونس بالمهدية تم التوصل إلى اتفاق بين الحكومتين الفرنسية والتونسية، ينص على تعهد الجنرال ديغول بجلاء القوات الفرنسية المتواجدة على الأراضي التونسية، في مدة أقصاها 4 أشهر، باستثناء بنزرت<sup>1</sup>، لذلك ظهرت بوادر التراجع جلية على القيادة التونسية في هذا اللقاء، للتخلي عن تنفيذ توصيات مؤتمر طنجة، وما زاد الطين بلة هو إقدام بورقيبة على عقد صفقة اقتصادية بالغة الخطورة مع الحكومة الفرنسية، في 30 جوان 1958<sup>2</sup>، والتي تسمح للشركة الفرنسية "ستراسا" "STRAPSA" لتحويل البترول من الصحراء الجزائرية من أبار ايجلي عبر الأراضي التونسية وصولاً إلى ميناء الصخيرة بقابس ومنه إلى الموانئ الفرنسية مع العلم أن نفس الاتفاق عرض على الحكومة الليبية في باريس وتم ورفضته<sup>3</sup>.

هذه التصرفات أثارت حفيظة لجنة التنسيق والتنفيذ، واعتبرته إخلالاً بمقررات مؤتمر طنجة الذي نص على وحدة المغرب العربي، وعلى المصير المشترك لشعوبه أكدت أن استمرار تونس في هذا المنحى سيعرض العلاقات الأخوية الثنائية بين

<sup>1</sup> Abis Sebastien, Op-Cit, P. 67, 68.

<sup>2</sup> محمد الهاشمي عباس، المصدر السابق، ص. 188.

<sup>3</sup> نفسه، ص 189.

الشعبين التونسي والجزائري إلى التآزم<sup>1</sup>، وأوضحت أنها سلمت لدول المغرب العربي مذكرة منذ جانفي 1958، أوضحت فيها مخاطر هذه الاتفاقية.

لكن بورقيبة لم يغير رأيه وأظهر تمسكه بهذه الصفقة واعتبرها صفقة مريحة للاقتصاد التونسي<sup>2</sup>، مما تسبب في تآزم العلاقات بينه وبين جبهة التحرير الوطني، التي نددت بهذه الاتفاقيات من خلال بيانها الصادر في 10 جويلية 1958 والذي وجهت نسخة منه إلى بورقيبة، متسائلة عن أسباب تعهد والتزام تونس بحماية هذا الأنبوب رغم علمها بتهديدات جبهة التحرير التي أعلنتها على الملأ لتفجير هذا الأنبوب في الجزائر<sup>3</sup>.

وقد نشرت جريدة المجاهد في عددها الصادر يوم 22 جويلية 1958 مذكرة للجنة التنسيق والتنفيذ، كانت وجهتها للرئيس الحبيب بورقيبة بتاريخ 23 جوان من نفس السنة، أوضحت فيها مخاطر هذه الاتفاقية حسبما أوردها بيان المجلس الوطني للثورة<sup>4</sup>، حيث فصل في المكاسب المالية والدبلوماسية التي ستجنيها فرنسا من وراء هذه الاتفاقية، كدعم اقتصادها المنهار بسبب حرب الجزائر، وتقتيل الجزائريين والتونسيين الأبرياء على السواء، مثلما حدث عند قصف ساقية سيدي يوسف 1958، إضافة إلى الصبغة القانونية التي ستكتسبها فرنسا لتبرير حربها أمام الرأي العام الفرنسي والدولي، مما يجعلها تتصرف بحرية في ثروات الجزائر<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> إسماعيل دبش، السياسة العربية والمواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية 1954-1962، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص. 109.

<sup>2</sup> عبد الله مقلاتي، الثورة الجزائرية وأزمة الخلاف مع نظام بورقيبة عامي 1958-1959، المجلة التاريخية المغاربية، العدد. 154-155، فيفري 2014، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، ص. 228.

<sup>3</sup> فيرنز روف، المرجع السابق، ص. 203.

<sup>4</sup> جريدة المجاهد، العدد. 27، بتاريخ 22 جويلية 1958. ص. 3.

<sup>5</sup> إسماعيل دبش، المرجع السابق، ص. 111، 112.

كما عبر المجلس الوطني للثورة عن مدى خطورة هذه الاتفاقية التي ستفقد الشعب الجزائري ثمار معركة الإستراتيجية بالصحراء الجزائرية، وستؤدي إلى إطالة أمد حرب الجزائر التي قاربت على سنتها الرابعة، كما أن هذه الاتفاقية ستقضي على تضامن دول المغرب العربي الذي تجسد مؤخرا في مؤتمر طنجة<sup>1</sup>.

وكرد فعل قامت لجنة التنسيق والتنفيذ بنقل مكاتبها إلى طرابلس، وتجنبت صحافة الثورة لمواجهة الحملة الإعلامية التونسية، التي نوهت بالمكاسب المالية التي ستجنيها تونس من وراء هذا الاتفاق وأن جبهة التحرير سيعود عليها النفع كذلك<sup>2</sup>، وردت جريدة المجاهد في افتتاحيتها بمقال عنوانه "الخبز المسموم" جاء فيه: "إن تونس الشقيقة تدرك جيدا أن النفط الذي يمر في أراضيها هو الذي تستهلكه الطائرات الفرنسية التي دمرت ساقية سيدي يوسف وتدمر كل يوم مثلها في الجزائر... إن بترول صحراء الجزائر هو ملك للمغرب العربي، وأن الدماء التي دفعها شعبنا في المغرب العربي بسخاء لم يبذلها في سبيل الخبز اليومي الملطخ بالدماء والمذلة وجرائم الاستعمار"<sup>3</sup>.

ولاحت في الأفق بوادر أزمة حقيقية بين الطرفين خاصة بعد إقدام بورقيبة على اتخاذ جملة من الإجراءات الخطيرة نوجزها فيما يلي:

- منع دخول السلع الموجهة للهِلال الأحمر الجزائري قرابة الشهر (جويلية 1958).

- أخضعت برامج حصة "صوت الجزائر" التي كانت تبث من خلال الإذاعة التونسية، للمراقبة مما أدى إلى توقفها عن البث.

<sup>1</sup> محمد الميلي، مواقف جزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص. 111.

<sup>2</sup> نفسه، ص. 120.

<sup>3</sup> المجاهد، العدد. 27، بتاريخ، 22 جويلية 1958.

• حجز العدد 28 من جريدة المجاهد في المطبعة التونسية قبل نزوله السوق يوم 8 أوت 1958.

• حجز كميات معتبرة من السلاح الموجه للثورة من خلال التعرض لقوافل الأسلحة، تمثلت في 5070 بندقية، و 2037 بندقية رشاشة ومدافع وذخيرة.

• التصديق على تحركات جيش التحرير على الحدود التونسية الجزائرية مما انعكس سلبا على نشاط الثورة<sup>1</sup>.

إن هذه الأزمة قد أثرت بصورة كبيرة على نشاط الثورة الجزائرية في تونس، وكادت أن تعصف بالعلاقات الثنائية بين البلدين، لولا تحلي قادة جبهة التحرير الوطني بالصبر والرزانة وضبط النفس لمواجهة هذه الأزمة، كما وصفها الكاتب بشير سعدوني، حيث ظهرت عدة مبادرات سلمية لرأب الصدع بين بورقيبة ولجنة التنسيق والتنفيذ بداية من شهر أوت 1958، لتكفل بالنجاح في 20 أوت من نفس السنة بصدور بيان عبر فيه الطرفان عن عودة العلاقات إلى طبيعتها المتسمة بالتعاون والتفاهم<sup>2</sup>.

وقد أوضح "عبد الحميد مهري" قائلا: "انه تم الاتفاق على حل وسط وذلك بان تتعهد الحكومة التونسية بعدم تشغيل الأنبوب إلى أن تستقل الجزائر وأن يكون استغلاله لصالح الشعبين الشقيقتين"<sup>3</sup>.

**ب/ أزمة الكاف وانعكاساتها على نشاط الثورة بتونس:**

لم يكد يمر على تشكيل الحكومة الجزائرية المؤقتة إلا شهرين، حتى تعرضت إلى

<sup>1</sup> عبد الله مقلاتي، الثورة الجزائرية وأزمة الخلاف مع نظام بورقيبة عامي 1958-1959، المرجع السابق، ص. 231. وأنظر أيضا: فيرنز روف، المرجع السابق، ص. 204.

<sup>2</sup> بشير سعدوني، الثورة الجزائرية في الخطاب العربي الرسمي، الجزء 1، المرجع السابق، ص. 31.

<sup>3</sup> عبد الله مقلاتي، المرجع السابق، ص. 233.

مؤامرة خطيرة كادت أن تؤدي إلى عواقب وخيمة، تورط فيها العقيد محمد العموري<sup>1</sup>، قائد المنطقة الأولى وقادة الأوراس والقاعدة الشرقية، الذين اتهموا كريم بلقاسم وجماعته بالانحراف عن مبادئ الثورة منذ مؤتمر الصومام<sup>2</sup>، حيث لقي العموري الدعم والمساندة من طرف جمال عبد الناصر وصالح بن يوسف في القاهرة من أجل اغتيال كريم بلقاسم ومحمود الشريف قائد الولاية الأولى<sup>3</sup>.

فعاد إلى تونس وعقد اجتماعا سريا بمدينة الكاف<sup>4</sup>. وبالصدفة علم كريم بلقاسم بالمؤامرة فطلب الدعم من الحبيب بورقيبة<sup>5</sup>، الذي اعتقد بدوره بوجود ضباط تونسيين في الاجتماع تابعين لصالح بن يوسف يدبرون للإطاحة به<sup>6</sup>. فأرسل بورقيبة بقواته وحاصروا مكان الاجتماع وألقوا القبض على جماعة العموري والمتآمرين معه، لكن السلطات التونسية تجاوزت في إجراءاتها الأمر المتفق عليه، حيث احتلت المقرات الرسمية لجبهة التحرير في الكاف وما جاورها، واستولوا على كل الأسلحة والوثائق والمراسلات الرسمية للجيش والحكومة الجزائرية ولعل الأهم وهو توقيف مرور الذخيرة والمؤونة، ومصادرة عدة شحنات من الأسلحة متجهة للجزائر، ووضعت الحواجز لمراقبة نشاط الجزائريين<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> الباجي قايد السبسي، المصدر السابق، ص. 314.

<sup>2</sup> عبد الله مقلاتي، الثورة الجزائرية وأزمة الخلاف مع نظام بورقيبة عامي 1958-1959، المرجع السابق، ص. 236.

<sup>3</sup> الباجي قايد السبسي، المصدر السابق، ص. 314.

<sup>4</sup> أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص. 406.

<sup>5</sup> محمد العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر (1942-1992)، الجزء 2، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2000، ص. 142.

<sup>6</sup> سعيداني الطاهر، القاعدة الشرقية قلب الثورة النابض، دار الأمة، الجزائر، 2001، ص. 198.

<sup>7</sup> فتحي الديب، المصدر السابق، ص. 408.

لقد تسببت هذه التصرفات التي أقدمت عليها السلطات التونسية إلى توتر العلاقات بينها وبين جبهة التحرير الوطني، وكادت أن تؤدي إلى أزمة خطيرة<sup>1</sup> لاسيما بعد ما تسرب إلى علم بورقيبة أن عبد الناصر وصالح بن يوسف وراء هذه المؤامرة<sup>2</sup>، فأصابه الهلع وتخوف من محاولة التأمير على نظام حكمه، فضرب بيد من حديد ضد كل أعدائه وشمل ذلك حتى الثورة الجزائرية من خلال تكثيف المدامات والمصادرات، وقد أشار ابن طوبال في اجتماع لمجلس الوزراء أواخر عام 1959 إلى انعكاسات قضية العموري على العلاقات التونسية الجزائرية قائلا: "في اليوم الذي عرف فيه التونسيون أن عبد الناصر كان يمكن أن يستخدم حتى أحد عقداً جيش التحرير الوطني فاجتاحهم الخوف، ومنذ مسالة العموري لم تتوقف العلاقات عن التدهور: تفتيشات ومصادرات يومية"<sup>3</sup>.

لكن قادة الثورة عرفوا كيف تسيّر الأمور في مثل هذه الظروف، إذ غالباً ما يلجؤون إلى الرصانة وضبط النفس لتجاوز المشاكل، وهو ما حدث في أزمة الكاف حيث لجأت الحكومة الجزائرية المؤقتة إلى محاولة تلطيف الأجواء مع الحكومة التونسية، وسعت تدريجياً إلى التخفيف من حدة المضايقات التونسية، كما دعت إلى عقد لقاءات للتشاور مع السلطات التونسية بهدف إيجاد مخرج لهذه الأزمة، واقتراح الحلول الودية المناسبة وإعادة العلاقات إلى طبيعتها.

حيث تم عقد لقاء ما بين 30-31 ديسمبر 1958 بحضور قادة المناطق الحدودية والقادة العسكريين الجزائريين، واتفقا الطرفان على تجاوز أسباب الخلاف، وتعهدت الحكومة التونسية بتقديم كل التسهيلات لأفراد جيش التحرير الوطني، والسماح باستمرار عمليات مرور الأسلحة المصرح بها، وتوفير الحماية لمقرات الحكومة

<sup>1</sup> عبد الله مقلاتي، المرجع السابق، ص. 237.

<sup>2</sup> الباجي قايد السبسي، المصدر السابق، ص. 314.

<sup>3</sup> عبد الله مقلاتي، المرجع السابق، ص. 238.



المؤقتة، في حين تعهدت هذه الأخيرة باحترام كل ما جاء في هذا الاتفاق والعمل على تطبيقه<sup>1</sup>.

وقد تمت محاكمة المتآمرين بعد استلامهم من السلطات التونسية، وتولى كريم بلقاسم رئاسة المحكمة العسكرية، وبعد سماع كل الأطراف بعدل ونزاهة، وسماع كل الشهود<sup>2</sup>، حكم على المتهمين الرئيسيين بالإعدام ونفذ الحكم في مارس 1959 بينما حكم بالسجن على البقية منهم بلهوشات عبد الله، والشريف مساعديه واحمد درايع ولخضر بلحاج<sup>3</sup>.

وصفوة القول أن الحبيب بورقيبة لم يبخل بدعمه للقضية الجزائرية في جميع أطوارها ومراحلها، حيث استمر تأييده وتضامنه إلى غاية استقلال الجزائر، ورغم الاختلافات الكثيرة مع قيادة الثورة حول العديد من المسائل السياسية والعسكرية، والتي غالبا ما حاكتها السلطات الفرنسية بهدف زرع بذور الشقاق بين الطرف الجزائري والتونسي، إلا أن حنكة قيادة الثورة وصدق نية بورقيبة أحيانا، قد ساهما في تجاوز هذه العقبات.

<sup>1</sup> Mohammed Harbi, *Les Archives de La Révolution Algérienne*, Ed Jean Afrique, Paris, 1981, P. 453.

<sup>2</sup> أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص. 406.

<sup>3</sup> الباجي قايد السبسي، المصدر السابق، ص. 315، 316.

## المبحث الثاني: دور علال الفاسي في حركات التحرر المغاربية

## أولاً: علال الفاسي والقضية التونسية

لقد تفاعل زعيم حزب الاستقلال مع القضية التونسية بعد الحرب العالمية الثانية بالخصوص، وذلك ضمن الإطار الأدبي من خلال متابعته للتطورات السياسية التي تشهدها تونس في تلك الفترة مسخرا صحيفة "العلم"<sup>1</sup>، للتضامن مع الشعب التونسي تارة، ومع الحركة الوطنية التونسية تارة أخرى، فعندما تعرض مناضلي الحزب الدستوري التونسي الجديد لاعتداءات وحشية من طرف السلطات الفرنسية<sup>2</sup>، أثناء انعقاد مؤتمرهم الوطني "ليلة القدر" في 23 أوت 1946، تضامنت معهم صحيفة العلم وخصصت صفحاتها للتنديد بهذه الإجراءات، التي وصفتها بالقمعية والمنافية للقوانين الدولية المعبر عنها في ميثاق الأمم المتحدة، وانتقدت السياسة الاستعمارية الفرنسية المطبقة بتونس منذ فرض الحماية سنة 1881. ولم تستثن الصحيفة ما تعرضت له قيادة الحزب الدستوري من ظلم واضطهاد وتعسف من الإدارة الفرنسية.

كما أوردت نفس الصحيفة تصريح "لصالح فرحات" جاء فيه: "إن استقلال تونس حق طبيعي وعالمي، وكما نصت معاهدة باردو على أن الحماية نظام مؤقت، ودعوة الحكومة الفرنسية للأخذ بتونس في السير علنا نحو الاستقلال..."<sup>3</sup>. ثم تطرقت لتصريح الحبيب بورقيبة في المؤتمر الصحفي الذي عقده بالقاهرة على خلفية الاعتداءات التي تعرض لها مناضلو حزبه أثناء عقدهم لمؤتمر ليلة القدر، شرح فيه

<sup>1</sup> جريدة العلم، وهي جريدة يومية مغربية ناطقة باللغة العربية، أسسها قادة حزب الاستقلال المغربي سنة 1946.

<sup>2</sup> جامع بيضا، دور الصحافة في النضال السياسي للحركة الوطنية المغربية من نهاية الحرب العالمية الثانية حتى الاستقلال ندوة المقاومة المغربية ضد الاستعمار 1904-1955، (13 إلى 15 نوفمبر 1991) كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أغادير، المغرب، 1991، ص. 302.

<sup>3</sup> جريدة العلم المغربية، العدد. 2، بتاريخ 13 سبتمبر 1946.

مطالب حزبه وموقفه من فرنسا بقوله: "إننا لسنا أعداء فرنسا ولكن نحن خصوم سياستها..."<sup>1</sup>.

كما أظهر علال الفاسي تضامنه مع قادة الحزب الدستوري التونسي وحكومة شنيق سنة 1950 بعدما رفضت مطالبهم، سواء المطالب السبعة التي تقدم بها الحبيب بورقيبة، أو التي عرضها الوفد التونسي في باريس على الحكومة الفرنسية، رغم انتقاده لهذه الإصلاحات، حيث قال عنها: "ولعل من الساذجة أن نعتبر نقل اختصاص الرقابة من يد السكرتارية العامة، التي هي إدارة تونسية إلى الإقامة العامة، التي هي إدارة فرنسية محض، تقدما في سبيل الحكم الذاتي التونسي"<sup>2</sup>. فوجهة نظره بان هذه المطالب قد تجاوزها الزمن، وان من صالح التونسيين أن يطالبوا بإنهاء الحماية عن بلادهم.

ونفس الموقف اتخذه مرة أخرى من خلال صحيفة حزبه، بعد حملة الاعتقالات الواسعة التي شنتها السلطات الفرنسية عقب انطلاق انتفاضة 18 جانفي 1952 بتونس، ضد مناضلي وزعماء الحزب الدستوري التونسي الجديد، وعلى رأسهم الحبيب بورقيبة، حيث اظهرا تضامنا معهم ومع مطالب الشعب التونسي الطامح للحرية والاستقلال<sup>3</sup>. حيث أعلن من القاهرة عن مؤازرته ودعمه للشعب التونسي في ثورته، من خلال برقية أرسلها للأمين العام للحزب آنذاك "صالح بن يوسف"، ومما جاء فيها: "يسرني أن أعلن لكم تضامن حزب الاستقلال المعبر عن إرادة الشعب المراكشي مع حزب الدستور الذي يقود حركة الاستقلال في القطر الشقيق ويؤكد لكم اتحادنا في الكفاح ويستتكر الاعتداءات الصارخة..."<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> جريدة العلم المغربية، العدد. 310، بتاريخ 10 سبتمبر 1947.

<sup>2</sup> علال الفاسي، المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى، المصدر السابق، ص. 113.

<sup>3</sup> جريدة العلم المغربية، العدد. 1685، بتاريخ 17 جانفي 1952.

<sup>4</sup> نفسه، العدد. 1688، بتاريخ 22 جانفي 1952.

كما رحب علال الفاسي تبني الحركة الوطنية التونسية بفكرة العمل المسلح، خاصة بعد انطلاق عمليات الفلقة في الجبال التونسية، ثم توسع نشاطهم ليعم كافة التراب التونسي، حيث أصبحوا يشكلون تهديدا حقيقيا للتواجد الفرنسي بتونس، لذلك سارعت السلطات الفرنسية إلى اتخاذ جملة من التدابير لإحباط انتفاضة الشعب التونسي سواء على المستوى السياسي أو العسكري، من خلال حملة الاعتقالات الواسعة، للوطنيين التونسيين والمتظاهرين من كافة طبقات المجتمع التونسي، لكن ذلك لم يثن من عزيمتهم، بل استمروا في نضالهم العسكري. مما اثار استحسان علال الفاسي فوصف مقاومتهم قائلاً: "ودخلت تونس في عهد المقاومة الايجابية"<sup>1</sup>. ثم يظهر إعجابه بهذه المقاومة في قوله: "إن الشعب التونسي الشقيق يستبسل في كفاحه إلى حد الإعجاب، ويسير في طريق مجده خطوات شاسعة إلى الأمام، وهو لذلك أحوج ما يكون إلى التأييد والتعضيد"<sup>2</sup>.

لكن فرنسا سرعان ما تنبعت للخطر الذي يدهمها في دول المغرب العربي، خاصة بعد امتداد عدوى الحرب لهذه الدول، وظهور بوادر توحيد الكفاح بينها، فعملت على عزلهم من خلال الاعتراف بالاستقلال الداخلي لتونس سنة 1954 ثم تجسيده في شهر جوان سنة 1955، وهو الأمر الذي رحب به حزب الدستوريين. وفي المقابل فتحت مع ملك المغرب المفاوضات من أجل الاستقلال في نوفمبر 1955، وبذلك قطعت الطريق أمام محاولات مغربة الحرب التحريرية. الأمر الذي رفضه علال الفاسي واعتبره عمل ساذج حيث قال: "وقد أبت السذاجة التونسية إلا أن تتخذ - وليعذرني إخواني الدستوريين في هذا الكلام - لإثبات قوة الحركة الدستورية أمام الناس وإقامة

<sup>1</sup> علال الفاسي، المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى، المصدر السابق، ص. 114.

<sup>2</sup> علال الفاسي، نداء القاهرة، المصدر السابق، ص. 41.

الحجة -فيما زعموا- على فرنسا وهكذا توجه رسل الحكومتين... ورسل الزعيم أبي رقيبة ليطلب الكل من نسور الجبل الاستسلام وإلقاء السلاح<sup>1</sup>.

هذا الموقف الذي تبناه علال اتجاه الدستوريين من خلال تصريحه، يظهر تبني علال لفكرة استمرار المقاومة المسلحة في تونس على غرار صالح بن يوسف، ويظهر رفضه لفكرة وضع السلاح والانخداع بفكرة الاستقلال الذاتي، معتبرا ذلك حاجزا أمام استكمال الاستقلال التام واسترداد الحرية حيث قال: "وأصبح التونسيون المنتصرون في الحرب منهزمين في السياسية"<sup>2</sup>. ثم يوضح عيوب ومساوئ هذا الاستقلال الصوري قائلا: "يحتاج المرء إلى سذاجة منقطعة النظير ليعتقد أن نوعا من الحكم الذاتي يمكن تحقيقه مع كل هذه القيود التي ينص عليها التصريح، ما أعربت عنه المفاوضات من سوء النوايا الفرنسية إزاء تونس والتونسيين"<sup>3</sup>.

لقد رفض علال الفاسي فكرة الحلول الجزئية سواء في تونس أو المغرب، ودعا لاستمرار المقاومة المسلحة حتى نيل الاستقلال التام، وهو ما يفسر تبنيه لفكرة مغربة الحرب وإنشاء جيش التحرير المغاربي سنة 1955، لذلك رفض سياسة الحبيب بورقيبة الذي اختار الاستقلال القطري لبلاده بديلا عن التضامن المغاربي والكفاح المشترك، ولم يعارض فكرة فصل الحبيب بورقيبة من أمانة لجنة تحرير المغرب العربي، فتم إنتخابه خلفا لبورقيبة في 4 أكتوبر 1955 أمينا عاما للجنة<sup>4</sup>.

ولم يتوقف دعم علال للقضية التونسية عن هذا الحد بل إنه أظهر تضامنه مع التونسيين الأبرياء الذين قتلوا في الغارة الفرنسية على ساقية سيدي يوسف في 8 فيفري 1958، هذه المأساة التي امتزجت فيها دماء الحرية التونسية والجزائرية، فكتب معبرا

<sup>1</sup> علال الفاسي، المغرب العربي...، المصدر السابق، ص. 146.

<sup>2</sup> نفسه، 146.

<sup>3</sup> علال الفاسي، المغرب العربي...، المصدر السابق، ص. 172.

<sup>4</sup> محمد العلمي، المصدر السابق، ص. 107.

عن أسفه لهذه المجازر ومنتقدا للسياسة الفرنسية "لقد تحيرت فيما يجب أن يكتب في مأساة سيدي يوسف إلا أنها تجل عن تعليق وتند عن كل تعريف، وهل كان يتصور أن تعمل امة متمدنة إلى الضرب بالطائرات فوق ارض مستقلة محايدة..."<sup>1</sup>.

هذه بعض المحطات التاريخية التي أظهرت تضامن علال الفاسي ودعمه لكفاح الشعب التونسي في حربه ضد الإستعمار الفرنسي، كما أظهرت قيمة النصح الموجه لقادة المقاومة التونسية السياسية والعسكرية على السواء، لأخذ الحيطة والحذر قبل قبول المساومات والحلول الجزئية الفرنسية، الهادفة إلى إطالة أمد الحرب في المنطقة، والحفاظ على مصالحها الحيوية المختلفة، كما تهدف إلى زرع بذور التفرقة بين الأشقاء المغاربة من خلال تشتيت عمل المقاومة ومنع التحامها ووحدتها.

### ثانيا: علال الفاسي والقضية الجزائرية

لعب علال الفاسي دورا بارزا في تنشيط الأحزاب الوطنية المناهضة للاستعمار الفرنسي في المغرب العربي، حيث دافع عن فكرة الوحدة والكفاح المشترك بين مختلف التيارات السياسية الاستقلالية المغاربية، وقد حظيت الثورة الجزائرية من الفكرة الوحديية النصيب الأوفر، ومن اهتمام العديد من الأقطاب السياسية في المغرب العربي الكبير بصفة خاصة: أمثال محمد الخامس وعبد الكريم الخطابي والحبيب بورقيبة وإدريس السنوسي وعلال الفاسي<sup>2</sup>.

### 1/ موقف علال الفاسي قبل اندلاع الثورة الجزائرية

تعد القضية الجزائرية من أبرز القضايا التحريية ضد الاستعمار في العالم ومنبر للعديد من المفكرين والسياسيين وأحرار العالم، لذلك انبرى علال الفاسي للدفاع عن هذه القضية العادلة، من خلال مؤلفاته وكتاباته الصحفية وندواته السياسية، لا سيما

<sup>1</sup> علال الفاسي، دفاعا عن وحدة البلاد، المصدر السابق، ص. 215.

<sup>2</sup> محمد الصالح الصديق، المرجع السابق، ص. 213.

وأن علال قد كانت له إتصالات وتتسيق مع القادة الجزائريين في القاهرة قبل وبعد إندلاع الثورة الجزائرية المباركة في الفاتح من نوفمبر سنة 1954.

لقد تبين موقف علال الفاسي قبل الثورة الجزائرية، عندما اشتدت أزمة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية (MTLD) سنة 1953<sup>1</sup>، فقد سعى في هذه المرحلة إلى اقتراح الحلول التي تساهم في تقريب وجهات النظر بين الطرفين، فعندما قرر مصالي الحاج عقد مؤتمر أورنو في بلجيكا يومي 14-15 جويلية 1954، تشكل وفد جزائري في القاهرة برئاسة محمد خيضر<sup>2</sup>، وكلف بإصلاح ذات البين بين الفريقين المتنازعين، فحملهم علال رسالة إلى مصالي الحاج ناصحا ومرشدا، حسب ما ذكره في كتابه المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى قائلا: "... وقد قرر الرئيس دعوة مؤتمر خارق للعادة لمجابهته بالموقف... وحملته رسالة للصدوق مصالي الحاج أنصحها فيها بعدم عقد ذلك المؤتمر"<sup>3</sup>.

كما حرص أيضا على وحدة الصف بين الجزائريين لكي لا ينعكس هذا الصراع بالسلب على جهود الوفد الجزائري بالقاهرة، الذي يتأسسه محمد خيضر في مسعاه لطرح القضية الجزائرية عربيا، ويذكر علال في هذا الصدد أن: "الوفد الجزائري في مصر كان يتأسسه محمد خيضر، الذي بذل جهودا قومية قوية استطاع أن يطرح القضية

<sup>1</sup> حزب سياسي استقلالي جزائري تأسس في 11 مارس 1937 بالجزائر من طرف مصالي الحاج، وهو امتداد لنجم شمال افريقيا الذي تم حله بتاريخ 26 جانفي 1937. بعد الحرب العالمية الثانية غير تسميته لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية سنة 1946، ظهرت فيه أول نواة للعمل المسلح (المنظمة الخاصة) سنة 1947، والتي كان لها الدور الرئيسي في تفجير ثورة الفاتح من نوفمبر 1954 بالجزائر، بعد الأزمة الخطيرة التي شهدتها هذا الحزب سنة 1953، في حين بقي زعيمه مصالي الحاج معارضا للثورة حتى الاستقلال. أنظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ط. خ، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص. 144، 145.

<sup>2</sup> مناضل في نجم شمال افريقيا وعضو في حزب الشعب، ثم ممثل لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية 1947 إلى غاية 1951 بالقاهرة، عضو بالوفد الخارجي للثورة من 1954 إلى 1956، من الأعضاء الخمسة المختطفين يوم 22 أكتوبر 1956، بعد الاستقلال لجأ إلى الخارج وتم اغتياله في 04 جانفي 1967. أنظر: صالح بلحاج، تاريخ الثورة الجزائرية، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2008، ص. 712.

<sup>3</sup> علال الفاسي، المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى، المصدر السابق، ص. 99، 100.

الجزائرية في البساط العربي بصفة جدية لأول مرة مقدمة لنقلها إلى المحافل الدولية... كما كانوا في الخارج يخططون إلى توحيد العمل الثوري، أو بالأحرى ثورة موحدة مع المغرب الأقصى<sup>1</sup>.

فحرصه قائم على وحدة الصف بين الجزائريين بدرجة أولى، لبلوغ أهدافهم ومساعدتهم الاستقلالية، ومن ناحية أخرى وحدة الصف مع المغاربة لتحقيق التضامن المغاربي، حيث يذكر في كتابه "الحركات الاستقلالية": "لم تأل كتلة العمل الوطني أولاً والحزب الوطني ثانياً جهداً في سبيل توحيد الخطة في شمال إفريقيا بين مختلف هيئاتها وأحزابها، ولقد مضى وقت كانت فيه جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا رمزا للمحاولات الكبيرة لتحقيق هذه الفكرة"<sup>2</sup>، ثم يضيف: "لقد كان أول ما فكر فيه حزب الاستقلال على إثر تأسيسه أن يخطو بهذه العلاقات القلبية بين حركات الأقطار الثلاثة إلى مدى أوسع ومجال أوفى"<sup>3</sup>.

وهي الفكرة التي سعى بن بلة ورفاقه في اللجنة الثورية للوحدة والعمل إلى تجسيدها على أرض الواقع مع بعض قادة عمليات المقاومة المغربية في حزب الاستقلال الذي يترأسه علال الفاسي، من خلال تفجير ثورة منظمة في المغرب والجزائر في نفس التوقيت، وفي هذه القضية يذكر علال بأن: "التصور الخاطئ للمقاومة المغربية واعتقاداتهم بصعوبة قيام الجزائريين بتفجير ثورة لقلّة الإمكانيات جعلهم يترددون في ذلك"<sup>4</sup>.

وقد أثبتت الوقائع التاريخية فيما بعد خطأ اعتقاد القيادة المراكشية، فالمفاجأة كانت كبيرة بالنسبة لهم عند اندلاع الثورة الجزائرية في الفاتح من نوفمبر 1954، إذ لم

<sup>1</sup> علال الفاسي، المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى، المصدر السابق، ص. 99.

<sup>2</sup> علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص. 485.

<sup>3</sup> نفسه، ص. 486.

<sup>4</sup> فتحي الديب، المصدر السابق، ص. 96.



يعتقدوا أبداً أن بإمكان الجزائريين توحيد صفوفهم والالتحاق بركب الثورة في تونس والمغرب، ولكنهم استبشروا خيراً وخططوا لتوسيع نطاق عملياتهم الفدائية وإمكانية التنسيق مع الثورة الجزائرية.

وقد تجسد هذا التصور على أرض الواقع بعقد ميثاق بين الأحزاب المغاربية (حزب الاستقلال المغربي، وحزب الدستور التونسي، وحركة الانتصار للحريات الديمقراطية)، ووقع عليه ممثلي الأحزاب الثلاث في نوفمبر 1954، قد جاء في مقدمة الميثاق مايلي: "لما كانت شعوب شمال إفريقيا متجهة نحو وجهة واحدة لمحاربة الاستعمار بجميع أنواعه والسير نحو الاستقلال، وتثبيت السيادة الوطنية، والعمل على وحدة الشمال الإفريقي في دائرة جامعة الدول العربية، رأى ممثلو الهيئات السياسية الموقعة على الميثاق، أن يخرجوا هذه الوجهة المتحدة من حيز النظر والعاطفة إلى حيز العمل، راجين من المولى تعالى أن يسدد خطاهم ويبلغ مناهم..."<sup>1</sup>.

مما سبق نخلص إلى أن علال عمل على توحيد الكفاح في إطار الشمال الإفريقي عموماً، ومع الطرف الجزائري الذي تمثله حركة الانتصار للحريات الديمقراطية خصوصاً، وذلك عقب انسحاب الطرف التونسي من لجنة تحرير المغرب العربي، من خلال ممثلها الزعيم الحبيب بورقيبة، وتبنيه لفكرة الاستقلال القطري وستتضح معالم هذا التعاون أكثر عند اندلاع الثورة الجزائرية سنة 1954.

## 2/ دور علال الفاسي أثناء الثورة الجزائرية

### أ/ الدعم المعنوي والفكري:

ساند علال الفاسي الثورة الجزائرية في عدة مناسبات وتظاهرات سواء منها العربية أو الدولية من خلال خطابه وعرائضه الداعمة للثورة، وحتى من خلال كتاباته

<sup>1</sup> علال الفاسي، المصدر السابق، ص. 486.

ومؤلفاته كما سنرى ذلك لاحقاً، وقد تجلت أولى مظاهر هذا الدعم في النداء الذي وجهه من القاهرة للشعب الجزائري في كتابه "نداء القاهرة" عقب اندلاع الثورة التحريرية الكبرى، عبر فيه عن عظيم إعجابه بشجاعة الشعب الجزائري الراض للتواجد الاستعماري ببلاده قائلاً: "أيها الشعب الجزائري الكريم... من هذا البلد الأمين مصر العزيزة، وباسم مراکش الشقيقة، وحركتها الاستقلالية العظيمة، أبعث لك بأطيب التحايا وأزكى التسليم، وأعبر لك عن عظيم إعجابي، وكبير السرور الذي دخل على نفوسنا حين انبعثت منك هذه الشعلة المضيئة، التي تثير الأفق في المغرب العربي كله ونهنتك بالمواقف العظيمة، والغمرات الجسيمة التي تخوضها دفاعاً عن حقك واستبسالا في سبيل حريتك، ونصرة لدينك وعروبتك، وكبتاً لأعدائك ومستعمريك"<sup>1</sup>.

ثم يضيف: "وإنها لانتفاضة عظيمة ضربت بها المثل للشعوب المستعبدة، طالما انتظرها إخوانك، علما منهم بان الجزائر البيضاء لا بد أن تزلزل أركان الاستعمار متى تحركت، وتهدد دعامة الاستعباد متى انتفضت. وأن المغرب العربي لا يتحرر، إلا إذا اتسقت فيه حركة الكفاح وانتظم فيه عقد الجهاد، فهنيئاً لك بمواقفك، وشكراً لك على أن سددت الثغرة وأعطيت العبرة"<sup>2</sup>.

لقد أظهر علال من خلال هذا النداء شدة حبه للشعب الجزائري ودعمه لكفاحه ونضاله الطويل والمضني ضد التواجد الاستعماري الفرنسي في بلاده، لذلك قدم له النصائح والحلول الكفيلة للقضاء عليه، وشحذ هممه، والهيب حماسه لمواصلة الكفاح، واستعادة حريته واستقلاله. كما كتب علال الفاسي مقالاً في جريدة الشهاب الجزائرية، يشجع فيها الشعب بجزائري ويشيد بأعماله الجليلة حيث قال "أرجو منكم -جريدة

<sup>1</sup> علال الفاسي، نداء القاهرة، المصدر السابق، ص. 89.

<sup>2</sup> نفسه، ص. 90.

الشهاب- قبولها ونشرها على صفحات جريدتكم الغراء ودمتم في عز وهناء وسلام"،  
وجاء في القصيدة مايلي:

أنت الشهاب تضيء الفكر بالأدب	قم للجزائر وأنعش مجدها العربي
ما كنت أحلى لدى الأذواق من ضرب	لولا محاسنك الغر التي عرفت
والحق أرجح ميزان من الذهب	إتخذت دينك قول الحق بينهم
والصدق أعظم إصلاح من الشغب	وقمت بصدق في إصلاح السنة
(السيف أصدق أنباء من الكتب) <sup>1</sup> .	كُتبت ما لو درأه القوم ما كتبوا

لكنه بعد استقلال المغرب سنة 1956 أعلن وقوفه إلى جانب الملك المغربي ودعا حركة المقاومة إلى توقيف نشاطها الثوري، وبالتالي تخلى عن مبدأ مواصلة الكفاح المسلح ضد الفرنسيين، وتنسيق العمل المغاربي المشترك، وانصب إهتمامه بالمشاركة في السلطة وتحقيق أهداف قطرية<sup>2</sup>. ولعل ما يؤكد صحة ما ذهبنا إليه هو عدم إتخاذه لأي موقف إيجابي أثناء إنعقاد المؤتمر الإستثنائي لحزب الإستقلال في ديسمبر 1955، حيث انصبت إهتماماته على القضايا المغربية فحسب خاصة بعد الشكوك التي حامت حول توجهات جبهة التحرير الوطني<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> علال الفاسي، أيها الشهاب الثاقب، جريدة الشهاب، العدد 38، السنة الثانية 1344-1345هـ/1926-1927م.

<sup>2</sup> محمد سريج، المرجع السابق، ص. 521.

<sup>3</sup> في هذا الصدد يذكر أحمد توفيق المدني أن بوصوف قد أشتكى من بعض الصعوبات التي تواجه جيش التحرير الوطني في المغرب، وتعرقل عملية التضامن المغاربي مع الثورة الجزائرية، نتيجة عدم تقبل مع الأطراف السياسية المغربية لتوجهات الجبهة الإيديولوجية، مما إستدعى تنقل أحمد توفيق المدني رفقة الأمين دباغين إلى المغرب في 18 فيفري 1957، والإتصال برجال المقاومة المغربية وحزب الإستقلال للإطلاع على حقيقة الخلاف، فنتبين أن جماعة حزب الإستقلال وعلى رأسهم علال الفاسي، يعتقدون بان توجهات الجبهة شيوعية وذلك بناء على تصريحات بعض القادة الجزائريين، فما كان من الوفد الجزائري إلا أن وضع خطأ هذا الإعتقاد، وصرح لهم: "بأننا لسنا شيوعيين ولن نكون شيوعيين..." بل اتجاهاً إسلامي بحت، فأظهر جماعة الحزب إقتناعهم بذلك، وأبدوا تضامنهم مع الكفاح الجزائري. أنظر: أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص. 282، 283.

بعد هذه التوضيحات التي قدمتها الجبهة لممثلي حزب الاستقلال عمل هؤلاء وفي مقدمتهم علال الفاسي على تقديم الدعم السياسي للقضية الجزائرية في مختلف المناسبات والمحافل الدولية، وهوما تجلى من خلال العديد من مقالاته التي تظهر مواقفه المختلفة من الاستعمار الفرنسي من جهة ودعمه للجزائر وشعبها من جهة أخرى<sup>1</sup>. كما تحدث عن مسألة الصحراء ومسألة الحدود المغربية في "مجلة الصحراء" التي أسسها سنة 1957 حيث نجده يعتبر قضية الجزائر قضية حياة أو موت إذ قال "أما الجزائر فنحن نعتبر قضيتها في الطليعة، وأعر علينا من قضية السلام العالمي، ومن انتصار الديمقراطية على الشيوعية أو العكس، لأنها قضية حياة أو موت بالنسبة إلينا"<sup>2</sup>.

كما أعرب أيضا عن تصميمه لتحرير الجزائر قائلاً: "إننا مصممون على تحرير الجزائر ولو انقسمت الدنيا كلها ضد الجزائر"<sup>3</sup> وفي كتابه منهج الاستقلالية يعلنها صراحة: "أما القضية التي أهدت بلادنا كثيرا، من قضايا إفريقيا، لأنها جزء من قضية بلادنا نفسها، فهي مسألة تحرير الجزائر"، واستطرد الزعيم قائلاً: "إن إستقلال الجزائر ليس ببعيد وإن وحدة شمال إفريقيا ستتحقق في القريب"، وختم بقوله: "وإذا ماتحقت هاته الوحدة لن يمتنع أي مغربي تونسيا كان أو مراكسيا أو جزائريا من مد المساعدة لفرنسا في نطاق المصلحة العامة وعلى قاعدة العلاقات الحرة بين الشعوب"<sup>4</sup>

إن هذا الموقف الذي تبناه علال اتجاه الثورة الجزائرية في بدايتها قد استمر وتطور مع تواصل أحداث الثورة وتشعبها، خاصة بعدما أصبحت جزءا من الكفاح

<sup>1</sup> محمد سريج، المرجع السابق، ص. 521.

<sup>2</sup> علال الفاسي، دفاعا عن وحدة البلاد، منشورات مؤسسة علال الفاسي، ط. 2، الرباط، المغرب، 2009، ص. 132.

<sup>3</sup> علال الفاسي، كي لا ننسى، المصدر السابق، ص. 276.

<sup>4</sup> علال الفاسي، منهج الاستقلالية، المصدر السابق، ص. 199، 200.

المغاربي المشترك، فنجده في كل مناسبة، يدعو إلى ضرورة إقامة وحدة المغرب العربي المستقل، ويظهر حرصه ووقوفه إلى جانب جبهة التحرير الوطني، ويربط استقلال المغرب باستقلال الجزائر<sup>1</sup>، ويطالب فرنسا بضرورة التخلي على فكرة الاستعمار في شمال إفريقيا، فكان يدعو في كل مرة الشعوب المغاربية لكي تكون لحمة واحدة متضامنة مع الشعب الجزائري ماديا ومعنويا<sup>2</sup>. إذ يقول في هذا الصدد في كتابه دفاعا عن وحدة البلاد: "فهل من المعقول أن نترك نحن المغاربة، والتونسيون الفرنسيون يلعبون هذه الألعاب في القطر الجزائري الشقيق"؟<sup>3</sup>.

ويضيف في مقال آخر في سبتمبر 1956 منتقدا السياسة الفرنسية في الجزائر: "إنه لعزيز علينا أن تطول هذه الحرب الطاحنة في القطر الشقيق، واعز من ذلك أن يبقى إخوتنا الجزائريين تحت الاستعباد الفرنسي، خصوصا وأنه ليس في الأفق ما يدل على أن فرنسا تريد أن تتصفنا في أمر الجزائر، وكل المشروعات التي يتحدث عنها في الصحف لا تخرج، عن دائرة إصلاحات جزئية لا تحقق لإخواننا أي استقلال وتحرير"<sup>4</sup>.

ومن المواقف التي تحسب له عند قيام فرنسا بعملية القرصنة ضد الطائرة المغربية المقلة للوفد الجزائري، في 22 أكتوبر 1956، الحملة التي شنّها على فرنسا واصفا تصرفها بـ"قرصنة العصور الوسطى"، ثم رد بمقال عنوانه "بالقرصنة المقبلة" قال فيه: "إن الاعتداء على الطائرة المغربية وإجبارها على النزول في التراب الجزائري واعتقال إخواننا ممثلي جبهة التحرير الجزائرية الذين كانوا فيها، عمل خارق لجميع القوانين وللتقاليد التي سارت عليها الدول في معاملة بعضها البعض،... وهكذا خرقت

<sup>1</sup> أنظر الملحق رقم 22، دعوة علال الفاسي من القاهرة إلى وجوب التضامن مع القضية الجزائرية، ص. 415.

<sup>2</sup> علال الفاسي، المرجع السابق، ص. 199.

<sup>3</sup> علال الفاسي، دفاعا عن وحدة البلاد، المصدر السابق، ص. 281.

<sup>4</sup> علال الفاسي، رأي مواطن، منشورات مؤسسة علال الفاسي، الرباط، المغرب، 1985، ص. 379، 380.

فرنسا كل قواعد اللياقة، وتقاليد الفروسية التي كانت تفتخر بها إلى جانب خرقها لحقوق الإنسان وقواعد المعاملة بين الدول"<sup>1</sup>.

ولكنه في المقابل رفض التضامن مع الوفد الجزائري، وذلك بعد الدعوة التي وجهتها مصر للشعوب العربية، بالإضراب عن العمل ليوم واحد معتبرا أن حربه أدى ما عليه في فترات سابقة، وبأن الوضع السياسي في المغرب لا يسمح بمثل هذا التصرف<sup>2</sup>.

ورغم هذا الموقف السلبي من وجهة نظرنا إلا أن علال واصل انتقاده للسياسة الفرنسية، معتبرا بأن عهد الاستعمار قد انتهى، والفرنسيون لم ييأسوا من إبقاء الجزائريين تحت حكمهم، وانتقد علال أسلوب فرنسا في التعامل مع القضية الجزائرية من خلال تمسكها بأفكار العهود الاستعمارية القديمة وقد عبر بقوله: "إننا نؤمن بأن حل المشكل الفرنسي الجزائري في نبذ هذه الأفكار الجامدة، وفي التقدم إلى المفاوضات مع المسؤولين في جيش التحرير الجزائري، وقبول وساطة القطرين الشقيقين تونس والمغرب"<sup>3</sup>.

ويجدد علال موقفه الراض للسياسة الفرنسية بالجزائر من خلال رفضه لمشروع ديغول الإدماجي في الجزائر سنة 1958 عندما أراد استفتاء الشعب الجزائري، حول الدستور الفرنسي مستخدما صيغة، هل تقبل أن تندمج في الوطن الفرنسي أم لا؟ فاعتبر علال أن إعلان ديغول لهذه الفكرة، هو أعظم دليل على أن الجزائر كانت مستعمرة، وبذلك فهي غير فرنسية<sup>4</sup>، ورد على ادعاءات دوغول بأن الجزائر فرنسية،

<sup>1</sup> علال الفاسي، رأي مواطن، المصدر السابق، ص. 381، 383.

<sup>2</sup> نفسه، ص. 385.

<sup>3</sup> علال الفاسي، دفاعا عن وحدة البلاد، المصدر السابق، ص. 141.

<sup>4</sup> علال الفاسي، رأي مواطن، المصدر السابق، ص. 282.

بخطاب ساخر قال فيه: "ليتني حضرت في مهرجان دوغول لكي أتأكد أن الجنرال دوغول لم يغلبه الضحك وهو يعلن في طرحه هذه الكذبة"<sup>1</sup>.

وعندما تشكلت الحكومة الجزائرية المؤقتة سنة 1958، دعا إلى تنظيم مهرجان شعبي بالرباط لتأييد ومساندة الثورة الجزائرية، وطالب في هذا المهرجان فرنسا، الاعتراف بالحكومة الجزائرية المؤقتة كونها المتحدث الشرعي باسم الشعب الجزائري: "لقد وجهت في خطاب الختام نداء لفرنسا لتراجع حساباتها، وتعترف باستقلال الجزائر وأن موقفنا من فرنسا ومن قضية الجزائر معروف ولا يمكن أن يتبدل"<sup>2</sup>. كما حيا الجزائر حكومة وشعبا وذلك في الكلمة التي ألقاها أثناء انعقاد مؤتمر الدار البيضاء 1960 قائلا: " فأحي باسمكم الحكومة الجزائرية، المقيمة الآن مؤقتا في مدينة المحمدية على مقربة منا... كما أحيي إخواننا المجاهدين في سهول الجزائر، وجبالها... ولست أريد أن أزيد في أمر الجزائر شيئا، على ما تعلمون من فكرنا، الجزائر وطننا وقضيتها قضيتنا"<sup>3</sup>.

كما لانسى موقفه عند إلقاء السلطات الفرنسية القبض على البطل الشهيد العربي بن مهيدي، حيث ذكر مناقب البطل وبطولاته وصدق وطنيته وقوة إيمانه، في كلمة تحت عنوان: "متى تنتصح فرنسا"، وطالب من الإدارة الفرنسية إلا تتهور وأن تبتعد عن روح الإنتقام، لان ذلك من شأنه تعميق الهوة بين الجزائر وفرنسا ويطيل في عمر الأزمة الجزائرية<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> محمد ودوع، المرجع السابق، ص. 280، 281.

<sup>2</sup> علال الفاسي منهج الاستقلالية، المصدر السابق، ص. 199.

<sup>3</sup> علال الفاسي، المصدر السابق، ص. 199.

<sup>4</sup> محمد الصالح الصديق، المرجع السابق، ص. 214.

## ب/ الدعم المادي

ارتبطت الثورة الجزائرية منذ اندلاعها في الفاتح من نوفمبر 1954، بحركة المقاومة المسلحة في تونس والمغرب، فكانت حافزا مشجعا للثوار في المغرب العربي لتعميم الكفاح المسلح في كامل المنطقة وتوحيد الحركة التحريرية فيها، وهي الأمنية التي طالما راودت الوطنيين المغاربة منذ أربعينات القرن الماضي، فنداء أول نوفمبر 1954 نص على ضرورة تحقيق الاستقلال في إطار الشمال الإفريقي، وهي نظرة سياسية بعيدة المدى وجدت صداها، عند الملتفين حول ميثاق القاهرة الداعي إلى تنسيق وتوحيد جبهة الكفاح في المغرب العربي.

وعلى إثر ذلك قام "علال الفاسي وبن بلة" بتبني فكرة توحيد الكفاح المسلح في كل من الجزائر والمغرب بعد توصل الطرفان المغربي والجزائري بعد عدة اجتماعات إلى التأكيد على ضرورة العمل الوحدوي التحرري لمغربة الحرب<sup>1</sup>، من خلال إنشاء جيش تحرير المغرب العربي، الذي كان في سنة 1954 مرتبطا ارتباطا وثيقا بجيش التحرير الوطني، واستفاد منه بالحصول على الأسلحة مما مكنه من فتح الجبهة المغربية<sup>2</sup>.

وبتاريخ 04 أكتوبر 1955 بالقاهرة ألقى علال الفاسي -الذي كان أمينا عاما في لجنة تحرير المغرب- بيانا جاء فيه: "أعلنت حركة المقاومة المراكشية وجبهة التحرير الوطني الجزائرية في بلاغ مشترك أصدرناه أمس، تكوين قيادة موحدة للحركتين تتولى الإشراف على حركة التحرير، القائمة في كلا القطرين، والتي سينضوي جميع أفرادها في جيش تحرير المغرب العربي"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> علال الفاسي، دفاعا عن وحدة البلاد، المصدر السابق، ص. 240.

<sup>2</sup> معمر العايب، المرجع السابق: ص. 10.

<sup>3</sup> علال الفاسي، نداء القاهرة، المصدر السابق، ص. 113، 114.



وبهذا دخلت حركة التحرير المغربي في طور جديد، ميزه التعاون والتنسيق المشترك، في الخطط والعمليات، التي تنفذها المقاومة<sup>1</sup>، على غرار التنسيق العسكري لوضع إستراتيجية عمل مشترك بين علال الفاسي وعبد الكريم الفاسي واحمد بن بلة ومحمد خيضر ومحمد بوضياف، وسعت هذه القيادة إلى تحرير المغرب العربي وتحقيق أهدافه الوطنية التي اتفقت عليها جل الأحزاب المغاربية والتي جاءت في ميثاق لجنة التحرير المغرب العربي، فكان إعلان علال الفاسي من القاهرة عن بداية الكفاح. مرحلة جديدة في تاريخ المقاومة المشتركة بين البلدين<sup>2</sup>.

قام جيش التحرير المغربي بعدة معارك هامة، ووجه ضربات قوية للقوات الفرنسية والحق بها خسائر كبيرة، وبذلك دخلت حركة التحرير المغاربية مرحلة حاسمة وأصبح جيش تحرير المغرب العربي حقيقة مجسدة في الميدان<sup>3</sup>، وقد تجسد نشاطه الفعلي في المرحلة الأولى للثورة الجزائرية (1954-1956) وعزز الشعور المغاربي العميق بالوحدة والتضامن، مما انعكس ايجابا على الوضع في شمال إفريقيا من خلال تسريع فرنسا باستقلال تونس والمغرب بداية من شهر مارس 1956<sup>4</sup>.

يتضح لنا مما سبق أن الجهود التي بذلها علال الفاسي وجبهة التحرير الوطني في مغربة الكفاح، هدفها تحقيق استقلال جميع الدول المغاربية دون استثناء، من خلال توحيد حركة المقاومة داخل جيش تحرير المغرب العربي، وعمل علال على توجيهه وإمداده بالمعونات المادية والمعنوية<sup>5</sup>، إلا إن استقلال تونس والمغرب عجل بخنق العمل الوحدوي لجيش تحرير المغرب العربي، رغم أن النشاط السياسي تواصل في

<sup>1</sup> عبد الحميد المرنيسي، المصدر السابق، ص. 141.

<sup>2</sup> علال الفاسي، نداء القاهرة، المصدر السابق، ص. 113، 114.

<sup>3</sup> عبد الله مقلاتي، العلاقات الجزائرية المغاربية، الجزء 1، المرجع السابق، ص. 133.

<sup>4</sup> نفسه، ص. 337.

<sup>5</sup> عبد الكريم غلاب، المصدر السابق، ص. 204، 205.

إطار لجنة تحرير المغرب العربي في القاهرة، لإيمانها بمبادئها وبوحدة الكفاح للمغرب العربي، حتى انتهت رسميا عام 1956<sup>1</sup>، ورغم ذلك فعلا قد استمر في دعم الثورة الجزائرية حتى بعد استقلال المغرب ولو بدرجة أقل من ذي قبل، وتجسد ذلك من خلال مواقفه إتجاه السياسة الفرنسية عن طريق "مجلة الصحراء" التي أسسها سنة 1957.

### ج/ الدعم السياسي والدبلوماسي

تعددت وتنوعت مظاهر الدعم السياسي للزعيم علال الفاسي للثورة الجزائرية، من خلال استغلال المناسبات الوطنية للتعبير عن المساندة والتضامن المغربي، على غرار مهرجان مدينة طنجة سنة 1957، والذي نظم خصيصا لتكريم أحد أبطال المقاومة المغربية، فوجه الزعيم رسالة صريحة للسلطات الفرنسية بضرورة إيجاد حل للقضية الجزائرية، مؤكدا أنه من مصلحة فرنسا إرضاء الشعب الجزائري<sup>2</sup>. كما تضمن بيان اللجنة التنفيذية لحزب الإستقلال الصادر يوم 2 مارس 1958 تنديدا صريحا بالممارسات الفرنسية على الحدود التونسية الجزائرية، من خلال إنشاء منطقة محرمة أطلق عليها "منطقة الموت" يطرد منها الجزائريين بالقوة، مناشدين في نفس الوقت المجتمع الدولي للتحرك ضد هذه الجريمة البشعة في حق الشعب الجزائري الأعزل<sup>3</sup>.

كما تجسدت القناعة المغربية المؤيدة لفكرة ضرورة دعم القضية الجزائرية على المستوى الدبلوماسي والسياسي أيضا، من خلال البحث عن حلول سياسية ملموسة مثلتها فكرة عقد مؤتمر طنجة المغاربي سنة 1958 بالمغرب، والذي اكتسب أهمية كبيرة بالنسبة للمغرب العربي، من خلال التركيز على دعم القضية الجزائرية وإبراز

<sup>1</sup> عبد الله مقلاتي، المرجع السابق، ص. 198.

<sup>2</sup> محمد سريج، المرجع السابق، 522.

<sup>3</sup> عبد الله مقلاتي، الثورة الجزائرية والمغرب العربي، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2013، ص. 130.

مكانتها العربية والدولية، حيث أكد القادة في هذا المؤتمر أن حرب الجزائر هي العائق الوحيد أمام تحقيق هذه الوحدة، وكانت الدعوة إلى عقد مؤتمر طنجة بمبادرة حزب الاستقلال المغربي<sup>1</sup>، حيث شارك فيه علال ممثلاً لحزب الاستقلال، رفقة احمد بلافريج وعبد الرحيم بوعبيد، وقيادات مغربية وتونسية، وجزائرية رسمية وشعبية<sup>2</sup>.

وهذه الفكرة لم تكن وليدة سنة 1958، بل تعود إلى تاريخ انعقاد قمة تونس في أكتوبر 1956، والتي لم تكن جبهة التحرير الوطني حاضرة فيها، بعد القرصنة التي تعرض لها قادة الثورة الخمسة من طرف الطائرات الحربية الفرنسية، وبالنسبة لعالل الفاسي الزعيم الوطني والمنظر السياسي، فقد انطلق في دعوته لعقد هذا المؤتمر عندما فطن أن التمزق السياسي والضعف الاقتصادي هو من مساوئ الفرقة لأبناء الوطن الواحد<sup>3</sup>.

لقد انعقد مؤتمر طنجة في الفترة الممتدة من 27 إلى 30 أبريل سنة 1958 بالمغرب الأقصى وترأسه علال الفاسي، وألقى فيه خطاباً تحدث فيه عن استقلال كلا من تونس والمغرب الأقصى، مذكراً بأن الجزائر بقيت بمفردها في مواجهة الاستعمار، وموضحاً أن استقلال كل من تونس والمغرب يبقى فارغاً من محتواه دون الجزائر، فوجه خطابه تحية لشهداء الجزائر قائلاً: "واني أتوجه باسمكم إلى أرواح شهداء القطر الجزائري الشقيق محيياً باسم الشعب المغربي جميعاً، معاهداً الله على أننا سنواصل العمل من أجل المثل الذي ضحوا من أجله"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> معمر العايب، المرجع السابق: ص. 125.

<sup>2</sup> محمد خير الدين، مذكرات الشيخ محمد خير الدين، الجزء. 2، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، (د. ت، ن)، ص. 188، 189.

<sup>3</sup> عبد الرحيم بن سلامة، المرجع السابق، ص. 97.

<sup>4</sup> أبو بكر القادري، مذكرات في الحركة الوطنية المغربية، الجزء. 3، القسم الأول، المصدر السابق، ص 80.

وعند الانتهاء من إلقاء الوفود خطابات الافتتاح قام السيد علال الفاسي بعرض نقاط جدول أعمال المؤتمر التي احتوت على النقاط التالية:

- انعكاسات الحرب على المستوى المغرب العربي.
- الوسائل العملية للتعجيل باستقلال الجزائر.
- الإجراءات التطبيقية المترتبة على هذه الوسائل في أقطار المغرب العربي.
- تصفية بقايا السيطرة الاستعمارية في أقطار المغرب العربي
- الوحدة المغاربية.
- الهيئة الدائمة لتنفيذ قرارات المؤتمر<sup>1</sup>.

ورغم كل ما قيل حول هذا المؤتمر إلا النية الحسنة لعلال الفاسي ورغبته الملحة في دعم استقلال الجزائر وبناء مغرب قوي وموحد، ولتجسيد وحدة مغاربية تحقق طموحات الشعوب المغاربية تشفع له، فالمبادرة والفكرة كانت هادفة وسامية من طرف زعيم حزب الاستقلال المغربي، خاصة وأنه وجه الدعوة للأحزاب الفاعلة والمؤثرة في الساحة المغاربية، على غرار الحزب الحر الدستوري التونسي، وجبهة التحرير الوطني الجزائرية التي ترددت في بداية الأمر حول المشاركة في هذا المؤتمر.

كما هدف علال من وراء هذه الدعوة أيضا إلى دراسة الأوضاع المستجدة على الساحة المغاربية، والبحث عن سبل لجلاء قوات الاستعمار الفرنسي عن المنطقة، وتحقيق الهدف المنشود وهو بناء صرح مغاربي موحد ومتكامل ومتضامن مع الثورة الجزائرية، وهو ما قصده من خلال قوله: "لقد كان لإستمرار الثورة في الجزائر أثره الفعال في حثنا على التعجيل بالسير نحو تضامن قوي، وتكتل أقوى، إيماننا منا بأن

<sup>1</sup> عبد الله مقلاتي، دور بلدان الوطن العربي في دعم الثورة التحريرية 1954-1962، ج.1، وزارة الثقافة الجزائر، ص. 170.

كل قطر من أقطار المغرب العربي لا يقوى على مجابهة الاستعمار وحده"، ثم يضيف "فإذا استمرت الجزائر تحت نير الاستعمار فمن العبث أن نطمئن على استقلالنا"<sup>1</sup>.

وبذلك يكون انعقاد مؤتمر طنجة نقطة تحول بارزة في مسار الثورة الجزائرية، من خلال إعطائه دفعا دبلوماسيا ومعنويا للقضية الجزائرية في المحافل الدولية، كما انه جاء في وقت كانت فيه الثورة بحاجة إلى تضامن القوى المغاربية بكل أطيافها، حيث تمكن المجتمعون من الاتفاق على جملة من القرارات الحاسمة في هذه المرحلة الحرجة من كفاح الشعب الجزائري. ولعل الخطاب الذي اختتم به هذا المؤتمر بصفته رئيسا له، يبرز الدور الإيجابي لعلال اتجاه القضية الجزائرية حيث قال: "إن المغرب كل لا يقبل التجزئة، وأن استقلال القطرين مهما كان نتيجة عظيمة للكفاح الشعبي، فإنه يظل فارغا من محتواه إذا لم يتم إستقلال الجزائر". ثم أضاف "وأتوجه لإخوانكم الذين ما أنفكوا يطيطرون بين أنحاء العالم يبشرون بقضية الجزائر، ويبحثون عن وسائل تدعيمها في كل مكان، إنهم أصدقاؤنا قادة جبهة التحرير الجزائرية المنبثقة عن صميم الشعب الجزائري، والتي أسست على إرادة من الشعب وضرورة الكفاح، فضمت كل العناصر على إختلاف نزعاتها واهوائها..."<sup>2</sup>.

كما لم يبخل علال الفاسي بدعمه الدبلوماسي للقضية الجزائرية، ولو من باب طرح الحلول وتقديم النصح، والتتديد بسياسات الدول الكبرى داخل المنظمة الدولية، بل وانتقاد مقترحات بعض الدول العربية، فعندما طالب بعض الرؤساء العرب أثناء تدخلهم لدى الأمم المتحدة، بضرورة إرسال شرطة دولية لمنع استمرار الحرب بين الجزائريين والفرنسيين، كتب علال مقالا وضح فيه وجهة نظره ومبينا استغرابه من هذا الطلب حيث قال: "إن قضية الجزائر في نظري ليست قضية إيقاف الحرب القائمة كما

<sup>1</sup> علال الفاسي، دفاعا عن وحدة البلاد، المصدر السابق، ص. 207.

<sup>2</sup> محمد الصالح الصديق، المرجع السابق، ص. 213.

يصورها الفرنسيون وكما اخذ بعض إخواننا يصورونها، إذ الحرب ليست إلا وسيلة لغاية أخرى هي تحقيق أمانى الأمة الجزائرية في الحرية والاستقلال، فإذا فرضنا أن المسألة عرضت فقط على أنها مسألة إضطراب للأمن، واتجهت الشرطة الدولية لتحقيقه، فما هي الوسائل التي ستضمن للجزائريين حريتهم واستقلالهم؟<sup>1</sup>.

ثم يوضح مطالبه قائلا: "المطلب الأول يجب أن يكون في توصية الأمم المتحدة لكل من الطرفين المتحاربين بالتفاوض على أساس الاعتراف بالحقيقة الجزائرية... وهي إرغام المحتل على قبول مبدأ الاعتراف بالحرية الجزائرية هذا هو المنطق السليم"<sup>2</sup>.

كما تجلى نصحه أيضا في الرسالة التي وجهها إلى رئيس الحكومة الجزائرية المؤقتة عباس فرحات بتاريخ 23 فيفري 1960<sup>3</sup>، بخصوص قضية منح حق المواطنة للمواطنين الأوروبيين بالجزائر، ومحذرا من عواقب هذا الإجراء، حيث يقول: "إنني لا أكنتمك تعجبي بصراحة من اتخاذ هذا الموقف المتنافي في نظري مع الاستقلال الذي كافح ويكافح من اجله شعب الجزائر... إن الأوروبيين المقيمين في الجزائر يكونون أزيد من مليون شخص، ولكنهم في الوقت نفسه يكونون نزالة كثيفة في بعض أقاليم القطر كما يكونون أغنى العناصر المتساكنة وأقواها على التأثير والنفوذ... إنني لا اعتقد أن الشعب الجزائري كافح ليرى بعد خمسة أعوام من نضاله... "كيار" أو "ماسو" أو "سالان"<sup>4</sup> في صفوف وزراء الحكومة الجزائرية أو نواب المجلس الوطني الجزائري"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> علال الفاسي، رأي مواطن، المصدر السابق، ص. 389.

<sup>2</sup> نفسه، ص. 391.

<sup>3</sup> أنظر الملحق رقم 27، رسالة من الزعيم علال الفاسي إلى رئيس الحكومة الجزائرية المؤقتة فرحات عباس، ص. 420، 421.

<sup>4</sup> وهم جنرالات فرنسيين مارسوا سياسة اضطهاد وقتل وتشريد ضد الشعب الجزائري أثناء الثورة التحريرية الجزائرية.

<sup>5</sup> علال الفاسي، رسائل تشهد على التاريخ، المصدر السابق، ص. 250، 251.

وفي طرح آخر لعلال الفاسي بخصوص مقترحات الهيئة فقد طالب منها: "بضرورة اعتراف الأمم المتحدة وفرنسا بالذاتية الجزائرية وبجيش التحرير وبضرورة إعلان استقلال الجزائر، ومتى تم ذلك فإن المقاتلين الجزائريين سيكفون عن القتال من تلقاء أنفسهم كما جرى الأمر في تونس وفي المغرب"<sup>1</sup>.

ونختم حديثنا عن الدعم السياسي لعلال الفاسي للقضية الجزائرية بالإضراب الشامل الذي دعا إليه حزب الإستقلال في 16 سبتمبر 1958 تضامنا مع الجزائر، إضافة إلى العديد من المهرجان التي أقيمت في الكثير من المدن المغربية، منها زمور، الرباط، مكناس وفاس ووجدة ومراكش وطنجة... وغيرها. وكلها تضامنا مع الثورة الجزائرية، وعند تأسيس الحكومة الجزائرية المؤقتة صرح علال قائلاً: "أنها ستغير مصير الأحوال في المغرب العربي وإفريقيا وفي فرنسا نفسها وستقلب الأوضاع الدولية على الرغم مما يريده الساسة الكبار"<sup>2</sup>.

وهو بذلك يظهر دعمه المطلق لاستقلال الجزائر من دون قبول الحلول الجزئية والظرفية، ويمنح الحق للجزائريين للمطالبة بحريتهم.

### ثالثاً: طموحات علال الفاسي الخفية وراء دعمه للثورة الجزائرية.

مما لا شك فيه أن علال الفاسي قدم دعماً كبيراً للثورة الجزائرية في مختلف المجالات سواء منها المادية أو المعنوية، وذلك من خلال مواقفه السياسية الداعمة للثورة، وكذا من خلال كتاباته وتصريحاته الصحفية الكثيرة عن ثورتنا المجيدة وهو أمر لا يختلف فيه إثنان. لكن هذه الجهود والمواقف التي بذلها لنصرة الثورة، قد شابها الغموض بسبب بعض مواقف هذا الرجل، مما يجعلنا نتساءل عن الهدف الخفي والحقيقي وراء كل هذا الدعم، فهو لم يخف طموحاته وإدعاءاته بشأن مغربية المناطق

<sup>1</sup> علال الفاسي، رأي مواطن، المصدر السابق، ص. 390.

<sup>2</sup> محمد سريج، المرجع السابق، 523.

الشرقية والصحراوية الجزائرية، وذلك من خلال كتاباته الصحفية التي سخر لها مجلة تعرف بـ "الصحراء والمغرب" لخدمة أفكاره وطموحاته والقيام بالتعبئة الشعبية التي تحدث عنها حزب الاستقلال<sup>1</sup>.

لقد كان جيش التحرير المغربي تحت قيادة علال الفاسي، عندما رسم بعصاه سنة 1956 على الرمل ما اسماء بخريطة المغرب التاريخية، وتضم الصحراء المغربية حسب رأيه، خط الطول الموازي لمدينة "فقيق" وفي الجنوب يحدها خط العرض الذي يعبر مدينة "سانت لويس" "السنغالية". وقد ذكر علال في ندوته الصحفية التي عقدها يوم 5 جويلية 1956 "أن الخريطة الجغرافية للمغرب وضعت سنة 1947 من طرف ابن عمه الكبير الفاسي، وبالتالي هذه الخريطة تؤكد حتمية الحق التاريخي المزعوم لتملك المغرب لهذه الأقاليم"<sup>2</sup>.

ويضيف قائلاً: "أن مجرد خروج فرنسا من الجزائر واستقلال هذه الأخيرة تصبح كل الصحراء للمغرب"<sup>3</sup>، وظل يطالب الحكومة المغربية برفع قضية الحدود ووحدة مناطق المغرب على الأمم المتحدة ضد فرنسا<sup>4</sup>. وفي مدينة "فقيق" بتاريخ 20 ديسمبر 1957 قال: "إن أرض الصحراء ليست حدوداً إقليمية فقط، إنها وحدة اقتصادية ومنبع حيوي لرخاء بلدنا، إن حدودنا الطبيعية محددة بخط العرض الذي يمر "بسان لويس" في "السنغال" إلى "مليبية" مرورا "بموريتانيا" و"توات" و"قورارة" وبالتالي دخول "كولومب بشار" و"قنادسة" تدخل ضمن الوحدة الترابية لإقليمنا"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> أبو بكر القادري، المصدر السابق، ص. 91.

<sup>2</sup> Allal El Fassi, *Livre Rouge, Ed, Impressions Bouregreg, Rebat, Maroc, 2014, P. 27.*

<sup>3</sup> *Ibid, P. 7.*

<sup>4</sup> علال الفاسي، عقيدة وجهاد، ص. 110.

<sup>5</sup> دحماني التواتي، أبناء العرق الغربي الكبير واستئناف الجهاد على الحدود الجزائرية المغربية، مجلة المصادر، العدد. 25، السداسي الأول 2012، ص. 159.



وقد طرح قضية الحدود بعد وصوله إلى السلطة، حيث أثار مشكل الحدود بين المغرب العربي عموماً وبين الجزائر والمغرب خصوصاً، وجعل الحكومة المغربية تطالب بأجزاء من الصحراء الجزائرية، وزاد إلحاحها خاصة بعد اكتشاف البترول، فطالبت بإعادة رسم حدودها مع الجزائر، وأصدرت الحكومة المغربية قرار بإنشاء لجنة رسم الحدود في 02 مارس 1958، والتي باشرت عملها ابتداء من شهر أوت 1958.<sup>1</sup>

ولقد فرضت السلطات المغربية ضغوطات على جبهة التحرير الوطني للاعتراف بتعديل الحدود الجغرافية، من خلال توزيع جيشها على الحدود المغربية، مما أدى إلى صدامات مع جيش التحرير الوطني، ولم تكف بذلك بل قامت بغلق ممر "فقيق" الذي كان يعتبر مركزاً إستراتيجياً، ومعبراً للإمداد بالسلاح وتنقل المجاهدين من الجنوب الجزائري إلى المغرب، وازدادت أهمية الممر بعد غلق الحدود الغربية بخط موريس.

وكان هدف السلطات من هذا العمل إجبار جبهة التحرير الوطني على الاعتراف بسيادة المغرب على بعض المناطق الجزائرية، وفي هذا الصدد صرح علال الفاسي قائلاً: "هذا الطرح "الحق التاريخي" كان حلم ماضي لا أساس له من الواقع وإنما يحركه طموح التوسع القطري لأهداف سياسية واقتصادية بحتة..."، كما القى في ديسمبر 1957 خطاباً تجاوز فيه الحديث عن الجانب السياسي لهذه الأقاليم إلى جانب الاقتصادي مبرزاً حقيقة أهداف المغرب في خطابه هذا على غنى الصحراء بالثروات، والتي دعا المغرب إلى وجوب استثمارها في التنمية الاقتصادية وازدهار المغرب، مؤكداً بأن هذه الأقاليم لا تمثل حدود إقليمية، بل تمثل وحدة اقتصادية ومورداً حيويًا لازدهار المغرب.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> أبو بكر القادري، المصدر السابق، ص. 366.

<sup>2</sup> عبد الله مقلاتي، المرجع السابق، ص. 170.

وعلى إثر ذلك قامت السلطات المغربية بعقد مجموعة من الاجتماعات مع جبهة التحرير الوطني، وذلك لإجبارها على الاعتراف بسيادة المغرب على بعض المناطق الجزائرية، ولكن هذه الاجتماعات لم تتوصل إلى حل، ومن بين هذه الاجتماعات الاجتماع الذي انعقد بتاريخ 08 أفريل 1958 بين ممثلي السلطة المغربية وبين ممثلي جبهة التحرير، واجتماع آخر في 6 ماي من نفس السنة مع ممثلي القوات المغربية المسلحة، تم التعرض فيه لمشكلة الحدود وعرقلة نشاط جيش التحرير الوطني في جنوب المغرب<sup>1</sup>.

وفي أكتوبر 1958 تفاقم الوضع خاصة بعد تكوين علال الفاسي جيش مغربي لتحرير الجنوب، والمسمى بـ "الزوكيت" أو "اليد الحمراء" وخاض معارك تحرير الصحراء، ولم يبدي القصر الملكي أي معارضة لمطالب علال الفاسي في بداية الأمر، لكن خشيته من تنامي قوة حزب الاستقلال العسكرية جعلته يعتمد أسلوب المفاوضات مع الفرنسيين والإسبان لاسترجاع هذا الحق المزعوم<sup>2</sup>، وعندما نشبت حرب الرمال عقب الإعتداء على حاسي بيضاء ترأس علال الفاسي وفدا لحزبه، وهو في المعارضة، لإبلاغ الملك الحسن الثاني ووقوف الحزب إلى جانبه في الدفاع عن الحدود التاريخية<sup>3</sup>.

ولتفنيده هذا الطرح لعالل الفاسي نجد أن عدة معلومات تؤكد أن المناطق الحدودية الجنوبية مع المغرب هي أراضي جزائرية، حيث أن هذه المناطق كانت تابعة للعرش المغربي بالقوة والسيف من طرف المنصور الذهبي في القرن السادس عشر أكثر من مولاتها للمرزنيين والعلويين، حيث يذكر أنه عندما احتلتها قوات الجيش الفرنسي في القرن العشرين لم يحرك المغرب ساكنا بل اعترف بجزائريتها عند انطلاق

<sup>1</sup> مراد صديقي، المرجع السابق، ص 67.

<sup>2</sup> محمد ودوع، المرجع السابق، ص. 111.

<sup>3</sup> مجلة المصادر، العدد. 25. السداسي الاول، 2012، ص. 351.

المقاومات الشعبية الجزائرية بقيادة الأمير عبد القادر، حيث تم ترسيم الحدود وفق اتفاقيات 1901-1902 وأصبحت الأقاليم جزائرية خالصة وباعتراف رسمي للسلطات المغربية<sup>1</sup>.

وللتأكيد على جزائرية هذه المناطق انخرط العديد من سكان هذه المناطق في الحركة الوطنية الجزائرية، ولما اندلعت الثورة التحريرية سنة 1954 بقيادة جبهة التحرير، انضموا إليها وذلك دفاعا عن أراضيهم ووطنهم، كل هذه الدلائل التاريخية تفند الإدعاء التاريخي للمغرب بأحقية هذه المناطق<sup>2</sup>.

لكن كل هذا لا يقلل من قيمة الدعم الذي قدمه علال الفاسي للثورة الجزائرية سواء من خلال كتاباته أو خطبه أو مواقفه على المستوى المحلي أو العربي أو الدولي.

<sup>1</sup> محمد ودوع، المرجع السابق، ص. 113.

<sup>2</sup> عبد الله مقلاتي: العلاقات الجزائرية المغربية إبان الثورة التحريرية، ج2، المرجع السابق، ص 298-299.

المبحث الثالث: تقييم دور الزعيمين وإبراز أوجه التشابه والاختلاف بينهما

بعد استعراضنا في المبحثين السابقين لمجهودات الزعيمين الحبيب بورقيبة وعلال الفاسي الموجهة لدعم قضايا التحرر في دول المغرب العربي، ومساعدتهما لتوحيد جبهة الكفاح المغاربية، والصعوبات التي اعترضت مساعي الرجلين، والتي انتهت باستقلال تونس والمغرب، مما اعتبر ضربة قاسية للثورة الجزائرية، التي أصبحت في مواجهة مكشوفة مع العدو الفرنسي من ناحية الشرق والغرب، وسنحاول في هذا المبحث تقييم نشاط الزعيمين ثم إجراء مقارنة لأوجه التشابه والاختلاف بينهما.

أولا/ الحبيب بورقيبة:

من خلال تتبعنا لأبرز محطات الدعم البورقيبي للقضية الجزائرية خلصنا إلى أهمية هذا الدعم وتنوعه وفقا لمتطلبات الثورة الجزائرية في الداخل والخارج عسكريا وسياسيا، لنتزايد أهميته بعد استقلال تونس سنة 1956، ورغم أن هذا الدعم لم يكن علنيا خاصة في الجانب العسكري إلا انه أفاد قيادة الثورة كثيرا لاسيما في مجال تهريب السلاح عبر الحدود الشرقية للجزائر<sup>1</sup>، وأحدث ضررا بالمصالح الفرنسية بالمنطقة، مما جعلها تخلق الأعداء لتحطيم هذا التعاون الثنائي، إما بالتدخل المباشر في الأراضي التونسية أو بالتهديد، أو بتأليب المجتمع الغربي ضد القيادة التونسية الحديثة، بل واستغلال منابر الأمم المتحدة أحيانا لإلقاء اللوم على التونسيين، وتحميلهم مسؤولية الخسائر التي لحقت بالقوات الفرنسية جراء تزايد اعتداءات الثوار عليهم، وفي المقابل تغاضي السلطة التونسية على عمليات تهريب الأسلحة التي تتم انطلاقا من أراضيها باتجاه الأراضي الجزائرية<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص. 152

<sup>2</sup> للمزيد. أنظر: عمر الشاذلي، المصدر السابق، ص. 124.

والملاحظ أن هذا الدعم قد اخذ أشكالاً مختلفة ومتنوعة، ففي داخل تونس كان عسكري وسياسي ومادي، وعلى المستوى الدولي والإقليمي كان دبلوماسي، فبورقيبة لم يفوت أي مناسبة محلية أو عربية أو افرواسيوية بل وحتى العالمية، ليستغلها في طرح القضية الجزائرية وطلب الدعم، واقتراح الحلول والوساطة أحيانا، محاولا تقريب وجهات النظر بين الطرفين الجزائري والفرنسي<sup>1</sup>، كما عمل على حشد الرأي العام الدولي للاعتراف بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره، على غرار لقاءاته مع بعض رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية، أو رؤساء بعض الدول الغربية<sup>2</sup>.

لكن هذا الدعم من طرف الزعيم بورقيبة لم يسلم من الانتقادات والتحفظات حول خلفياته وأبعاده، خاصة من طرف بعض الكتاب الجزائريين، على الرغم من التمجيد الذي ميز اغلب الكتابات التونسية في هذا المجال، وسنحاول تقييم بعض جوانب هذا الدعم بنوع من الموضوعية، حتى لا ننقص من حق الزعيم بورقيبة، أو نميل إلى صف الثورة الجزائرية.

لعل ما يؤخذ عليه الرئيس بورقيبة في تعامله مع القضية الجزائرية اتخاذه للوساطية بين الطرفين الجزائري والفرنسي، باعتباره أمر تقتضيه الظروف السياسية والعسكرية والاقتصادية لتونس المستقلة حديثا، فاقتصادها منهار وشعبها يعاني الفقر والجوع والحرمان وبحاجة ماسة إلى الدعم والمساعدة حسب رأيه. كما أن حدود دولته تتعرض للاختراق من طرف القوات الفرنسية والثوار الجزائريين على السواء، مع تمركز لمئات الآلاف من اللاجئين الجزائريين عبر العديد من مناطق التراب التونسي<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> للمزيد أنظر: حبيب حسن اللولب، المرجع السابق، ص. 449.

<sup>2</sup> للمزيد أنظر: محمد علي القارصي، المرجع السابق، ص. 46.

<sup>3</sup> فيرنز روف، المرجع السابق، ص. 191.

فهو مجبر بين الالتزام بروابط الأخوة والعروبة والتضامن وعلاقات الجوار بين الشعبين الجزائري والتونسي من جهة. أو بالمحافظة على المعاهدات المبرمة مع فرنسا والتي تضمن استمرار الدعم المالي والعسكري للحكومة التونسية من جهة أخرى، خصوصا في ظل استمرار تواجد القوات الفرنسية بعدة مناطق داخل الأراضي التونسية<sup>1</sup>، مما يعرقل استكمال فرض السيادة على كامل الأراضي التونسية. هذا الوضع حتم على بورقيبة ضرورة بناء علاقات قوية ومتينة والمحافظة عليها مع الطرفين في آن واحد.

لذلك أنتهج الحبيب بورقيبة سياسة وسطية بين الحكومة الفرنسية وقادة الثورة الجزائرية، ضمن بموجبها للجزائريين تواصل الدعم التونسي في كل المجالات، وفرنسا ضمان استمرار مصالحها بالمنطقة، وللشعب التونسي استمرار الإعانة الفرنسية. ولعل الأهم من كل ذلك هو قطع الطريق أمام محاولات جمال عبد الناصر وصالح بن يوسف، للإطاحة بنظامه السياسي في تونس، ومحاولة احتواء الثورة الجزائرية، وربط علاقات متينة مع قادتها وعلى رأسهم احمد بن بلة<sup>2</sup>.

كما أن بعض الكتابات تذهب إلى اعتبار الدعم المقدم من طرف الرئيس بورقيبة للقضية الجزائرية يحمل بين طياته، أهدافا توسعية وإقليمية واقتصادية، مستدلين على ذلك بالاتفاقية التي عقدها مع الجنرال ديغول بتاريخ 30 جوان 1958 للحصول على مكاسب مالية (اتفاقية ايجلي) تبرز استغلال بورقيبة للقضية الجزائرية للحصول على بعض المكاسب الاقتصادية<sup>3</sup>، كما أنه كثيرا ما وظف الصراعات الداخلية بين

<sup>1</sup> للمزيد أنظر: عمر الشاذلي، المصدر السابق، ص. 71.

<sup>2</sup> Habib Bourguiba, *Ma Vie, Mes Idéesmon Combat*, Secrétariat D'état A L'Information, Tunis, 1977, P. 37.

<sup>3</sup> للمزيد. أنظر: عبد الله مقلاتي، المرجع السابق، ص. 228.

قيادات الثورة لتمرير مشاريعه وتحقيق مصالحه على غرار ما حدث خلال أزمة الكاف سنة 1958.

ضف إلى ذلك مطالبه الحدودية في الصحراء الجزائرية وفي ذلك يقول بورقيبة: "إننا لا نطالب بحدودنا في العهد الحفصي ولكن بالحدود التي خطها الفرنسيون فيما بينهم في أوائل هذا القرن"<sup>1</sup>، حيث طالب بضرورة تعديل الحدود الجزائرية التونسية سنة 1959<sup>2</sup>، كما صرح في أحد خطبه موضحا هدفه الحقيقي من هذه المطالب: "أرى من واجبي... أن أطرق في حديث اليوم موضوعا له أهميته البالغة لما له من المساس بالدولة وكيانها ووجودها الجغرافي، وهو موضوع الحدود الجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية... بيننا وبين شقيقتنا الجزائر، ويرتبط هذا الموضوع ارتباطا وثيقا بالمنطقة الواقعة بين الحدين، وهي تمثل مناب تونس في الصحراء، لأن الحدود تقف على أبواب الصحراء"<sup>3</sup>.

ثم جدد مطالبه خلال لقائه بالجنرال دوغول في 27 فيفري 1961، حيث طالب بورقيبة بحق تونس في جزء من الصحراء الجزائرية، وذلك مقابل عرض وساطته لحل القضية الجزائرية<sup>4</sup>، فهذه المواقف التي اتخذها اتجاه بعض قضايا الثورة، تؤكد مرة أخرى صحة ما ذهبنا إليه.

#### ثانيا: علال الفاسي:

مما لا شك فيه أن علال الفاسي قدم دعما كبيرا للثورة الجزائرية في مختلف المجالات سواء منها المادية أو المعنوية، وذلك من خلال مواقفه السياسية الداعمة للثورة، وكذا من خلال كتاباته وتصريحاته الصحفية الكثيرة عن ثورتنا المجيدة. إلا أن

<sup>1</sup> للمزيد أنظر: جريدة الصباح، العدد. 2015، بتاريخ 4 فيفري 1959

<sup>2</sup> للمزيد أنظر: عبد الله مقلاتي، المرجع السابق، ص. 234.

<sup>3</sup> للمزيد أنظر: جريدة الصباح، العدد. 2015، بتاريخ 4 فيفري 1959.

<sup>4</sup> نفسه.

هذه الجهود والمواقف التي بذلها لنصرة الثورة لم تتعدى الجانب المعنوي والذي تجسد من خلال تلك المقالات التي كان ينشرها في صحيفة حزبه أو بعض كتبه، ولعل الدافع الرئيسي وراء ذلك انحصار دور علال الفاسي في الجانب السياسي بعيدا عن قرارات البلاط الملكي، إذ لم يكن رجل دولة على غرار الحبيب بورقيبة صاحب القرارات الحاسمة في شتى الميادين.

وهناك نقطة أخرى يؤاخذ عليها علال الفاسي في مواقفه اتجاه الثورة الجزائرية خاصة بعد استقلال المغرب سنة 1956، وهو الغموض الذي ساد بعض مواقف هذا الرجل، مما يجعلنا نتساءل عن الهدف الخفي والحقيقي وراء هذا الدعم، إذ أنه لم يخف طموحاته وإدعاءاته بشأن مغربية المناطق الشرقية والصحراوية الجزائرية، وذلك من خلال كتاباته الصحفية التي سخر لها مجلة تعرف بـ "الصحراء والمغرب" لخدمة أفكاره وطموحاته والقيام بالتعبئة الشعبية التي تحدث عنها حزب الاستقلال<sup>1</sup>.

مما سبق نلاحظ أن الزعيمان ناضلا لتحقيق الاستقلال للأقطار الثلاثة في وقت واحد، ولم يتوقفا عن مناصرة القضية الجزائرية بعد تحقيق الاستقلال لبلديهما، متحدين بذلك المشاريع الفرنسية التقسيمية التي حالت دون تحقيق وحدة الكفاح في الأقطار الثلاثة.

### ثالثا: أوجه التشابه والاختلاف

#### 1/ أوجه التشابه:

من خلال دراستنا السابقة لمسنا عدة نقاط تشابه بين الرجلين، نذكر منها:

- اهتم كل من الحبيب بورقيبة وعلال الفاسي بالقضية الجزائرية قبل اندلاع الثورة التحريرية في نوفمبر 1954، وهذا في إطار نشاطهما بمكتب المغرب العربي،

<sup>1</sup> أبو بكر القادري، المصدر السابق، ص. 91.



وقد سعى الحبيب بورقيبة إلى توجيه النصح والإرشاد إلى الزعيم فرحات عباس<sup>1</sup>، في حين وجه علال الفاسي نصحه إلى مصالي الحاج<sup>2</sup>. وهذا راجع لإيمان الرجلين بأهمية التعاون المغاربي بهدف تجسيد وحدة النضال المغاربي.

• ربط كل من الحبيب بورقيبة وعلال الفاسي علاقات وطيدة مع قيادة الثورة وبدرجة أكبر الحبيب بورقيبة بحكم ترأسه للسلطة التونسية، حيث تعامل مباشرة مع قيادة الثورة في الجبهة الشرقية خاصة في المجال العسكري من خلال تقديمه لتسهيلات كبرى في مجال تمرير السلاح عبر الأراضي التونسية نحو الحدود الجزائرية، إضافة إلى نشاطه الدبلوماسي والسياسي بالتنسيق مع قيادة الثورة، على غرار قمة تونس أكتوبر 1956<sup>3</sup>، كما أن علال الفاسي قد تعامل مع بعض قادة الثورة وعلى رأسهم أحمد بن بلة من خلال تنسيق نشاط جيش التحرير المغاربي، على الحدود الغربية للجزائر، ضف إلى ذلك التنسيق المشترك مع قادة الثورة أثناء وبعد انعقاد مؤتمر طنجة أفريل 1958<sup>4</sup>.

• كل من الحبيب بورقيبة وعلال الفاسي، غلب النزعة الوطنية الضيقة، وضحي بمستقبل الكفاح المغاربي المشترك، فبمجرد إعلان فرنسا عن استقلال المغرب وتونس، حتى تتصلا الزعيمين من فكرة وحدة الكفاح المغاربي، تاركين الجزائر لوحدها تواجه مصيرها المحتوم، في مواجهة القوات الفرنسية التي تفرغت تماما للقضاء على الثورة الجزائرية، التي أصبحت تقاتل الجيوش الفرنسية بمفردها منذ سنة 1956، تاريخ إعلان استقلال تونس والمغرب.

<sup>1</sup> مركز التوثيق القومي، قسم تونس، رقم الملف، A-3-37.

<sup>2</sup> علال الفاسي، المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى والمصدر السابق، ص. 99، 100.

<sup>3</sup> حفظ الله بويكر، المرجع السابق، ص. 205. وأنظر أيضا: جريدة الصباح، 27 نوفمبر 1959.

<sup>4</sup> علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص. 120-125.

• لقد اعترف كل من الزعيمين بأهمية استقلال الجزائر في حفظ الاستقرار السياسي بالمنطقة المغاربية، حيث اعتبر الزعيمان أن استقلال تونس والمغرب لن يكتمل إلا بعد تحقيق الجلاء عن الجزائر، كما أكدا الرجلان على الانعكاسات السلبية لاستمرار السيطرة الفرنسية بالجزائر على بلديهما، مما سيعيق عملية البناء الاقتصادي ويؤثر على نشاط مؤسسات الدول المغاربية مدنية أو عسكرية، كما يؤدي ذلك إلى انعدام الأمن بالمنطقة وانتشار الفوضى<sup>1</sup>.

• سعى الزعيمان إلى تجسيد آمال المغاربة الوحديية في انعقاد مؤتمر طنجة سنة 1958 بالمغرب، فكان بحق محاولة جادة لبلورة معاني الاستقلال والتحرر والكفاح المشترك، وتوحيد الطاقات النضالية المغاربية<sup>2</sup>، كما انه مثل محاولة صادقة من الزعيمين لإظهار الدعم والتضامن اتجاه الثورة الجزائرية، وقد تجسد هذا الدعم من خلال قرارات هذا المؤتمر الفعالة حيث خرج بقرارات هامة لصالح القضية الجزائرية، حيث أعلن حق السيادة والاستقلال التام للجزائر، وهو الشرط الوحيد لحل النزاع الفرنسي الجزائري<sup>3</sup>. كما اقر مساندة الأحزاب السياسية المغاربية وتأييدها الكامل للشعب الجزائري الذي يكافح من أجل استقلاله<sup>4</sup>.

• نحن أمام رمزين من رموز وقادة حركات التحرر في شمال افريقيا وفي العالم، حيث طبع نشاطهما التحرري خاصة في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية إلى غاية بداية الستينيات. وإن اختلفت الشخصيتان من حيث الموقع كقائد حزب وطني وك رئيس دولة بالنسبة لبورقيية، وكزعيم وقائد لحزب وطني بالنسبة لعلال الفاسي، فانهما التقيا في إصرارهما على خدمة قضية شعبيهما وتخليصهما من

<sup>1</sup> للمزيد أنظر: الفصل الرابع، المبحث الأول، ص. 312، 313. وأنظر أيضا: المبحث الثاني، ص. 359، 360.

<sup>2</sup> المجاهد، العدد. 1191، بتاريخ 3 جوان 1983، ص. 16، 19.

<sup>3</sup> رضا ميموني، المرجع السابق، ص. 105.

<sup>4</sup> عبد الله مقلاتي، العلاقات الجزائرية المغاربية، الجزء. 2، ...المرجع السابق، ص. 217.

الإستعمار وإيمانها بحق الشعوب في تقرير مصيرها. وقد ترجم هذا الايمان بدعم شعوب المغرب العربي وفي مقدمتها الجزائر.

• إن دعم الزعيمين للثورة الجزائرية لم يخلوا من بعض الاطماع الشخصية الذاتية لخدمة بلادهما، فالحبيب بورقيبة كان يسعى إلى توظيف القضية الجزائرية لخدمة بعض أهدافه التوسعية في الجنوب الجزائري، على غرار ما حدث في قمة رامبواي<sup>1</sup>، وكذلك علال الفاسي فإنه لم يخفي مطامعه التوسعية في تندوف ويشار حيث طالب بضرورة إعادة رسم الحدود مع الجزائر مما خلق مشكل للثورة الجزائرية مع الملك محمد الخامس ثم بعد الاستقلال مع الملك الحسن الثاني.<sup>2</sup>

## 2/ أوجه الاختلاف

رغم وجود عدة نقاط تشابه وتطابق إلا أننا استنتجنا عدة نقاط اختلاف بين الزعيمين نذكر منها:

• جهود علال الفاسي لمقاومة الاستعمار الفرنسي بعد استقلال المغرب لم تستمر طويلا، بل خفت وتراجعت لتقتصر على أمور المغرب الداخلية، ومحاولة استرجاع حدوده وسيادته على المناطق الواقعة داخل الأراضي الجزائرية، وكذا المناطق التي لا تزال تحت السيطرة الاسبانية، أما الحبيب بورقيبة فقد واصل نضاله ضد الاستعمار الفرنسي لاستكمال السيادة الوطنية وإتمام الجلاء التام عن تونس، كما واصل دعمه للقضية الجزائرية سياسيا ودبلوماسيا وعسكريا.

• الدور الكبير والهام الذي لعبه الحبيب بورقيبة في حركة التحرير بالجزائر خلال ثورتها المباركة خاصة بعد استقلال تونس سنة 1956، فلم يقتصر دعمه على

<sup>1</sup> للمزيد أنظر: الأطروحة، الفصل الرابع، المبحث الأول، ص. 340.

<sup>2</sup> للمزيد أنظر: الأطروحة، الفصل الرابع، المبحث الثاني، ص. 373.

الجانب السياسي والدبلوماسي فحسب، بل شمل الجانب المادي والعسكري، مما ساهم في استمرارية الثورة الجزائرية ومكن قيادتها بالتزود بالسلاح على طول الحدود الشرقية.

• إن المنصب السياسي الذي شغله الرئيس بورقيبة في تونس خلال تلك الفترة كرجل دولة وشخصية بارزة في العالم العربي، أتاح له صلاحيات واسعة للنشاط على المستوى الداخلي بما يملكه من صلاحيات واسعة لاتخاذ القرارات، وعلى المستوى الخارجي من خلال منابر هيئة الأمم المتحدة، والمؤتمرات الدولية والإقليمية، واللقاءات الثنائية برؤساء وزعماء العالم، وكذا من خلال الوساطة بين الطرفين الجزائري والفرنسي بهدف إيجاد تسوية عادلة للقضية الجزائرية.

• أما علال الفاسي فان منصبه كرئيس حزب سياسي بالمغرب، لم يمكّنه من الاضطلاع بدور كبير على المستوى الدولي، لتقديم دعم حقيقي للقضية الجزائرية، بل انحصر دوره على المستوى الداخلي الضيق، حيث استأثر الملك محمد الخامس بعملية الدعم المباشر للقضية الجزائرية، وتحييده لعلال وحزبه في هذا المجال، لاعتقاده بخطورة الوضع في حال اتصال قادة الثورة بحزب الاستقلال، الذي يستطيع استغلال ذلك في الإطاحة بالملكية على غرار التجربة التونسية التي أقدم عليها الحبيب بورقيبة في جويلية 1957.

• لعب بورقيبة دورا هاما في مجال الوساطة للثورة الجزائرية من خلال اتصالاته مع زعماء وقادة ورؤساء العديد من الدول خاصة الولايات المتحدة الأمريكية وبعض الدول الغربية والافريقية والآسيوية على عكس علال الفاسي الذي اقتصر نشاطه على الشخصيات ذات الطابع الإقليمي والمحلي والوطني.

# الخاتمة

وفي نهاية هذه الأطروحة خلصت إلى مجموعة من الاستنتاجات وهي كما يلي:

• استخدمت السلطات الاستعمارية مختلف الوسائل والأساليب القمعية التعسفية في بلدان المغرب العربي بهدف إخضاع شعوبها لسيطرتهم، والقضاء على مقوماتهم وهويتهم الوطنية واستغلال خيراتهم، وهو ما لم تتقبله الجماهير المغربية والتونسية طوال مرحلة الاستعمار.

• تشابهت طبيعة الاستعمار الفرنسي في كل من تونس والمغرب عكس الجزائر، حيث تميز بنوع من الاستقلالية في التسيير الداخلي، فلم يكن استعمارا استيطانيا، وإنما كان في شكل حماية تترك فيه بعض الصلاحيات للحكومة المحلية في تسيير الشؤون الداخلية للبلاد، في حين تتولى فرنسا تسيير كل من المصالح العسكرية والسياسية الخارجية، ولكن هذه السياسة تغيرت مع مرور الوقت فأصبحت فرنسا تتحكم في كل شيء عن طريق المقيم العام.

• قاومت شعوب المغرب العربي الاستعمار الفرنسي منذ البداية في شكل ثورات مسلحة إلى غاية الحرب العالمية الأولى، ثم انتهجت أسلوب المقاومة السلمية من خلال النشاط السياسي للأحزاب السياسية المغاربية، على غرار الحزب الحر الدستوري التونسي، وحزب الاستقلال المغربي، وقد ساهم ذلك في بروز العديد من القيادات والزعامات الوطنية الجديدة والتي التفت حولها شعوب المنطقة ومن بينها الحبيب بورقيبة وعلال الفاسي.

• أسهمت عدة عوامل ومؤثرات داخلية وخارجية في بلورة ونمو الروح الوطنية عند الرجلين، فمن المؤثرات الداخلية هو نظرة الرجلين إلى الأحداث السابقة كفشل تلك المقاومات الشعبية الغير موحدة التي عرفتها تونس والمغرب، ثم الأحداث المرتبطة بفترة الطفولة والدراسة، أما المؤثرات الخارجية فقد تأثرت المنطقة بأحداث الحربين

العالميتين الأولى والثانية، وتداعياتهما على الشعوب المستعمرة، وأيضاً تأثرهما بالاتجاهات الإصلاحية النهضوية المشرقية بالنسبة لعلال الفاسي والاتجاهات الفلسفية الغربية بالنسبة للحبيب بورقيبة.

● عاش بورقيبة في بيئة فقيرة ميزها تسلط الاستعمار الفرنسي وتواطأ الحكومة المحلية، مما أدى إلى بروز مجتمع طبقي في تونس، عانى بورقيبة خلاله التمييز والتهميش والحرمان، فأدى ذلك إلى التأثير العميق في شخصيته وفي توجيه أفكاره المستقبلية لكن ذلك لم يمنعه من مواصلة دراسته وتحدي الصعوبات والعراقيل التي كانت تعترضه سواءً في مرحلة الدراسة في تونس أو في فرنسا.

● بينما عاش علال الفاسي في أسرة ثرية تتمتع بالجاه والثقافة والعلم مما أتاح له فرصة التعلم والتبصر في الدين، وأكسبه مكانة علمية مرموقة في المجتمع المغربي، هذه المؤثرات ساهمت في تكوين شخصية مميزة لعلال الفاسي، ورسمت طريقاً واضحاً نحو إنشاء مدرسة ومنهج خاص به، لكنه في المقابل واجه أيضاً صعوبات من طرف السلطات الاستعمارية المتعاونة مع الحكومة المغربية للحد من نشاطه الإصلاحي والسياسي.

● تأثر الزعيمان بثقافات مختلفة طبعت توجههما الفكري والسياسي والثقافي، على غرار الثقافة الغربية بالنسبة للحبيب بورقيبة والثقافة العربية الإسلامية بالنسبة لعلال الفاسي، ولكن ذلك لم يمنع بورقيبة من إتقان اللغة العربية جيداً وبعض علومها وهذا يعود إلى فضل المدرسة الصادقية التي كانت تلقن أداب اللغة العربية والعلوم الشرعية والتاريخ لتلاميذها.

● يمكننا أن نخلص إلى أن مسار الزعيمين الثقافي قد اوجد لنا شخصية وطنية متفرنسة، ثقافتها غربية تتطلع نحو الحرية مع الارتباط بالغرب بوجه عام وفرنسا بوجه

خاص، وشخصية وطنية عربية إسلامية قومية تتطلع نحو الحرية مع الانفصال التام عن الغرب بوجه عام وفرنسا بوجه خاص.

• لقد مثل تاريخ اعلان صدور قانون الظهير البربري بالمغرب في 16ماي 1930 بداية تبلور الحركة الوطنية المغربية المنظمة، تحت لواء كتلة العمل الوطني. أما تونس فقد شهدت ميلاد الحركة الوطنية قبل هذا التاريخ من خلال نشاط الحزب الحر الدستوري التونسي القديم المؤسس سنة 1920 على يد نخبة من المثقفين التونسيين والمتشبعين بالثقافة الإسلامية وعلى رأسهم الشيخ عبد العزيز الثعالبي .

• انطلق الزعيمان في نضالهما السياسي من المطالبة بالحقوق السياسية والمدنية لشعبيهما، ومحاولة إجبار السلطات الاستعمارية للقيام بإصلاحات في شتى الميادين مما يتيح لشعوب الدولتين العيش في كرامة وحرية والتمتع بخيرات بلادهما.

• تشابه الرجلان في تبني العمل السياسي في المرحلة الأولى ثم الانتقال إلى العمل العسكري المسلح بعدما فشل النضال السلمي في تحقيق أهدافه الاستقلالية فتبنى الرجلان العمل الثوري وقدموا له الدعم المادي والمعنوي حتى تحقق الاستقلال.

• عرف نضال الزعيمين السياسي مرحلتين أساسيتين، تميزت الأولى بالدفاع عن القضية التونسية خلال مرحلة الحماية الفرنسية، والمرحلة الثانية في بناء الدولة الوطنية الحديثة والتي سيطر فيها الحبيب بورقيبة على مقاليد السلطة في تونس وسعى إلى إرساء معالم دولة جديدة عصرية انطلقا من معتقداته وأفكاره التحديثية الغربية، أما علال الفاسي فقد تميزت مرحلته الأولى بالدفاع عن حقوق الشعب المغربي في الاستقلال، ثم واصل في المرحلة الثانية الدفاع عن مكتسبات الشعب المغربي كزعيم حزب وسياسي داخل الحكومة، ومن خلال المطالبة بإقامة حكومة دستورية تحد من صلاحيات الملك وتمنح صلاحيات للشعب لمراقبة نشاطه.



• استمد الحبيب بورقيبة ثقافته العصرية من المدرسة الفرنسية وأراد غرسها في تربة غير قابلة للإنبات، فالتربة لا يمكن استيرادها من فلسفة الأنوار أو من مبادئ الثورة الفرنسية وحقوق الإنسان، فعمل على خلق مجتمع عربي إسلامي بثقافة غربية عصرية، مما خلق تناقضات داخل المجتمع التونسي، وولّد ردة فعل رافضة لمشروعه التحديثي داخل تونس استمرت معه حتى تتحيتته عن السلطة، ورد فعل خارجي من طرف شخصيات وطنية عربية مختلفة تدافع عن مقومات المجتمع العربي الإسلامي أمثال الرئيس المصري جمال عبد الناصر.

• ارتقى الزعيمان بالوعي الوطني الوحدوي إلى أعلى مراتبه بعد الحرب العالمية الثانية، والذي تجلّى بتأسيس مكتب المغرب العربي سنة 1947، ولجنة تحرير المغرب العربي سنة 1948، ولجنة الانحاد والعمل للشمال الأفريقي سنة 1952 بفرنسا، ثم انفرد علال الفاسي بالمساهمة في جيش تحرير المغرب العربي سنة 1959 الرامي إلى مغربة الكفاح المسلح في شمال أفريقيا.

• بعد استقلال تونس تراجع الحبيب بورقيبة عن كل أفكاره الديمقراطية ومارس السلطة المطلقة باعتباره الزعيم الأوحد والقائد الذي لا ينازعه خصم في السلطة، ثم سعى تدريجياً إلى تغيير الموروث الثقافي من خلال إصلاحاته الاجتماعية والتعليمية.

• أما علال الفاسي، فقد دافع عن الديمقراطية في ظل الحكم الإسلامي المبني على مبدأ الشورى واحترام وإتباع تعاليم الدين الإسلامي، والالتزام بمبادئ السنة والقرآن، كما سعى إلى إصلاح الأوضاع السياسية المغربية من خلال مساهمته في وضع دستور المغرب في مطلع الستينات بطلب من الملك المغربي الحسن الثاني.

• انسحب علال الفاسي وحزبه من الساحة السياسية وانتقل إلى المعارضة لسياسة الحكومة المغربية، لذلك واجه صعوبات وعراقيل خاصة في الانتخابات المحلية

المختلفة، ثم دخل حزبه في مشاكل داخلية أدى إلى انقسامه مما أثر سلبا على نشاطه الحكومي والسياسي، أما الحبيب بورقيبة فإنه استمر في الحكم إلى غاية ابعاده من طرف زين العابدين بن علي في 07 نوفمبر 1987 ووضع في الإقامة الجبرية حتى تاريخ وفاته في 06 أبريل 2000.

• رغم انحياز بورقيبة للغرب فكرا وأسلوب عيش، إلا أنه كان في ممارسته للحكم مناقضا لقناعاته الفكرية التحررية التي كان يفاخر بها في خطبه، فقد كان مستبدا شرقيا دون منازع، صبغ حكمه بنزعة أبوية تخوله إتخاذ القرارات بلا رادع أو مراقب طوال سنوات حكمه.

• لقد كان الشعب التونسي طوال حكم الرئيس بورقيبة مجرد ديكور مسلوب من كل قدرة على المشاركة في إدارة شؤون البلاد، وذلك على الرغم من دعوته المستمرة خلال خطبه وتصريحاته الصحفية وفي مختلف وسائل الإعلام التونسية، أن المشاركة السياسية أحد ابرز أركان حكمه، إلا ان هذه الشعارات كانت تفتقد لمضامين الديمقراطية الحقيقية، على غرار نزاهة الانتخابات أو إستقلالية القضاء، أو حرية الإعلام أو حياد الإدارة وغيرها.

• رغم كثرة الانتقادات الموجهة ضد الرئيس الحبيب بورقيبة، سواء خلال مرحلة النضال التحرري التونسي أو خلال مرحلة بناء الدولة التونسية الحديثة بعد الاستقلال إلا أنه لايمكننا أن ننقص الرجل حقه سواء في عملية التحرير والتي امتدت من سنة 1934 إلى سنة 1956، حيث بذل جهودا معتبرة للتصدي للسياسة الاستعمارية الفرنسية طوال مدة الحماية، فرغم تعرضه للسجن والنفي والابعاد إلا أنه لم يتراجع حتى حقق الاستقلال الكلي لبلاده.

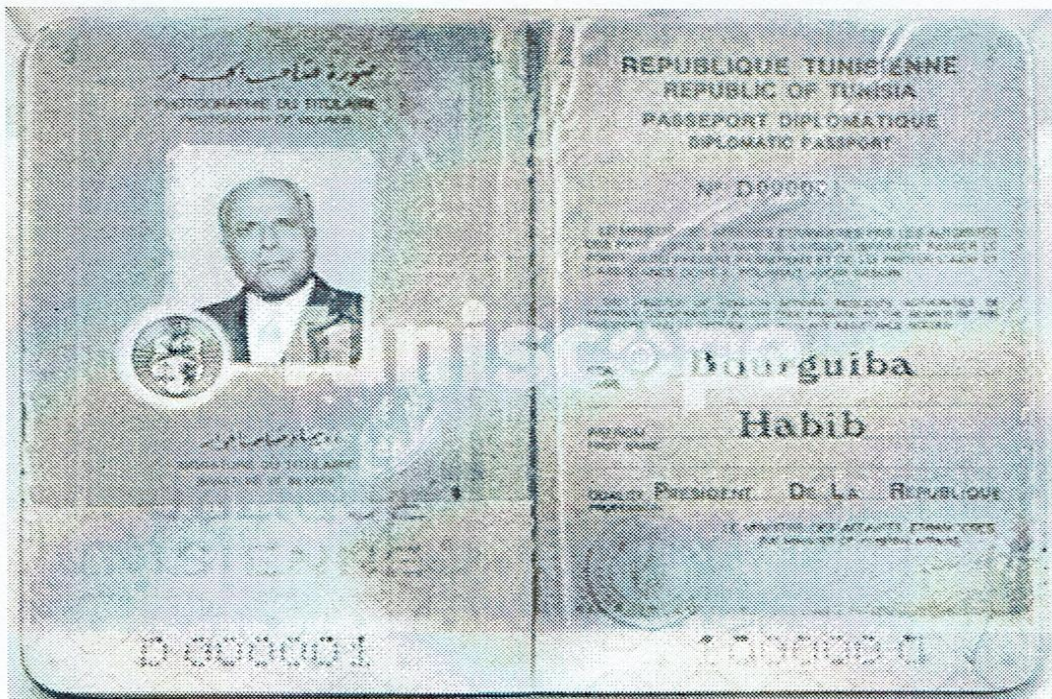
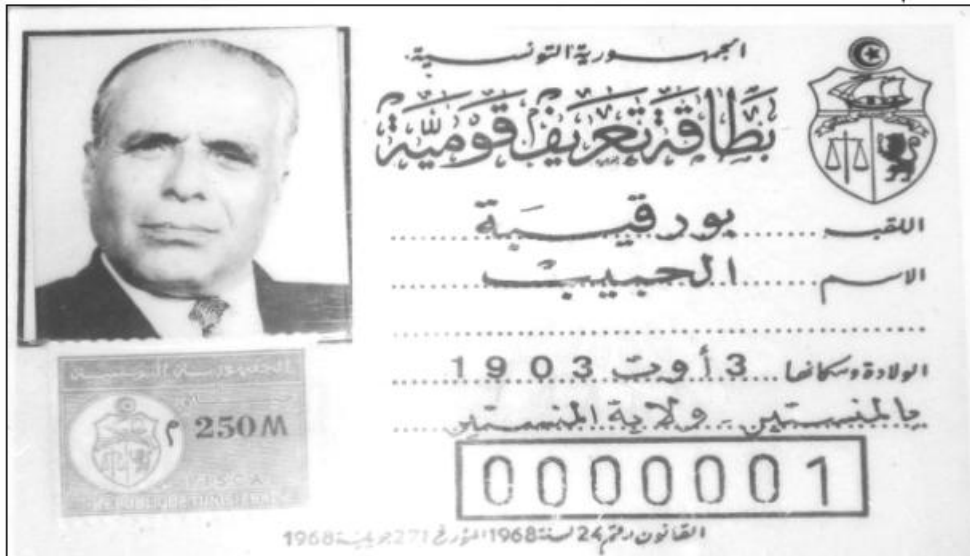
وبعد الإستقلال حمل معول البناء والتشييد، فأسس جمهورية حديثة على أسس  
عصرية، وأحدث نهضة في المجتمع التونسي من خلال تخليصه من الخرافات  
والتخلف الذي ميزه خلال الفترة السابقة وإرتقى به إلى درجات العلم والمعرفة، من  
خلال الأهمية الكبرى التي أولاها لقطاع التعليم، فخلق نخبة مثقفة مميزة وإن ميزها  
الطابع الغربي.

● إن علال الفاسي لم يتبنى الخيار العسكري في النضال التحرري، لكن اعتمده  
كوسيلة لتدعيم الحل السياسي، ولهذا ما لبث أن تخلى عن مبادئه المغاربية المتفق  
عليها في ميثاق لجنة تحرير المغرب العربي في جانفي 1948 بالقاهرة، وذلك بمجرد  
اقتناعه بجدية الحكومة الفرنسية في منح الاستقلال للمغرب، خاصة بعد إطلاق سراح  
الملك محمد الخامس.

● لقد كان للزعيمين اهتمام بالغ بقضايا تحرير المغرب العربي، حيث تفاعل مع  
تطور الأحداث وأسهم في دعم ومساندة حركة النضال والتحرر في بلديهما وكل بلدان  
المغرب العربي، فلم يقتصر الدعم على الجانب المعنوي فقط، بل تعداه ليشمل الجانب  
المادي والعسكري والسياسي والدبلوماسي خاصة من طرف الرئيس الحبيب بورقيبة،  
باعتبار منصبه في الدولة التونسية يؤهله لذلك.

الملاحق

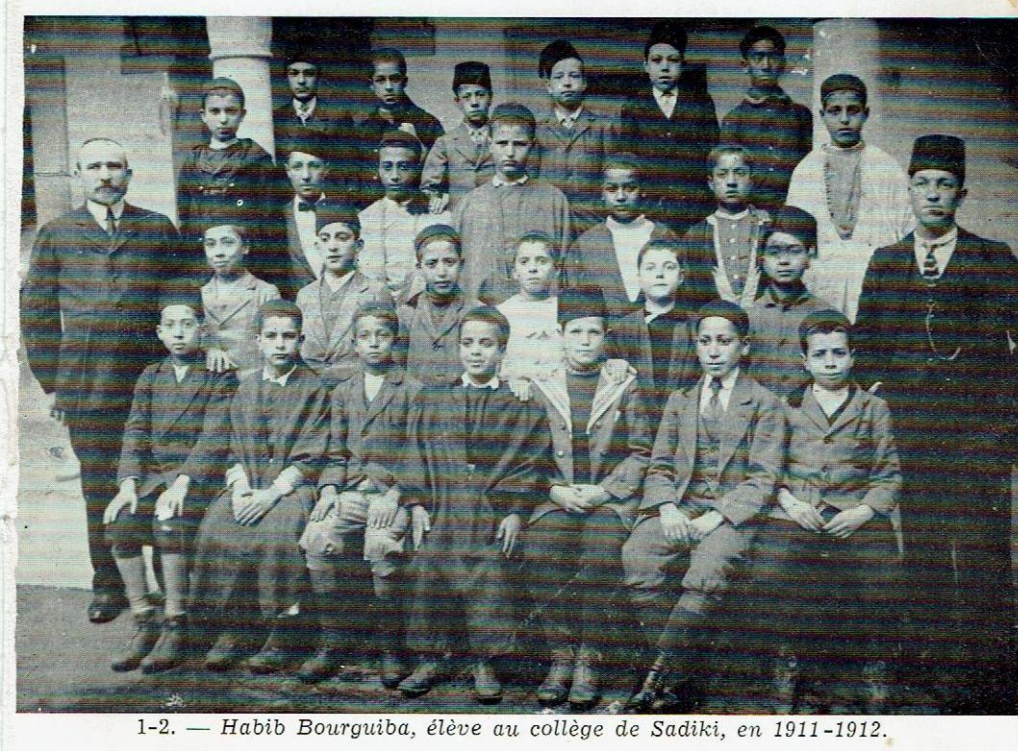
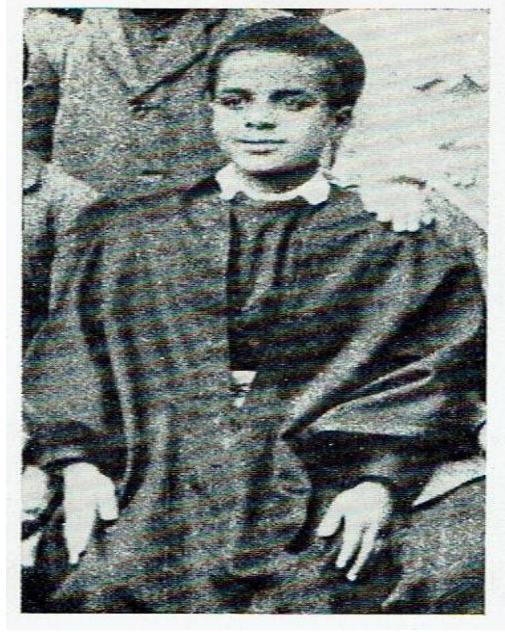
الملحق رقم 01: وثائق هوية الحبيب بورقيبة<sup>1</sup>



<sup>1</sup> مركز التوثيق القومي التونسي، الملف رقم. A-4-18.



الملحق رقم 02: صورة الحبيب بورقيبة تلميذ في مدرسة الصادقية.<sup>1</sup>



1-2. — Habib Bourguiba, élève au collège de Sadiki, en 1911-1912.

<sup>1</sup> آرثور كونت، المرجع السابق، ص. 18.

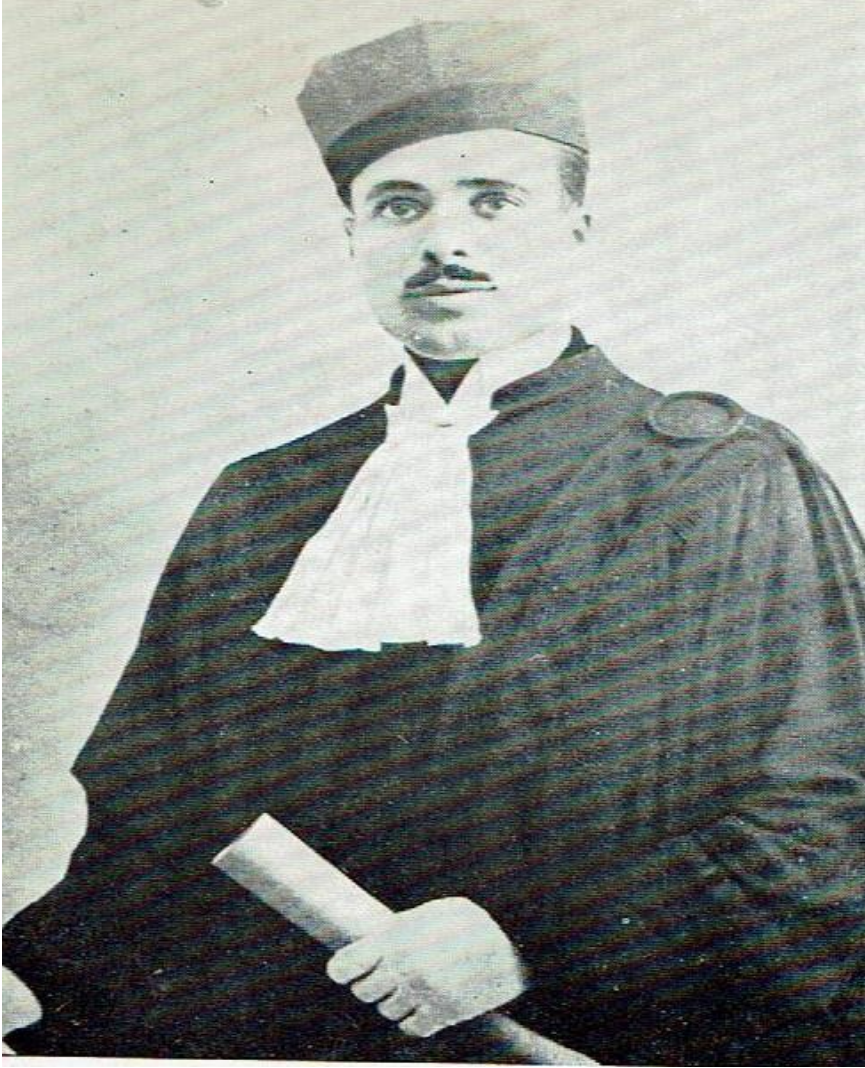
الملحق رقم 03: صورة الطالب علال الفاسي.<sup>1</sup>



<sup>1</sup> مؤسسة علال الفاسي، معرض صور خاص بعالل الفاسي.



الملحق رقم 04: بورقيبة يرتدي بزة المحاماة 1927.<sup>1</sup>

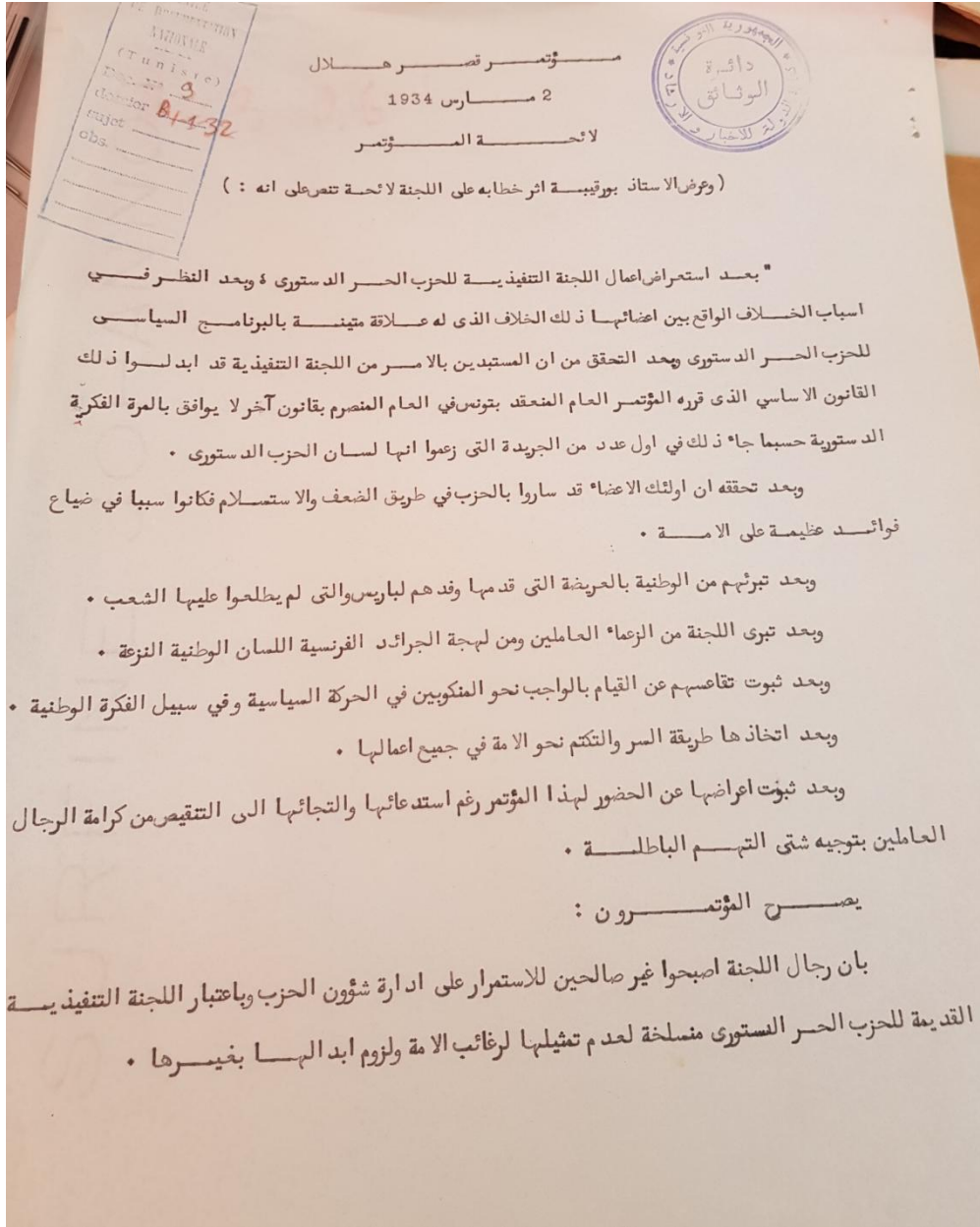


---

<sup>1</sup> آرثور كونت، المرجع السابق، ص. 27.



## الملحق رقم 05: مقتطف من خطاب الحبيب بورقيبة بمؤتمر قصر هلال

مارس 1934.<sup>1</sup><sup>1</sup> مركز التوثيق القومي التونسي، قسم تاريخ الحركة الوطنية، الملف رقم B-1-32.

## الملحق رقم 06: إقالة بورقيبة للمحامي أحمد الصافي المحامي

من الحزب الدستوري.<sup>1</sup>

نص المكتوب الموجه من طرف الكاتب العام للحزب الحر  
الدستوري التونسي الى السيد احمد الصافي

=====

تونس في 9 مارس 1934

من الكاتب العام للحزب الحر الدستوري التونسي الى السيد احمد الصافي  
المحامي بالحاضرة نهج باب منارة عدد 47

اما بعد فالمعرف به الجناح ان المؤتمر للحزب الحر الدستوري التونسي الذي انعقد فوق  
العادة بمدينة قصر هلال يوم الجمعة 17 ذي القعدة سنة 1352 الموافق لثاني مارس 1934 والذي  
وقع استدعاءكم اليه بمكتسوبه ضمن الوصول تحت عدد 14514 قرر من جملة مقرراته حل اللجنة التنفيذية  
السابقة ورفت حضرتكم من الحزب لسوء صنيعكم بالحركة الدستورية وعدم قيامكم بواجبكم نحو الامة  
والطعن في رجالها العاملين .

وعليه فاني اطلب منكم تنفيذ القرار المذكور تمكيني من جميع الاوراق والذميات والاثاث الراجعة  
للحزب واتمام ذلك في اقرب وقت ممكن ود متم بخير والسلام

الكاتب العام للحزب

الامضاء : الحبيب بورقيبة

المؤتمر العام  
للحزب الحر الدستوري التونسي المنعقد بمدينة قصر هلال يوم الجمعة 17 ذي القعدة عام 1352  
عدد 288.

<sup>1</sup> مركز التوثيق القومي التونسي، قسم تاريخ الحركة الوطنية، الملف رقم B-1-1.

الملحق رقم 07: رسالة تحدي من الحبيب بورقيبة إلى المقيم العام بيرطون

من برج البوف 1934.<sup>1</sup>

الحبيب بورقيبة  
من حلال رسالة

لا تنظروا مني أسلماً ولا رامباً ..

في ٣ سبتمبر ١٩٣٤ عمداً المقيم العام بيرطون إلى ابعاد الرئيس بورقيبة وصحبه إلى برج  
لويوف وقد كان يظن انه توصل بذلك إلى إيقاف تيار الحركة الوطنية التي نفع فيها مؤتمر  
قصر هلال روجا جديدة ..  
وفي المجلس الكبير وقف كبير الاستعماريين فوديانى يشكر المقيم العام على اجراءات  
(الامن) التي اتخذها فاجابه هذا بنضاب طويل قال فيه بالخصوص: اني لا انقض على علو القيت به  
إلى الارض .. وتكنى اطالب وما زلت اطالب جميع ما نالهم عقابي بان يقدموا التزامات ويبرهنوا  
على الاستعفاف والتوبة ...  
ولكن الرجل (المطروح) على الارض كما قاله بيرطون رد من اعماق منغاه على كلام المقيم العام  
بهذه الرسالة النبيلة الفنية عن كل تقديم ...

<sup>1</sup> مركز التوثيق القومي التونسي، قسم تاريخ الحركة الوطنية، الملف رقم. B-1-3.



## الملحق رقم 08: رسالة بورقيبة إلى محمد قاسم

تونس 13 مارس 1934.<sup>1</sup>

محمد الحبيب بورقيبة  
افوكا B.1.1  
نهج باب سويقة عدد 156  
تونس  
تليفون 7500  
تونس

الحمد لله

تونس في 13 مارس 1934  
حضرة الوطني الغيور سيدي محمد قاسم بصوره

تحية وسلاما اما بعد فالمعرف به جنابكم ان المؤتمر الدستوري الذي انعقد فوق العادة بمدينة قصر هلال في 17 ذي القعدة سنة 1352 قرر من جملة مقرراته حل اللجنة التنفيذية السابقة ورفعت افرادها من الحزب وبسعيهم بديوان سياسي يتركب من السادة :

محمود الماطري	رئيس
الحبيب بورقيبة	كاتب عام
الظاهر صفر	كاهية له
محمد بورقيبة	امين مال
البحري قيقه	كاهية له

وقد انتخب مجلسا مليا لمراقبة الديوان السياسي يتركب من عشرين عضوا بحساب خمسة عشر لداخل المملكة وخمسة للعاصمة وهم السادة محمد بوزويته - الحبيب بوقطفه - الظاهر الراشدي - الحاج البشير بن فضل الشاذلي عطاء الله - محمد الجلاصي - محمد بعيزيق - الشاذلي قلاله - الهادي شاك - محمد قلنز - يوسف الرويصي - محمد الجريوي - الحاج عبد المجيد بن ذياب - صالح شعبان العجبي - محمد الجعايبي - الظاهر بوتوريه - صالح العباسي - محمد بنور - جلول ابو العوالي

وقد وافق موقتا على القانون الداخلي الذي تلي عليه ريثما يقع انتقاده من طرف الشعب ويعرض على الموافقة النهائية في المؤتمر المقبل واما قريب تصلمك النشرة التي تقرر اصدارها لبيان اعمال المؤتمر بالتفصيل مع نسخة من القانون الداخلي المذكور اعلمناكم بذلك لتكون جميع مكاتباتكم في المستقبل باسم الكاتب العام الجديد تحت العنوان اعلاه وعرفونا بوصول هذا اليكم والسلام .

الكاتب العام للحزب  
الحبيب بورقيبة



<sup>1</sup> مركز الوثائق القومي التونسي، قسم تاريخ الحركة الوطنية، الملف رقم B-1-1.

## الملحق رقم 09: مقتطفات من القانون الداخلي للحزب الحر الدستوري التونسي

### المصادق عليه في مؤتمر قصر هلال مارس 1934.<sup>1</sup>

أعدت اللجنة الوقتية للديوان السياسي هذا القانون الداخلي الذي يعتبر ناسخا لقانون 1920-1933، وعرضه الأستاذ الطاهر صفر على مؤتمر قصر هلال المنعقد في مارس 1934، وبعد تلاوة فصوله فصلا فصلا، صادق عليه المؤتمر بالاجماع.

وفي مايلي نص اللائحة طبقا للنص الذي قرأه الأستاذ صفر وتم التصديق عليه:  
أولا: يتألف الحزب الحر الدستوري من أربعة أركان.

1- ديوان سياسي.

2- مجلس ملي.

3- مؤتمر سنوي.

4- شعب.

1/ الديوان السياسي: يتركب الديوان السياسي من رئيس وكاتب عام ومعاو له وأمين مال ومعاون له.

ويجتمع الديوان السياسي مرة كل أسبوع على الأقل للنظر في شؤون الحزب وحاجياته، ويجتمع أيضا كلما دعت الحاجة لاجتماعه.

2/ المجلي الملي: يتركب من أفراد الديوان السياسي، ومن نواب عن الشعب الدستورية بتونس، وبلدان المملكة، لا يتجاوز عددهم الثلاثين نائبا، يتم انتخابهم سنويا، ويجتمع هذا المجلس كل ثلاثة شهور مرة واحدة.

وظيفته مراقبة سير أعمال الحزب ومراقبة الديوان، وسير المؤتمر، ويحتسب الديوان السياسي لديه عن الميزانية دخلا وخراجا

عند وقوع خلاف يعرض على المؤتمر الاعتيادي أو مؤتمر استعجالي إذا وافقت عليه الأغلبية.

3/ المؤتمر العام: يتكون من الشعب الدستورية بالعاصمة وبلدان والمملكة، يجتمع بصورة اعتيادية في شهر محرم من كل عام.

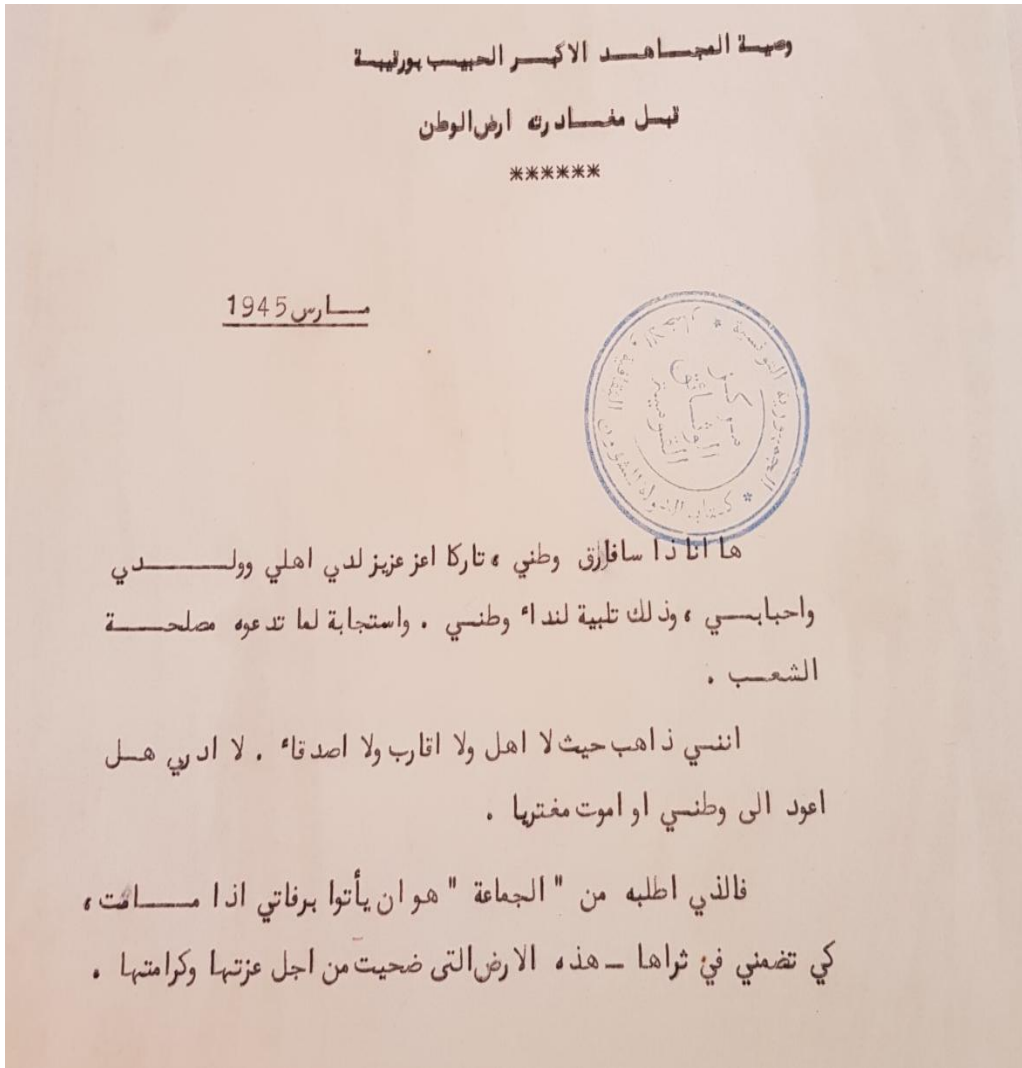
4/ الشعب كل شعبة لا يقل عدد منخرطيه عن 50 مشتركا يمثلها نائب.

<sup>1</sup> مركز التوثيق القومي التونسي، قسم تاريخ الحركة الوطنية، الملف رقم. B-1-32.



الملحق رقم 11: وصية الحبيب بورقيبة لأعضاء حزبه قبل مغادرته

تونس إلى القاهرة.<sup>1</sup>



<sup>1</sup> مركز التوثيق القومي التونسي، قسم تاريخ الحركة الوطنية، الملف رقم. B-1-2.

## الملحق رقم 12: خطاب الحبيب بورقيبة أمام الوفود العربية بهيئة الأمم المتحدة

10 ديسمبر 1946<sup>1</sup>

كلمة الاستاذ الحبيب بورقيبة  
التي القاها في حضرة الوفود العربية بمجلس الامم المتحدة في نيويورك 10 - 12 - 46 من يوم  
ضى زمن غير قليل وقضية المغرب العربي (تونس والجزائر ومراكش) مجهولة لا يعرف عنها العالم العربي  
بل العالم اجمع الا النزر اليسير بسبب النطاق الحديدي الذي ضربته فرنسا حوله ليسهل لها فصله عن  
اخوانه في المشرق وادماج شعوبه في الشعب الفرنسي والحاق ترابه بالوطن الفرنسي فلم يتغير هذا الوضع  
الشاذ الا بعد ما قرر الحزب الحر الدستوري التونسي ايفادي للعالم العربي حتى يعلم الخطر المهدد لكيان  
اخوانه بالمغرب على حقيقته فوفقني الله بعد مناصرة عجيبة - لخرق هذا النظام بل النطاق ووصلت خفيصة  
لبلاد الكفانة في اواخر الحرب العاضية وسطت امام الراي العام العربي في المشرق ما يقاسيه المغرب العربي  
من صنوف الاستعباد من جراء فرنسا الاستعمارية وجهاد شعوب المغرب العربي في سبيل المحافظة على كيان  
العربي واسترجاع سيادته واستقلاله فلم تضل على وصولي للقااهرة بضعة اشهر حتى نارت ثائرة الشعوب العربية  
بالمشرق لينى عزمهم في المغرب واقتنعت من ان قضيتنا جزء لا يتجزأ من قضايا العروبة ولا حياة ولا استقلال  
ولا كرامة للعرب ما لم تتحرر شعوب المغرب وتتحد مع شعوب المشرق في جامعة الدول العربية - وها قد افادت  
الاخبار الواردة على حضرتكم في القاخرة ان مجلس الجامعة الغربية في دورته الحالية قد اثار قضية المغرب  
العربي بصفة رسمية مطالبا باستقلال ليبيا وتونس والجزائر ومراكش والافراج عن امراء تلك البلاد المعتقلين  
بسبب مواقفهم الرائعة وجهادهم المستميت في سبيل استقلال شعوبهم وهما جلالة محمد المنصف بلي تونس  
المعتقل الان بعد بينة بوجنوب فرنسا منذ اكثر من ثلاث سنوات وسمو الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي المعتقل  
في جزيرة قرب مدغشقر منذ اكثر من عشرين سنة لذلك تابعتنا خطتنا التي هاجرنا وطننا لاجلها فراينا وجوب  
توسيع نطاق دعائتنا حتى تشمل كل الدول الديمقراطية الحية للسلم لنجد منها المناصرة والتأييد في جهادنا  
العظيم فانتعنا فرصة اجتماع هيئة الامم المتحدة وقد منا الى اميركا للاتصال بالفكر العام الامريكى ووفود الدول  
المتحدة واطلاع الراي العام العالمي على ما يجي في بلاد المغرب العربي من صنوف الاضطهاد العربر المهدد  
للسلم والصمانينة ضد شعوب عربية صعبة لها كيان دولي متين وتاريخ مجيد كانت تعاقبت مع فرنسا على اساس  
التعاون والاصلاح فاصبحت فريسة الاستعمار الفرنسي يستبد لخيراتنا ويحبث بكرامة شعوبها فيعمل لتحطيم  
كيانها العربي وتغيير رجالها ثم تريد الان الحاقها بامراطوريتها تحت ستار الوحدة الفرنسية -  
ان قضية المغرب العربي واضحة في عدالتها كالشمس في رابعة النهار ان ان ميشاق الامم المتحدة  
يفرض على كل دولة متحكمة في غيرها ان تسير بها نحو الحكم الذاتي والاستقلال تقاديا من تطاحن السدول  
الكبرى على خيرات الشعوب الضعيفة وفي الوقت نفسه نرى فرنسا التي اضت العيشاق تسير في شمل افريقيا في

<sup>1</sup> مركز التوثيق القومي التونسي، قسم تاريخ الحركة الوطنية، الملف رقم B-4-2.



## الملحق رقم 13: رسالة بورقيبة الى عباس فرحات، القاهرة

في 29 جويلية 1946.<sup>1</sup>

القاهرة 29 جويلية 1946

## \* رسالة الى فرحات عباس \*

"... ان اتحادا وثيقا بين شعوب شمال  
افريقيا الشمالية لخدمة دما ضحايا  
ودمع ذكالاتنا ليقربنا من المنفسر  
يمثلنا الاعلى قريبا كثيرا..."

رفيقسي العزيزة

لم اتصرف بمعرفتك شخصيا وكنت تقصت باهتا - وعن بعد عليك - فالتقت نسي  
التدراك وتصوراتك واساليبك من التجانس مع حركة الدستور الجديد . فانا ايضا اردت ذلك ان انظر  
الى الحقيقة وجها لوجه . وان احسب لها حسابها . وان اؤلف بين علي ربيها . وانا مثلك  
اردت ان اجرد مطالباتنا عما قد يشوبها من عدم الملازمة للوقت الحاضر . والتعلق بالاهام  
واستحالة التطبيق . وانا مثلك حاولت النظر بحل وسط يتفق وكرامة فرنسية . اي حل يبنى على  
التوازن . تعتبر فيه مطامح الشعب التونسي الشرعية حق اعتبارها لانها طبيعية . وتعبان به في  
آن واحد مصالح البلاد الفرنسية الحيوية الثابتة .  
فان هذا التجانس في تكويننا الفكري وفي " وسائل الكفاح " هو الذي دفعني نسي  
مكاتبك لعرض مرشاهي وطاقتي في شان موقفك من القضية الجزائرية . وذلك في كفا السر التامل .  
نعم قد جاهدت طيلة عشرين سنة في سبيل تمام مقام علي المشاركة بين فرنسا وتونس  
في نطاق الواقع الثابتي الذي فرضته هي علينا وهو الحماية . لاني كنت اعتقد ان تلك المشاركة  
انما اردت العمل بها عملا صادقا نزيها . سوف لا يكون منها الا السير بنا الى الاستقلال وان  
الاستقلال المحقق على تلك الصورة لا يكون منه الا توثيق روابطنا بفرنسا . لما فيه من العسود  
من القوة الغاشمة وادراك مصالحنا المضاعفة وما يؤسف له ان فرنسا . على يديها في الجحلة  
يصدقني امتنعت او اجبت عن مسايرتي في هذه السياسة . ذلك ان هناك مصاح عامة وكبيرة  
عسوية طائفة لم تثبت عن سادرة كل محاولة لتوجيه السياسة الفرنسية في البلاد التونسية توجيهها  
الرب الى الحرية واطق بالواقع . وان الفرنسيين يعتقدون في قرارة انفسهم ان السبيل  
الثابتي . كالحماية والولاية الخ . . . انما هي ذريعة كنتم هوية ادخل البلاد حرة . وان  
الثابة من وجودهم فيها ليست هي اصلاح الدولة التونسية ارادة الامة التونسية على بلوغ رعدما .

<sup>1</sup> مركز التوثيق القومي التونسي، قسم تاريخ الحركة الوطنية، الملف رقم B-1-2.

الملحق رقم 14: مذكرة للسلطات الفرنسية بخصوص عودة بورقيبة من منفاه

بالقاهرة في 10 أكتوبر 1949.<sup>1</sup>

في 10 أكتوبر 1949

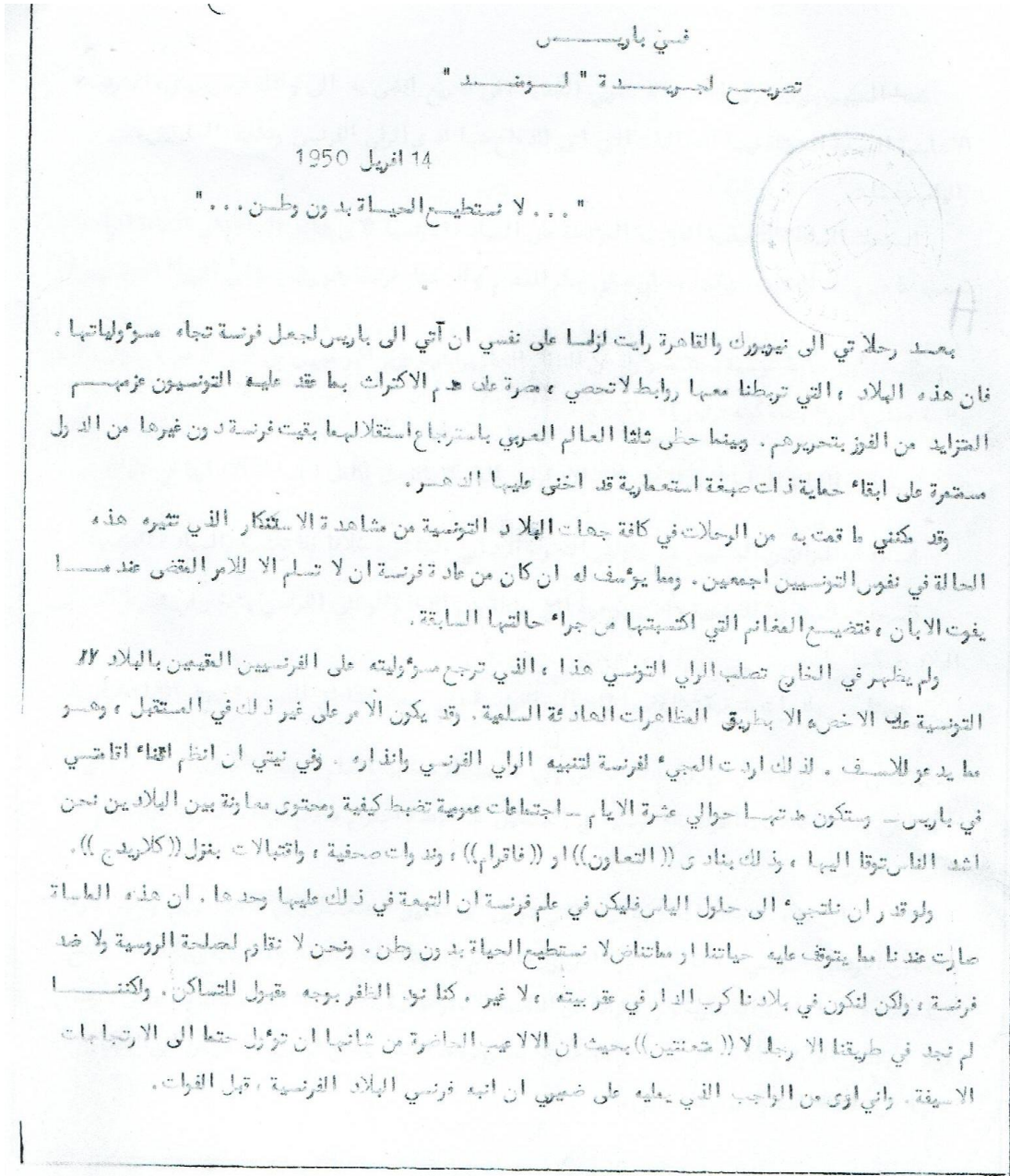
- مذكرة -

عودة الحبيب بورقيبة إلى تونس بعد غياب 04 سنوات تقريبا، أدى إلى غضب في أوساط المسؤولين والمنخرطين والمؤيدين للتجمع الفرنسي المحلي، والذي أقلق السلطات الفرنسية. ومن بين أسباب الغضب ضد رجوع بورقيبة :

- 1- التخوف من عودة زعيم الحزب الدستوري يخلق جو غير مقبول في العلاقة الفرنسية التونسية في الشهور القادمة، وهذا ما يؤدي إلى مشاكل في العلاقات بين السكان المسلمين ومختلف عناصر المستعمر الفرنسي .
- 2- أفاق الحبيب بورقيبة لتجديد الأحداث مقارنة بما حدث في 09 أفريل 1938.
- 3- لإعلامكم أن الزعيم الدستوري انتقل من تونس إلى مصر برغبته الشخصية ، لمهمة طلب الموافقة والتدخل لمسؤولي الجامعة العربية ، على ما يحدث في تونس من طرف المستعمر الفرنسي، والموقع الغير مقبول للنظام الفرنسي في هذا البلد.
- 4- خلال عودة بورقيبة إلى تونس عام 1942، للوقوف ضد النظام الفرنسي واحتلاله لتونس ، وظف حزبه السياسي للوقوف ضد النظام الفرنسي كسد منيع ضد الأفراد الخارجين على قوته السياسية.
- 5- عودة الحبيب بورقيبة تزامنت مع تعيين الجنرال دوفال في المغرب ، وقد كانت سياسته مرنة بالمقارنة مع الجنرال المكلف بتسيير مصالح فرنسا بتونس ، والذي كان ضد كل الحركات الوطنية الجديدة التي تعمل على إيقاف ضمانر الشعب التونسي ، فحتى الأحداث التي جرت في مقاطعة قسنطينة كان الجنرال دوفال غير راضي عليها ، على الرغم من أنه فرنسي.

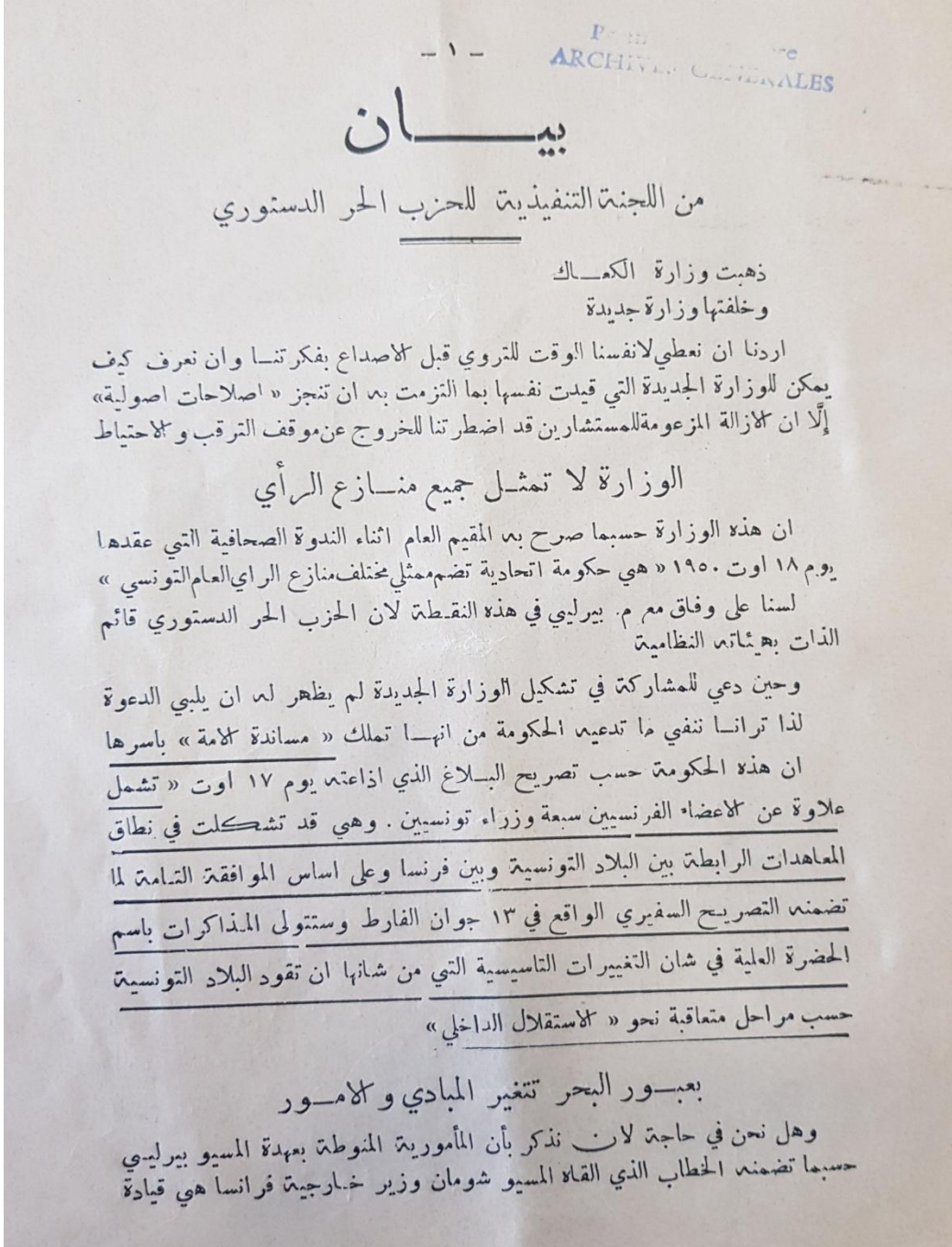
<sup>1</sup> الأرشيف الوطني التونسي، العلبه رقم. 56، الملف رقم. 03، 1949.

## الملحق رقم 15: تصريح بورقيبة لجريدة لوموند الفرنسية

بتاريخ 14 أفريل 1950.<sup>1</sup><sup>1</sup> مركز التوثيق القومي التونسي، قسم تاريخ الحركة الوطنية، الملف رقم. B-4-1.



## الملحق رقم 16: بيان للحزب الحر الدستوري يعارض

فيه تعيين وزارة الكعك.<sup>1</sup><sup>1</sup> الحزب الحر الدستوري التونسي، بيان اللجنة التنفيذية، مطبعة الإدارة، تونس.



الملحق رقم 17: الاستقبال الحافل للحبيب بورقيبة يوم عودته إلى تونس

01 جوان 1955.<sup>1</sup>



<sup>1</sup> أرشيف المعهد الأعلى لتاريخ تونس المعاصرة البكرة رقم، S، 03، التقرير 641، بتاريخ 1950-1955.

الملحق رقم 18: ندوة صحفية للحبيب بورقيبة مع مندوبي الوفود العربية

عقب مؤتمر صفاقس.<sup>1</sup>

عقب نهاية أشغال مؤتمر صفاقس المنعقد بتاريخ 15-18 نوفمبر 1955 جرت محادثات مع الحبيب بورقيبة مع مندوبي البلاد العربية والشرق الأوسط، حيث وجهت له تهمة التخاذل وتقديم تنازلات لفرنسا خلال مفاوضات الحكم الذاتي، فكان رد الزعيم حاسما بأن المناقشات كانت صعبة، وكانت تحتاج إلى كثير من الصبر والدبلوماسية للوصول إلى الاتفاقيات الحالية.

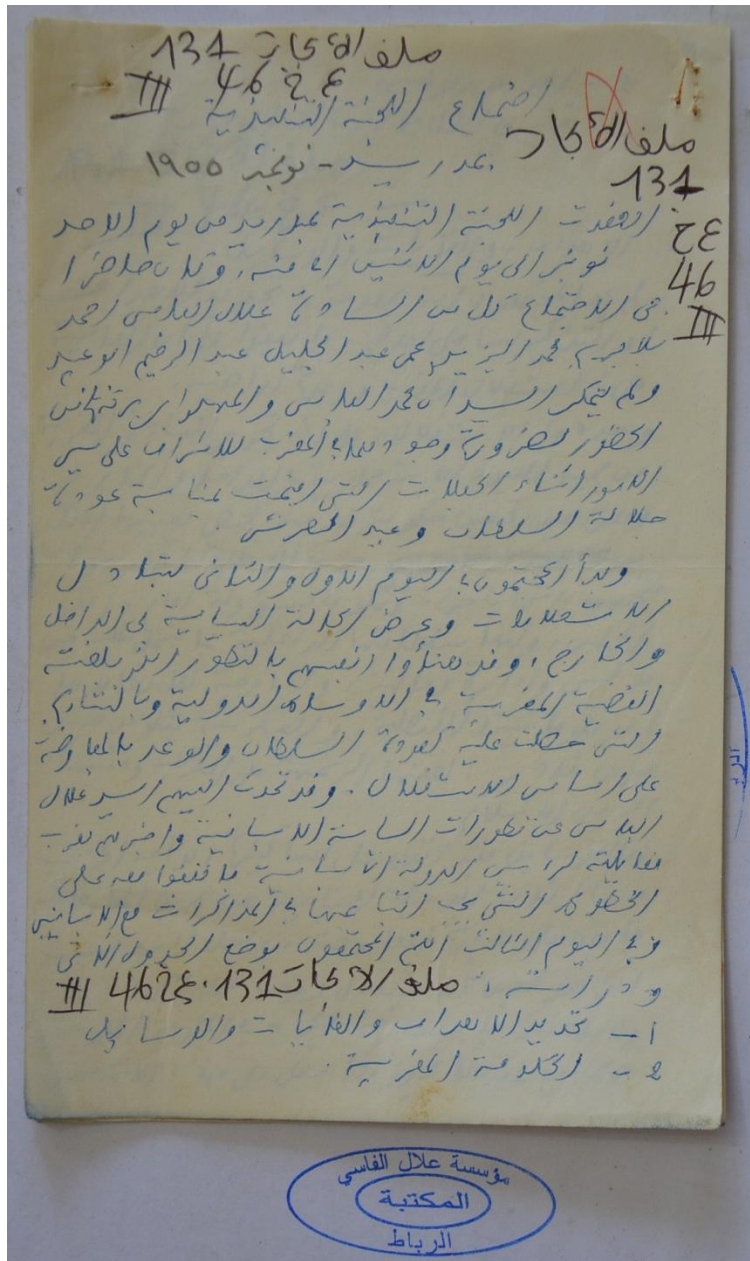
ومن جهة أخرى عرض الزعيم بورقيبة الصعوبات التي واجهته أثناء محادثاته مع السيد منداس فرانس، ثم مع خليفته ادغارفور، فالأول حسبه كانت لديه مواقف محددة نحو التنازلات المتوقعة، أما الثاني فقد استطاع التساهل مع مطالب المفاوضين التونسيين، لذلك استطاعوا الحصول على حلول أفضل مع ادغارفور.

ثم ختم لقائه بتوجيه اللوم والعتاب إلى المسؤولين العرب في الشرق الأوسط قائلا: "إن تونس لم تتلق لأي مساعدات من طرف الشرق الأوسط على غرار الأسلحة والغذاء... الخ مشيرا إلى الوزير المصري آنذاك".

<sup>1</sup> الأرشيف الوطني التونسي، الحركة الوطنية التونسية، صفاقس 21 نوفمبر 1955، العلية رقم 63، الملف، رقم 2.



الملحق رقم 19: محضر اجتماع اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال بخط علال الفاسي بمديرية لدراسة الوضع السياسي في المغرب بعد إعلان الاستقلال.<sup>1</sup>



<sup>1</sup> مؤسسة علال الفاسي، ملف الأبحاث رقم. 131، ع. خ، 46.

## الملحق رقم 20: مذكرة حول نشاط الحبيب بورقيبة في تونس

بعد عودته من الخارج.<sup>1</sup>

الحمد لله  
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم  
28 DEC 1955

الموضوع رحلة المجاهد الأكبر  
الاستاذ الحبيب بورقيبة  
الى جزيرة جربة

الى معالي وزير الداخلية دام حفظه  
السلام عليكم. وبعد أتشرف بأن أنهي لعاليتكم أن الرئيس الجليل الاستاذ  
الحبيب بورقيبة رئيس الحزب الدستوري التونسي قد حل بالجزيرة صبيحة  
يوم الخميس الفارط على نحو الساعة الطادية عشر ونصف تقريبا على طريق القنطرة قداما  
من جرجيس حيث عقد اجتماعا عاما بحومة السوق حضره جم غفير من سكان الجزيرة  
وقبل مبارحته للجزيرة بنصف ساعة تقريبا وقع اقتباله بادارة العمل أين قدمت اليه  
بعض الشخصيات بين تونسية وفرنساوية وعلى نحو الساعة الخامسة والربع تقريبا بارح العن  
ثاندا الى جرجيس هذا ولم يحدث طيلة ذلك اليوم ما يعكر صفو الامن.  
وعلى نحو الساعة 10<sup>16</sup> تقريبا حضر بادارة العمل السادة - حميدة بن حميدان والبشير  
ابن يدر - ومحرز برك الله - ويوسف اللباسي - وعلي الزراع - وعمر بن حسين - وقدموا  
الحريرة الواصلة لعاليتكم بمعية هذا ليكون ذلك بعلمكم ودمتم بخير والسلام  
وكتب في جمادي الاولى وفي ديسمبر 1955-1955

وزارة الداخلية  
مصلحة الضبط  
الساد  
في 21 ديسمبر 1955  
عدد 2490  
ع/و

اطلع عليه بديوان  
وزارة الداخلية

نحو العريضة المرفوعة لهذا  
على رئاسة الحكومة  
المرتب

18.  
le 19.12.1955  
Le caïd de Djérba  
à l'E. le N-de l'Int.  
Je vous informe que  
M. Habib Bourguiba  
est venu à Djérba le  
dernier vers 10h<sup>1/2</sup>, il a tenu  
la réunion et a quitté l'île  
vers 15h<sup>1/2</sup>. Après son départ  
certaines personnes lui ont remis cette  
fétition que vous trouverez ci-joint.

ROYAUME DE TUNISIE  
CAÏD DE DJERBA

MINISTÈRE DE L'INTÉRIEUR  
ARRIVÉE  
Le 28 DEC 1955  
N° 154 e  
Série A

29  
12  
55

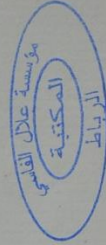
<sup>1</sup> الأرشيف الوطني التونسي، العلبة رقم. 62، الملف رقم. 2، 54-55.



## الملحق رقم 21: خطاب علال الفاسي بمدينة طنجة على إثر عودته من القاهرة

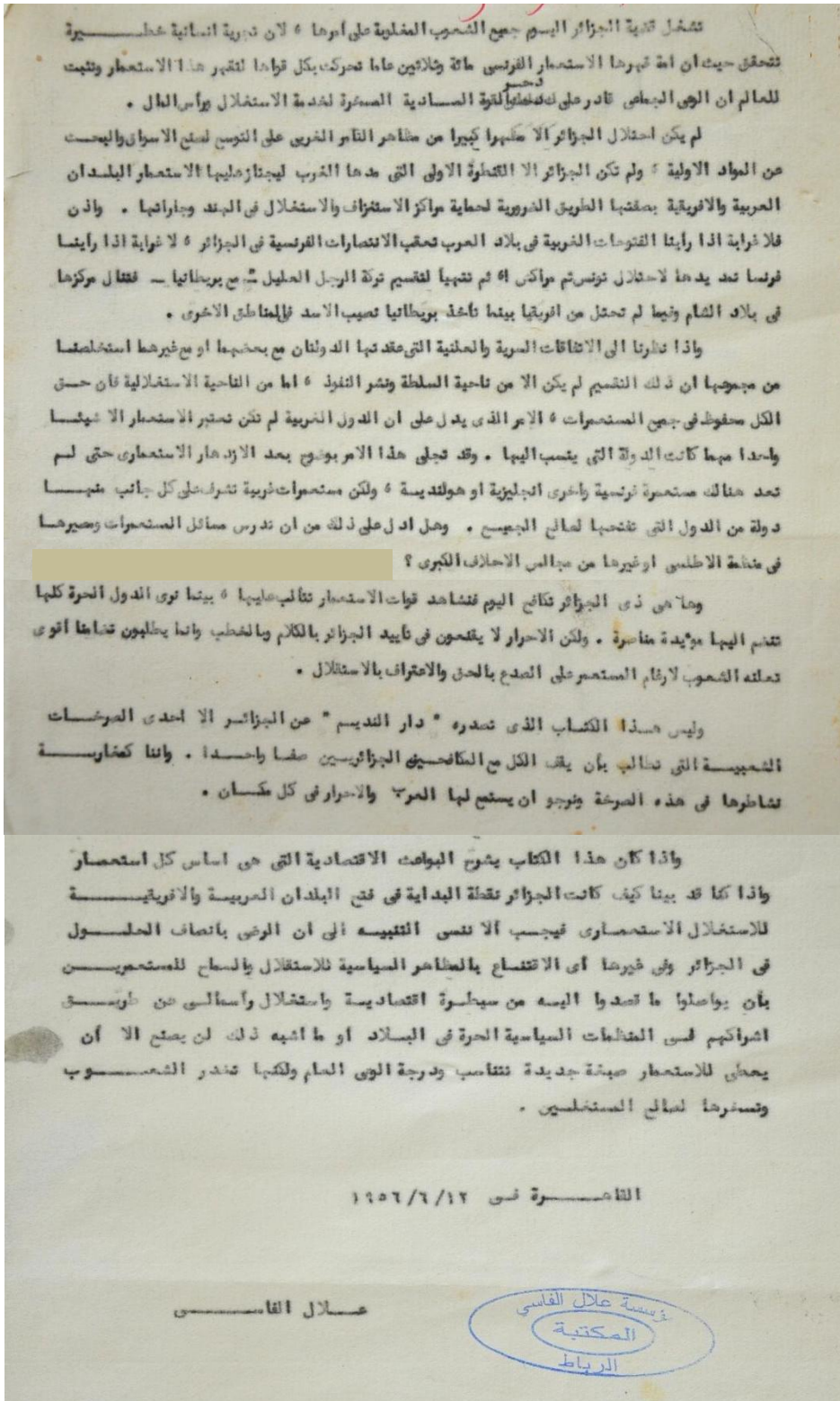
سنة 1956.<sup>1</sup>

أيها الاخوان ايتهما الاخوات  
 باسم الله خير الاسماء في الارض وفي السماء والصلاة والسلام على سيدنا  
 محمد خاتم الانبياء وعلى آله الاعفيا واصحابه الاوفياء  
 سيداتي سادتي اخواني ، في هذه اللحظة السعيدة التي جاد بها القدر  
 فتمن بها على بالعودة الى البلاد العزيزة بعد طول الغياب والشوق الى الاحباب اجدني  
 مملوء المسرة العظيم الامتنان بهذا الاستقبال العظيم وهذا الاحتفال الكبير ، الذي  
 ابنت مدينته طنجة الا ان تقوم به تكريما للفكرة التي احملها والمواليها والتي  
 آمنتم بها وهي فكرة حزب الاستقلال ، هذه الفكرة التي تقوم على الايمان بالله وحده  
 لا شريك له وعلى الايمان بالوطن المتحد وعلى الايمان بجلالة الملك وبالعرش العلوي  
 الشريف ، هذه الفكرة التي اثبتت من صميم الشعب والتي برقت من بين روح الامة المغربية  
 وراثتها العظيم لملت ما ضيها بالحاضر وحاضرها بالمستقبل ، هذه المبادئ التي آمن  
 بها الشعب المغربي الكريم ، والتف حول قادتها وزعمائها تكون من هذه الامة امسة  
 واحدة متحدة ملتفة حول رجالها ، وحول جلالة ملكها متعبئة بحب الكفاح السياسي  
 والاجتماعي والاقتصادي ببذل النفس والنفيس والتضحية في سبيل الله ، وفي سبيل المثل  
 العليا حتى عارت هذه المثل جزء لا يتجزأ من كيانكم ايها المغاربة ، ومظهرا عظيما  
 من وجودكم تحيون به وتموتون من اجله ، وتحسون به وتشعرون وتتلقون وتصمتون وان الله  
 سبحانه وتعالى الذي لا يضيع اجر المحسنين واعمالهم ويجزي كل واحد على ما قام به من  
 خير ومن صنيع الجميل ، ان الله العظيم ابي الا ان يكسل اعمال الامة المغربية بالنتاج  
 وان يكسل جهها دها بالظفر والفوز والصلاح  
 صلف الة جات رقم 102  
 وها هي هذه الامة التي استجابت لدعوة حزب الاستقلال والتفت حول جلالة  
 ملكها العظيم وضحت بالنفس والنفيس في سبيل جلالته وفي سبيل استقلال امته  
 وتوحيد وطنه ، هذه الامة تلتقى جزاءها اليوم موجورا عظيما حيث ابها وصلتها وجميع  
 رجالها يعلنون استقلال المغرب ، لقد اصبح هذا الاستقلال الذي كان امية يشك  
 الكبريون من الناس في امكان تحقيقها اصبح حقيقة واقعة اعترف به الذين ينكرونه وآمن به  
 الذين جددوه من قبل وها هي ذى الدولة الفرنسية نفسها تعلن اعترافها بهذا الاستقلال



<sup>1</sup> مؤسسة علال الفاسي، ملف الأبحاث رقم. 102، ع.خ، 33.

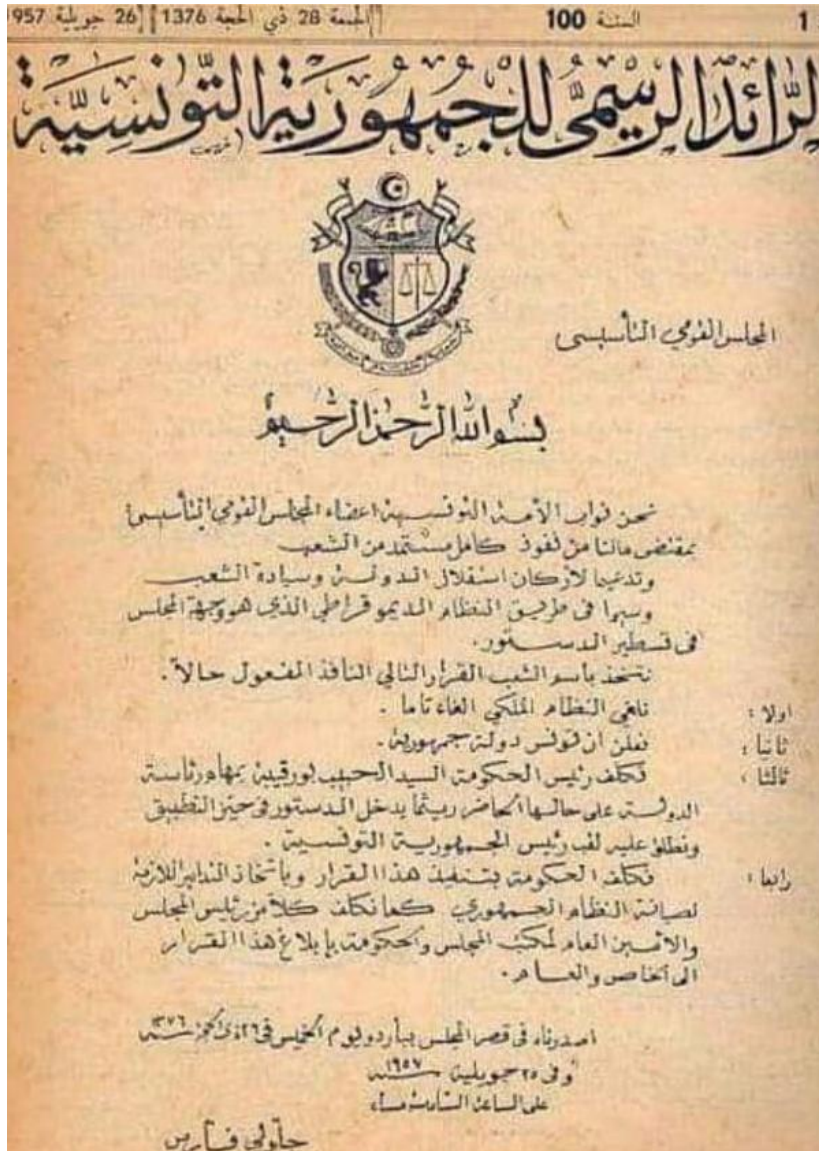
## الملحق رقم 22: دعوة علال الفاسي من القاهرة إلى وجوب التضامن مع القضية

الجزائرية.<sup>1</sup><sup>1</sup> مؤسسة علال الفاسي، ملف الأبحاث رقم. 102، ع.خ، 33.



الملحق رقم 23: النص الكامل لإعلان الجمهورية الذي تلاه المرحوم جلول

فارس رئيس المجلس القومي التأسيسي مساء يوم 25 جويلية 1957.<sup>1</sup>



<sup>1</sup> الرائد الرسمي للجمهورية التونسية، المصدر السابق.

الملحق رقم 24: تكريم علال الفاسي بشهادة الأستاذية 1957.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> مؤسسة علال الفاسي، معرض صور خاص بعالل الفاسي.

الملحق رقم 25: صورة تجمع الزعيمين علال الفاسي والحبيب بورقيبة

في أحد اللقاءات الرسمية.<sup>1</sup>



2- الحبيب بورقيبة

1- علال الفاسي

<sup>1</sup> مؤسسة علال الفاسي، معرض صور خاص بعلال الفاسي.



الملحق رقم 26: علال الفاسي يقوم بزيارة سنة 1957

للزنزانة التي اعتقل فيها سنة 1937.<sup>1</sup>



<sup>1</sup> مؤسسة علال الفاسي، معرض صور خاص بعلال الفاسي.

الملحق رقم 27: رسالت من الزعيم علال الفاسي إلى رئيس الحكومة الجزائرية

المؤقتة فرحات عباس.<sup>1</sup>

رقم ٥١٧-٢  
N° 517-2

ROYAUME DU MAROC المملكة المغربية  
Postes, Télégraphes, Téléphones البريد والتلغراف والتليفون

توصيل برسالة مضمونة التوصيل أو مضمونة بقيمتها  
RECEPISSE d'un envoi recommandé ou avec valeur déclarée

المرسل إليه  
DESTINATAIRE :

M السيد الرئيس فرحات عباس  
Rue زنقة ريساني رقم 18  
A فاس تونيس

يملأ وكيل البريد فراغ هذا الاطار  
(Partie à remplir par l'agent des Postes)

ماعة الشيء Nature de l'objet	القيمة المصرح بها Valeur déclarée	٤٨-٢٤
السعر المستخلص Affranchis- sement perçu	الوزن Poids	125
	مقابل دفع Contre	
	توقيع الوكيل Signature de l'Agent,	

2604

المكتب  
24  
1960  
RABAT

مؤسسة علال الفاسي  
المكتبة  
الرباط

<sup>1</sup> مؤسسة علال الفاسي، ملف الأبحاث رقم. 05، ع. خ، 48.



المركز العام  
لحزب الاستقلال

الرسالة

٤٨٠٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الاخ صاحب الدولة السيد عباس فرحات

رئيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية

عليكم السلام ورحمة الله وهدى فان لي كامل الشرف بان اخبركم اني ترددت كثيرا قبل ان اكتب لاختوكم هذه الرسالة في موضوع عظيم الاهمية ، وكان سبب ترددي هو حرصي على ان لا يحدث اية صموية لحكومتم ولجبهة التحرير وشعب الجزائر الشقيق في اثناء كفاحه القوي من أجل تحرير الجزائر اي تحرير المغرب العربي ، لاني اقدر الظروف التي يقف فيها هذا الكفاح واعرف الثقة صير الواقع من جميع من يجب عليهم العمل ويقدرون عليه في امداد الجزائر المكافحة ومساعدتها . ولكن ضميري لم يسمح لي ان اعمرلكم عما او من به واعتقده ، لاني ساخون الجزائر والمغرب العربي اذا لم اعبر عنه في الوقت المناسب وقبل ان يفوت ايمان الحاجة اليه . لذلك فاني ارجو منكم ان تحتقدوا في صدق البواعث التي حملتني على ابداء هذه الملاحظة اليكم ، والتي اعتبرها من واجباتي كمواطن مغربي وكرفيق لقيادة الكفاح الجزائري في معاركهم الوطنية قبل الثورة وبعدها .

لقد اصغيت بفاية الاهتمام الى خطابكم الموجه اخيرا للجالية الالهية فسي الجزائر ، اصغيت له بالفرنسية وبالعربية ، ثم قراته بهما في الصحف ودرسته بامعان فلم يبق عندي شك في انه يحتوي في جانبه الايجابي على اعتراف للفرنسيين والاربيين المقيمين في القطر الشقيق بحق المواطنة الجزائرية والمشاركة في المنظمات الوطنية السياسية الجزائرية عن طريق المشاركة في التعبير اثناء ممارسة حق تقرير المصير .

ان نصوص التصريح واضحة بينة في خطابكم . ولمست بحاجة لان ادلي بفقرات

منها . لانكم ادري بها واعلم حتى بما لانعله نحن من غاياتهم .



الملحق رقم 28: صورة تجمع الزعيم علال الفاسي بالرئيس الراحل هواري  
بومدين بالجزائر.<sup>1</sup>



<sup>1</sup> مؤسسة علال الفاسي، معرض صور خاص بعلال الفاسي.

# قائمة المصادر والمراجع

• القرآن الكريم.

المصادر

1/ الوثائق الأرشيفية:

• الأرشيف الوطني التونسي:

- 1) تاريخ الحركة الوطنية، رقم العلبه 54، رقم الملف 1945/02.
- 2) تاريخ الحركة الوطنية، رقم العلبه 56، رقم الملف 3، الفترة 1949.
- 3) تاريخ الحركة الوطنية، رقم العلبه 56، رقم الملف 4، الفترة 1949.
- 4) تقارير سرية، سنة 1949، العلبه رقم 56.

• مركز التوثيق القومي التونسي:

- 1) بيروغرافيا الشخصيات تحت رقم 171/000 الحبيب بورقيبة، رقم 4-18/029.
- 2) قسم الحركة الوطنية، بورقيبة والحلفاء، رقم الملف، A-4-55 .
- 3) قسم الحركة الوطنية، رقم الملف، B-3-9
- 4) قسم تونس، رقم الملف، A-3-37 .
- 5) قسم تونس، رقم الملف، B-3-37 .
- 6) قسم تونس، مؤتمرات الحزب الحر الدستوري التونسي، رقم الملف، B-1-32.
- 7) قسم بيروغرافيا الشخصيات الحبيب بورقيبة، رقم الملف، A-4-18.
- 8) قسم تاريخ الحركة الوطنية الملف رقم. B-4-2.
- 9) قسم الحركة الوطنية، الملف رقم. B-1-32.
- 10) قسم تاريخ الحركة الوطنية، الملف رقم. B-1-1.

- 11) قسم تاريخ الحركة الوطنية، الملف رقم. B-1-3.
- 12) قسم تاريخ الحركة الوطنية، الملف رقم. B-1-2.
- 13) قسم تاريخ الحركة الوطنية، الملف رقم. B-4-2.
- 14) قسم تاريخ الحركة الوطنية، الملف رقم. B-4-1.

• أرشيف المعهد الأعلى لتاريخ تونس المعاصرة:

- 1) البكرة رقم، S، 371، التقرير 766، بتاريخ 9 ماي 1957.
- 2) البكرة رقم، S، 371، التقرير 786، بتاريخ 9 ماي 1958.
- 3) البكرة رقم، S، 503، التقرير 140، بتاريخ 25 جانفي 1958.
- 4) البكرة رقم، S، 504، التقرير 657، بتاريخ 5 مارس 1957.
- 5) البكرة رقم، S، 504، التقرير 887، بتاريخ 26 مارس 1957.
- 6) البكرة رقم، S، 02، التقرير 610، بتاريخ 1950-1955.
- 7) البكرة رقم، S، 03، التقرير 641، بتاريخ 1950-1955.

• الأرشيف الوطني المغربي:

- 1) تاريخ الحركة الوطنية المغربية، علبة رقم. 2، الملف رقم. 36.
- 2) علبة رقم. 6، الملف رقم. 49.

• مؤسسة علال الفاسي:

- 1) ملف الأبحاث رقم. 05، ع. خ، 48.
- 2) ملف الأبحاث رقم. 102، ع. خ، 33.
- 3) ملف الأبحاث رقم. 131، ع. خ، 46.

4) معرض صور خاص بعلال الفاسي

2/ كتب (المنشورات الرسمية):

• باللغة العربية:

1) بورقيبة الحبيب، بين تونس وفرنسا كفاح مرير طيلة ربع قرن في سبيل التعاون، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، 1957.

2) ———، حياتي، آرائي، جهادي، ط. 3، نشرات وزارة الإعلام، تونس، 1984.

3) ———، خطب، نشرات وزارة الإعلام والشؤون الثقافية، المطبعة الرسمية، تونس، 1980. الأجزاء: 2، 4، 5، 7، 9، 10، 11، 14، 15، 17، 19، 25، 27.

4) ———، مقالات صحفية 1929-1934، دار العمل، تونس، 1982.

5) حزب الاستقلال، عشرون سنة بعد عودة زعيم المغرب من المنفى، مطبعة الرسالة، الرباط، المغرب، 1966.

6) ———، الاستقلال، علال الفاسي "الرمز الخالد في الفكر والوجدان"، ط. 2، مطبعة الرسالة، الرباط، المغرب، 2010.

7) ———، لجنة الاعلام والنشر، علال الفاسي في ذكراه الأربعين، مطبعة الدار البيضاء، المغرب، 1974.

8) الحزب الاشتراكي الدستوري، رسائل سجين جالطة، إنجاز جريدة العمل، تونس، 1983.

9) الحزب الحر الدستوري التونسي، بيان اللجنة التنفيذية، مطبعة الإدارة، تونس

- (10) \_\_\_\_\_، بعث أمة وبناء دولة، نشریات كتابة الدولة للشؤون الثقافية والارشاد، تونس، 1964.
- (11) \_\_\_\_\_، الدستور الجديد "إزاء المحنة الأولى 1934-1936"، وثائق، 2، دار العمل، تونس، 1979.
- (12) \_\_\_\_\_، محاضرات الرئيس الحبيب بورقيبة أمام طلبة معهد الصحافة وعلوم الأخبار، 30 نوفمبر 1973، تونس.
- (13) \_\_\_\_\_، محاضرات الرئيس الحبيب بورقيبة أمام طلبة معهد الصحافة وعلوم الأخبار، 30 نوفمبر 1973، تونس.
- (14) الرائد الرسمي للجمهورية التونسية، مناقشات المجلس القومي التأسيسي الجلسة 14 أبريل 1956.
- (15) \_\_\_\_\_، مناقشات المجلس القومي التأسيسي الجلسة الافتتاحية بتاريخ 8 افريل 1956.
- (16) كتابة الدولة للأخبار والإرشاد، الحبيب بورقيبة، حياته، جهاده، منشورات كتابة الدولة للإعلام، تونس، 1968.
- (17) وزارة الإعلام، الاستعداد لمواجهة المحنة الثانية، وثائق رقم 12، شركة فنون الرسم للنشر، تونس، 1984.
- (18) \_\_\_\_\_، الحزب الدستوري الحر، الدستور والجبهة الشعبية بفرنسا (1936-1938) "الحوار"، الجزء 1، وثائق. 3، دار العمل، تونس، 1979.
- (19) \_\_\_\_\_، الدستور الجديد يحطم جدار الصمت، وثائق رقم 10، شركة فنون الرسم للنشر، تونس، 1984.

(20) ———، قضية بورقيبة 9 أبريل 1938، وثائق رقم 6، دار العمل، تونس.

(21) ———، مؤتمرات الحزب الحر الدستوري التونسي، المطبعة الرسمية

للجمهورية التونسية، 1984.

• باللغة الأجنبية:

1) Habib Bourguiba, Articles de Presse, 1929-1933 Dar El Amal, Tunis, 1982.

2) ———, Ma Vie, Mes Idées, Mon Combat, Secrétariat D'état a L'Information, Tunis, 1977.

3) ———, Articles de Presse 1929 – 1933, 3<sup>ème</sup> Edition, Dar El Emal, Tunis, 1982.

4) Le Néo-Destour, face à la Première Epreuve 1934-1936, Documents. 2, Edition de Presse, Tunis, 1981.

5) ———, Le Dialogue, Dar El Amel, Tunis, 1969, T. 1 .

6) ———, Septembre 1934 Repression et Resistance, Maison Tunisienne de L'édition, Tunis

3/ الكتب والمذكرات الشخصية:

أ/ باللغة العربية

(1) أبو عزام محمد السلوي، أسرار وحقائق عن علال الفاسي، دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء، المغرب، 1981.

(2) الإفريقي المصري ابن منظور، لسان العرب، ط. 6، دار صادر، بيروت، لبنان، 1994.

- 3) ألبان مارتال بيار، الحبيب بورقيبة، رجل وقرن، ترجمة: عبد الرؤوف الإمام، منشورات جاغوار، فرنسا، 2000.
- 4) البجاوي محمد، حقائق عن الثورة الجزائرية، دار الفكر الحر، باريس، 1971.
- 5) البطريق عبد الحميد، التيارات السياسية المعاصرة 1815-1960، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1974.
- 6) البلهوان علي، تونس الثائرة، (د. د. ن)، (د. ت. ن).
- 7) بن صالح أحمد، أحمد بن صالح مسيرة الانطلاق 1961 - 1969، ترجمة: محمد قويعة، دار الجنوب للنشر، تونس، 2012.
- 8) ———، النمو الجهوي أساس التنمية القومية، كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، تونس، 1968.
- 9) بوتار أندري، بورقيبة، تعريب ونشر، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1985.
- 10) بوذينة محمد، المشاهير التونسيين، مطبعة فنون الرسوم للنشر، تونس، 1988.
- 11) ———، محي الدين القليبي 1899-1954، منشورات محمد بوذينة، الحمامات، تونس، (د. ت. ن).
- 12) بورقيبة الحبيب، بورقيبة بلسان بورقيبة محاضرات بورقيبة بمعهد الصحافة عن تاريخ الحركة الوطنية (حياتي، آرائي، جهادي)، دار أفاق برسبكتيف للنشر، تونس، 2015.
- 13) الثعالبي عبد العزيز، الكلمة الحاسمة، مطبعة الإدارة، تونس، 1937.
- 14) الجمل عطا الله، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)، المكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1977.



- (15) حسن الممي، مفهوم الدولة بين خير الدين باشا، وبورقبيية، (د. د. ن)، تونس، (د. س. ن).
- (16) حسن الوراكلي، المضمون الإسلامي في شعر علال الفاسي، مطبعة الرسالة، الرباط، المغرب، 1985.
- (17) حسن الوزاني محمد، حدثي والدي، المعركة من أجل الشورى والاستقلال 1946-1955، مؤسسة محمد حسن الوزاني، فاس، المغرب، 1990.
- (18) ———، مذكرات حياة وجاهاد، التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية، الجزء 5، مؤسسة محمد حسن الوزاني، فاس، المغرب، 1990.
- (19) الحسن بوعيايد، الحركة الوطنية والظهير البربري، دار الطباعة الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 1979.
- (20) حمدان محمد، أعلام الأعلام في تونس 1860-1956، الدار التونسية للكتاب، تونس، (د. ت. ن).
- (21) خلفه محمد الأمين، بورقبيية والجانب النفساني من خطته، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، 1971.
- (22) خير الدين محمد، مذكرات الشيخ محمد خير الدين، الجزء 2، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، (د. ت. ن).
- (23) خير فارس محمد، تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب 1912-1939، (د. د. ن)، المغرب، (د. ت. ن).
- (24) الديب فتحي، عبد الناصر والثورة الجزائرية، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1984.

- (25) الزمري الصادق، أعلام تونسيون، تعريب: حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1986.
- (26) سعيد الصافي، بورقيبة "سيرة شبه محرمة"، ط. 4، شركة عرابيا للإعلام المتعدد، تونس، 2011.
- (27) الشاذلي عمر، بورقيبة كما عرفت، تعريب: علي حمريت وأخرون، سيمباك، تونس، 2013.
- (28) شاكر عبد المجيد، الهادي شاكر جهاد واستشهاد (مذكرات)، مطابع التعااضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس، تونس، 2003.
- (29) الشرياصي أحمد، أمير البيان شكيب أرسلان، الجزء 1، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، 1963.
- (30) الصياح محمد، الحبيب بورقيبة يؤسس الدولة الجديدة، ترجمة: علي الشنوفي، دار العمل، تونس، 1986.
- (31) \_\_\_\_\_، الفاعل والشاهد، حاوره المولدي الأحمر، سراس للنشر، تونس، 2012.
- (32) العدل عثمان، الخواجة بورقيبة، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، 1955.
- (33) العقاد صلاح، المغرب العربي من الاستعمار الفرنسي إلى التحرير القومي، الجزء 2، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، (د. ت. ن).
- (34) العلمي محمد، علال الفاسي رائد الحركة الوطنية، مطبعة الرسالة، الرباط، المغرب، 1980.

- (35) عودة جهاد، تجربة الاشتراكية في تونس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1978.
- (36) غلاب عبد الكريم، التطور الدستوري والنيابي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1992.
- (37) ———، الحركة الوطنية بالمغرب "من نهاية الحرب الريفية إلى بناء الجدار السادس في الصحراء"، الجزء 1، ط. 2، مطبعة الرسالة، الرباط، المغرب، 1987.
- (38) ———، ملامح من شخصية علال الفاسي، مطبعة الرسالة، الرباط، المغرب، 1974.
- (39) الفاسي ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، (د. د. ن)، الرباط، 1972.
- (40) الفاسي علال وآخرون، الإمام الإدريسي مؤسس الدولة المغاربية، شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، 1988.
- (41) ———، الأداء البرلماني 1963، 1965، مؤسسة علال الفاسي، الرباط، المغرب، 2010.
- (42) ———، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط. 6، منشورات مؤسسة علال الفاسي، الرباط، المغرب، 2003.
- (43) ———، الحرية، ط. 2، منشورات مؤسسة علال الفاسي، الرباط، المغرب، 2013.
- (44) ———، الديمقراطية وكفاح الشعب المغربي من أجلها، منشورات مؤسسة علال الفاسي، الرباط، المغرب، 1990.

- (45) \_\_\_\_\_، المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى، ط.3، منشورات مؤسسة  
علال الفاسي، الرباط، المغرب، 2010.
- (46) \_\_\_\_\_، النقد الذاتي، المطبعة العالمية، القاهرة، 1952.
- (47) \_\_\_\_\_، حديث المغرب في المشرق، تحقيق، مختار باقة، ط. 2، منشورات  
مؤسسة علال الفاسي، الرباط، المغرب، 2012.
- (48) \_\_\_\_\_، حماية اسبانيا في مراكش من الوجهتين التاريخية والقانونية، تصحيح  
مختار باقة، ط.2، منشورات مؤسسة علال الفاسي، الرباط، المغرب، 2014.
- (49) \_\_\_\_\_، دائما مع الشعب، ط.2، منشورات مؤسسة علال الفاسي، الرباط،  
المغرب، 2017.
- (50) \_\_\_\_\_، دفاع عن الشريعة، دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر، 2010.
- (51) \_\_\_\_\_، دفاعا عن وحدة البلاد، منشورات مؤسسة علال الفاسي، ط. 2،  
الرباط، المغرب، 2009.
- (52) \_\_\_\_\_، ديوان علال الفاسي، ط. 2، الجزء. 1، دار البوكيلي للطباعة  
والنشر، المغرب، 1998.
- (53) \_\_\_\_\_، رأي مواطن، منشورات مؤسسة علال الفاسي، الرباط، المغرب،  
1985.
- (54) \_\_\_\_\_، رسائل تشهد على التاريخ، الجزء. 1، مطبعة الرسالة، القاهرة،  
2006.
- (55) \_\_\_\_\_، علال الفاسي نهر من العلم الجاري والوطنية الخالدة، منشورات  
مؤسسة علال الفاسي، الرباط، المغرب، 2010.

- (56) \_\_\_\_\_، في المذاهب الإقتصادية، ط.2، منشورات مؤسسة علال الفاسي، الرباط، المغرب، 2005.
- (57) \_\_\_\_\_، كي لا ننسى، (د. د. ن)، الرباط، المغرب، 1958.
- (58) \_\_\_\_\_، معركة اليوم والغد، ط. 2، مطبعة الرسالة، الرباط المغرب، 1999.
- (59) \_\_\_\_\_، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، ط.5، دار الغرب الاسلامي، (د. د. ن)، 1991.
- (60) \_\_\_\_\_، منهج الاستقلالية منهج الاستقلالية، ط. 3، منشورات مؤسسة علال الفاسي، الرباط، المغرب، 2017.
- (61) \_\_\_\_\_، مواقف خالدة، ط. 2، منشورات مؤسسة علال الفاسي، الرباط، المغرب، 2014.
- (62) \_\_\_\_\_، نداء القاهرة، تصحيح، المختار باقة، ط. 3، منشورات مؤسسة علال الفاسي، الرباط، المغرب، 2013.
- (63) الفاضل بن عاشور محمد، الحركات الأدبية والفكرية في تونس، الدار التونسية للنشر، تونس، 1972.
- (64) الفقيه أحمد الطيب، المنستير وبطل التحرير، الشركة القومية للنشر، تونس، 1962.
- (65) القادري أبو بكر، مذكرات في الحركة الوطنية المغربية، الجزء 3، القسم الأول، مؤتمر طنجة لوحدية المغرب العربي، أبريل 1958، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000.

- 66) \_\_\_\_\_، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية من 1930 الى 1940، الجزء 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1992.
- 67) قايد السبسي الباجي، الحبيب بورقيبة المهم والأهم، دار الجنوب للنشر، تونس، 2011.
- 68) القلال عبد السلام، الحلم والمنعرج الخطأ، دار الجنوب، تونس، 2018.
- 69) الكعلي المنجي، في خدمة الجمهورية بقيادة بورقيبة، سراس للنشر، تونس، 2013.
- 70) كنون عبد الله، موسوعة مشاهير رجال المغرب، المجلد 5، ط. 2، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1994.
- 71) لاند روم، تاريخ المغرب في القرن العشرين، ترجمة: نقولا زيادة، مراجعة: أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1963.
- 72) الماطري محمود، مذكرات مناضل، تعريب: حمادي الساحلي، دار الشروق، القاهرة، مصر، 2005.
- 73) المدني أحمد توفيق، حياة كفاح، الجزء 3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1988.
- 74) المرنيسي عبد الحميد، الحركة الوطنية المغربية من خلال شخصية علال الفاسي إلى أيام الاستقلال، مطبعة الرسالة، الرباط، المغرب، 1978.
- 75) المستيري أحمد، شهادة التاريخ، ذكريات وتأملات وتعاليق حول فترة من التاريخ المعاصر لتونس والمغرب الكبير (1940-1990) وثورة 2010، دار الجنوب للنشر، تونس، 2011.

76) معريش محمد العربي، المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول (1873-1894) (1290هـ-1311هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (د. ت. ن).

77) المفتي التيجاني، محاضرات في تاريخ الحركة الوطنية التونسية، الجزء 1، دار الحزب الاشتراكي الدستوري، تونس، 1978.

78) ميرل روبير، مذكرات أحمد بن بلة، كما أملاها على روبير ميرل، ترجمة: العفيف الأخضر، ط. 3، دار الآداب، بيروت، لبنان، 1983.

#### ب/ باللغة الأجنبية

1) Albin Martel Pierre, Habib Bourguiba Un Homme, Un Siècle, Ed, Jaguar, France, 1999.

2) Baccouche Hédi, L'Agression françaises Contre Sakiet Sidi-Youssef les faits et les Suites, Ed, 2008, Tunis.

3) ———, En Toute FranchIise Sud Editions, Tunis, 2018 .

4) Belkhodja Taher, Les Trois Décennies Bourguiba, Ed Arcantres-Publisud, 1999.

5) Ben Achour. Y, " L'islam et le Développement Politique en Tunis ie", mém. de DES en sciences politiques (inédit), Paris, 1974.

6) Bessis Sophie, Souhayr Belhassen, Bourguiba A la conquête d'un destin 1901- 1957, Tom. 2, Jeune Afrique Livres, paris, 2012.

7) Bourguiba Habib, Ma Vie, Mon Œuvre 1929-1933, T1, Ed, Plon, Paris, 1986 .

8) ———, Ma Vie, Mon Œuvre 1934-1938, T2, Ed, Plon, Paris, 1986.

9) ———, Ma Vie, Mon œuvre 1938-1943, T3, Ed, Plon, Paris, 1986.

- 10) ———, Ma Vie, Mon œuvre 1944-1951, T4, Ed, Plon, Paris, 1986.
- 11) ———, ma vie, mon œuvre 1952-1956, T5, Ed, Plon, Paris, 1986 .
- 12) El Alami Mohamed, Allal EL Fassi, Patriarcge du Nationalisme Marocain, Dar El Kitab, Casablanca, Maroc.
- 13) El Fassi Allal, Livre Rouge, Ed, impressions Bouregreg, Rebat, maroc, 2014.
- 14) El Materi Moncef, De Saint-Cyr au Peloton D'Exécution de Bourguiba, Tome.1, Arabesques Editions, Tunis, 2014.
- 15) Harbi Mohammed Et Gilbert Meynier, LE F. L. N, Documente et Histoire 1954/1962, Ed, La Casbah..
- 16) ———, Le F. L. N, Mirages et réalités, Les Editions, J. A/S. T. D, 1985.
- 17) ———, Les Archives de La Révolution Algérienne, Ed Jean Afrique, Paris, 1981.
- 18) Lbjaoui Mohammed, Vérité sur La Révolution Algérienne, Ed, Gallimard, Paris, 1970.
- 19) Mestiri Ahmed, Témoignage pour l'Histoire, Sud Editions, tunis, 2011.
- 20) Millt René, la conquête du Maroc (la question indigène-Algérie et Tunisi), hubaire académique perrin etc1er, lubaires éditeurs, paris, 1913.
- 21) Moalla Mansour, De L'Indépendance à La Révolution "système politique et développement économique en Tunisie", Sud Editions- Tunisie, 2011.
- 22) Mzali Mohamed, Un Premier Ministre de BourguibaTémoigne,Sud Ed, Tunis,2010.
- 23) Rous Jean, HABIB BOURGUIBA, L'homme D'action De L'afrique, Les Edition John Didier, Paris, 1969 .



5/ المقابلات واللقاءات الشخصية:

• لقاءات شخصية أجراها الطالب الباحث:

(1) لقاء خاص مع ابنة الحبيب بورقيبة السيدة هاجر بورقيبة، يوم 27 نوفمبر 2018، بسيدي بوسعيد. في الساعة 10:15.

(2) مقابلة خاصة مع الصحفي التونسي كمال الشطي بمنزله بشارع البيئة المساكن سوسة يوم 16 نوفمبر 2018 على الساعة 16:30.

(3) مقابلة مع السيد المختار باقة، المسؤول الإداري والثقافي لمؤسسة علال الفاسي، الرباط، يوم الجمعة 09 فيفري 2018 بمكتبه، بمؤسسة علال الفاسي، على الساعة 11:00 صباحا.

• حوارات إعلامية منشورة في الموقع الإلكتروني لقناة الجزيرة.

(1) منصور أحمد، شاهد على العصر "أحمد بن بلة"، الجزء 6، بث يوم 2012/05/14.

(2) برنامج الوثائقية لقناة العربية، "زمن بورقيبة" شهادة طبيب بورقيبة الخاص، عمر الشاذلي، بث أوت 2006، تاريخ الزيارة 20 مارس 2019، الساعة 10:22.

(3) برنامج الوثائقية لقناة العربية، "زمن بورقيبة" شهادة محمد المصمودي، بث أوت 2006، تاريخ الزيارة 20 مارس 2019، الساعة 21:00.

المراجع

1/ باللغة العربية:

(1) أحمد بلاسي نبيل، الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1990.

- (2) إدريس الرشيد، ذكريات عن مكتب المغرب العربي في القاهرة، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، 1981.
- (3) الادريسي عبد القادر، علال الفاسي قمة من المغرب، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 2015.
- (4) الأرقش عبد الحميد، بورقيبة يعود، منشورات نيرفانا، تونس، 2015.
- (5) اسماعيل راشد أحمد، تاريخ اقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا)، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2004.
- (6) أشقرا عثمان، علال الفاسي الوطنية، منشورات اتصالات سبو، المغرب، 2006.
- (7) أكرم العدلوني محمد، القائد الفعال، قرطبة للانتاج الفني، المملكة العربية السعودية، 2000.
- (8) امدجار محمد، علال الفاسي (1910-1974)، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، موسوعة الحركة الوطنية والمقاومة وجيش التحرير بالمغرب الجزء 2، أعلام الحركة الوطنية، المجلد 5، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، 2005.
- (9) امزيان محمد، محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف (1926-1963)، منشورات اختلاف، الرباط، المغرب، 2002.
- (10) أمين سمير، المغرب العربي الحديث، ترجمة: كميل داغر، ط. 2، دار الحداثة، بيروت، لبنان، 1981.

- (11) أندري جوليان شارل، أفريقيا الشمالية تسير، ترجمة: المنجي سليم، وآخرون، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1974.
- (12) ———، المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي، ترجمة: البشير بن سلامة ومحمد مزالي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1985.
- (13) بالهادي عبد الحميد، فرحات حشاد، نضال ومواقف نضالية 1945-1952، منشورات المعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر، جامعة منوبة، تونس، 2013.
- (14) بلخوجة الطاهر، الحبيب بورقيبة - مسيرة زعيم - شهادة على العصر، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، مصر، 1999.
- (15) بن أحمد القباج حماد، حياة شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي العالم المفكر، والمصلح المناضل (1301/1384)(1887/1964)، (د. د. ن)، الدار البيضاء، المغرب، 2014.
- (16) بن الحاج يحيى الجيلاني، الزعيم الكبير صالح بن يوسف "حياته ونضاله"، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس، 2009.
- (17) بن حمد الحسن عبد العزيز، مختصر تاريخ البلاد التونسية "الإنسان والأرض" (من عصور ما قبل التاريخ حتى الاستقلال)، الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2013.
- (18) بن خليف عبد الوهاب، اتحاد المغرب العربي بين حسابات السياسة وطموحات الشارع، منشورات دار طليطلة، الجزائر، 2010.
- (19) بن سلامة عبد الرحيم، علال الفاسي الزعيم الوطني والإفريقي، مطبوعات الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي، الرباط، المغرب، 2017.

- (20) بن عيسى الحسين، البورقيبية والهوية "صراع مشاريع"، مكتبة تونس، تونس، 2015.
- (21) بن يوسف الطاهر، الحبيب بورقيبية تضخم الأنا سبب البلية، مطبعة فن الطباعة، تونس، 2012.
- (22) بن يوسف عادل، تأملات حول حكومة بورقيبية الأولى وأبرز إنجازاتها 1956-1957: "قراءات علمية للبورقيبية"، أعمال المؤتمر العالمي الأول، والثاني، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، 2000، 2001.
- (23) البنزرتي هشام، بورقيبية الاستثناء والمنعرج الحاسم، منشورات ميديا سوفت، تونس، 2017.
- (24) بنسعيد العلوي سعيد، الوطنية والتحديثية في المغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1997.
- (25) بنيس عبد الحي، الأداء البرلماني للزعيم علال الفاسي، منشورات مؤسسة علال الفاسي، الرباط، المغرب، 2010.
- (26) بو بكر حفظ الله، التموين والتسليح إبان ثورة التحرير الجزائرية 1954-1962، دار العلم والمعرفة، الجزائر، 2013.
- (27) البورصالي نورة، بورقيبية والمسألة الديمقراطية 1956-1963، ترجمة: محمد عبد الكافي، ط. 3، دار نقوش عربية، تونس، 2016.
- (28) بوقرة عبد الجليل، هل بورقيبية مستبد؟ أعمال المؤتمر العالمي الأول المنعقد بتاريخ 1-5 ديسمبر 1999 حول: الحبيب بورقيبية وإنشاء الدولة الوطنية قراءات علمية للبورقيبية، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، 2000.

- (29) بولعراس الحبيب، تاريخ تونس "أهم التواريخ والأحداث من عصور ما قبل التاريخ حتى الثورة"، ترجمة: الصادق بن مهني، سراس للنشر، تونس، 2015.
- (30) التازي عبد الله، التاريخ الدبلوماسي للمغرب (من أقدم العصور الى اليوم)، الجزء. 9، مطابع فضالة، المحمدية، المغرب، 1989.
- (31) التركي عروسية، فصول في تاريخ الحركة الوطنية في تونس المعاصرة، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، 2005.
- (32) التميمي عبد الجليل، أضواء جديدة حول شخصيات مغاربية: الأمير عبد القادر وعبد الكريم الخطابي والحبيب بورقيبة وعلال الفاسي وآخرين، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2010.
- (33) التهامي حمة، المجتمع التونسي دراسة اقتصادية واجتماعية، صامد للنشر والتوزيع، تونس، 1989.
- (34) التيمومي الهادي، تونس 1956-1987، ط. 2، دار محمد علي للنشر، تونس.
- (35) جدار محمد، أطلس الوطن العربي، قصر الكتاب، البليدة، الجزائر، (د. ت. ن).
- (36) الجمل شوقي، المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر، المكتب المصري للنشر، القاهرة، 2007.
- (37) حجي لطفى، بورقيبة والإسلام الزعامة والإمامة، ط. 2، دار الجنوب، تونس، 2013.
- (38) حجي محمد، معلمة المغرب، مطابع سلا، الرباط، المغرب، 2004.

- (39) حسن اللولب حبيب، أبحاث ودراسات في تاريخ المغرب المعاصر، منشورات سيدي نايل، الجزائر، 2013.
- (40) \_\_\_\_\_، التونسيون والثورة الجزائرية، الجزء 1، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- (41) حميطوش يوسف، منابع الثقافة السياسية والخطاب الوطني عند كل من مصالي الحاج وفرحات عباس، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- (42) خدوري مجيد، عرب معاصرون (أدوار القادة في السياسة)، دار المتحدة للنشر، بيروت، لبنان، 1973.
- (43) خطاب خالد، فن امتلاك الكاريزما، دار الكتاب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2019.
- (44) خلوq التسماني عبد العزيز، مقالات ووثائق حول تاريخ المغرب المعاصر، منشورات سيكي إخوان، طنجة، المملكة المغربية، (د.ت.ن).
- (45) داهش محمد علي، دراسات في الحركات الوطنية "الاتجاهات الوجدوية في المغرب العربي"، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2004.
- (46) الدبار محمد، القيادة السياسية وتغير السياسة الخارجية "تحليلات سياسية"، المعهد المصري للدراسات، اسطنبول، تركيا، 2019.
- (47) ديش إسماعيل، السياسة العربية والمواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية 1954-1962، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

- 48) دياب فؤاد، المغرب الاقصى بين الماضي والحاضر، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، (د.ت.ن).
- 49) الذوايدي زهير، تحولات العمل الوطني التونسي في السنوات الثلاثين (1929-1939)، الأطلسية للنشر، تونس، 2003
- 50) روف فيرنز، البورقبيية والسياسية الخارجية لتونس المستقلة، ترجمة: الصحبي الثابت، منشورات المعهد التونسي للعلاقات الدولية "معتد"، سوسة، تونس، 2013.
- 51) الريسوني أحمد، علال الفاسي عالما ومفكرا، ط. 2، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2014.
- 52) الزبيري محمد العربي، تاريخ الجزائر المعاصر (1942-1992)، الجزء 2، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2000.
- 53) زروال محمد، اشكالية القيادة في الثورة الجزائرية -الولاية الأولى نموذجاً-، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.
- 54) \_\_\_\_\_، القيادة العسكرية العليا لجيش التحرير الوطني في الحدود الشرقية والعلاقات الجزائرية التونسية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2017.
- 55) زوزو عبد الحميد، تاريخ الإستعمار والتحرر في إفريقيا وآسيا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1997.
- 56) سبيلمان جورج، المغرب من الحماية إلى الاستقلال 1912-1956، ترجمة: محمد المؤيد، منشورات أمل، التاريخ، الثقافة، المجتمع، المغرب، 2014.
- 57) سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ط. خ، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

- 58) سعدوني بشير، الثورة الجزائرية في الخطاب العربي، الجزء 1، دار مداني للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- 59) ———، الثورة الجزائرية في الخطاب العربي، الجزء 2، دار مداني للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- 60) السيد محمود، تاريخ المغرب العربي تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 2006.
- 61) الشابي المنصف، الزعيم صالح بن يوسف حياة كفاح، ط.4، دار نقوش عربية، تونس، 2017.
- 62) ———، صالح بن يوسف، (د. د. ن)، تونس، 1990.
- 63) الشاطر خليفة وآخرون، تونس عبر التاريخ، الجزء 3، الحركة الوطنية ودولة الإستقلال، مركز الدراسات والبحوث الإقتصادية والإجتماعية، تونس، 2005.
- 64) الشاوي عبد القادر، السلفية والوطنية، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت، 1985.
- 65) ———، حزب الاستقلال (1944-1982)، منشورات عيون المقالات، الدار البيضاء، المغرب، 1991.
- 66) الشايبي محمد لطفي، الحداد وبورقوية معركة السفور واللقاء المؤجل (1924-1956)، منشورات سوتيميديا للنشر والتوزيع، تونس، 2019.
- 67) الشرفي سلوى، الإسلاميون والديمقراطية، منشورات علامات، تونس، (د. س. ن).
- 68) الشرفي منير، وزراء بورقوية "دراسة ترسم ملامح الوزير التونسي في عهد الحكم الفردي"، ط. 2، المغاربية للطباعة واشهار الكتاب، تونس، 2017.



- 69) الشطي كمال، بورقبيية في عقديه الأخيرين "مذكرات صحفي"، شركة البرق للنشر والتوزيع، تونس، 2017.
- 70) الشيخ أبو عمران وآخرون، معجم مشاهير المغاربة، منشورات حلب، سوريا.
- 71) الصافي محمد، الحركات التحررية المغاربية "أشكال الكفاح السياسي والمسلح (1942-1956)، إفريقيا الشرق، المغرب، 2017.
- 72) الصديق محمد الصالح، أعلام من المغرب العربي، الجزء 2، ط.2، موفم للنشر، الجزائر، 2008.
- 73) صديقي مراد، الثورة الجزائرية عمليات التسليح السرية، ترجمة: أحمد الخطيب، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2010.
- 74) صلاح زكي أحمد، أعلام النهضة العربية في العصر الحديث، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2001.
- 75) ضيف شوقي، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات (الجزائر، المغرب الأقصى، موريتانيا، السودان، تونس)، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د. ت. ن).
- 76) الطاهر سعيداني، القاعدة الشرقية قلب الثورة النابض، دار الأمة، الجزائر، 2001.
- 77) طبابي حفيظ، الحزب الحر الدستوري التونسي 1934-1938، الدار التونسية للكتاب، تونس، 2011.
- 78) العايب معمر، مؤتمر طنجة المغاربي دراسة تحليلية تقديمية، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2010.

- 79) عبد العزيز نجم فرج، القبيلة والإسلام والدولة في ليبيا، دار الدعوة، القاهرة، 2000.
- 80) عبد الله الطاهر، الحركة الوطنية التونسية "رؤية شعبية قومية جديدة 1830-1956"، ط.2، منشورات دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، 1990.
- 81) ———، تاريخ الحركة النقابية في تونس، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د. س. ن).
- 82) عبد الهادي بوطالب، ذكريات... شهادات... ووجوه، الجزء 1، منشورات دار الكتاب، أغادير، المغرب، (د. س. ن).
- 83) عبيد أحمد، التماثل والاختلاف في حركات التحرر المغاربية (الجزائر، تونس، المغرب)، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.
- 84) عطا الله شوقي، وعبد الرزاق إبراهيم، تاريخ العالم العربي الحديث والمعاصر من الفتح العثماني للعالم العربي إلى الوقت الحاضر، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، مصر، 2007.
- 85) العفاس محمد، حوادث أبريل 1938، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، 2016.
- 86) العقاد صالح، السياسة والمجتمع في المغرب الأقصى، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، مصر، 1971.
- 87) العلوي أحمد بابانا، علال الفاسي رائد التنوير الفكري في المغرب "المفكر السلفي المجدد والزعيم السياسي"، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، 2010.

- 88) علوي حسن حافظي، السلطة العلمية والسلطة السياسية بالمغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2012.
- 89) العلوي نور الدين، عملية قفصة 1980، شهادة الكفاءة في البحث كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 1990.
- 90) علي عامر محمود، تاريخ المغرب العربي المعاصر، منشورات جامعة دمشق، سوريا، 2066.
- 91) علية الصغير عميرة، الحاكم بأمره بورقيبة الأول، المغاربية للطباعة وإشهار الكتب، تونس، 2011.
- 92) ———، اليوسفيون وتحرر المغرب العربي، المغاربية للطباعة والإشهار، تونس 2007.
- 93) عمار السوفي، عواصف الاستقلال، رؤية في الخلاف اليوسفي البورقيبي جذوره وتداعياته من ثامر إلى الشرايطي، مطبعة الياسمين، تونس، 2006.
- 94) عودة محمد عبد الله والخطيب إبراهيم ياسين، تاريخ العرب الحديث، الدار الأهلية، عمان، الأردن، 1989.
- 95) فاراس فيلكس، بورقيبة ومولد أمة، ترجمة: وبراوي الملوح وآخرون، منشورات مكتب الصحافة والنشر للحزب الدستوري التونسي، مطبعة العمل، تونس، 1975.
- 96) فتيحة بالعباس، الشعر الوطني عند علال الفاسي، مطبعة الأمنية، الرباط، المغرب، 2011.
- 97) الفيلاي عبد الكريم، التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير، الجزء 12، شركة ناس للطباعة، القاهرة، 2006.

- 98) القارصي محمد علي، معركة بنزرت "بين التاريخ والذاكرة جويلية 1961"، الجزء 1، مجمع الأطرش للكتاب المختص، تونس، 2018.
- 99) القرقرى أسيم، علال الفاسي وإستراتيجية مقاومة الاستعمار، منشورات افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2010.
- 100) القصاب أحمد، تاريخ تونس المعاصر 1881-1956، تعريب: حمادي الساحلي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986.
- 101) القليبي الشاذلي، أضواء من الذاكرة، الحبيب بورقيبة، ترجمة. محمد مزالي، دار الكتب الوطنية، تونس، 2014.
- 102) قمعون الصحراوي، نويرة وبورقيية "السلطة بين الاقتصاد والسياسة والاستحقاق الديمقراطي"، دار ميم للنشر والاتصال، تونس، 2019.
- 103) كريم عبد الكريم، من تاريخ الحركة الوطنية "احمد بلافريج"، دار العلم، الرباط، (د. ت. ن.).
- 104) كنون محمد عبد الحفيظ، النضال في شعر علال الفاسي، مطبعة اسبارطيل، طنجة، المغرب، 2005.
- 105) كونت أرثور، أسطورة بورقيية، الدار التونسية للنشر، تونس، (د. ت. ن.).
- 106) لبيض سالم، بورقيية وأشكالية الهوية في تونس مقال منشور في كتاب السلطة وآليات الحكم في عصر الحبيب بورقيية في تونس والبلاد العربية، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2003.
- 107) لخديمي علال، المغرب في مواجهة التحديات الخارجية (1851-1947)، افريقيا الشرق، المغرب، 2006.

- 108) مالكي أمحمد، الحركات الوطنية والإستعمار في المغرب العربي، ط. 2، مركز دراسات الوحدة العربية، المغرب.
- 109) مانع جمال عبد الناصر، اتحاد المغرب العربي -دراسة قانونية سياسية-، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004.
- 110) المبخوت شكري، تاريخ التكفير في تونس، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، 2018.
- 111) متفكر أحمد، نظم القوافي في الباشا الكلاوي إبان ولائه للعرش العلوي، مطبعة الوراقة الوطنية، المغرب، 2007.
- 112) مجموعة من الأساتذة، موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية (1881-1964)، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، جامعة منوبة، تونس، 2008.
- 113) المحجوبي علي، الحركة الوطنية التونسية بين الحربين، المجلد.2، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1986.
- 114) \_\_\_\_\_، انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، ترجمة: عمر بن ضو وآخرون، سراش للنشر، تونس، 1986.
- 115) \_\_\_\_\_، جذور الحركة الوطنية التونسية (1904-1954)، تعريب: عبد الحميد الشابي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، (د.س.ن).
- 116) محمد الهاشمي عباس، بورقيبة ونويرة، ذكريات ومذكرات الجزء.1، ميديا كوم للنشر، تونس، 2010.

- 117) محمد عادل عبد العزيز، التربية الإسلامية في الغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1986.
- 118) محمود أحمد بكير، قصر هلال، ومعركة التحرير، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، 1975.
- 119) محمود شاكر، التاريخ الإسلامي المعاصر، ط. 2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1996.
- 120) محمود عوض عباس، القيادة والشخصية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1986.
- 121) المرزوقي محمد، صراع مع الحماية، دار الكتب الشرقية، تونس، 1973.
- 122) مزالي محمد، رسالة مفتوحة إلى بورقيبة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، مصر، 1988.
- 123) مصباحي حسونة، رحلة في زمن بورقيبة، دار آفاق برسبكتيف للنشر، تونس، 2011.
- 124) المظفر زهير، من الحزب الواحد الى حزب الأغلبية، مطبعة سبناكت، تونس، 2004.
- 125) المعاوي علي، ذكريات وخواطر مئوية، منشورات المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية التونسية، تونس، 2007.
- 126) مقلاتي عبد الله ودحمان تواتي، البعد الإفريقي للثورة الجزائرية ودور الجزائريين في تحرير إفريقيا، دار الشروق للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

- (127) مقالاتي عبد الله، الثورة الجزائرية والمغرب العربي، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2013.
- (128) \_\_\_\_\_، العلاقات الجزائرية المغربية إبان الثورة الجزائرية، الجزء 1، دار بوسعادة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- (129) \_\_\_\_\_، العلاقات الجزائرية المغربية إبان الثورة الجزائرية، الجزء 2، دار بوسعادة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- (130) \_\_\_\_\_، دور بلدان الوطن العربي في دعم الثورة التحريرية 1954-1962، ج.1، وزارة الثقافة الجزائر.
- (131) المنصر عدنان، دولة بورقيبة "فصول في الإيديولوجيا والممارسة (1956-1970)، مطبعة التسفير الفني، صفاقس، تونس، 2004.
- (132) مهدي أنيس جرادات، الأحزاب والحركات السياسية في الوطن العربي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2006.
- (133) مؤسسة علال الفاسي، علال الفاسي "نبذة موجزة عن حياته وفكره"، منشورات مؤسسة علال الفاسي، الرباط، المغرب، 2010.
- (134) موسى أمال، بورقيبة والمسألة الدينية، ط. 2، سراس للنشر، تونس، 2006.
- (135) الميلي محمد، مواقف جزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- (136) نظام الدين عرفان، ذكريات وأسرار 40 عاما في الإعلام والسياسة، دار الساق، بيروت، لبنان، 2008.
- (137) النقشدي بارعة، المشاركة السياسية للمرأة في الأردن، وبعض الدول العربية، دار الفأس، الأردن، 2001.

- 138) الهرماسي محمد عبد الباقي، المجتمع والدولة في المغرب العربي، ط. 2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1992.
- 139) هشام بلقاضي، معجم علماء الدين والاصلاح في ليبيا، تونس، المغرب، (د. د. ن)، تلمسان، الجزائر، 2011.
- 140) والي فاتح، البورقيبية واليسار التونسي، ميديا بوكس للنشر، تونس، 2017.
- 141) الوردغي عبد الرحيم، فاس في عهد الاستعمار الفرنسي (1912-1956)، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 1992.
- 142) يحي جلال، المغرب الكبير "الفترة المعاصرة وحركات التحرير والاستقلال"، الجزء. 3، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، 1966.
- 143) يوسف مناصرية، الصراع الايديولوجي في الحركة الوطنية التونسية 1934-1937، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، 2002.

2/ باللغة الأجنبية:

- 1) Attilio Gaudio ، Allal El-Fassi ou l'histoire de l'istiqlal, (Ed, Alain maroceau, paris, 1972.
- 2) Casemajor Roger, L'action Nationaliste En Tunisie, Sud Editions-Tunis, 2009.
- 3) Chouikha(L) Et Gobe (E), Histoire de La Tunisie Depuis L'Indépendance, La Découverte, Paris, 2015.
- 4) Durand, B: trait de droit publican, maroc, leberaire general le droit et de jurisprudence, paris, 1994.



- 5) El Machat Samia, Le Nationalisme Tunisien, Scission et Conflits (1934-1944), Paris, L'Harmattan, 2002.
- 6) ———, Les Chemins Vers L'Indépendance 1945-1956 Publications L'Harmattan ,Paris, 1999.
- 7) ———, Les Etats-Unis et la Tunisie de L'Ambiguïté à L'Entente, Paris, L'Harmattan, 1996.
- 8) Giotart Jean-Pierre Lozato—, Le Maroc, Editions Karthala, Paris, 1991.
- 9) Hached Anissa el Materi et Mahmoud El Matri, "Pionnier de La Tunisie Moderne, Sud Editions, Tunis, 2011.
- 10) Hajji Lotfi, Bourguiba et L'islam, Sud Editions-Tunis, 2011.
- 11) Hicham Benzarti, Bourguiba L'exception et L'evhl de 2014, Editions Media-Soft, Tunis, 2018.
- 12) Kassab Ahmed - Ounaies Ahmed, L'epoque Contemporaine (1881-1956), Tome.4, Sud Editions, Tunis, 2010.
- 13) Kassab Ahmed, Histoire de la Tunisie L'Epoque contemporaine, Carthage, Tunis, 1976.
- 14) Kora Andrieu et Wahid Ferchichi, Histoire Et Mémoire Collective En Tunisie: des Notions Contrastées, 1<sup>ère</sup> Edition , Kadem, Tunis, 2006.
- 15) Kraiem Mustapha, Mouvement National et Front Populaire "La Tunisie des Annees Trente "imprimerie officielle de la republique tunisienne, Tunis, 1996.

- 16) Marzouk Sadok, Les Luttes Pour La Succession De Bourguiba 1959–1972, Script Editions, Tunis, 2016.
- 17) Sebastien Abis, L'affaire De Bizerte, Sud Editions, Tunis, 2004.
- 18) Tozi Mohamed, "Islam Et Etat Au Maghreb, "Monde Arabe Maghreb-Machrek (Paris), 1989.
- 19) Youssef Belal, Le Cheikh Et Le Calife, Sociologie Religieuse De L'islam Politique Au Maroc, Ens Éditions, Lyon, 2011.
- 20) Zouzou Abdelhamid, Les Références Historique de L'état Algérien Institutions Et Chartes, Ed, Houma, Alger, 2005.

## المجلات

### 1/ باللغة العربية

- (1) الإدريسي محمد عز الدين المعيار، نظم الدرر والالآلي في ترجمة أبي شعيب الدكالي، مجلة دعوة الحق، العدد. 294، بتاريخ 2 نوفمبر 1992، المغرب.
- (2) ازحيمي عاهد، عبد السلام بنونة أب الوطنية المغربية، مجلة زمان، العدد. 82، بتاريخ 12 أوت 2018، المملكة المغربية.
- (3) الأزمي أحمد، "نضال الفقيه علال الفاسي"، مجلة دعوة الحق، العدد. 380، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، 2004.
- (4) أشقرا عثمان، "علال الفاسي موجز سيرة فكرية"، مجلة أفاق، عدد مزدوج، 65، 66، 2001م، اتحاد كتاب المغرب، الرباط، المغرب.

- (5) البكوش الهادي، الحبيب بورقيبة وأحداث 9 أفريل: تجذير لقيم التضحية الوطنية وتأطير للجماهير، مجلة دراسات دولية، العدد. 103، فيفري 2007، منشورات جمعية الدراسات الدولية، تونس.
- (6) بن تاويت محمد، "علال الفاسي طالبا، معلما، زعيما"، مجلة دعوة الحق، العدد 229، الرباط، 1983.
- (7) بن عبود أحمد وكناني جاك، مؤتمر المغرب العربي 1947 وبداية مكتب المغرب العربي بالقاهرة، عملية ابن عبد الكريم، المجلة التاريخية المغربية، العدد. 25، 26 جوان 1986.
- (8) بوعلي فؤاد، المشروع الفكري لعلال الفاسي الوعي النقدي ومداخل الإصلاح، مجلة الثقافة والتراث، العدد، 68، جانفي 2010، منشورات قسم الدراسات والنشر والعلاقات الثقافية، دبي، الإمارات العربية المتحدة، 2010.
- (9) بياض الطيب، المغرب وحيدا ضد كبار أوروبا، مجلة زمان، العدد. 33، جويلية 2016، المملكة المغربية.
- (10) ببيضا جامع، الخلاف بين علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني، مجلة البحث التاريخي، العدد. 3، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، 2005.
- (11) التميمي عبد الجليل، المجتمع المدني التونسي قبيل الاستقلال وتداعيات السلطة البورقيبية 1946-1962، المجلة التاريخية المغربية، العدد. 109، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، 2003.
- (12) التواتي دحماني، أبناء العرق الغربي الكبير واستئناف الجهاد على الحدود الجزائرية المغربية، مجلة المصادر، العدد. 25، السداسي الأول 2012.

- 13) جنداري إدريس، الفكر الإصلاحى فى المغرب ورهان الإصلاح السياسى والاجتماعى "علاء الفاسى نموذجاً"، مجلة الأزمنة الحديثة، العدد. 6، 7، 2013، الرباط، المغرب.
- 14) الحداد سالم ، خفايا المحاولة الانقلابية لسنة 1962، المجلة التاريخية المغربية، العدد. 110، جانفى 2003، منشورات مؤسسة التميمى للبحث العلمى والمعلومات، زغوان، تونس.
- 15) حساين عبد الحميد، السياسة البربرية والمسألة الدينية بالمغرب بين سنتى 1912-1925، مجلة المناهل، العدد. 50، دار المناهل للطباعة والنشر، المملكة المغربية، مارس 1996.
- 16) حسنى عبد اللطيف، من مذكرات بعض القادة المغاربة، مجلة وجهة نظر، العدد 62، سنة 2014، المغرب.
- 17) الحسنى محمد بلشير، قطوف دائية من فكر علاء الفاسى، منشورات السلسلة الجديدة، سلسلة ثقافية تصدر عن جريدة "العلم"، المغرب، 1991.
- 18) حمانى أحمد، "علاء الفاسى" المفكر المجتهد، مجلة الأصالة الجزائرية، السنة الرابعة، العدد 20، ماي-جوان 1974.
- 19) الحناشى عبد اللطيف، نخبة الاستقلال المغاربة والمسألة الديمقراطية، الحبيب بورقيبة أنموذجاً، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد. 29، سنة 2011، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2011.
- 20) الذوايدى محمود، العلاقة وبين شخصية بورقيبة وأزمة الهوية فى المجتمع التونسى الحديث من منظور علم النفس الاجتماعى، مجلة دراسات عربية، العدد. 11، 12، سبتمبر-أكتوبر 1996.

- 21) رحاي محمد، من أعلام الحركة التحريرية في المغرب العربي (علال الفاسي أنموذجاً)، مجلة المستقبل العربي، العدد، 432، للسنة 37، فيفري 2015، لبنان.
- 22) رخييه عامر، الثورة الجزائرية والمغرب العربي، مجلة المصادر، العدد. 01، المركز الوكني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 1999.
- 23) الساحلي حمادي، المجاهد الأكبر الزعيم الحبيب بورقيبة وكفاحه من أجل الاستقلال وبناء الدولة العصرية (1901-2000)، مجلة الصادقية، العدد. 22، تصدر عن قداماء الصادقية، تونس، 2001.
- 24) السرجاني راغب، قصة تونس... من البداية إلى ثورة 2011، مجلة حصاد الفكر، العدد. 229، ماي 2011، مركز الإعلام العربي.
- 25) سريج محمد، موقف المملكة المغربية الرسمي والشعبي من الثورة الجزائرية 1954-1962، الذاكرة التاريخية المشتركة المغربية-الجزائرية، مجلة الذاكرة المغربية المشتركة المغربية-الجزائرية، الجزء 1، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، المغرب، 2017.
- 26) سعيود أحمد، تدويل القضية الجزائرية، مجلة المصادر، العدد. 15، السداسي الأول 2007، مجلة يصدرها المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الكرامة للطباعة والنشر والتوزيع والاتصال، الجزائر.
- 27) شادلي المصطفى، كتاب النقد الذاتي أو الخلفية السلفية في فكر علال الفاسي، مجلة الإدارة التربوية، العدد. 5 فيفري 2016، كلية علوم التربية، الرباط، المغرب.
- 28) شحادة أسامة، شيخ الإسلام محمد العربي العلوي، مجلة البيان، 2004، المغرب.

- 29) شقرون محمد، مفهوم التحديث واستعماله في سوسيولوجيا المجتمعات النامية، مجلة الوحدة، العدد. 85، أكتوبر 1991.
- 30) الصالحي المنصف، التجربة العلمانية في تونس من الإستقلال (1956) إلى الثورة (2011)، مجلة المغرب العربي ثقل المواريث ونداء المستقبل، 31 أكتوبر 2013، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان.
- 31) صموت كرمال، الاستعمار الرأسمالي الفرنسي وحركة الشباب التونسي 1881-1914، تعريب: عبد الجليل التميمي، المجلة التاريخية المغربية، العدد. 1، جانفي 1974، تونس.
- 32) ضيف الله محمد، مواقف الطلبة التونسيين من الصراع اليوسفي البورقيبي، (جويلية 1954-جويلية 1956)، المجلة التاريخية المغربية، العدد. 127، بتاريخ فيفري 2007، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2007.
- 33) ظريف محمد، الأحزاب السياسية المغربية، المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، فيفري 1993، المغرب.
- 34) العايب معمر، التباين الأيديولوجي لقيادات مكتب ولجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة يرهن مشروع مستقبل وحدة المغرب، مجلة المصادر، ع. 24، لسنة 2011، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر.
- 35) عبد الرحمان أسعد، الإنماء السياسي دراسة مقارنة بين تونس ومصر، مجلة الباحث، العدد. 19، سبتمبر أكتوبر، بيروت 1981.
- 36) ———، الإنماء السياسي في التجريبتين الناصرية البورقيبية، مجلة الباحث، العدد. 18، بيروت، جويلية-أوت، 1981.

- 37) عبد ربه سعد زغلول، الحركة الوطنية في تونس بين الحربين العالميتين، مجلة البحوث والدراسات العربية، العدد. 10، مصر، 1979-1980.
- 38) العقاد صلاح، البورقيبية ومستقبل تونس، مجلة السياسة الدولية، العدد. 27، السنة الثامنة، جانفي 1972، القاهرة.
- 39) عمراوي جمال الدين، محمد بن عبد الكريم الخطابي من ثورة الريف المغربية إلى دعم الثورة الجزائرية 1923-1954، مجلة الذاكرة المغربية المشتركة المغربية-الجزائرية، الجزء. 1، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، المغرب، 2017.
- 40) القطعاني فادية عبد العزيز، الحركة الوطنية المغربية 1912-1937، المجلة الجامعة، العدد. 16، فيفري 2014، سلوق جامعة بنغازي، ليبيا.
- 41) كاظم مهدي سؤدد، تونس من عهد بورقيبية الى رحيل زين العابدين بن علي 1957-2011، دراسة تاريخية سياسية، مجلة الحكمة، العدد. 56، 57، سنة 2012، تصدر عن بيت الحكمة، بغداد، العراق.
- 42) كرو محمد، الدولة الجديدة والإصلاح التونسي، مجلة الباحث، العدد. 19، سبتمبر- أكتوبر 1981، بيروت.
- 43) كنون عبد الله، السلطان مولاي عبد الحفيظ والحماية، مجلة دعوة الحق، العدد. 234، مارس 1984، المملكة المغربية.
- 44) ليسير فتحي، في خلفيات إعلان الجمهورية: براديجم "المرحلة البورقيبية" مطبقا على الفترة جانفي 1956-جويلية 1957، مجلة روافد، العدد، 12. 2007. مجلة المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس.

- 45) مبارك زكي، موقف محمد بن عبد الكريم الخطابي وعلال الفاسي من مباحثات  
ايكس لبيان، مجلة أفكار وأفاق، العدد. 2، 2011، جامعة الجزائر2.
- 46) مجموعة من الأساتذة، وثيقة 11 يناير 1944، مجلة الذاكرة الوطنية، العدد.  
16، سنة 2010، تصدرها المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش  
التحرير، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، 2010.
- 47) مرجي عبد الحليم، وحدة المغرب العربي في أدبيات قادة حزب الاستقلال  
المغربي - علال الفاسي أنموذجا-، مجلة الذاكرة المغربية المشتركة المغربية-الجزائرية،  
الجزء. 1، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط،  
المغرب، 2017.
- 48) مقالاتي عبد الله، الثورة الجزائرية وأزمة الخلاف مع نظام بورقيبة عامي 1958-  
1959، المجلة التاريخية المغربية، العدد. 154-155، سنة فيفري 2014، منشورات  
مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس.
- 49) —، مؤتمر تونس المغاربي واختطاف زعماء الثورة الجزائرية 23 مارس  
1956، مجلة المصادر، العدد. 16، السداسي الثاني، 2007.
- 50) المنصف وناس، الدين والدولة في تونس 1956-1987، مجلة المستقبل  
العربي، المجلد 12، العدد. 131، 31 جانفي 1990، مركز دراسات الوحدة العربية،  
لبنان.
- 51) اليعقوبي عبد الغني، الحركة الوطنية المغربية من الإصلاحات الى المسلسل  
الديمقراطي، مجلة الحوار المتمدن، العدد. 932، 21 أوت 1992.
- 52) مجلة الصادقية، جمعية قدماء المدرسة الصادقية، العدد 22 أبريل 2001.
- 53) مجلة أول نوفمبر، العدد. 155، 156، سنة 1997.



54) المجلة التاريخية، العدد 1، افريل 2011، العدد 3، أفريل 2013، دورية  
تونسية مستقلة.

2/ باللغة الأجنبية:

1) El Hedi Mohamed Cherif, «Réformes Et Islam Chez Bourguiba», In, Annuaire De L'afrique Du Nord, Tome XXXIII, 1994, Cnrs Éditions.

2) Mataillet Dominique, Ainsi Etait...Bourguiba, La Revue L'Intelligence de Monde, N 71، Mai –Juin 2017, Les Ed du Jaguar, Paris.

3) Moncef Ben Slama, "Chronique Economique" in Annuaire de l'Afrique du Nord, 1970, Edition CNRS, PARIS, 1971.

4) Palazzoli. J, La Mort Lente Du Mouvement National Au Maroc, In : Annuaire De L'afrique Du Nord, Année 1972, Vol. 11, Editions Du C.N.R.S, Paris, 1973.

3/ المجلات والجرائد الإلكترونية:

• باللغة العربية:

1) بشير الطيب، "آخر أيام المجاهد الأكبر"، جريدة الإتحاد، العدد 508، نشر يوم  
2011/10/13، على الرابط الإلكتروني. [www. alittihad. ae/details](http://www.alittihad.ae/details)

2) الإمام محمد فاروق، المناضل المغربي عبد الخالق الطريس، المجلة الإلكترونية  
رابطة أدباء الشام، بتاريخ 18 مارس 2013، سوريا [www.odabasham.net](http://www.odabasham.net)

• السنتي مصطفى، علي بن خليفة النفاتي، مجاهد تونسي يطلب المدد من اسطنبول، المجلة الإلكترونية ترك برس: 21 جانفي 2019، تركيا، [www.turkpresss.com](http://www.turkpresss.com)

• باللغة الأجنبية:

1) Ramadan -Faouzia Charfi, "La fatwa de Bourguiba", in revue Leaders, (site internet) : <https://www.leaders.com.tn/article/27047-faouzia-charfi-ramadan-la-fatwa-de-Bourguiba>, visité le 13/06/2018.

2) Cherif , M. H, «L'Organisation des Masses Populaires Par Le Néo-Destour En 1937 Et En 1938" in: Mouvements nationaux d'indépendance et classes populaires en Occident et en Orient aux XIX siècles,t.1, Paris, 1971.

3) Gilbert Meynier, Hadhri Mohieddine, L'URSS et le Maghreb. De la Révolution d'octobre à l'indépendance de l'Algérie, 1917-1962. In: Vingtième Siècle, revue d'histoire, n°11, juillet-septembre 1986. Nouveaux enjeux d'une décennie : fascismes, antifascismes, 1935-1945.

## الجرائد

• جريدة الصباح:

(1) العدد، 284، بتاريخ 2 جانفي 1952.

(2) العدد 1055، بتاريخ 2 جوان 1955.

(3) العدد 1506، بتاريخ 23 نوفمبر 1956

- (4) العدد. 1552، بتاريخ 8 جانفي 1957.
- (5) العدد 1585، بتاريخ 7 فيفري 1957.
- (6) العدد. 2015، بتاريخ 4 فيفري 1959
- (7) العدد. 2030، بتاريخ 21 فيفري 1959.
- (8) العدد. 37، بتاريخ 2 الأحد 6 فيفري 1961.
- (9) 02 مارس 1967.
- (10) 27 نوفمبر 1959.
- (11) 14 فيفري 1960.

• جريدة العلم التونسية:

- (1) العدد. 9، بتاريخ 20 مارس 1959.

• جريدة العمل:

- (1) العدد. 189، بتاريخ 1 جوان 1956.
- (2) العدد. 889، بتاريخ 2 سبتمبر 1958.
- (3) جوان 1975.
- (4) عدد. 1607، بتاريخ 20 ديسمبر 1960.

• جريدة المجاهد:

- (1) العدد. 27، بتاريخ 22 جويلية 1958.

• جريدة المقاومة الجزائرية:

- (1) العدد. 02، بتاريخ 15 نوفمبر 1956.

• جريدة الشهاب:

(1) العدد 38، السنة الثانية 1344-1345هـ/1926-1927م.

• جريدة المجاهد:

(1) العدد. 1191، بتاريخ 3 جوان 1983.

(2) العدد. 27، بتاريخ، 22 جويلية 1958.

• جريدة الأخبار التونسية،

(1) العدد 12، بتاريخ 01 جوان 1955.

(2) العدد. 13، بتاريخ 02 جوان 1955.

• جريدة الحديث:

(1) العدد. 149، بتاريخ 25 جويلية 1959.

• جريدة الزهرة:

(1) 4 أفريل 1948

(2) 9 أوت 1933.

• جريدة العلم المغربية:

(1) العدد 1926، بتاريخ 1 أكتوبر 1952.

(2) العدد. 2، بتاريخ 13 سبتمبر 1946.

(3) العدد. 9، بتاريخ 25 أكتوبر 1959.

• **la Depeche**

1) N. 21457, Jeudi 2 Juin 1955.

• La Presse

1) Jeudi 2 Juin 1955 .

• LE Monde

1) 20 Aout 1954

الأطروحات

(1) \_\_\_\_\_، النظام البورقيبي وقضايا المغرب العربي 1956-1987، أطروحة دكتوراه علوم، تخصص تاريخ معاصر، جامعة الجزائر 2، 2016.

(2) بن زروال جمعة، الحركات الجزائرية المضادة للثورة التحريرية 1954-1962، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والاسلامية، قسم التاريخ والآثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2012.

(3) جلاوي سعيد، الثورة الجزائرية من خلال مجلة الفكر 1955-1962، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر، 2009.

(4) شايب قدارة، الحزب الدستوري التونسي الجديد وحزب الشعب الجزائري 1934-1954 دراسة مقارنة، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الدولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006-2007.

(5) عز الدين معزة، فرحات عباس والحبيب بورقيبة، دراسة فكرية وتاريخية مقارنة 1899-2000، أطروحة دكتوراه علوم، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، قسم التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة، 2009.

(6) عقيب محمد السعيد، الحزب الحر الدستوري التونسي القديم 1934-1956، أطروحة دكتوراه في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر 02، السنة الجامعية 2009-2010.

- (7) العمري مؤمن، شعار الوحدة ومضامينه في المغرب الغربي أثناء فترة الكفاح الوطني، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2010.
- (8) لعريبي عبد القادر، تونس وعلاقتها مع بلدان المغرب العربي 1947-1980، رسالة دكتوراه كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة 9 أفريل 1999، تونس.
- (9) مقلاتي عبد الله، العلاقات الجزائرية المغاربية إبان الثورة التحريرية 1954-1962، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، 2007.
- (10) ميموني رضا، دور الوطنيين المغاربة في حركة تحرير تونس والجزائر من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى الاستقلال، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الانسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2011-2012.

### الملتقيات والندوات

- (1) بن البشير سعيد، من الإصلاحات القطاعية الى الإصلاح الدستوري من سنة 1901 الى الاستقلال، وارد في أشغال ندوة مائة سنة من الاجتهاد والتجديد الفكري بالمغرب (1910، 2010)، ج.1، منشورات مؤسسة علال الفارسي، الرباط، المغرب، 2011.
- (2) بن جلول محمد، معالم الكفاح الوطني والمقاومة في سبيل الاستقلال والوحدة، وارد في أشغال ندوة المقاومة المغربية ضد الاستعمار 1904-1955، من 13 إلى 15 نوفمبر 1991، أغادير، المندوبية السامية لقدماء المقاومين أعضاء جيش التحرير، المغرب، 1991.

- (3) بن سلامة البشير، استجلاء الأسس الفكرية في بناء الدولة الحديثة التونسية ودور بورقيبة، وارد في أشغال المؤتمر العالمي الأول المنعقد بتاريخ 3/1 ديسمبر 1999، حول: الحبيب بورقيبة وإنشاء الدولة الوطنية قراءات علمية للبورقيبية، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي، زغوان، تونس، 2000.
- (4) بن يوسف عادل، المرأة والسلطة في تونس خلال فترة الحكم البورقيبي وسيلة بورقيبة نموذجاً، وارد في أشغال المؤتمر الخامس حول: نهاية حكم بورقيبة والقيادات السياسية العربية بين الصعود والانحدار، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2005.
- (5) ———، تأملات حول حكومة بورقيبة الأولى وأبرز إنجازاتها 1956-1957: "قراءات علمية للبورقيبية"، وارد في أشغال المؤتمر العالمي الأول، والثاني، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، 2000-2001.
- (6) بوشتي بوعسرية، "الانتقال من المقاومة المسلحة بالجبال إلى المقاومة السياسية بالمدن 1927-1934"، وارد في أشغال ندوة المقاومة المغربية ضد الاستعمار 1904-1934، أغادير من 13-15 نوفمبر 1991، ط. 2، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، المغرب، 2008.
- (7) بيضا جامع، دور الصحافة في النضال السياسي للحركة الوطنية المغربية من نهاية الحرب العالمية الثانية حتى الاستقلال، وارد في أشغال ندوة المقاومة المغربية ضد الاستعمار 1904-1955، (13 إلى 15 نوفمبر 1991) كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أغادير، المغرب، 1991.
- (8) الزيدي علي، بورقيبة بين نظام الحزب الواحد والتعددية (1979-1986)، نهاية حكم بورقيبة والقيادات السياسية العربية بين الصعود والانحدار، وارد في أشغال

المؤتمر الدولي الخامس، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2005.

9) الشايبى محمد لطفى، الحركة الوطنية التونسية ومطلب الاستقلال (1881-1956)، وارد في أشغال الندوة الدولية 13 حول: استقلال تونس ومسيرة التحرر من الاستعمار، المنعقدة بتونس أيام 4، 5، 6، ماي 2006، منشورات المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية عدد 13، تونس، 2010.

10) عبد السلام الطود الهاشمي، السياق التاريخي لثورة التحرير في المغرب العربي ودور الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، وارد في أعمال الملتقى الدولي حول: نشأة وتطور جيش التحرير الوطني، المنعقد بفندق الأوراسي الجزائر، أيام: 2/3/4 جويلية 2005، منشورات الحركة الوطنية للدراسات والبحث، الجزائر، 2010.

11) علي الحسن وبلقاسم عدوان، وارد في أشغال الملتقى التوجيهي الإعلامي الجهوي للجنوب، المنعقد بثانوية، أبي بكر الحاج عيسى بالأغواط، خلال الفترة من 2-4 نوفمبر 2010، الجزائر.

12) علية الصغير عميرة، هل نجح بورقيبة في مشروعه التحديثي، وارد في أشغال المؤتمر العالمي الأول المنعقد بتاريخ 1-3 ديسمبر 1999 حول: الحبيب بورقيبة وإنشاء الدولة الوطنية، قراءات علمية للبورقيبية، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2000.

13) العياشي عبد الله، جذور المقاومة المغربية ومراحل تطورها، ندوة المقاومة المغربية ضد الاستعمار 1904-1955، ندوة المقاومة المغربية ضد الاستعمار 1904-1955، (13 إلى 15 نوفمبر 1991) كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أغادير، المغرب، 1991.



- 14) لبيض سالم، ملاحظات حول علاقة الدولة بالأحزاب السياسية في تونس أثناء الفترة البورقيبية، وارد في أشغال المؤتمر العالمي الأول المنعقد بتاريخ 1-3 ديسمبر 1999 حول: الحبيب بورقيبة وإنشاء الدولة الوطنية: قراءات علمية للبورقيبية، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، 2000.
- 15) الماجري عبد الكريم، البلاد التونسية سنتي 1950-1951، وارد في أشغال الندوة الدولية السادسة المنعقدة أيام 13 و14 و15 ديسمبر 1991، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، قرطاج، تونس، 1993.
- 16) ———، حزب الدستور القديم وبرنامج بورقيبة الاصلاحى في بداية الخمسينات: ثبات على المبدأ ونشاط سياسي محدود، وارد في أعمال الندوة الدولية السادسة المنعقدة أيام 13. و14 و15 ديسمبر 1991 بقرطاج بتونس، 1993، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، جامعة تونس، 1993.
- 17) مالكي محمد، علال الفاسي وفكرة المغرب العربي، وارد في أشغال ندوة الرهانات الوطنية وتأثير المتغيرات الوطنية في المغرب العربي المعاصر 2001، منشورات عكاظ، الرباط، 2001.
- 18) المساري محمد العربي، علال الفاسي إزاء الشأن العام فيما بين 1959 و1974، وارد في أشغال سلسلة ندوات ومناظرات بعنوان السلطة العلمية والسلطة السياسية بالمغرب، العدد. 170، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، المغرب، 2012.

### المواقع الإلكترونية

- 1) <http://zamane.ma>.
- 2) <http://www.mawsouaa.tn>
- 3) [m.hespress.Com](http://m.hespress.com)

# فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
1	مقدمة
<b>الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في تونس والمغرب وردود الفعل الوطنية</b>	
15	أولاً: ظروف فرض الحماية على تونس والمغرب الأقصى
17	ثانياً: طبيعة السياسة الاستعمارية في البلدين
28	ثالثاً: ردود الأفعال الوطنية في التصدي للغزو الفرنسي
49	رابعاً: القيادات السياسية في تونس والمغرب الأقصى ودورها في تأطير الجماهير
<b>الفصل الأول: ترجمة لشخصيتي الحبيب بورقيبة وعلال الفاسي</b>	
<b>المبحث الأول: التعريف بشخصية الحبيب بورقيبة</b>	
61	أولاً: مولده ونسبه
68	ثانياً: نشأته
71	ثالثاً: المسار الدراسي والمهني والثقافي
88	رابعاً: الإطاحة ببورقيبة، ووفاته
<b>المبحث الثاني: التعريف بشخصية علال الفاسي</b>	
92	أولاً: مولده ونسبه
96	ثانياً: نشأته
99	ثالثاً: المسار الدراسي والمهني والثقافي
113	رابعاً: وفاته

116	المبحث الثالث: أوجه التشابه والاختلاف بين الزعيمين "الحبيب بورقيبة" و"علال الفاسي"
117	أولاً: أوجه التشابه
123	ثانياً: أوجه الاختلاف
<b>الفصل الثاني: الدور السياسي للزعيمين في الحركة الوطنية لبلديهما (1930-1956).</b>	
129	المبحث الأول: نشاط الحبيب بورقيبة السياسي داخليا وخارجيا
129	أولاً: نشاطه السياسي بالداخل
177	ثانياً: نشاطه السياسي بالخارج للتعريف بالقضية التونسية (1945-1948)
183	المبحث الثاني: النشاط السياسي لعلال الفاسي في الداخل والخارج
183	أولاً: نشاطه السياسي بالداخل
209	ثانياً: نشاطه السياسي بالخارج للتعريف بالقضية المغربية (1946-1956)
215	المبحث الثالث: تقييم نشاط الزعيمين وإبراز أوجه الاختلاف والتشابه بينهما
215	أولاً: تقييم مسار الزعيمين السياسي
220	ثانياً: أوجه الاختلاف والتشابه بينهما
<b>الفصل الثالث: التوجهات الفكرية والإيديولوجية للزعيمين وأثرهما في بناء الدولة الحديثة</b>	
228	المبحث الأول: فكر وتوجهات الحبيب بورقيبة
228	أولاً: أسس الفكر البورقيبي
231	ثانياً: التوجه الايديولوجي البورقيبي
274	المبحث الثاني: التوجهات الفكرية والإيديولوجية لعلال الفاسي

## فهرس الموضوعات

274	أولاً: توجهاته الفكرية
281	ثانياً: توجهاته الايديولوجية
297	المبحث الثالث: دراسة مقارنة لتوجهاتهما الفكرية والإيديولوجية
297	أولاً: أوجه التشابه
301	ثانياً: أوجه الاختلاف
<b>الفصل الرابع: دور الزعيمين في حركة التحرر المغربية</b>	
310	المبحث الأول: دور الحبيب بورقيبة في حركات التحرر المغربية عملية التحرير المغربية
310	أولاً: الحبيب بورقيبة والقضية المغربية
311	ثانياً: الحبيب بورقيبة والقضية الجزائرية
343	ثالثاً: تأزم العلاقات بين الحبيب بورقيبة والحكومة الجزائرية المؤقتة
351	المبحث الثاني: دور علال الفاسي في حركات التحرر المغربية
351	أولاً: علال الفاسي والقضية التونسية
355	ثانياً: علال الفاسي والقضية الجزائرية
372	ثالثاً: طموحات علال الفاسي الخفية وراء دعمه للثورة الجزائرية
377	المبحث الثالث: تقييم دور الزعيمين
377	أولاً: الحبيب بورقيبة
380	ثانياً: علال الفاسي
381	ثالثاً: أوجه التشابه والاختلاف بينهما

## فهرس الموضوعات

387	الخاتمة
394	الملاحق
424	قائمة المصادر والمراجع
	الفهرس

## الملخص

تبحث هذه الدراسة التاريخية في النضال السياسي لقادة وزعماء الحركة الوطنية المغربية في الفترة المعاصرة، ودورهم في تحقيق الاستقلال الوطني لبلدانهم، وتجسيد التضامن المغربي والعربي، في مواجهة الاستعمار الأوربي، وبناء الدولة الحديثة. وذلك من خلال دراسة مقارنة بين الزعيمين الحبيب بورقيبة وعلال الفاسي، اللذين تمكنا من فرض وجودهما الفعال في المسرح السياسي المغربي والعربي، واستطاع كل منهما المساهمة في تحقيق الاستقلال الوطني لبلده، وتجسيد التضامن المغربي الذي أسهم بشكل حقيقي في تحرير كل أقطار المغرب العربي. كما أن نضال الزعيمين لم يقتصر على الحقبة الاستعمارية وحسب، بل تواصل بعد تحقيق الاستقلال، من خلال وضع تصورات جديدة لبناء وإقامة الدولة الحديثة في كل من تونس والمغرب الأقصى. إلا أن الحبيب بورقيبة الذي ترأس الدولة التونسية الحديثة منذ سنة 1957، وعمل على إقامة نظام ديمقراطي وتجسيد مشروع تحديثي هدفه عصرنه النظام السياسي والاقتصادي والثقافي التونسي، حاد عن مبادئه وأهدافه وأقام نظام مستبد استمر معه إلى غاية الإطاحة به في سنة 1987. أما علال الفاسي، الذي كان له باع كبير في وضع دستور المغرب لسنة 1962، فدخل بعد الاستقلال في صراع مع الأقطاب السياسية المغربية المساندة للملك، والرافضة لمطالب علال السياسية، بإقامة ملكية دستورية وتقليص صلاحيات الملك، وبناء نظام سياسي قائم على الدين الإسلامي الصحيح. ولذلك اصطف في الجبهة المعارضة للسلطة السياسية القائمة في بلاده، وظل كذلك إلى أن وافته المنية في سنة 1974.

**الكلمات المفتاحية:** الحبيب بورقيبة - علال الفاسي - النضال السياسي - تونس - المغرب الأقصى - القيادات السياسية المغربية - الحزب الحر الدستوري التونسي - حزب الاستقلال - التضامن المغربي - الدولة الحديثة.

## Résumé

Cette étude historique examine la lutte politique des dirigeants et leaders du mouvement national maghrébin durant la période contemporaine, et leur rôle dans la réalisation de l'indépendance nationale de leurs pays, et l'incarnation de la solidarité maghrébine et arabe, face au colonialisme européen et à la construction de l'État moderne. C'est à travers une étude comparative entre les deux dirigeants, Habib Bourguiba et Allal El Fassi, qui ont su imposer leur présence effective sur le théâtre politique maghrébin et arabe, et ont pu contribuer chacun de sa part, à réaliser l'indépendance nationale de son pays, et incarner la solidarité maghrébine qui a véritablement contribué à la libération de tous les pays du Maghreb. De plus, la lutte des deux dirigeants ne s'est pas limitée à l'époque coloniale, elle s'est continué plutôt après l'indépendance, en établissant de nouvelles perceptions pour la construction et l'établissement d'un État moderne en Tunisie et au Maroc.

Mais Habib Bourguiba, qui avait dirigé l'Etat tunisien moderne depuis 1957, a œuvré pour établir un système démocratique et incarner un projet de modernisation pour moderniser le système politique, économique et culturel tunisien, a dévié de ses principes et objectifs et a établi un régime autoritaire qui a continué avec lui jusqu'à son renversement en 1987.

Quant à Allal Al-Fassi, qui avait participé dans l'établissement de la constitution du Maroc en 1962, il est entré en conflit après l'indépendance, avec les dirigeants politiques marocains qui soutenaient le roi, et rejetaient les revendications politiques d'Allal d'établir une monarchie constitutionnelle et réduire les pouvoirs du roi, et de construire un système politique basé sur la vraie religion islamique. C'est pourquoi, il s'est aligné au front qui s'opposé au pouvoir politique de son pays, et resté ainsi jusqu'à sa mort en 1974.

**Mots clés:** Habib Bourguiba - Allal El-Fassi - Lutte politique - Tunisie - Maroc - Dirigeants politiques maghrébins - Partie destourien libre tunisien - Partie Istiqlal - Solidarité maghrébine - l'État moderne

